

لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام
٤
٢٣- القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة. لابن بهيج
٢٤- صفة المؤمن والمؤمنة. لذي النون المصري
٢٥- تفريج الكروب في تعزيل الدروب. لابن داود الحنبلي
٢٦- مجلس في فضل صوم يوم عاشوراء. للحافظ المنذري
٢٧- بذل المرام في فضل الجماعة. للبيطار
٢٨- جزء في زواج أبي العاص من زينب بنت رسول الله ﷺ
٢٩- مدخل أهل الفقه واللسان إلى ميدان المحبة والعرفان. لابن شيخ الحزاميين
٤٠- الكفاءة في النكاح. لابن قطلوبغا
٤١- استيفاء الاستدلال في تحريم الإسبال. للأمير الصنعاني
٤٢- قصيدة في مدح السنة واتباع عقيدة السلف. للشافعي
٤٣- رسالة في بر الوالدين. للتقي السبكي
٤٤- جزء في عدم صحة ما نقل عن بلال بن رباح. للخضري
٤٥- وصية القاضي ابن المبلق. للقضاة وأصحاب المناصب
٤٦- ختم جامع الإمام الترمذي. للشيخ عبد الله البصري
دار البشائر الإسلامية

لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام

المجموعة الرابعة

رمضان ١٤٢٢هـ

بينما كان هذا المجلد من لقاء العشر الأواخر يُطبع
نزل أمر الله وقضاؤه بوفاة صاحب الدار الناشرة له

الشيخ الفاضل رمزي بن سعد الدّين دمشقية
رحمة الله تعالى عليه

وقد توفي عصر يوم الثلاثاء ٢٣ شعبان ١٤٢٣هـ
وصُلّي عليه يوم الأربعاء بعد صلاة العصر، ودُفن في مقبرة الشهداء ببيروت

وكم كنا نتمنّى إخراج هذا المجلد قبل وفاته رحمه الله تعالى؛ لما علمنا من حرصه الشديد على رؤيته مطبوعاً؛ فقد كان ركن هذا اللقاء الطيّب، ولكن قضاء الله نافذ، ولا رادّ لما كتب، وإنا على فقده لمحزونون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.
اللّٰهُمَّ أسبغ عليه الرحمات، واجعل مقامه في الجنّات، آمين.

أُسرة دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأُولىٰ
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

تصدير

المجموعة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي جعل لعباده مِنْ دَهْرِهِ نَفَحَاتٍ لِيَتَعَرَّضُوا فِيها إلى فُيُوض رَحْمَتِهِ، وجَعَلَ العشرَ الأواخرَ من رمضانَ مِنْ أَجَلِّ هذه المواسمِ قَدْراً، وأَعْظَمِها مَظِنَّةً لِمَغْفِرَتِهِ، علا ربُّنا فكانَ فوقَ سماواتِه عالياً، ثُمَّ على عَرْشِه استوىٰ، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفىٰ، ويَسْمَعُ الكلامَ والنَّجوىٰ، لا تَخْفىٰ عليه خافيةٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ، ولا في لُججِ البِحارِ ولا في الهواء.

وأشهدُ أَنْ لا إلٰهَ إلاَّ اللّٰهُ إلٰهاً واحداً، فَرْداً صَمَداً، قاهراً قادراً، رؤوفاً رحيماً، لم يتَّخِذْ صاحبةً ولا ولداً، ولا شريكاً له في مُلْكه، امتنَّ على المُؤْمنين بفضله، فَبَذَلَ لَهُمُ الإحسانَ، وزَيَّن في قلوبهمُ الإيمان، وكرَّه إليهمُ الكفرَ والفسوقَ والعصيان.

وأشهدُ أنَّ نبيَّنا وسَيِّدَنا محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ، وصَفِيُّهُ مِن خَلْقِهِ، وحبيبهُ وخليلُـه، الرَّحمـةُ المهـداةُ، والنّعمـةُ المُسْـداةُ، السِّـراجُ المنيـرُ، والبشيـرُ النَّذيرُ، صلَّى اللّٰهُ تعالى عليه وعلى آلِهِ وأَزْواجِه وذُرِّيَّتِهِ، وأَنْصارِهِ وَأَتْباعِهِ

إلىٰ يَوْمِ بَعْثِ بَرِيَّتِهِ، آمين.

وبعدُ:

فَبِفَضْلِ اللَّـٰهِ تعالىٰ ومِنَّتِهِ، ومَحْضِ كَرَمِهِ وجُودِهِ ورَحْمَتِهِ، يسَّر لَنَا تَجَدُّدَ لِقاءِ مجالسِ العَشْرِ الأَواخرِ التي نَعْقِدُها بِصَحْنِ المسجدِ الحرامِ تُجاهَ الكعبةِ المشرَّفة ـ زادها اللَّـٰهُ عِزّاً وشرفاً ومَن شَرَّفَها وعَظَّمَها ـ في موسم هذا العام ـ ١٤٢٢هـ ـ، بَعْدَ أَنْ حَظِي إنْتاجُ العام الماضي ١٤٢١هـ وما قَبْلَهُ بِقَبولِ العُلماءِ والفُضلاءِ، وطلبةِ العلمِ والنُّبلاءِ، في الحرمين الشريفين وغيرها من بلاد الإسلام، فالحمدُ للَّـٰه الذي بنعمته تَتِمُّ الصَّالحاتِ، ونَسْأَلُه المزيدَ مِن فضله وتوفيقه، إنَّه سميع مجيب.

وكان من جُملة من سُرَّ بهذه المجالس وشَجَّعَنَا إلى المزيد من البحث والتحقيق وإخراج كنوز السلف وإحياء سُنَّة السماع والقراءة والمقابلة والعرض، شيخُ الحنابلة في عصرنا العلاَّمةُ الفقيهُ شيخُنا الشيخُ عبدُ اللَّـٰه بْنُ عبد العزيز العقيلُ حفظه الله تعالى.

وقد شَرُفَ لقاؤنا هذا العام ـ ١٤٢٢هـ ـ بمساهمة جليلة لفضيلته ـ حفظه الله تعالى ومتَّع به ـ وذلك بسماع القصيدة الوضاحية، حيث تشرَّفتُ بقراءتها عليه بحضور أخي وقرَّة عيني الشيخ محمد بن ناصر العجمي وحفيد الشيخ أنس بن عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله العقيل، فقام بتصحيح بعض ألفاظها وضبطها وكتب السماع بخطِّه الشريف المثبت في أول هذه المجموعة، فجزاه اللَّـٰه عنَّا خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناته.

وقد تمَّ في هذا الموسم ـ ١٤٢٢هـ ـ قراءة وإعداد الرسائل الآتية:

١ ــ القصيدة الوضَّاحية في مدح السيِّدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، لأبي عمران موسى بن بهيج الأندلسي، بعناية كاتب هذه السطور.

٢ ــ صفة المؤمن والمؤمنة، للعالم الزاهد ذي النون المصري، بعناية فضيلة الشيخ رمزي سعد الدين دمشقية.

٣ ــ تفريج الكروب في تعزيل الدروب، للإمام العلاَّمة تقي الدين أبي بكر بن داود الحنبلي، بتحقيق تفاحة الكويت الأخ الشيخ محمد بن ناصر العجمي.

٤ ــ مجلس في فضل صوم يوم عاشوراء، للحافظ زكي الدين المنذري، بتحقيق الباحث الشيخ عبد اللطيف بن محمد الجيلاني.

٥ ــ بذل المرام في فضل الجماعة وأحكام المأموم والإمام، للشيخ حسن بن إبراهيم البيطار، بتحقيق الشيخ الدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي.

٦ ــ جزء في زواج أبي العاص بن الربيع بزينب بنت رسول الله ﷺ، للشيخ عبد الغني المقدسي، بتحقيق الشيخ مساعد العبد الجادر.

٧ ــ مدخل أهل الفقه واللسان إلى ميدان المحبة والعرفان، لابن شيخ الحزاميين، بتحقيق الأخ الشيخ وليد بن محمد العلي.

٨ ــ الكفاءة في النكاح، للإمام الفقيه ابن قطلوبغا، بتحقيق الدكتور عبد الستار أبو غدة.

٩ ــ استيفاء الاستدلال في تحريم الإسبال على الرجال، للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، بتحقيق الدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي.

١٠ ــ قصيدة في مدح السُّنَّة، للحافظ أبي طاهر السِّلَفي، ويليه:

١١ ــ رسالة في برّ الوالدين، للإمام تقيّ الدِّين السبكي، كلاهما بعناية راقم هذه السطور.

١٢ ــ جزء في عدم صحة ما نقل عن بلال بن رباح رضي الله عنه من إبداله الشين في الأذان سيناً، لأبـي الخير محمد الخيضري، ويليه:

١٣ ــ وصية ناصر الدين ابن المَيْلَق، كلاهما بعناية الأخ الشيخ جمال عَزُّون.

١٤ ــ ختـم جـامـع الإمـام التـرمـذي، للمحـدِّث الشيـخ عبـد الله بـن سـالـم البصري، بعناية العربـي الدائز الفرياطي المغربـي.

هذا ونرجو من أساتذتنا ومشايخنا الأجلَّاء، وإخواننا طلبة العلم الفضلاء ــ في مشارق الأرض ومغاربها ــ أن لا يبخلوا علينا بنصائحهم وتوجيهاتهم، وتصويباتهم وتسديداتهم ومشاركاتهم، فنحن بأمسِّ الحاجة إليها، ويمكنهم إرسالها على عنوان الناشر، دار البشائر الإسلامية ــ بيروت.

ولا يفوتنا أن ننبِّه هنا أنَّ كل محقِّق وباحث مسؤول عن عمله وجهده وما قد يعتريه من نقص أو خلل أو خطأ، وليس لنا إلَّا التنسيق بين البحوث ومتابعة وصولها، لذا لزم التنبيه.

وصلَّى اللَّه على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه الفقير إلى الله

نظام محمد صالح يعقوبي

ليلة ٢٧ رمضان المبارك ١٤٢٢هـ

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٣٣)

القصيدة الوضاحية
في مدح السيدة
عائشة أم المؤمنين
رضي الله عنها

تأليف
الشيخ الإمام أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي
المعروف بابن بهيج
(كان حيًّا سنة ٤٩٦هـ)
رحمه الله تعالى

اعتنى به
نظام محمد صالح يعقوبي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية



مُقدّمة المعتني بها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيِّدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد كنت في زيارة لبريطانيا صحبة الوالدة الكريمة حفظها الله تعالى لمراجعة بعض الأطباء، وكعادتي قصدت المكتبة البريطانية في لندن للاطِّلاع على نفائسها، فكان من جملة ما اطَّلعت عليه هذه القصيدة الجليلة. ثم بعد أيام قمت بزيارة مكتبة جامعة أكسفورد للاطِّلاع على بعض مخطوطاتها فوجدت النسخة الثانية المسندة لهذه القصيدة، فكأنها تنادي علي: أخرجني أخرجني!!

ولم يسبق لي قبل ذلك الاطِّلاع عليها لقلة بضاعتي وقصوري، مع أنه تبيَّن لي بعد ذلك أنه قد سبق طبعها مراراً مشرقاً ومغرباً كما في مقدمة أخي الشيخ العجمي حفظه الله في ترجمة صاحب القصيدة وتوثيقها وتخميسها، ولكن يبقى لنا فضل نشرها للمرة الأولى منسوبة إلى مؤلفها الأصلي رحمه الله، اعتماداً على هاتين النسختين المخطوطتين اللتين لم يسبق اطِّلاع أحد ممَّن سبق إلى نشرها عليهما، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.





ترجمة صاحب القصيدة وتوثيقها وتخميسها[1]

أولاً: ترجمة الناظم

ذكره ابن الأبار في «التكملة لكتاب الصلة»[2] حيث قال:

موسى بن بهيج، المغربي الواعظ، أندلسي من أهل المرية، نزل مصر، يكنى أبا عمران. كان من أهل العلم والأدب، وله في الزهد وغيره أشعار حملت عنه، ذكره ابن خير وحدَّث عن أبي جعفر بن زيدون عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عباس المرشاني عنه بمخمَّسته في الحج وأعماله كلها، لقيه بمصر وقرأها عليه في سنة ست وتسعين وأربعمائة، وكان أبو عمر المعروف بابن يَمْنَالَش الزاهد ينشد لابن بهيج هذا:

إنما دنياك ساعة ... فاجعل الساعة طاعةْ

---

(١) تفضل أخي وقرة عيني تفاحة الكويت الشيخ محمد بن ناصر العجمي حفظه الله بكتابة هذه الترجمة، مع توثيق القصيدة وتخميسها، وقال في مقدمتها: «بقلم: الفقير إلى عفو ربه محمد بن ناصر العجمي، مهداة لأخيه عالم البحرين وجوهرتها المكنونة نظام محمد صالح يعقوبي غفر الله ذنوبه وذنوبي». فجزاه الله عني كل خير.

(٢) (٢/ ١٧٤، ١٧٥) بتحقيق الدكتور عبد السلام الهراس، ط دار المعرفة بالدار البيضاء في المغرب.

واحـــذر التقصيـــر فيهـــا واجتهـد مـا قـدر سـاعـةْ
وإذ أحـبـبـت عـــزّاً فـالتمـس عـز القنـاعـةْ

وترجم له أحمد بن محمد المقري في «نفح الطيب من غُصن الأندلس الرطيب»[1] في ذكره لمن رحل إلى المشرق فقال:

موسى بن بهيج المغربي الأندلسي، الواعظ، الفقيه، العالم، من أهل المرية، نزل مصر...

ثُمَّ ذكر نحو كلام ابن الأبار السابق.

وذكر له ابن خير الأندلسي في «فهرسة ما رواه عن شيوخه»[2]:

مخمسة الشيخ الواعظ المقري أبي عمران بن بهيج الأندلسي، في صفة الحج وأعماله كلها؛ وقطعة شعر لامية أيضاً في الزهد، أولها:

كم تحسنت أو حسنت المعال

وهي اثنا عشر بيتاً.

حدثني بهما الشيخ الوزير أبو جعفر عبد الله بن محمد بن زيدون المخزومي رحمه الله، مناولة منه لي، قال: حدثني بهما الحاج الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عياش العبدري المرشاني رحمه الله، قراءةً عليه، عن قائلهما أبي عمران بن بهيج رحمه الله، قراءة عليه، لقيه بمصر في سنة ٤٩٦.

كما أن الحافظ أبو طاهر السِّلَفِي روى له شعراً في «معجم السَّفر»[3] إذ يقول:

---

(١) (٢/ ٢٢٠، ٢٢١) بتحقيق إحسان عباس، ط دار صادر.
(٢) (ص ٤١٣، ٤١٤) ط دار الآفاق الجديدة.
(٣) (ص ١٤٤) ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة.

حدَّثني أبو محمّد عبد الله بن محمَّد بن ملوك التنوخيّ الفليشيّ بالإسكندرية بعد رجوعه من مكَّة، وفليش قرية من قرى لُرْقَة بشرق الأندلس، قال: غاب أبو عمران الفليشيّ، موسى بن محمَّد بن بهيج الكفيف المَرِيِّي عن عشائره مدَّة بالمشرق، فعمل بمصر موشّحاً أوَّله:

يـا مُنَجِّمِينَـا	هـل لِلْغَـرِيـبِ سَبِيـلْ
نَحْـوَ الظَّـاعِنِينَـا	فَـالْقَلْـبُ مِنْـهُ عَلِيـلْ
لَا يُلْفِـي مُعِينَـا	إلاَّ دُمُـوعـاً تَسيـلْ
وَيُجْـرِيهَـا هَتُـونـا	مِـنْ جَفْنِـهِ وَيُـدِيـلْ

ومنه:

حَكَـى نَـوْحَ المُسْتَهَـامِ	مِمَّـا بِـهِ مِـنْ غَـرَامْ
نَـوْحـاً كَنَـوْحِ الحَمَـامِ	عَلَـى ذُرَى الآكَـامِ
غَـدَا يُجْـرِي بِـانْسِجَـامِ	دَمْعـاً كَصَـوْبِ الغَمَـامِ
يَشْكُـو لِكُـلِّ الأَنَـامِ	مَـا بِـالْحَشَـا مِـنْ كَـلَامِ

ولم يذكر ابن الأبار ولا المقري سنة وفاته، ولكنه كان حيًّا سنة (٤٩٦هـ) إذْ كان في مصر.

ثانياً: توثيق القصيدة وصحة نسبتها لأبـي عمران موسى بن بهيج الأندلسي

قال الحافظ أبو طاهر السِّلَفِي في «معجم السَّفر»[١]:

أنشدني أبو الطاهر عبد المنعم بن موهوب بن أحمد القارىء بمصر،

(١) (ص ٢٠٤).

قال: أنشدنا أبو عمران موسى بن محمّد بن عبد الله بن بهيج الأندلسي لنفسه من قصيدته المشهورة في ذكر عائشة الصدّيقة ومنها:

أَكْـرِمْ بِـأَرْبَعَـةٍ أَئِمَّـةِ شَـرْعِنَـا فَهُـمُ لِبَيْـتِ الـدِّيـنِ كَـالأَرْكَـانِ
بَيْـنَ الصَّحَـابَـةِ والقَـرَابَـةِ أُلْفَـةٌ لاَ تَسْتَحِيـلُ بِنَـزْغَـةِ الشَّيْطَـانِ
نُسِجَـتْ مَـوَدَّتَهُـمْ سَدًى فِـي لُحْمَـةٍ فَبِنَـاؤهَـا مِـنْ أَثْبَـتِ البُنْيَـانِ
﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ صَفَـتْ أَخْـلاَقُهُـمْ وَخَلَـتْ قُلُـوبُهُـمُ مِـنَ الشَّنْـآنِ
هُمْ كَالأَصَابِعِ فِي اليَدَيْنِ تَوَاصُلاً هَـلْ يَسْتَـوِي كَـفٌّ بِغَيْـرِ بَنَـانِ
اللَّـهُ أَلَّـفَ بَيْـنَ وُدِّ قُلُـوبِهِـمْ لِيَغِيـظَ كُـلّ مُنَـافِـقٍ طَعَّـانِ
فَـدُخُـولُهُـمْ بَيْـنَ الأَحِبَّـةِ كُلْفَـةٌ وَسِبَـابُهُـمْ سَبَـبٌ إِلَـى الحِـرْمَـانِ

وذكرها الحافظ ابن حجر في «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس»[١] فيما يرويه عن شيخه عبد الرحمن بن أحمد، المعروف بابن الشَّيْخَة، حيث قال: «قصيدة في مدح أم المؤمنين عائشة» أولها:

مَـا شَـانُ أُمِّ المُـؤْمِنِيـنَ وَشَـانِـي

وهي من نظم أبـي عمران موسى بن محمد بن عبيد الله الأندلسي الواعظ، بسماعه لها على أبـي الحسن ابن قُرَيْش، بسماعه من الحافظ رَشِيد الدين يحيـى بن علي بن عبد الله العَطَّار، قال: أخبرنا أبـي، قال: أخبرنا أبو طاهر عبد المنعم بن موهوب إجازة، قال: أنشدنا أبو عمران.

كما ذكرها في «المجمع»[٢] أيضاً، فيما يرويه عن شيخه محمد بن محمد بن أبـي بكر، خطيب الصَّالحية، إذ يقول:

---

(١) (٢/ ١٣٠) بتحقيق يوسف المرعشلي، ط دار المعرفة في بيروت.

(٢) (٢/ ٤٨٦).

وسمعت من لفظه «أحاديث وأناشيد، فيها القصيدة التي في مدح أم المؤمنين عائشة»، أولها:

ما شان أمّ المؤمنين وشاني

وهي من نظم أبي عمران موسى بن عبيد الله الأندلسي الواعظ، بسماعه من عزّ الدين ابن جماعة قال: أخبرنا محمد بن أبي الحَرَم، قال: أخبرنا الرشيد العَطَّار، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا أبو طاهر عبد المنعم بن موهوب إجازة عنه.

كما أن أبو الفتح إبراهيم بن علي القرشي القلقشندي قد رواها من طريق الحافظ ابن حجر، إذ يقول كاتب «ثبته»[1] محمد بن يشبك اليوسفي:

وسمِعَ على سيِّدنا ومولانا وشيخنا شيخ مشايخ الإسلام والحفَّاظ جمال الدين أبي الفتح إبراهيم بن شيخ الإسلام علاء الدِّين أبي الفتوح علي بن القاضي قطب الدِّين أحمد القُرَشيّ القلقشنديّ الشَّافعي جميع القصيدة الوضَّاحيَّة في مدح أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، الَّتي أوَّلها:

ما شان أمِّ المؤمنين وشاني

بقراءة الشَّيخ شهاب الدِّين أحمد بن عليّ القدسيّ الحنبليّ، كاتبه[2] محمَّد بن يشبك اليوسفيّ، وولده أحمد، والشَّيخ شرف الدِّين يونس بن ملاج الحسنيّ الحنفيّ، قال مولانا المُسَمِّع: أخبرنا بها جمع من الشّيوخ سماعاً

(١) «ثبت القلقشندي» (١٧/ب قطعة منه، نسخة مكتبة المدينة المنورة العامَّة برقم ٣٦٥).

(٢) قلت: وهذا عين إسناد نسخة أكسفورد التي اعتمدنا عليها. (كتبه نظام).

منهم شيخ الإسلام شهاب الدِّين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشَّافعي، والمسندة أمّ الفضل هاجر القدسيَّة، والمسندة ساره ابنة جماعة وغيرهم، سماعاً على الثانية، وإجازةً من الأول والأخيرة إن لم يكن سماعاً ولا قراءة.

قال الأوَّلون: أنا أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد المبارك بن الشَّيخة الغزّي سماعاً لهاجر، وإجازة؛ إن لم يكن سماعاً ولا قراءة لشيخ الإسلام ابن حجر، أنا أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إبراهيم بن قُريش، وقالت ساره: أنا جدّي شيخ الإسلام عزّ الدِّين أبو عمر عبد العزيز بن محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانيّ إجازة؛ إن لم يكن سماعاً، أنا أبو بكر محمَّد بن مكّي بن جامع القرشيّ سماعاً. قال هو وابن قريش: أنا بها الرَّشيد أبو الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشيّ العطّار الحافظ، أنا بها أبو الطَّاهر عبد المنعم بن موهوب اليزني القارىء، أنشدنيها ناظمها أبو عمران موسى بن محمَّد بن عبد الله الأندلسي الواعظ، عُرِفَ بابن بهيج، فذكرها.

وأجاز مولانا المُسَمِّع لكاتبه محمَّد بن يشبك اليوسفي وولده أحمد رواية ذلك وجميع ما يجوز له وعنه روايته، صحَّ ذلك وثبت بباب منزل مولانا المُسَمِّع بِحَارَة بهاء الدِّين قراقوش، في يوم الأحد المبارك السادس عشر من ذي القعدة الحرام، سنة ثمان وعشرة وتسعمائة».

وقد كتب صحة هذا السماع بخطه العلاَّمة أبو الفتح القلقشندي: «الحمد لله. صحيح ذلك، كتبه إبراهيم بن علاء القرشي القلقشندي الشَّافعي حامداً مصلياً مسلماً».

وممن سَمِـعَ هذه القصيدة ورواها: العلاَّمة محمد المرتضى الزَّبيدي،

إذ جاء سماعه لها على نسخة من هذه القصيدة محفوظة بالخزانة العامة بتطوان في المغرب تحت رقم (٦٠)، وإليك إياه[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم، حمداً لمن نزَّل براءة الصدّيقية في كتابه، وصلاةً وسلاماً على سيدنا محمد وآله وصحبه، وبعد:

فيقول أسير المساوي، عبد الوهاب بن محمد الطائي الحميدي الشافعي الشبراوي:

قد أنشدنا شيخنا الإمام الحَبْر الهُمام اللغوي الجهبذ الناثر الناظم الناقد المحدث المفسر الفقيه الحنفي السيد الشريف محمد بن محمد بن محمد الشهير بالمرتضى الزَّبيدي الحسيني نزيل مصر، بجامع المرحوم شيخو العمري الناصري بخط صليبة أحمد بن طولون، قال: أنشدنا إياها شيخنا الفقيه الصالح محمد بن مصطفى بن علي الأيسر الفُوّي الشافعي عن والده.

قال شيخنا السيد المذكور: وأعلى من ذلك أني رويتها عن شيخي السيد محمد بن محمد حجاج الحسيني قال: أنشدنا أبو الفيض علي بن إبراهيم الزغلي البويتجي الشافعي نزيل فُوَّة. قال: أنشدنا إبراهيم بن محمد المأموني الشافعي، عن الشمس الرملي الأنصاري، عن شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، عن الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني بقراءته على أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك، أنا أبو الحسن علي بن إسماعيل بن قريش المخزومي سماعاً سنة ٧٣٩ بسماعه على الحافظ رشيد الدين أبي الحسين يحيى بن علي القريشي، قال: أخبرنا والدي أبو الحسن علي بن عبد الله القريشي بحق قراءتي عليه غير ما مرة، أخبرنا

---

(١) انظر ما يأتي (ص ١٨).

أبو طاهر عبد المنعم بن موهوب اليَزَني الواعظ إجازةً، أنشدنا أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي لنفسه في عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، **وأجازه الأفضل وزير مصر السُّني عليها بمائة دينار لمّا بلغته**، رضي الله عنها ورحم الله القائل.

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم.

وعليها بخط السيد مرتضى ما نصه:

الحمد لله، قد سمع مني هذه القصيدة بقراءتي: كاتبها وصاحبها الشيخ الفاضل المفيد أبو الفضل عبد الوهاب بن محمد بن علي الشبراوي الشافعي حفظه الله، وقد أجزت له ولمن سمع معه، وهم نحو من ثلاثين نفساً ضبطت أسماؤهم على ظهر نسخة الأصل عند مثبت الأسماء، روايتَها عني، بارك الله فيهم ونفع بهم. وكتبه محمد بن محمد بن محمد المرتضى الحسيني في يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شعبان سنة ١١٨٦ بجامع المرحوم شيخو العمري، حامداً لله ومصلياً ومسلماً.

هذا ما وقفت عليه من توثيقٍ أصيلٍ لهذه القصيدة الجليلة، ومما ينبغي التنبيه عليه أن هذه القصيدة قد سبق نشرها وذلك من قِبَل العلاَّمة اللغوي سعيد الأفغاني، فقد أوردها كاملة في كتابه «عائشة والسياسة» المطبوع في القاهرة سنة (١٩٤٧) (ص ٣٦٢ ــ ٢٦٥) وذكر أنه اعتمد على نسخة قديمة في حوزة الأستاذ أحمد عُبيد صاحب المكتبة العربية بدمشق.

كما أن العلاَّمة عبد الله كنون المغربـي نشرها[١] في مجلة مجمع اللغة

---

(١) وقد اعتمد على أربع نسخ: الأولى نسخته الخاصة، والثانية والثالثة والرابعة من =

العربية بدمشق سنة (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م) (٤٨/ ٧٤٧ ـ ٧٥٦) ثُمَّ أعاد نشرها مرةً أُخرى في مجلة «المناهل» التي تصدرها وزارة الثقافة في المغرب العدد السادس (رجب ١٣٩٦هـ ـ يوليو) (ص ٢٥ ـ ٣٤)[١].

ومما قاله في مطلع هذه المقالة:

«هي قصيدة في مناقب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها اشتملت على ذكر فضائلها وفضائل والدها أبـي بكر الصديق ومجادلة الخصوم المبغضين لها المتقولين عليها. ومحاجتهم بالدليل من الكتاب والسنة في إيمان صادق ودفاع حار. وبالواقع التأريخي الذي لا نزاع فيه من سيرتها العطرة وسيرة أبيها الخليفة الأول رضوان الله عليه، وكل ذلك بأسلوب بارع وبيان رفيع، ونظم محكم متين، وإلى هذا وبقطع النظر عن كل اعتبار، فالقصيدة تعبر عن عاطفة إنسانية رفيعة لأنها تتخذ موقف المساندة بجنب سيدة شريفة أثناء أزمة

= محتويات المكتبة العامّة بتطوان، وأرقامها فيها (٦٥٦، ٨٣٠، ٦٠) والرقم الأخير فيها هو رقم النسخة التي فيها سماع الزبيدي الذي سبق إيراده من مقالته في مجلة مجمع اللغة العربية (٤٩/ ٩٢٤).

وقد تعقب أحدهم في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (٤٩/ ٤٥٣) مقال عبد الله كنون الذي أورد فيه هذه القصيدة، وذكر أنه رأى بخط والده وهو من القرن الماضي أن القصيدة لابن لعديم، كما أنني وقفت على نسخة خطية من هذه القصيدة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية برقم (٢٦٧ مجاميع)، وذكر ناسخها في أولها أنها لابن الجزري، وهذه النسخة منسوخة سنة ١١٨٩هـ، وقد زادت أبياتها على بقية النسخ أكثر من عشرين بيتاً، وهذا كله مما حدا بـي إلى العناية بتوثيق هذه القصيدة وبيان صحة نسبها إلى أبـي عمران الأندلسي.

(١) وقد أوقفني على هذه المقالة أخي الباحث المحقق الطُّلعة، أحد كواكب المغرب المشرقة عبد اللطيف بن محمد الجيلاني، فجزاه الله عني خيراً.

هي أعنف أزمة يمر بها امرأة في حياتها، فتنافح عنها وعن كرامتها حتى تحتفظ لها بسمعتها الطيبة وذكرها الجميل.

ومما أبر به صاحب هذه القصيدة أنه جعلها على لسان السيدة عائشة نفسها، فبعد المطلع الذي يوذن بمقصوده تخلص في البيت الثاني إلى إعطائها الكلمة، فجعلها هي التي تناظر وتفاخر وتدفع في نحور الأعداء بسلاح الحجة والبرهان الذي يطوقهم الخزي والعار. فلو أنها رضي الله عنها نطقت فعلاً بشعر في الموضوع لما زادت على ما احتوته هذه القصيدة، وهي من هي قوة بيانٍ وشدة عارضة.

وهذا مما يدل على بلاغة منشئها، ومقدرته البيانية وتمكنه من صناعة الشعر، فضلاً عن رسوخ قدمه في المعرفة بعلم الحديث والسيرة النبوية والتاريخ وسائر العلوم الإسلامية».

ولا يعزب عنك أيها القارىء ما مرَّ في سماع الزَّبيدي لها أنه ذكر: أن الأفضل وزير مصر السني[1] أجاز ناظمها بمائة دينار لمَّا بلغته.

ثالثاً: تخميسها

ومما يدل على العناية بها أن الشيخ عبد الحميد قُدْس المكي المتوفى سنة (١٣٣٤هـ)[2] قد خمَّسها بعنوان «بُلوغ السَّعد والأُمنية في مدح سيدتنا

(١) هو الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي، وزَّر للمستنصر والمستعلي من خلفاء الفاطميين، وكان سنِّيّاً أبطل الكثير من مراسيم الفاطميين، توفي سنة ٥١٥هـ. (تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن إبراهيم حسن ص ١٧٥).

(٢) هو الشيخ عبد الحميد قُدْس بن علي، قال الشيخ المؤرخ المكي عبد الله مرداد أبو الخير في «نشر النَّور والزَّهر ــ مختصره، ص ٢٣٧ وما بعدها»: «الجاوي =

أم المؤمنين المبرأة الصِّديقية» وهو مطبوع في مطبعة الترقي في مصر سنة (١٣١٩هـ)[١] وإليك نصها:

هذا التخميس النفيس على القصيدة السنية، المقولة على لسان المبرأة الصديقية، سيدتنا أم المؤمنين عائشة المحظية، زوجة وحبيبة خير البرية، صلَّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه بكرة وعشية، وهي متضمنة لمدحتها البهية، تقبَّل الله تعالى ذلك إنه مبلغ الأمنية، آمين بالآمين.

قِـفْ واستمـع قـولاً عظيـم الشـان في مدح زوج المصطفى العدنان

إذ قـال عنهـا مثبـتُ البـرهـان (مـا شـان أُمِّ المـؤمنيـن وشـانـي)

(هُدِيَ المحبُّ لها وضَلَّ الشاني)

فـاقـت علـى كـل النسـاء بنُبلهـا ولدَى العلوم بدت معالمُ طَوْلها

وإذا أردتَ بيـانَ عِـزَّةِ نيلهـا (إنـي أَقـول مبينـاً عـن فضلهـا)

(ومترجِماً عن قولها بلساني)

يـا مـدَّعـي حُـبّ المشفـع أحمـد خـذ حُـبّ حِبِّـه شفيعـك فـي غـد

= أصلاً، المكي مولداً، الشافعي، الأديب الشاعر، أخذ العلم عن أهله وذويه ولازم فيه». ثُمَّ ذكر أخذه عن علماء مكة، ورحلته إلى الجامع الأزهر وأخذه عن علمائه، وتصدى بعد ذلك للتدريس في المسجد الحرام. ومما قال أبو الخير مرداد: «وأثنى عليه كثير من أهل الفضائل، ونثر ونظم، وألف التآليف العديدة الحسنة المفيدة». وذكر طرفاً منها، ثُمَّ إشارة إلى هذا التخميس بالعنوان السابق. توفي الشيخ عبد الحميد قدس سنة (١٣٣٤هـ). وانظر ترجمته أيضاً في «سير وتراجم» لعمر عبد الجبار (ص ١٥٧)، و «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٨٨).

(١) أوقفني على هذه التخميس الأخ الدكتور عبد الله الحُجيلي، الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فجزاه الله خيراً.

فــإذا أبيــتَ أقــولُ قــولَ مســدّد (يـا مبغضـي لا تـأتِ قبـر محمـد)

(فالبيت بيتي والمكان مكاني)

أتظــنّ تحظـى مـع قِـلاكَ بمقصـد حــاشــا فــأنــتَ إذاً بشــرٍّ مُغْتــدِ

أو مــا تــرى مــا حــزتُــهُ بتــأيُّــدِ (إني خُصصتُ على نساء محمد)

(بصفـاتِ بِـرٍّ تحتهـن معـانـي)

سَبقتْ خديجةُ واعترفتُ بفضلها وخصائصي في الذكر منبَعُ جَزلها

ونســـاءُ أحمـــدَ فقتُهـــن بجُلّهـــا (وسبقتُهـن إلـى الفضـائـل كلِّهـا)

(فالسبق سبقي والعِنان عناني)

من ذا الذي قد حاز مثلَ مناقبي إذ كنـتُ حِبَّـةَ مـن أشـاد مـراتبـي

فـالسعـدُ وافـانـي ونِلـتُ مـآربـي (مرض النبـيُّ ومات بين ترائبـي)

(واليومُ يومي والزمان زماني)

مـن سـار مثلـيَ فـي الخليقـة سيـرَه والسعـد أنطـقَ بـاعتـلائـيَ طَيْـرَه

مـا زلـتُ أشكـر للمهيمـن خيـرَه (زوجـي رسـولُ الله لـم أر غيـرَه)

(اللّٰـهُ زوَّجنـي بِـهِ وحبـانـي)

قـد زانني ربـي بحسـن سريـرتـي ولدى ذوي الإيمان حسَّنَ سيرتي

وأعـزَّنـي الهـادي ففقـتُ عشيـرتـي (وأتـاهُ جبـريـلُ الأميـنُ بصـورتـي)

(فـأحبَّنـي المختـارُ حيـن رآنـي)

فـأنـا الكـريمـة مـن غشـانـي بـرُّه قــد زادنــي شــرفــاً وعــزّاً فخــرُه

مــن ذا يفــاخــرنــي وبيتــي قبــرُه (أنــا بكــرهُ العــذراءُ عنــدي ســرُّه)

(وضجيعُـه فـي منـزلـي قمـران)

فلـيَ الهنـا أعلـى المهيمـنُ رُتبتـي إذ بـالحبيـب بلغـتُ غـايـةَ بُغيتـي

وبسـورة النـور البهيَّـة قِصَّتـي (وتكلَّـمَ اللّـهُ العظيـمُ بحجَّتـي)
(وبـراءَتـي فـي محكـم القـرآن)

وكـذاكَ أوْعـد مـن أراد مَـذَلَّتـي بالخزي والبلوى وأحسنَ نشأتي
وأعـزَّنـي رغمـاً لحُسـن محَجّتـي (واللّـهُ عظَّمني وعظَّـم حـرمتـي)
(وعلـى لسـانِ نبيّـهِ بَـرَّانـي)

تبًّـا لمـن لخـلاف ذلـك يتـذِي حسبـي إلٰـهي والمهيمـنُ منقـذي
فبِـهِ نصرتُ على المنـافق والبَذِي (واللّهُ في القرآن قد لعنَ الذي)
(بعـدَ البـراءة بـالقبيـح رمـانـي)

سبحـان ربِّـي إذْ قضـى بتخَلّصـي وأذلَّ أعـدائـي ودمَّـر مُـرْهصـي
وأزال همِّـي فـاستحـال تَنَغُّصـي (واللّـهُ وبَّـخ مَـنْ أراد تَنَقُّصـي)
(إفكـاً وسبّـح نفسَـه فـي شـانـي)

فمعيشتـي مـن بعـد ذاك هنيئـةٌ وحيـاةُ إخـوان النفـاقِ رديئـةٌ
ولـوامـعُ البشـرى علـيَّ مضيئـة (إنـي لمُحصَنَـةُ الإزار بـريئـةٌ)
(ودليلُ حُسنِ براءَتي إحصانِي)

هـو كيـف لا وعلـيَّ جـادَ بنيلـه ربِّـي وأكـرمنـي بـأجـزل طَـوْلـه
ولحسـن ظنِّـي فـي الكـريـم وفضلـه (اللّـهُ خصَّصنـي بخـاتـم رسلـه)
(وأذلَّ أهـل الكفـر والطغيـان)

كيـف التجـاهُـلُ عـن مقـام أوحـد قـد فقـتُ أمثـالـي بغيـر تَـردُّد
حَفَّـت عنـايتـه ففـزت بسـؤدد (وسمعتُ وَحْيَ اللّٰه عند محمد)
(مـن جبـرئيـل ونـورُه يغشـانـي)

مَـنْ ذا لـهُ الإذلالُ عنـد جنـابـه مثلـي ومَـن قـد حـدثـتْ بخطـابـه

ومــنِ استقــرتْ والأميــنُ ببــابــه (أُوحِي إليـه وكنـت تحـتَ ثيـابـه)

(فحنـا علـيَّ بثـوبِـهِ وحبـانـي)

فـاللّٰـهُ نـوَّر بـالعلـوم بصيـرتـي وقُصِـدتُ بـالفتـوى ففقـتُ بفَتْـوَتـي

زَمَـنَ الأُلـى فـازوا بـأعظـم رتبـةِ (مَنْ ذا يُفاخرني ويُنكر صحبتي)

(ومحمـدٌ فـي حِجْـره ربَّـانـي)

فـأنـا بعـائشـة سُمِّيـتُ لِمَقْصِـدِ وأنـا الحظيـةُ قـد حُظيـتُ بسيِّـد

وأنـا النسيبَـةُ قـد سَمَـوْتُ بمَحْتَـدِ (وأنا ابنةُ الصدِّيقِ صاحبِ أحمد)

(وحبيبـهِ فـي السـرِّ والإعـلان)

أبـوايَ قـد سبقَـا لـديْـن ممجَّـدِ وإلـى المـدينـة هـاجـرا بتَـوَدُّدِ

فنشئـتُ فـي الإسـلام نشـأة مُسعـدِ (وأخـذت عـن أبـويّ ديـنَ محمـدِ)

(وهما على الإسلام مصطحِبان)

فالمجدُ مجدِي والسعادةُ مَنْصِبِي والعـزُّ عـزِّي والنجـابـةُ مَـرْكَبِـي

والسعد سعدي والشهامة مَشْربـي (والفخر فخري والخلافة في أبـي)

(حسبـي بهذا مَفخَراً وكفاني)

وبـأمـرِ طَـٰـهَ قـدَّمـوه بِسُجَّـدِ فَـرَضُـوا خـلافتَـه بـرأي مـرْشِـدِ

فمشـى علـى سَنَـنِ المفضَّـل أحمـدِ (وأبــي أقـامَ الـديـنَ بعـد محمـدِ)

(فالنَّصل نَصلي والسِّنان سِناني)

مَـنْ مِثْلـه أرضـى النبــيَّ بــأُنسـه وقَضى الأنامُ على محاسنِ حَذْسه

وأعَــدَّ كــلَّ الصــالحـاتِ لـرمسـه (نَصَـف النبــيّ بمــالـه وبنفســه)

(وخـروجِـهِ معـهُ مـن الأوطـانِ)

يـومَ النبــيُّ إلـى المـدينـة قـد نـوى مــا ســار إلاَّ والــدِيْ مَعَــهُ ســوا

وَمَعِيَّـةُ المـولـى بنصـرٍ فـاسـتـوى (ثانيهِ في الغار الذي سدَّ الكُوَى)

(بِـرِدائِـهِ أكـرِمْ بـه مِـنْ ثـان)

مُـذْ حَـلَّ مـع طـه تكـامـل مَغْنَمـا وبقـولِ «لا تحـزنْ» تشجَّـعَ واحتمـا

فَعَلَتْـهُ بعــدُ سكينـةٌ ممــن سمــا (وتجلَّلـتْ معـه مـلائكـةُ السمـا)

(وأتتهُ بشرى اللّـهِ بالرضوان)

مـا زال يَقْفُـو فعـلَ طـه المجتبـى ويسيـرُ مهمـا سـار مَعْـهُ تحبُّبـا

فهـو الـذي فـي اللّـهِ حَـبَّ تقـرُّبـا (وجفا الغِنَىٰ حتى تَجَلْبَبَ بالْعبا)

(زهـداً وأظعـنَ أيَّمَـا إظعـان)

أمضَـى لـواءَ للنبـيِّ بِنُبْلِـهِ لتـزولَ آثـارُ الغُـوَاة بطَـوْلـه

وتـدومَ أعـلامُ الهـداة بفضلـه (قَتَـلَ الـذي منـع الـزكـاةَ بجهلـه)

(وأذَلَّ أهـلَ البغـي والعـدوان)

فـاق الصحـابـةَ كلَّهـم بمكـارمٍ إذ كـان بحـرَ معـارفٍ ومـراحـمٍ

وأبـا هـدًى ونَـدًى وصـدقِ عـزائـمٍ (وهو الذي لم يخشَ لومةَ لائمٍ)

(في قتل أهل الكفر والطغيان)

أفتـى الـردى بشجـاعـةٍ بَـذَلَ النَّـدا أجلـى الصـدا بشهـامـةٍ قمـع العـدا

حَـازَ المفـاخـرَ كـم لـذلـك أرشـدا (سبق الصحابةَ والقرابةَ للهدى)

(هو شيخهم في العدل والإحسان)

حـاوى فضـائـلَ فـي الأنـام جـزيلـةٍ وخصـالِ بِـرٍّ خـامـرتـه جليلـةٍ

مَـنْ مثلُـهُ يسمـو بكـلِّ جميلـةٍ (واللّـهِ مـا سبقـوا لمثـل فضيلـةٍ)

(مثلَ استباق الخيل يوم رهان)

إلاَّ أبـيْ فيهـا كشمـس سمـائهـا أو مثـلَ جـوهـرة زهـت بضيـائهـا

وكـذاك مـا رامـوا محـلَّ سنـائهـا (إلاَّ وصـار أبــيْ إلـى علْيَـائهـا)

فمكـانُـهُ منهـم أجـلُّ مكـان)

فـاللّٰـهُ أكـرمـه بـأفضـلِ رِفـده إذ فـاز بـالهـادي ففـاق بسعـدِهِ

فسمـا الـذُّرَى مَـنْ ذا يقـولُ بـردِّهِ (وإذا أراد اللّٰـــهُ نُصْـــرَةَ عبـــده)

(مَـنْ ذا يُطِيْـقُ لـه على خِـذلان)

واللّٰـهُ خَـصّ أبــيْ بخيـرِ نـائـبِ وأبــادَ أعــداهُ بسهـمٍ صـائــبِ

خَلَـفَ النبــيَّ فكـان أفضـلَ نـائـبِ (جمع الإلٰـهُ المؤمنين على أبـيْ)

(فاستبدلوا من خوفهم بأمان)

ذَا مَحْتَـــدِي مَـــنْ رامـــه فَلْيَقْتنـــي ليـرى المقـامَ فبـالمحبـةِ يعتنـي

فـإذاً أقــول لمــن صَفَــى وأحبَّنــي (مَـنْ حبَّنِـيْ فَلْيَجْتنِـبْ مَـنْ سبَّنِـيْ)

(إن كان صانَ محبَّتي ورعاني)

جـانِــبْ مــودَّةَ مــن ألــمَّ بمبغـض فالزَّينُ تسري فيه وَصمةُ مُمْرضِ

تَعِسَــتْ محبـةُ مــن يُلِـمُّ بمعـرضِ (فـإذا مُحِبــي قـد ألـمَّ بمبغِضــي)

(فكـلاهمـا فـي بغضنـا سيَّـان)

مــن ودَّنــي يحظــى بعـز مطـرِبِ واللّٰـــهُ يُسعفـــهُ بخيـــرِ صيِّـــبِ

أوَليــس يعلــمُ حِظْـوَتــي بمُطَيَّـبِ (إنـــي لَطَيِّبَـــةٌ خُلِقـــتُ لطيّـــبِ)

(ونسـاءُ أحمـدَ أطيبُ النسوان)

فــأنــا التــي ممــا يُشيــن سليمــةٌ محفـــوظـــة قـــد زيَّنتنـــي شيمـــة

وخصــالُ بــرٍّ فــي الأنــام وسيمــة (إنــي لَصــادقــةُ المقــال كـريمـة)

(إيْ والــذي ذلَّــتْ لـه الثقـلان)

وقـد اصطفـانـي خـالقـي لصفيّـهِ فحُمِيـتُ مـن سـوءِ الـزمـان وغيِّـهِ

وكُسيتُ من فخر البها بسنيّهِ (واللّٰهُ حبَّبني لقلب نبيّه)

(وإلى الصراط المستقيم هداني)

سعدٌ لمن قد وَدَّني وتأدّبا وبحبِّه الإيمانُ فيه قد رَبا

قد بَشَّرَ المولى المحبَّ تقرُّبا (إني لأُمُّ المؤمنين فمن أبَى)

(حُبِّي فسوف يَبوءُ بالخسران)

فأحِبَّني تحظى بكل كرامةِ واجزمْ بحسن براءَتي وسلامتي

وبطيبِ أصلي في الورى وشهامتي (واللّٰهُ يكرم من يُريد كرامتي)

(ويُهين ربِّي من أراد هواني)

واللّٰهُ أتحفني بمِنَّة نَيْلِه وحبَا أحِبَّائي مواهبَ طَوْلِهِ

وأذلَّ أعدائي بسطوةِ عدلِهِ (واللّٰهَ أسألُهُ زيادةَ فضلِهِ)

وحمدتُهُ شكراً لما أولاني)

فاقبَلْ دعائي يا كريم بمقصدِ وَاخْزِ العدا واجْزِ المحبَّ بسؤددِ

هذا وذا نصحي لكل مؤيَّدِ (يا من يلوذ بأهل بيت محمدِ)

(يرجو بذلك رحمةَ الرحمٰن)

أُمْزُجْ محبَّتَهم بحبِّ هُدَى السُّبُلْ تنجو ففز بسنا محبَّتِهم وصُلْ

وإذا أردتَ العزَّ من سَنَدِ الرسل (صِلْ أُمهاتِ المؤمنين ولا تحُلْ)

(عَنِّي فتُسْلَبَ حلَّةَ الإيمان)

طوبَى لمن قد حَبَّ خِيْرَةَ أمجدِ مِنْ صحبِهِ والآلِ صفوةِ منجدِ

وجميعِ أزواجِ المشفعِ أحمدِ (ويلٌ لعبدِ خانَ آلَ محمدِ)

(بعداوةِ الأزواجِ والأختان)

فأبِي معَ الفاروقِ عصمةُ ديننا وشهيدُهم عثمانُ مُذْهِبُ رَيننا

وعلـــيٌّ الكـــرَّارُ نـــورُ يقيننـــا (أكـرِمْ بـأربعـةٍ أئمـةِ شـرعنـا)

(فهـمُ لبيـت الـديـن كـالأركـان)

حُـبُّ الصحـابـةِ والقـرابـةِ تحفـةٌ يـا سعـدَ مـن وافتـهُ منهـا صُـدْفـة

عَطَفـت عليـه مـن المهيمـن عطفـة (بيـن الصحـابـة والقـرابـةِ أُلفـةٌ)

(لا تستحيـل بنـزغـة الشيطـان)

مَـن شـامَ طـه نـال أبهـى مُنيـةِ فالصحب قد سُعِدُوا بتلك الحُظْوَةِ

فهـمُ الكـرامُ وهـم قُصـارَى بغيتـي (نَسَجَتْ محبَّتهم سَدَى في لُحْمتي)

(بنيـانهـا مـن أثبـت البنيـان)

للَّـــهِ دَرُّهُـــم زكـــى إنفـــاقُهـــم فـي المُكْـرَمـات كمـا نمـا إرفـاقهـم

بـاعـوا النفـوسَ لمـن لـهُ أشـواقُهـم (رُحَمَـاءُ بينهـمُ صفـت أخـلاقهـم)

(وَخَلَـتْ قلـوبُهُـم مـن الشَّنَـآن)

آلُ الـرسـول وصحبُـهُ بلغـوا العـلا فمُحِبُّهــم طُـرًّا أصـــاب وفُضِّـــلاَ

ومحِبُّ بعضٍ مخطىءٌ سَنَنَ الملا (هم كالأصابع في اليدين تَوَصُّلاَ)

(هـل تستـوي كـفٌّ بغيـر بنـان)

طوبـى لهم في سَلْمهم وحروبهم فـــاللَّـــهُ راضٍ عنهـــمُ لـــوُثـــوبهـــم

للَّـهِ مَـن أجلَـى جميـعَ كـروبهـم (واللَّـــهُ أَلَّـفَ بيـن وُدِّ قلـوبهـم)

(فـي بُغْـض كـل منـافـق طعَّـان)

نـــالـــوا العـــلا إذ زيَّنتهـــم رأفَـــةٌ فلهـــم بجنـــاتٍ أُعِـــدَّت غـــرفـــةٌ

فَمـــنِ الألـــى بهـــمُ تُفَـــرَّقُ أُلفـــةٌ (فـدخـولهـم بيـن الأحبَّـة كلفـةٌ)

(وسِبابُهم سبب إلى الحرمان)

قـد أكـرم المولـى الصحـابَ بقربـه لصفـا طـويَّتِهـم بـأفضـلِ حـزبـه

طـه المـرجَّـى فـي المعـاد وكَـربـه (طوبـى لمن والى جماعةَ صحبه)
(ويكـون مـن أحبـابـه الحَسنَـان)

هــذي المعــالــي إنمــا هــي فيضــةٌ استنهضتْهـــا للمكـــارم نهضـــةٌ
جمعـت أوابـدَ مـا حـوتهـا غيضـة (خـذهـا إليـك فـإنمـا هـي روضـةٌ)
(محفـوفـة بـالـرَّوح والـريحـان)

إنْمــا رُبــاهــا بــالمحــامــد مُفْعــمٌ قــد حــف منشيهــا بسعــدٍ مُكــرمٌ
وحبــا مخمِّسَهــا نجــاحــاً منعــمٌ (تجلـي النفـوسَ إذا تـلاهـا مسلـمٌ)
(وعلى الروافض[1] لعنةُ الرحمن)

يــا رب أنجـز بــالمشفـعِ قصـدَنـا واكْبِـتْ أعــادينـا وجـد بغنـائنـا
عمــن سـواك فـأنــت أنفـعُ مقتنَـى (هـذَا ويـا ربَّـاه جـد لـيَ بـالمنـى)
(واغفـر لنـاظمهـا أبـي عمـران)

وعُبَيْـدَك القــدســيَّ زدْ فــي أجــرهِ واحـرُس بنيـه مـن الـزمـان وشـره
واحـمِ الجميـعَ وكـن لـهُ فـي دهـره (واجعل مكيدةَ مَنْ طغا في نحره)
والْطُفْ بنا في السر والإعلان)

وامنــن علينـا بـالقبـول وبـالـرضـا وبحسن يُسْرٍ واحْمِ من سوءِ القضا
واسبِلْ علينا السَّتْرَ واغفر ما مضى (واعْطِفْ علينا بالنبـيّ المرتضى)
(واختـمْ لنـا بشهـادة الإيمـان)

وامْنُــنْ علــى كــلٍّ بحســن مــآلــهِ والأهــلِ والأحبــابِ مــعْ أنجـالِـهِ
والمسلميــن ومَــن سمــا بمقــالــه (صلَّــى الإلـهُ علـى النبــيِّ وآلـهِ)
(فَبِهِــمْ تتــمُّ أزاهــرُ البستــان)

---

(١) يقصد بهم غلاتهم الذين يبغضون الصحابة وأمهات المؤمنين.

ما دِيمةٌ فوق الخمائل قد همت وكذا السلامُ على الجميع ومَن هدت

أنــوارُهــم للمكــرمــات وكَمَّلَــتْ (والتــابعيــن وتــابعيهــم مــا شَــدَتْ)

(في دَوْحةٍ وُرْقٌ على الأغصان)

تَمَّ هذا التخميس الأنيق النفيس بعون الملك العلام، في مدة زهيدة من الأيام، ظهر يوم الخميس الموافق ٢٧ محرم الحرام، عام **١٣١٩** هجرية، على يد ناظمه الراجي ألطاف مولاه الخفية عبد الحميد بن محمد علي قُدُسْ. فتح الله تعالى عليه وأيده بروح القدس، ونظر إليه وإلى ذريته ومحبيه بعين الرحمة. وأزال عنهم وعن المسلمين كل غمة. ونسأله تعالى الإخلاص والقبول وبلوغ الأمنية.

❑ ❑ ❑

وصف النسختين المخطوطتين

١ ــ نسخة المكتبة البريطانية (British Library) بلندن:

تقع ضمن مجموع رقمه في المكتبة البريطانية (OR. 5509)، وهو بخط مملوكي غاية في الروعة والجمال، قد كتب برسم الخزانة العالية الناصرية ولد المقر المرحوم أقبغالص أستاذ الدار العالية الملكي الأشرفي.

يقع المجموع في ٢٦ ورقة، ويحتوي على:

(أ) قصيدة بانت سعاد مع شرح مختصر لها (١ ــ ١٨ ب).

(ب) حديث الإفك، وهو نص رواية البخاري (١٩ أ ــ ٢٢ ب).

(ج) هذه القصيدة (٢٣ أ ــ ٢٦ ب).

والنسخة مؤرخة في ٢٢ جمادى الأولى ٧٧٦هـ.

٢ ــ نسخة المكتبة البودلية بأكسفورد (Bodlean) بلندن:

تقع ضمن مجموع حديثي نفيس من العصر المملوكي أيضاً، رقمه في المكتبة (marsh. 493)، وهي الرسالة السادسة عشرة في المجموع (الأوراق ١٨٩ أ ــ ١٩٣ ب).

وناسخها هو يونس بن ملاج الحسني الحنفي، وهو من أهل العلم والرواية، وقد كتب هذه النسخة لنفسه رحمه الله، وعلى المجموع كله سماعات وإجازات كثيرة من أهل العلم له ولأصحابه.

السماعات:

١ ـ سماع على طرة القصيدة (ورقة ١٨٩ أ) سقط سطره الأول:

[. . .] الدين أبي الفتح إبراهيم بن شيخ الإسلام علاء الدين أبي الفتوح علي بن القاضي قطب الدين أحمد بن إسماعيل القرشي، القلقشندي الشافعي، جميع هذه القصيدة في مدح عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، لأبي عمران موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي، عرف بابن بهيج: كاتبه يونس بن ملاج الحسني الحنفي، والشيخ ناصر الدين محمد بن يشبك اليوسفي، وولده الشهاب أحمد.

قال المسمع: أخبرنا بها جمع من الشيوخ إجازة إن لم يكن سماعاً، [منهم] شيخ الإسلام ابن [حجر العسقلاني]، وهاجر، وسارة ابنة ابن جماعة، وغيرهم.

قال الأولان: أخبرنا أبو الفرج. . . سماعاً لهاجر وإجازة لشيخ الإسلام ابن حجر، أخبرنا أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن قريش. وقالت سارة: أخبرنا جدي ابنُ جماعة، إجازةً.

أخبرنا أبو بكر [محمد] بن مكي [؟] أبو الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشي العطار الواعظ، أخبرنا بها أبو الطاهر عبد المنعم بن موهوب اليزني القاري، قال: أنشدنيها ناظمها أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي الواعظ، عرف بابن بهيج، ذاكرها[1]؛ وذلك بقراءة الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي المقدسي الحنبلي، يوم الأحد سادس ذي القعدة سنة ثمان عشرة وتسعمائة، وأجاز [المسمع] لكاتبه يونس بن ملاج الحسني

---

(١) أي ذاكر القصيدة وناظمها.

الحنفي والقاري و [الشيخ] ناصر الدين وولده، رواية ذلك وجميع ما يجوز له وعنه روايته».

ثم بعده بخط القلقشندي: «الحمد لله، صحيحٌ ذلك، كتبه إبراهيم بن علي القرشي القلقشندي».

٢ ــ وفي أول المخطوط على طرة الرسالة (ورقة ١٨٩ أ):

سماع آخر من كاتبه يونس بن ملاج على القلقشندي أيضاً، وتصحيح السماع بخط القلقشندي، ولكن ذهب جزء منه بسبب ترميم المخطوطة، فلم أذكره هنا.





عملي في النص

قمت بنسخ القصيدة من النسخة البريطانية أوَّلاً واتخذتها أصلاً، وأثبت فروق نسخة أكسفورد في هامشها، وزادت النسخة «الأكسفوردية» بيتين في القصيدة فجعلتهما بين قوسين مربعين معقوفين ليميزا، ولم أثقل حواشي القصيدة بذكر مراجع أو تخريجات لشواهدها من الآيات والأحاديث، فهي مما لا تخفى على طلبة العلم وأهله، ورغبةً في عدم صرف نظر القارىء إلى ذلك، والانشغال بها عن تتبع سلاسة القصيدة وبلاغتها.

وأشكر أخي الحبيب تفّاحة الكويت الشيخ محمد بن ناصر العجمي على جهده وبحثه القيم في ترجمة الناظم، فجزاه الله عني وعن الباحثين خير الجزاء.

وأستغفر الله من الخطأ والزلل، فذلك مما لا ينفك عنه جهد البشر[1].

وكتبه

نظام محمد صالح يعقوبي

---

(١) هذا وبعد كتابة ما سبق أطلعني الأخ المحقق والبحاثة العالم المدقق الشيخ مجد مكي على القصيدة مطبوعة بعناية الدكتور فهد الرومي وقد خدمها خدمة جليلة وعلق عليها تعليقات نفيسة ومع ذلك لم يهتد إلى ترجمة ناظمها رحمه الله فاعتبرت عملي هذا مكملاً لعمله: وهو بسبقٍ حائزٌ تفضيلاً.

الحمد لله. لقد سمعت هذه القصيدة المفيدة بمدح أم المؤمنين رضي الله عنها سمعتها
من صوت الأخ الشيخ نظام اليعقوبي بحضور جمع من الإخوان منهم الشيخ محمد بن ناصر
العجمي وابننا (الحفيد) أنس بن عبد الرحمن العقيل وذلك في المسجد الحرام أمام الكعبة
المشرفة مساء يوم الأحد الرابع والعشرين رمضان سنة ١٤٢٢هـ وسرني إلقاؤه لها بصوته
الرنان وأرجو الله أن ينفع بها وأن يوفق الجميع لما فيه الخير وكتبه الفقير إلى الله تعالى
عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً وصلى الله على
نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ٢٤/٩/١٤٢٢هـ

صورة نص السماع بخط فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل

نص سماع القصيدة
على فضيلة الشيخ العلامة شيخ الحنابلة
عبد الله بن عبد العزيز العقيل حفظه المولى ورعاه

الحمد لله. لقد سمعت هذه القصيدة المفيدة بمدح أم المؤمنين رضي الله عنها، سمعتها من صوت الأخ الشيخ نظام اليعقوبي بحضور جمع من الإخوان، منهم: الشيخ محمد بن ناصر العجمي، وابننا (الحفيد) أنس بن عبد الرحمن العقيل، وذلك في المسجد الحرام أمام الكعبة المشرفة، مساء يوم الأحد الرابع والعشرين من رمضان سنة ١٤٢٢هـ، وسرني إلقاؤه لها بصوته الرنان، وأرجو الله أن ينفع بها وأن يوفق الجميع لما فيه الخير.

وكتبه

الفقير إلى الله تعالى

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

٢٤/ ٩/ ١٤٢٢هـ



لِقَاءُ ٱلعَشْرِ ٱلأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ
(٣٣)

ٱلقَصِيْدَةُ ٱلوَضَّاحِيَّةُ
فِي مَدْحِ ٱلسَّيِّدَةِ
عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ
رَضِيَ ٱللهُ عَنهَا

تأليف
ٱلشَّيْخِ ٱلإِمَامِ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ ٱللهِ ٱلأَنْدَلُسِيِّ
ٱلمَعْرُوفِ بِابنِ بَهِيج
(كَانَ حيًّا سَنَة ٤٩٦ هـ)
رحمه الله تعالى

اعتنى به
نظام محمد صالح يعقوبي



بسم الله الرحمن الرحيم

[قال الشيخ الإمام العلامة كريم الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن البلبيسي الشافعي:

أخبرتنا الشيخة المكثرة أم الفضل هاجر القدسية، سماعاً عليها بسماعها لها على ابن الشيخة، قال:

أخبرنا بها أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن قريش، قال:

أخبرنا بها الرشيد أبو[1] الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشي العطّار الحافظ، قال:

أخبرنا بها أبو الطاهر عبد المنعم بن موهوب اليزني القاري إجازة، قال:

أنشدنا ناظمها أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي الحافظ، عُرِفَ بابن بهيج][2]:

---

(١) الأصل: (بن)، خطأ.

(٢) هذا الإسناد من نسخة أكسفورد فقط.

١ ـ ما شَانُ أُمِّ المؤمنين وشَاني هُدِيَ المُحِبُّ لها وضَلَّ الشَّاني

٢ ـ إنِّي أَقُولُ مُبَيِّناً عَنْ فَضْلِها ومُتَرْجِماً عَنْ قَوْلِها بِلِسَاني

٣ ـ يا مُبْغِضِي لا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ فالبَيْتُ بَيْتي والمَكانُ مَكاني

٤ ـ إنِّي خُصِصْتُ على نِساءِ مُحَمَّدٍ بِصِفاتِ بِرٍّ[1] تَحْتَهُنَّ مَعاني

٥ ـ وَسَبَقْتُهُنَّ إلى الفَضَائِلِ كُلِّها فالسَّبْقُ سَبقي والعِنَانُ عِنَاني

٦ ـ مَرِضَ النَّبِيُّ وماتَ بينَ تَرَائِبي فالْيَوْمُ يَوْمي والزَّمانُ زَماني

٧ ـ زَوْجي رَسولُ اللَّهِ لَمْ أَرَ غَيْرَهُ اللَّهُ زَوَّجَني بِهِ وحَبَاني

٨ ـ وأتاهُ جِبريلُ الأَمينُ بِصُورَتي فأَحَبَّني[2] المُخْتارُ حِينَ رآني

٩ ـ أنا بِكْرُهُ العَذْراءُ عِنْدِي سِرُّهُ وضَجيعُهُ في مَنْزِلي قَمَرانِ

١٠ ـ وَتَكَلَّمَ اللَّهُ العظيمُ بِحُجَّتي وَبَرَاءَتي في مُحْكَمِ القُرآنِ

١١ ـ واللَّهُ خَفَّرَني وعَظَّمَ حُرْمَتِي وعلى لِسَانِ نَبِيِّهِ بَرَّاني

١٢ ـ واللَّهُ في القُرآنِ قد لَعَنَ الذي بَعْدَ البَراءَةِ بالقَبيحِ رَماني

١٣ ـ واللَّهُ وَبَّخَ مَنْ أراد تَنَقُّصي إفْكاً وسَبَّحَ نَفسَهُ في شاني

١٤ ـ إنّي لَمُحْصَنَةُ الإزارِ بَرِيئَةٌ[3] ودليلُ حُسْنِ طَهارَتي إحْصاني

١٥ ـ واللَّهُ أَحْصَنَني بخاتِمِ رُسْلِهِ وأَذَلَّ أَهْلَ الإفْكِ والبُهتانِ

١٦ ـ وسَمِعْتُ وَحْيَ الله عِنْدَ مُحَمَّدٍ مِن جِبْرَئيلَ ونُورُه يَغْشاني

١٧ ـ أَوْحَى إلَيْهِ وَكُنْتُ تَحتَ ثِيابِهِ فَحَنى[4] عليَّ بِثَوْبِهِ وخَبَّاني

١٨ ـ مَنْ ذا يُفَاخِرُني ويِنْكِرُ صُحْبَتي ومُحَمَّدٌ في حِجْرِه رَبَّاني؟

---

(١) في نسخة أكسفورد: (بَرٍّ)، بفتح الباء، مضبوطة بالشكل.

(٢) في نسخة المكتبة البريطانية: (وأحبني)، بالواو.

(٣) في أكسفورد: (بَرِيَّةٌ).

(٤) في البريطانية: (فحَثى)، بالثاء المثلثة.

١٩ ــ وأَخَذتُ عن أَبَوَيَّ دينَ مُحَمَّدٍ وَهُما على الإِسْلام مُصْطَحِبانِ[١]

٢٠ ــ وأبـي أَقامَ الدِّين بَعْدَ مُحَمَّدٍ فالنَّصْلُ نصْلي والسِّنان سِناني

٢١ ــ والفَخْرُ فَخْرِي والخِلاَفَةُ في أبـي حَسْبـي بِهَـذا مَفْخَـراً وكَفـانـي

٢٢ ــ وأنا ابْنَةُ الصِّدِّيقِ صاحِبِ أَحْمَدٍ وحَبيبِـهِ فـي السِّـرِّ والإِعـلانِ

٢٣ ــ نَصَـرَ النبـيَّ بمـالِـهِ وفِعـالِـه وخُـرُوجِـهِ مَعَـهُ مِـنَ الأوطـانِ

٢٤ ــ [ثانيه في الغارِ الذي سَدَّ الكُوَى بِـرِدائِـهِ أَكْـرِم بِـهِ مِـنْ ثـانِ][٢]

٢٥ ــ وجَفا الغِنى حتَّى تَخلَّل بالعَبَا[٣] زُهـداً وأَذْعَـنَ أَيَّمـا إِذْعـانِ

٢٦ ــ وتَخَلَّلَـتْ مَعَـهُ مَـلائِكَـةُ السَّمـا وأَتَتْـهُ بُشـرى اللَّـهِ بـالـرِّضْـوانِ

٢٧ ــ وهو الذي لَمْ يَخْشَ لَوْمةَ لائمٍ فـي قَتْـلِ أهـلِ البَغْـيِ والعُـدوانِ

٢٨ ــ قَتَلَ الأُلىٰ مَنَعوا الزَّكاة بكُفْرِهِم وأَذَل أَهْـلَ الكُفـر والطُّغيـانِ

٢٩ ــ سَبَقَ الصَّحَابَةَ والقَرَابَةَ لِلهُدى هو شَيْخُهُمُ في الفضلِ والإِحْسانِ

٣٠ ــ واللَّـهِ ما اسْتَبَقُوا لِنَيْلِ فضيلةٍ مِثْـلَ استبـاقِ الخيـلِ يـومَ رِهـانِ

٣١ ــ إلاَّ وطـارَ أبـي إلـى عَلْيـائِهـا فمكـانُـه منهـا أَجَـلُّ مكـانِ

٣٢ ــ وَيْـلٌ لِعَبْـدٍ خـانَ آلَ مُحَمَّـدٍ بِعَـداوةِ الأزواجِ والأَخْتـانِ

٣٣ ــ طُوبـىٰ لِمَنْ والىٰ جماعةَ صَحْبِهِ ويكـونُ مِـن أحْبـابِـهِ الحَسَنـانِ

٣٤ ــ بيـنَ الصحـابـةِ والقـرابـةِ أُلْفَـةٌ لا تستحيـلُ بِنَـزْغَـةِ الشيطـانِ

٣٥ ــ هُمْ كالأَصابعِ في اليدينِ تواصُلاً هـل يَسْتَـوي كَـفٌّ بغيـر بَنـانِ؟

---

(١) في أكسفورد: (مضطجعان).

(٢) ساقط من نسخة المكتبة البريطانية، وكلمة (سدَّ) في الأصل: (يسد)، والوزن يقتضي المثبت.

(٣) في البريطانية: (بالعيا)، بالياء المثناة، تحريف.

٣٦ ـ حَصِرَتْ صُدورُ الكافرين بوالدي | وقُلوبُهُمْ مُلِئَتْ من الأضغانِ[١]
٣٧ ـ حُبُّ البَتولِ وَبَعْلِها لم يَخْتَلِفْ | مِـن مِلَّـةِ الإِسـلامِ فيـه اثنـانِ
٣٨ ـ [أكـرم بـأربعـةٍ أئمـةِ شَـرْعِنـا | فَهُمُ لبيتِ الدينِ كالأركان][٢]
٣٩ ـ نُسِجَتْ مَوَدَّتُهم سَدًى في لُحْمَةٍ | فَبِنـاؤهـا مِـنْ أَثْبَتِ البُنيـانِ
٤٠ ـ اللَّـهُ أَلَّـفَ بَيْـنَ وُدِّ قُلُـوبِهِـمْ | لِيَغِيـظَ كُـلَّ مُنـافِـقٍ طعَّـانِ
٤١ ـ رُحَماءُ بَيْنَهُمُ صَفَتْ أَخْلاقُهُمْ | وخَلَـتْ قُلُـوبُهُـمُ مِـنَ الشَّنَـآنِ
٤٢ ـ فَدُخُـولهـم بيْـنَ الأَحِبَّةِ كُلْفَـةٌ | وسِبَـابُهُـمْ سَبَبٌ إلى الحِرْمانِ
٤٣ ـ جَمَعَ الإِلـٰهُ المسلمين على أبي | واستُبدلوا مِنْ خوْفهم بأَمان[٣]
٤٤ ـ وإذا أرادَ اللَّـٰـهُ نُصْـرَةَ عَبْـدِهِ | مَـنْ ذا يُطيـقُ لَـهُ علـى خُـذْلانِ
٤٥ ـ مَن حَبَّني فَلْيَجْتَنِبْ مَنْ سَبَّني | إنْ كـانَ صـانَ مَحَبَّتي ورعـانـي
٤٦ ـ وإذا مُحِبِّي قَدْ أَلَظَّ بِمُبْغِضي | فَكِـلاهُمـا فـي البُغـضِ مُسْتويـانِ
٤٧ ـ إنـي لَطَيِّبَـةٌ خُلِقْـتُ لطيِّـبٍ | ونِسـاءُ أَحْمَـدَ أطيـبُ النِّسْـوانِ
٤٨ ـ إنـي لأُمُّ المـؤمنيـنَ فَمَـنْ أَبـىٰ | حُبِّـي فَسَـوْف يَبُـوءُ بـالخُسْـرانِ
٤٩ ـ اللـٰـهُ حَبَّبَنـي لِقَلْـبِ نَبِيِّـهِ | وإلى الصراطِ المستقيمِ هداني
٥٠ ـ واللَّـٰهُ يُكْرِمُ مَنْ أرادَ كَرامتي | ويُهيـنُ رَبّـي مـن أرادَ هـوانـي
٥١ ـ واللَّـٰـهَ أَسْـأَلُـهُ زيـادةَ فَضْلِـهِ | وحَمِـدْتُـهُ شكْـراً لِمـا أَوْلانـي

(١) هنا تقديم وتأخير في نسخة أكسفورد لبعض الأبيات.

(٢) ساقط من نسخة المكتبة البريطانية.

(٣) هذا خلاف قاعدة الباء في فعل استبدل حيث تدخل على المتروك، فكان ينبغي أن يقول: (استبدلوا بخوفهم أماناً)، وهنا دخلت على المطلوب، وذلك لضرورة الشعر، (أفاده شيخنا الدكتور عبد الستار أبو غدّة). وكلمة (المسلمين) وردت في نسخة أكسفورد: (المؤمنين).

٥٢ ــ يا من يَلُوذُ بِأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ... يـرجـو بـذلـك رحمـةَ الـرحمـانِ

٥٣ ــ صِلْ أُمَّهَاتِ المؤمنينَ ولا تَحُدْ[1] ... عَنَّـا فَتُسْلَـبْ حُلَّـةَ الإِيمـانِ

٥٤ ــ إنـي لصـادِقَـةُ المقـالِ كـريمـةٌ ... إِيْ والَّـذي ذَلَّـتْ لَـهُ الثَّقَـلانِ

٥٥ ــ خُذْها إليكَ فإنَّما هي رَوْضَةٌ ... محفـوفَـةٌ بـالـرَّوحِ والـرَّيحـانِ

٥٦ ــ صَلَّى الإِلـٰهُ على النبـيِّ وآلِهِ ... فَبِهِـمْ تُشَـمُّ أزاهِـرُ البُستـانِ

تمت القصيدة المباركة

بعون الله وحسن توفيقه على التمام والكمال،

بتاريخ ثاني عشرين من شهر جمادى الأولى

سنة ست وسبعين وسبعمائة.

حسبنا الله ونعم الوكيل[2].

---

(١) المثبت من أكسفورد، وفي نسخة الأصل: (تَحُلْ)، باللام في آخرها.

(٢) وفي نسخة أكسفورد: (تمت القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها للشيخ الإمام أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي، يعرف بابن بهيج، رحمه الله. والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وعلقها لنفسه يوسف بن ملاج الحسني الحنفي، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين).

● فرغت من نسخها ومقابلتها بنسخة الأصل في غرفة مطالعة المخطوطات الشرقية بالمكتبة البريطانية ــ لندن، يوم الأربعاء ١٦ رجب الفرد ١٤٢٢هـ الموافق ٣/ ١٠/ ٢٠٠١م،

والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

● ثم قابلتها مع نسخة أكسفورد في المكتبة البودلية بأكسفورد في غرفة مطالعة المخطوطات الشرقية بها، يوم الاثنين ٢١ رجب الفرد ١٤٢٢هـ الموافق ٨/ ١٠/ ٢٠٠١م مع إثبات الفروق بين النسختين. =

= والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

● فرغتُ من تبييضه ومقابلته في طائرة الخطوط الجوية البريطانية في رحلة العودة من لندن إلى البحرين حرسها الله يوم الثلاثاء ٢٢ رجب الفرد ١٤٢٢هـ الموافق ٩/ ١٠/ ٢٠٠١م، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قاله وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى: نظام بن محمد صالح يعقوبي العباسي، غفر الله له ولوالديه وأهله وذريته وجميع المسلمين، آمين.

● ثُمَّ قرأْتُها على أخي وقرة عيني شيخنا الدكتور العلامة المحقق أبي سليمان عبد الرحمن بن سليمان بن عثيمين، مع التصحيح والضبط، في أوائل شهر رمضان ١٤٢٢هـ، جزاه الله عنا خير الجزاء.

وقرأتها ليلة ٢٢ رمضان المبارك على الأخ الأستاذ الأديب والمحقق الأريب الدكتور عبد الله المحارب حفظه الله مع تصحيحه لبعض ألفاظها، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وذلك في صحن المسجد الحرام تجاه الركن اليماني من الكعبة المشرفة زادها الله تعظيماً وتشريفاً وتكريماً، آمين.

● وقرأْتُها في الطواف في شوط واحد على الإخوة الأحباب وخيرة الأصحاب المشايخ: محمد بن ناصر العجمي، ومساعد العبد الجادر، ورمزي دمشقية، والأستاذ المربي هاني ساب المدني، وذلك ليلة الأحد ٢٤ رمضان المبارك ١٤٢٢هـ بين العشاءين، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

● وقرأتها على شيخنا شيخ الحنابلة العلامة عبد الله بن عبد العزيز العقيل حفظه الله بالمسجد الحرام بعد صلاة العصر يوم الأحد ٢٤ رمضان المبارك ١٤٢٢هـ وصحح لي بعض ألفاظها وضبطها، جزاه الله خير الجزاء ونفع به آمين.

ونص السماع مثبت في أول القصيدة.

والحمد لله رب العالمين وصلَّى الله وسلَّم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

نظام محمد صالح يعقوبي

المحتوى

● ● ●

لِقَاءُ ٱلعَشْرِ ٱلأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ
(٣٤)



صِفَةُ المُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ

لِلعَالِمِ ٱلزَّاهِدِ ٱلوَاعِظِ أَبِي ٱلفَيْضِ ثَوْبَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ٱلإِخْمِيمِيِّ
ٱلمَعْرُوفِ بِـ (ذِي ٱلنُّونِ ٱلمِصْرِيِّ)
المتوفى سنة ٢٤٥ هـ

اعتنى به
رمزي سعد الدين دمشقية

أَسْهَمَ بِطَبْعِهِ بَعْضُ أَهْلِ الخَيْرِ مِنَ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَمُحِبِّيهِم

دَارُ البَشَائِرِ الإِسْلَامِيَّةِ

صفة المؤمن والمؤمنة

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb



المقـــدّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الفضل والإنعام، والصلاة والسَّلام على المبعوث رحمة للأنام، وعلى آله البَرَرَة الكرام، وصحابته الهُداة الأعلام، ومَنْ تبعهم من أهل الإيمان والإسلام.

أما بعد، فها هي تكرُّ الليالي والأيام، ونعود لنجتمع بإخوة أحبة فِخَام، من أهل الجزيرة والمغرب والشام، في رِحَاب بيت الله الحرام، نتذاكر في العلم ونشحذ الأفهام، في جو أخوة ومحبة ووئام.

فالحمد لله على هذا الإكرام، ونسأله عز وجل أن يمنَّ علينا بمثله في قادم الأعوام، وأن يختم لنا بالحسنى ويدخلنا الجنة بسلام.

فبين يدينا رسالة لطيفة مختصرة، بليغة مبتكرة، لأحد أئمة الوعظ في عصره، أعني به العالم الزاهد ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المعروف بذي النون المصري المتوفى سنة ٢٤٥هـ رحمه الله، وهي بعنوان: **«صفة المؤمن والمؤمنة»**.

وهي كلمات قليلة وتعابير وجيزة حوت معاني كثيرة في صفاتٍ على المؤمن أن يتحلى بها، ويتخلق بمعانيها ويتزين بمراميها، وهي بمجملها مستمدة في الغالب من مَعِين كتاب الله الكريم والسنَّة النبوية المطهرة، صاغها المؤلف بعبارات مسجوعة ومعاني متقابلة، تسر القارىء وتؤنس السامع.

والرسالة من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق المحروسة، (مكتبة الأسد اليوم)، مجموع رقم ٣٨٢٤، الرسالة رقم ١٢، وعدد الأوراق ٣ ورقات (١٤٧ ــ ١٤٩)، وهي من رواية أبـي دجانة أحمد بن إبراهيم عن ذي النون المصري.

ناسخها: عبد الرحمن بن يونس بن إبراهيم الأنصاري التونسي، كتبها بخط نسخ معتاد مقروء مضبوط بالشكل، وعليها قيد وقف الحافظ نور الدين أبـي الحسن علي بن مسعود بن نفيس الموصلي[1]. وكُتب على صفحة العنوان: «الحمد لله وحده، طالعه جميعه أحمد بن حسن بن

---

(١) هو الشيخ الإمام المحدِّث مفيد الجماعة أبو الحسن علي بن مسعود بن نفيس الموصلي ثم الحلبـي ثم الدمشقي الحنبلي، وُلد سنة ٦٣٤هـ، وسمع من شيوخ عصره بمصر والشام وعني بالحديث عناية تامة، كان ديِّناً خيِّراً متعففاً، قرأ ما لا يوصف كثرة، وحصَّل أصولاً كثيرة كان يجوع ليبتاعها، عَدِم له منها شيء كثير في وقعة التتار وأوقف بقيتها. ولم يزل يقرأ ويفيد إلى آخر عمره، توفي في صفر سنة ٧٠٤هـ بالمارستان الصغير بدمشق ودفن بسفح قاسيون وله من العمر ٧٠ سنة. تذكرة الحفاظ ص ١٥٠٠، الدرر الكامنة ٣/ ١٢٩، شذرات الذهب ٦/ ١٠.

عبد الهادي[1] عفا الله عنهم بمنِّه وكرمه».

وقد أورد النصف الأول من هذه الرسالة ــ أي صفة المؤمن فقط ــ الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٤١٩) في ترجمة ذي النون، وإن كان النص المنشور فيه الكثير من السقط والتحريفات إلاَّ أنه أفادني في تقويم بعض الكلمات والعبارات لتتناسب مع منهج المؤلف في سجعه وسبكه، وقد أشرت في التعليقات لبعض هذه الفروق.

ولمَّا كانت عبارات هذه الرسالة تختصر معاني كثيرة كان من المهم ضبط هذه العبارات ثم تفسير المراد من بعض ألفاظها وخاصة عند استعمالها في معنًى مجازي أو إشاري. ورغم أن كلماتها ضُبِط أكثرها بالشكل إلاَّ أن في العديد من الضبط ما يخالف المعتمد الصحيح في اللغة، لذا راجعت ما أمكن من هذه الألفاظ والكلمات في معاجم اللغة لضبط الاشتقاق والتصريف والأبواب، واكتفيت بتصحيح الشكل بالحركات إلاَّ ما كان مشكلاً أو يلتبس بالمتداول على الألسنة فضبطت كلماته بالحروف تبياناً لأمره.

---

(١) هو أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي القرشي العمري المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، يعرف بابن عبد الهادي، وُلد سنة ٧٦٧هـ. كان صالحاً ديِّناً خيِّراً قانعاً متعففاً من بيت صلاح وعلم ورواية، سمع من الشيوخ وأسمع وأفاد. توفي في رجب سنة ٨٥٦هـ، وصُلِّي عليه بجامع الحنابلة المظفري بدمشق، ودفن بالروضة بسفح قاسيون جوار الموفق ابن قدامة. الضوء اللامع ١/ ٢٧٣.

واللَّهَ أسأل أن ينفع بهذه الرسالة قلباً واعياً أو ذهناً ثاقباً، سائلاً المولى عز وجل أن يرحم مؤلفها وراويها وناسخها وواقفها، وأن يتفضَّل علينا بقبول العمل، كما منَّ علينا بإتمامه، إنه عفوٌّ كريم، غفور رحيم.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبـي الهدى، ومصباح الدجى، وعلى آله وصحبه ومَنْ بهديهم اقتدى.

وكتبه

الفقير إلى ربه بالكُلِّية

رمزي سعد الدين دمشقيّة

بحمدون في ٢٤/ ٥/ ١٤٢٣هـ

الموافق ٣ /٨/ ٢٠٠٢م

ترجمة المؤلف

هو أبو الفيض ثَوْبان بن إبراهيم الإخميمي[1]، معروف بذي النون المصري. وُلد في أواخر أيام المنصور نحو سنة ١٥٨هـ.

روى الحديث والعلم عن أئمة أعلام منهم: مالك بن أنس إمام دار الهجرة، والليث بن سعد شيخ الديار المصرية، والقاضي ابن لَهِيعة، والإمام الزاهد الفُضَيل بن عياض، والفقيه البارع سُفيان بن عُيَينة، وغيرهم.

قال ابن يونس في «تاريخه»: كان عالماً فصيحاً حكيماً.

وقال أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء»: العَلَم المضي والحَكَم المرضي، الناطق بالحقائق الفائق للطرائق، له العبارات الوثيقة والإشارات الدقيقة.

وقال ابن خلّكان في «وَفَيات الأعيان»: كان أوحد وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً، وهو معدود من جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك.

---

(١) نسبة إلى إخميم، بلدة بصعيد مصر.

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ذو النون المصري الزاهد، شيخ الديار المصرية.

وقال عنه في «العِبَر في خبر مَنْ عَبَر»: ذو النون المصري الزاهد، أحد مشايخ الطريق. . .، وله مواعظ نافعة وكلام رفيع.

أصله من إخميم من بلاد النوبة، نزل مصر ثم حُمل إلى بغداد فأقام بها مدة ثم عاد إلى مصر. قدم الشام للسياحة، وطاف جبل لبنان ودخل دمشق.

وكان قد سُعِيَ به إلى الخليفة المتوكل فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعظه، فبكى المتوكل وردَّه مكرماً. وكان المتوكل إذا ذُكر أهل الورع بين يديه يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحي هلا بذي النون.

روى الخطيب في «تاريخ بغداد» عن الدارقطني قوله: روى عن مالك أحاديث في أسانيدها نظر.

ثم نقل عن الدارقطني أيضاً أنه سُئل عن ذي النون فقال: إذا صح السند إليه فأحاديثه مستقيمة وهو ثقة.

قال السُّلَمي: ذو النون أول من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم، وهجره علماء مصر، وشاع أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف.

وعن محمد بن الفَرْخي: كنتُ مع ذي النون في زورق، فمرَّ بنا زورق آخر، فقيل لذي النون: إن هؤلاء يمرون إلى السلطان يشهدون عليك بالكفر. فقال: اللّٰهم إن كانوا كاذبين فغرِّقهم. فانقلب الزورق

وغرقوا. فقلت له: فما بال الملَّاح؟ قال: لِمَ حملهم وهو يعلم قصدهم؟ ولأن يقفوا بين يدي الله غرقى خير لهم من أن يقفوا شهود زور. ثم انتفض وتغيَّر وقال: وعزتك لا أدعو على أحدٍ بعدها. ثم دعاه أمير مصر وسأله عن اعتقاده، فتكلم، فرضي أمره.

من كلامه وحكمه:

❏ قال ذو النون: الأنس بالله نور ساطع، والأنس بالناس غم واقع، فقيل له: ما الأنس بالله، قال: العلم والقرآن[1].

❏ وقال: تُنَال المعرفة بثلاث:

١ ـ بالنظر في الأمور كيف دبَّرها.

٢ ـ وفي المقادير كيف قدَّرها.

٣ ـ وفي الخلائق كيف خلقها[2].

❏ وسُئل عن المحبة، فقال: أن تحبَّ ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وأن لا تخاف في الله لومة لائم، مع العطف للمؤمنين والغلظة للكافرين، واتباع رسول الله ﷺ في الدِّين[3].

❏ وقال: بالعقول يُجتنى ثمر القلوب، وبحُسن الصوت تستمال أعنة الأبصار، وبالتوفيق تُنال الحظوة، وبصحبة الصالحين تطيب

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٧.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ٣٣٩.

(٣) حلية الأولياء ٩/ ٣٩٤.

الحياة، والخير مجموع في القرين الصالح إن نسيت ذكَّرك، وإن ذكرتَ أعانك[1].

❑ وقال: قل لمن أظهر حب الله احذر أن تَذلَّ لغير الله، ومن علامة المحبِّ لله أن لا يكون له حاجة إلى غير الله[2].

❑ وقال: طوبى لمن كان شعار قلبه الورع، ولم يُعمِ بصر قلبه الطمع، وكان محاسباً لنفسه فيما صنع[3].

❑ وقال: ما طابت الدنيا إلاَّ بذكره، ولا طابت الآخرة إلاَّ بعفوه، ولا طابت الجنان إلاَّ برؤيته[4].

❑ وقال: اجلس إلى من تُكلمكَ صفته، ولا تجلس إلى من يكلمك لسانه[5].

❑ ومن دعائه قال: إلـهي، الشيطان لك عدو ولنا عدو، ولن تغيظه بشيء أنكأ له من عفوكَ عنَّا، فاعف عنّا[6].

وقد استوفى أحوال ذي النون وكلامه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٣١ ـ ١٠/ ٤)، والحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٣٩٨ ـ ٤٤٢).

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٥٩.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٣.
(٣) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٣.
(٤) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٢.
(٥) حلية الأولياء ٩/ ٣٦٩.
(٦) حلية الأولياء ٩/ ٣٨٤.

وفاته :

مات ذو النون بالجيزة وعُدي به إلى مصر في مركب خوفاً من زحمة الناس على الجسر، وذلك سنة ٢٤٥هـ، وهو من أبناء التسعين. رحمه الله وأحسن مثواه.

من مصادر ترجمته :

ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني ٩/ ٣٣١ ـ ١٠/ ٤ .
ـ تاريخ دمشق، لابن عساكر ١٧/ ٣٩٨ ـ ٤٤٢ .
ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٨/ ٣٩٣ ـ ٣٩٧ .
ـ وَفَيَات الأعيان، لابن خلِّكان ١/ ٣١٥ ـ ٣١٨ .
ـ العبر في خبر مَنْ عَبَر، للحافظ الذهبي ١/ ٣٥٠ .
ـ سير أعلام النبلاء، للذهبي أيضاً ١١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٦ .



فيه صفة المؤمن والمؤمنة

بخط عبد الرحمن بن يونس بن ابرهيم الانصاري القرشي

غفر الله لمن هذه صفته ولكاتبه ولقاريه ومستمعيه

والناظر فيه ولجميع المسلمين امين رب العالمين

صورة غلاف المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

قال ابو دجانة احمد بن ابراهيم قرات على ابي الفيض ذي
النون بن ابراهيم الاخميمي رحمه الله قال صفة المؤمن بشره في
وجهه وحزنه في قلبه اوسع شيا صدرا واذل شيا نفسا
زجر عن كل آفة حاض على كل حسن لا حقود ولا حسود ولا
وثاب ولا سباب ولا عياب ولا مغتاب يكره الرفعة
ويشنا السمعة طويل الغم بعيد الهم كثير الصمت وقور
ذكور صبور شكور مغموم بفكره مسرور بفقره
سهل الخليقة لين العريكة كثير الحياء حصين الوقار قليل
الاذى لا متاف ولا متهتك ان ضحك لم يخرق وان غضب
لم ينزق ضحكه تبسم واستفهامه تعلم ومراجعته
تفهم كثير علمه عظيم حلمه وثيق عزمه كثيرة رحمته
لا يبخل ولا يعجل ولا يضجر ولا يبطر ولا يحيف في حكمه
ولا يجور في علمه نيته اصلب من الحجر ومكادحته احلى
من الشهد لا خشع ولا هلع ولا عنف ولا صلف ولا متعمق
ولا متكلف جميل المنازعة كريم المراجعة عدل ان
غضب رفيق ان طلب لا متهور ولا متجبر خليص
الود وثيق العهد وفي الوعد شفيق وصول حليم
حمول قليل الفضول راض عن الله عز وجل مخالف لهواه
لا يغلظ على من يؤذيه ولا يخوض فيما لا يعنيه ان سب [illegible]
لم يسب وان سال ومنع لم يغضب لا يشمت بمصيبة

صورة الصفحة الأولى

إليها غفرت وإن أثر عليها صبرت تترضاه في
غضبه وتتوفاه في سخطه وتستوحش لغيبته
وتستأنس لرؤيته فقد فهمت عن الله ذكره
وعلمه فقامت فيه بحق فضله فعظم بذلك
فاقتها إليه ولم تجعل لها معولا إلا عليه فهو لها
سمع ولب وهي له بصر وقلب رحمها الله من مؤمنة
تمت والحمد لله وحده وصلوات الله على خير خلقه محمد وآله
كتب عبد الرحمن بن يونس التونسي مصليا ومسلما

صورة الصفحة الأخيرة

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٣٤)



للعالم الزاهد الواعظ أبي الفيض ثوبان بن إبراهيم الإخميمي
المعروف بـ (ذي النون المصري)
المتوفى سنة ٢٤٥ هـ

اعتنى به
رمزي سعد الدين دمشقية



بسم الله الرحمن الرحيم

صلَّى الله على سيدنا محمد وآله

قال أبو دجانة أحمد بن إبراهيم: قرأتُ على أبـي الفيض ذي النون بن إبراهيم الإِخميمي رحمه الله، قال:

صفة المؤمن

- بِشْرُهُ في وَجْهِهِ، وحُزْنُهُ في قَلبِهِ.
- أوسَعُ شَيءٍ[1] صَدْراً، وأذَلُّ شَيْءٍ[1] نَفْساً.
- زَجِرٌ[2] عن كُلِّ آفَةٍ، حَاضِرٌ على كُلِّ حَسَن.
- لا حَقُودٌ، ولا حَسُودٌ.
- ولا وَثَّابٌ[3]، ولا سَبَّابٌ.
- ولا عَيَّابٌ، ولا مُغْتَابٌ.

---

(١) في الأصل: شيئاً، في الموضعين وهو خطأ.

(٢) في تاريخ ابن عساكر: زاجر، وكلاهما بمعنى.

(٣) أي لا يتطاول على غيره ولا يتعدى.

- ❑ يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ[1]، ويَشْنَأُ السُّمعَةَ[2].
- ❑ طَويلُ الغَمِّ، بَعيدُ الهَمِّ.
- ❑ كَثِيرُ الصَّمْتِ، وَقُورٌ.
- ❑ ذَكُورٌ، صَبُورٌ، شَكُورٌ[3].
- ❑ مَعْمُورٌ بِفِكْرِهِ، مَسْرُورٌ بِفَقْرِهِ.
- ❑ سَهْلُ الخَلِيقَةِ، لَيِّنُ العَرِيكَةِ[4].
- ❑ كَثِيرُ الحَيَا، صَيِّنُ الوَقَارِ، قَلِيلُ الأذى[5].
- ❑ لا مُتَأَفِّكٌ[6]، ولا مُتَهَتِّكٌ[7].

---

(١) في الأصل: الوقيعة، وهي غيبة الناس، والتصحيح من ابن عساكر.

(٢) يشنأ السمعة: أي يكره الشهرة.

(٣) في حلية الأولياء لأبي نُعَيم الأصبهاني ٩/٣٤٣ بإسناده: قيل لذي النون المصري: يا أبا الفيض ما علامة إقبال الله عز وجل على العبد؟
قال: إذا رأيته صابراً شاكراً ذاكراً، فذلك علامة إقبال الله عز وجل على العبد.
قيل: فما علامة إعراض الله عن العبد؟
قال: إذا رأيته ساهياً [لاهياً] معرضاً عن ذكر الله فذاك حين يعرض الله عنه.
ثم قال: ويحك كفى بالمعرض عن الله وهو يعلم أن الله مقبل عليه وهو معرض عن ذِكره.

(٤) الخليقة: أي الطبيعة، ورجل ليِّن العريكة: سَلِسُ الخُلُق.

(٥) في الأصل: الأذاء، والتصحيح من ابن عساكر.

(٦) في الأصل: متأنف، والتصحيح من تاريخ دمشق. والمتأفك: الذي يصطنع الكذب.

(٧) المتهتك: هو الذي لا يبالي أن يهتك ستره.

❑ إنْ ضَحِكَ لم يَخْرَق[1]، وإنْ غَضِبَ لم يَنْزَق[2].

❑ ضَحِكُهُ تَبَسُّمٌ، واسْتِفْهَامُهُ تَعَلُّمٌ[3]، وَمُرَاجَعَتُهُ تَفَهُّمٌ.

❑ كَثِيرٌ عِلْمُهُ، عَظِيمٌ حِلْمُهُ.

❑ وَثِيقٌ عَزْمُهُ، كَثِيرٌ رُحْمُهُ[4].

❑ لا يَبْخَلُ، ولا يَعْجَلُ.

❑ ولا يَضْجَرُ، ولا يَبْطَرُ[5].

❑ ولا يَحِيْفُ في حُكْمِهِ[6]، ولا يَحُورُ[7] في عِلْمِهِ.

❑ نِيَّتُهُ أَصْلَبُ مِنَ الحَجَرِ، ومُنَادَمَتُهُ[8] أحلى مِنَ الشَّهْدِ.

---

(١) أي: إن ضحك لم يضحك ضحك الأحمق، ويَخْرَق بمعنى يحمق، وبابه طَرِب.

(٢) أي: لا يطيش صوابه عند الغضب.

(٣) في الأصل: بعلم، والتصحيح من ابن عساكر.

(٤) يقال: ما أقرب رُحْمَ فلان، إذا كان ذا مرحمة وبِرٍّ، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝٨١﴾.

(٥) فهو لا يتبرم إن ضُيِّق عليه رزقه، ولا يطغى إن وُسِّع عليه.

(٦) أي: لا يظلم في حكمه.

(٧) في الأصل: يجور، بالجيم. ولا تتناسب مع العلم فلعل الصحيح ما أثبته. والحور: الرجوع والتردد، فعِلْمُ المؤمن ثابت لا يتغير.

(٨) في الأصل: مكادحته، والتصحيح من تاريخ دمشق.

- لا خَشِـعٌ[1]، ولا هَلِـعٌ[2].
- ولا عَنِفٌ، ولا صَلِفٌ[3].
- ولا مُتَعَمِّقٌ، ولا مُتَكَلِّفٌ[4].
- جَمِيلُ المَنَازَعَةِ، كَرِيْمُ المُرَاجَعَةِ.
- عَدْلٌ إنْ غَضِبَ، رَقِيقٌ إنْ طَلَبَ.
- لا مُتَهَوِّرٌ، ولا مُتَجَبِّرٌ.
- خَلِيصُ الوُدِّ، وَثِيقُ العَهْدِ[5]، وَفِيُّ الوَعْدِ.
- شَفِيقٌ، وَصُولٌ، حَلِيمٌ.
- حَمُولٌ[6]، قَلِيلُ الفُضُولِ.
- رَاضٍ عَنِ الله ــ عزَّ وجلَّ ــ، مُخَالِفٌ لِهَوَاهُ.
- لا يَغْلُظُ عَلى مَنْ يُؤذِيهِ، ولا يَخُوضُ فيمَا لا يَعْنِيهِ.
- إنْ سُبَّ بَدِيهاً لم يَسُبَّ[7]، وإنْ سَأَلَ ومُنِـعَ لمْ يَغْضَب.

---

(١) في تاريخ دمشق: جَشِـع.

(٢) أي: لا ذليل خضوع، ولا جزوع ضجور.

(٣) الصلف: الزيادة على المقدار مع تكبر.

(٤) التعمق في الكلام: التنطُّع، والمتكلف: المتعرِّض لما لا يعنيه.

(٥) أي: مخلص في حبه، محكم في أموره وما يكلفه.

(٦) حمول: ذو حِلْم.

(٧) أي: إنه بعيد عن السباب طبعاً، فلو فوجىء بمن يَسبه لم يجبه.

- لا يَشْمَتُ بِمُصِيبَةٍ، ولا يَذْكُرُ أَحداً بغِيْبَةٍ.
- كَثِيرُ الفَضْلِ، رَحِيْبٌ[1].
- سَهْلٌ، لَيِّنُ الجَنَاحِ.
- صَدُوقُ اللِّسَانِ، عَفِيفُ الطَّمَعِ.
- خَفِيفُ المَؤُونَةِ، كَثِيرُ المَعُونَةِ.
- وَرِعٌ عَنِ المُحَرَّمَاتِ، وَقَّافٌ عَنِ الشُّبُهَاتِ.
- عَظِيمُ الشُّكْرِ عَلى البَلاءِ، طَوِيلُ الصَّبرِ عَلى الأَذىٰ.
- غَزِيرٌ خَيْرُهُ، قَلِيلٌ شَرُّهُ.
- إنْ سُئِلَ أَعْطَىٰ، وإنْ ظُلِمَ عَفَا.
- وإنْ مُنِـعَ بَذَلَ، وإنْ قُطِـعَ وَصَلَ.
- مُمْتَحِنٌ لِقَلْبِهِ، مُسْتَأثِرٌ لِرَبِّهِ[2].
- أَدْمَثُ مِنَ الزُّبَدِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الشَّهْدِ، وَأَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ[3].
- يَأنَسُ مِنَ البَلاَءِ بِمَا يَسْتَوْحِشُ مِنْهُ أَهلُ الدُّنيا[4].

---

(١) رحيب: أي واسع الصدر والخُلُق واليد.

(٢) في الأصل: مستهتَر بربِّه، أي: مُوْلَع به، والتصحيح من ابن عساكر. ومعنى مستأثر لربه: أي هو خالص لله.

(٣) الصلد: الصلب الأملس الشديد. فالمؤمن دمث الخُلُق، ليِّنٌ، قويٌّ في دين الله.

(٤) وفي حلية الأولياء ٩/٣٣٦ بالإسناد: قال ذو النون: اعتلَّ رجل من إخواني =

❑ أَمَّارٌ بِالحَقِّ، نَهَّاءٌ بالصِّدْقِ.

❑ غَضَّابٌ لله، مُسْرِعٌ في رِضَاهُ.

❑ قَادحٌ لِعِلْمِهِ، مُزَوِّلٌ[1] لأَمَلِهِ، مُنَزِّلٌ لأَجَلِهِ.

❑ قَدْ عَلِمَ هَوَانَ صِغَرِهِ، وَعَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ.

❑ فَشَنأ كِبْرَهَا[2]، ومَقَتَ عِزَّهَا.

❑ وألزَمَهَا كُلَّ ذِلَّةٍ، وبَوَّأَهَا كُلَّ مِهْنَةٍ.

❑ نَاصِرٌ لِلدِّينِ، مُحَامٍ عَنِ المُسْلِمِيْنَ[3]، كَهْفٌ لِلْمَسَاكِيْنَ[4].

❑ لا يَخْرِقُ الثَّنَاءُ سَمْعَهُ، ولا يَنْكَأُ الطَّمَعُ قَلْبَهُ[5].

= فكتب إليَّ: أن ادعو الله لي.

فكتبت إليه: سألتني أنْ أدعو الله لكَ أن يزيل عنكَ النِّعم.

واعلم يا أخي أنّ العلَّة مَجْزلة ـ (عطاء) ـ يأنس بها أهل الصفا والهمم، والضياء في الحياة ذِكرُكَ للشفاء. ومَنْ لم يعدَّ البلاء نعمة فليس من الحكماء. ومَنْ لم يأمن التشفيق على نفسه فقد أمِنَ أهل التهمة على أمره، فليكن معك يا أخي حياء يمنعك عن الشكوى، والسلام.

(١) في هامش المخطوط: في نسخة (مزوٍ).

(٢) أي: أبغض عظمتها.

(٣) في ابن عساكر: المؤمنين.

(٤) أي: ملجأ لهم. وفي ابن عساكر: للمسلمين.

(٥) أي: لا يشق المديح سمعه فيطغيه، ولا يدخل الطمع قلبه فيعميه. ويَخْرِق بمعنى يشق، وبابه ضَرَب.

❑ ولا يَقْرَبُ الغَضَبُ حِلْمَهُ، ولا يَظْلَعُ[1] الجَهْلُ عِلْمَهُ، ولا تُقِلُّ المُلِمَّاتُ عَزْمَهُ.

❑ قَوَّالٌ، [عَمَّالٌ][2].

❑ عَالِمٌ، حَازِمٌ.

❑ لا بِفَحَّاشٍ، ولا بِطَيَّاشٍ[3].

❑ هَؤُولٌ في غَيرِ عُنْفٍ[4]، بَذُولٌ في غَيرِ سَرَفٍ.

❑ كَثِيرٌ عِلْمُهُ، قَلِيلٌ جَهْلُهُ.

❑ لَا يَقْتَفِي أَثَراً[5]، ولا يَحْتَقِرُ بَشَراً.

❑ رَفِيقٌ بالخَلْقِ، سَرَّاحٌ في الأَرضِ.

❑ عَوْنٌ لِلضَّعيفِ، وغَوْثٌ للمَلْهُوفِ[6].

❑ لا يَهتِكُ سِتْراً، ولا يَكْشِفُ سِرّاً.

❑ كَثِيرُ البَلْوىٰ، قَلِيلُ الشَّكْوىٰ.

---

(١) في الأصل: يطلع، بالطاء المهملة. وكأن الصحيح: يظلع بالظاء المعجمة، بمعنى غمز.

(٢) زيادة من تاريخ دمشق.

(٣) الفحش: ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي. والطيش: قلة العقل.

(٤) أي: يخيف دون أن يؤذي.

(٥) أي: لا يتتبَّع زلات الناس وعيوبهم.

(٦) أي: يعين المظلوم.

- إنْ رَأى خَيْراً ذَكَرَهُ، وإنْ عَلِمَ شَرّاً سَتَرَهُ.
- يَسْتُرُ العَيْبَ، [ويَحْفَظُ الغَيْبَ][1].
- وَيُقِيلُ العَثْرَةَ، ويَغْفِرُ الزَّلَةَ.
- لَا يَطَّلِـعُ على نُصْحٍ فَيَذَرَهُ، ولا يَرَىٰ جُنْحَ حُمُقٍ فَيَصِلَهُ[2].
- أَمِينٌ، [رَصِينٌ][3].
- [نَقِيٌّ][4]، تَقِيٌّ.
- زَكِيٌّ[5]، رَضِيٌّ.
- طَوِيلُ الصَّمتِ في غَيْرِ عِيٍّ[6].
- يَقْبَلُ العُذْرَ، وَيَحْمِلُ[7] الذِّكْرَ.
- ويُحَسِّنُ بالنَّاسِ ظَنَّهُ[8]، ويَتَّهِمُ على العَيْبِ نَفْسَهُ.

---

(١) زيادة من تاريخ دمشق.

(٢) بمعنى أنه لو عرف في فعله مَيْل إلى حماقة انصرف عنه. وفي تاريخ دمشق: جنح حيف، بمعنى ميل إلى الظلم.

(٣) زيادة من ابن عساكر في تاريخ دمشق.

(٤) زيادة من ابن عساكر في تاريخ دمشق.

(٥) زكي: أي صالح.

(٦) أي: صمته ليس عن عجز في البيان؛ بل وقاراً وتقللاً.

(٧) في الأصل: يجمل، بالجيم، والتصحيح من تاريخ دمشق. والمعنى: يرفع ذكر مَنْ أحسن إليه ويظهره.

(٨) في الأصل: الظن، والتصحيح من ابن عساكر.

❑ يُحِبُّ في اللّـهِ بفِقْهٍ وعِلْمٍ، ويَقْطَعُ في اللّـهِ بَحَزْمٍ وَعَزْمٍ.

❑ ولا يَخْرَقُ بِهِ فَرَحٌ، ولا يَطِيْشُ بِهِ [تَرَحٌ][1].

❑ خِلْطَتُهُ فُرجَةٌ، ورُؤيَتُهُ حُجَّةٌ.

❑ صَفَّاهُ العِلْمُ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ نَكِدٍ، كَمَا تُصَفِّي[2] النَّارُ خَبَثَ الحَدِيدِ.

❑ لا يُشِيْرُ بِمِنَّةٍ، ولا يَمُنُّ بِنِعْمَةٍ.

❑ مُذَكِّرٌ لِلغَافِلِ، مُعَلِّمٌ لِلجَاهِلِ.

❑ لا يُتَوَقَّعُ لَهُ بَائِقَةٌ، ولا يُخَافُ لَهُ غَائِلَةٌ[3].

❑ كُلُّ سَعْيٍ عِنْدَهُ أَصْلَحُ مِنْ سَعْيِهِ، وكُلُّ نَفْسٍ عِنْدَهُ أَصْلَحُ مِنْ نَفْسِهِ.

❑ عَالِمٌ بَعَيْبِهِ، مَشْغُولٌ بِغَمِّهِ[4]، لا يُفِيقُ لِغَيرِ رَبِّهِ.

❑ شَهِيدٌ[5]، وَحِيدٌ.

---

(١) في الأصل: فرح، مكررة، والتصحيح لما يناسب السياق. والمعنى أنَّه لا يفرح فرح الأحمق، ولا يذهب عقله إنْ حَلَّ به حزن، فهو معتدل المزاج في كل أحواله.

(٢) في الأصل: يصفي، والتصحيح من تاريخ دمشق.

(٣) أي: لا يُخاف منه شر وفساد، والبائقة والغائلة: بمعنى الداهية.

(٤) في الأصل: شاغل عن نفسه، والمثبت من تاريخ دمشق.

(٥) في تاريخ دمشق: فريد، وهي محتملة.

- قَرِيبٌ، غَرِيبٌ.
- يُحِبُّ اللَّـهَ، ويُجَاهِدُ لِيَبْتَغِي رِضَاهُ.
- ولا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، ولا يُوَالِي في سَخَطِ رَبِّهِ.
- مُخَالِطٌ لأَهلِ الذِّكْرِ، مُجَالِسٌ لأَهلِ الصِّدْقِ، مُؤْثِرٌ لأَهلِ الحَقِّ.
- عَوْنٌ لِلغَرِيبِ، أَبٌ لِليَتِيم.
- بَعْلٌ لِلأَرْمَلَةِ، حَفِيٌّ[1] بِأَهلِ المَسْكَنَةِ.
- مَرْجُوٌّ لِكُلِّ كُرْبَةٍ، مَأْمُولٌ لِكُلِّ شِدَّةٍ.
- هَشَّاشٌ، بَشَّاشٌ.
- لا بِعَبَّاسٍ، ولا جَسَّاسٍ[2].
- مُحِبٌّ، صَادِقٌ.
- كَظَّامٌ، بَسَّامٌ[3].
- دَقِيقُ النَّظَرِ، عَظِيمُ الخَطَرِ[4].
- جَائِلٌ مُمَلْمَلٌ، سَاكِنٌ مُقَلْقَلٌ[5].

---

(١) الحفي: اللطيف الرقيق.

(٢) أي: لا يقطِّب بين عينيه، ولا يُحدِّ النظر.

(٣) كظام: أي يحبس غيظه ويرده.

(٤) الخطر: ارتفاع القَدْر والمنزلة، ويقال إنه لعظيم الخطر: في حُسْن أفعاله وشرفه.

(٥) وقفتُ طويلاً أمام هذه العبارة، سيما بعد مراجعتها في المعاجم دون أن أدرك ما يريده المؤلف بالتحديد. ثم سألت عنها بعض الأفاضل ممن جمعتنا بهم مجالس صيف هذا العام، فاجتمع الرأي أنه قد يُراد منها: =

❑ مَعْرُوفٌ في أَرْضِهِ، غَرِيبٌ في أَهلِهِ، مُبغَضٌ في جَمعِهِ[1].

❑ مغيث.

رحمه الله

❑ ❑ ❑

= أنَّ المؤمن في حال حركته وسكونه يبقى مضطرباً قلقاً من المصير مشفق منه مع الطمأنينة بالله.

ومعنى جائل: أي يطوف البلاد ولا يستقر، وململ الرجل: أي أسرع، ومقلقل: أي متحرك.

وممن سألته عن هذه العبارة اللغوي الأديب والنحوي الأريب الدكتور مازن المبارك حفظه الله فكتب إليَّ مشكوراً مأجوراً بالتالي: «قلقل وململ، فِعلان المعنى العام لهما واحد وهو الحركة، ولكن (قلقل) لحركة الأشياء الماديَّة كالحجر والعمود والمسمار والجسم، فكلٌّ منها يمكن أن يكون مقلقلاً، أي: مهتزًّا متحركاً غير ثابت. وأما (ململ) فلحركة الأشياء المعنوية كالنفس والروح التي تتقلب كل منهما ضيقاً وملَلاً».

فلعل بما تقدم يتضح بعض ما أراده المؤلف، والله أعلم.

(١) مبغَض في جمعه: أي يبغضه الناس حسداً لتفوقه أو لنصحه لهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾.

صِفَةُ المؤمِنَة

- نَاظِرَةٌ في عَيْبِهَا، مُفَكِّرَةٌ في ذَنبِهَا، مُقْبِلَةٌ على رَبِّها.
- خَفِيٌّ صَوْتُها، كَثِيرٌ صَمْتُهَا.
- لَيِّنَةُ الجَنَاحِ، عَفِيفَةُ اللِّسانَ.
- ظَاهِرَةُ الحَيَاءِ، وَرِعَةٌ عن الخَنَاءِ(١).
- وَاسِعَةُ الصَّدرِ، عَظِيمَةُ الصَّبْرِ.
- قَلِيلَةُ المَكْرِ(٢)، كَثِيرَةُ الشُّكْرِ.
- نَقِيَّةُ الجَيْبِ(٣)، طَاهِرَةٌ مِنَ العَيْبِ.
- حَيِيَّةٌ، كَرِيمَةٌ.

---

(١) الخنا: الفحش في الكلام.

(٢) المكر: الخديعة. وقليلة المكر: بمعنى لا مكر لها. في المعجم الوسيط (ص٧٨٦): قد يعبّر بالقليل عن العدم، فيقال: رجل قليل الخير: لا يكاد يفعله.

(٣) جيب القميص: ما يدخل منه الرأس عند لبسه، ولعل المقصود: لا تحمل في صدرها غِلاًّ لأحد.

- رَضِيَّةٌ، زَكِيَّةٌ.
- رَزِينَةٌ، نَجِيبَةٌ[1].
- سَهْلَةُ الخُلُقِ، رَقِيقَةٌ، رَفِيقَةٌ.
- بَرِيَّةٌ مِنَ الكَذِبِ، نَقِيَّةٌ مِنَ العُجْبِ[2].
- تَارِكَةٌ لِلقَذَىٰ[3]، زَاهِدَةٌ في الدُّنيَا.
- سَاكِنَةٌ، حَازِمَةٌ.
- سَتِّيرَةٌ، خَفِرَةٌ[4].
- لا مُتَفَاكِهَةٌ، ولا مُتَهَتِّكَةٌ[5].
- قَلِيلَةُ الحِيَلِ، وَثِيقَةُ العَمَلِ[6].
- رَحِيمَةُ القَلْبِ، خَلِيصَةُ الوُدِّ.
- إنْ زُجِرَتِ انْزَجَرَت، وإنْ أُمِرَتِ ائتَمَرَت.
- تَشْنَأُ الصَّلَفَ[7]، وتَبغُضُ السَّرَفَ.

---

(١) رزينة: أي ذات وقار وعفاف. النَّجابة: النباهة وظهور الفضل على المثل، ونجيبة: بمعنى كريمة الأصل ظاهرة الفضل.

(٢) برية: بمعنى بريئة. والعجب: الكِبْر.

(٣) أي: تاركة لكل ما يُكره.

(٤) أي: تحب الستر عفيفة. وخفرة: أي شديدة الحياء.

(٥) أي: لا تقضي وقتها في اللعب واللهو.

(٦) قليلة الحيل: أي لا تصدر منها خديعة. ووثيقة: أي محكمة العمل.

(٧) أي: تكره الادعاء والتكبر.

❑ وتَكْرَهُ المَكْرُوهَ، وتَمقُتُ الفَخْرَ.

❑ وَتَتَفَقَّدُ نَفْسَهَا بِطِيْبِ النِّسَاءِ: الكُحْلِ والمَاءِ.

❑ قَنُوعٌ بِالكَفَافِ[1]، واستِتَارٌ بِالعَفَافِ.

❑ لَهَا رَحْمَةٌ بِالأَهْلِ، ورِفْقٌ بالبَعْلِ.

❑ تَضَعُ لَهُ خَدَّهَا[2]، وتَخْلُصُ[3] لَهُ وُدَّهَا.

❑ وتُمَلِّكُهُ نَفْسَهَا، ولا تَمْلأُ مِنْهُ طَرْفَهَا[4].

❑ وتَتْرُكُ لأَمْرِهِ أَمرَهَا، وتُخرج لآرَائِهِ رأيَهَا.

❑ وتُوَكِّلُهُ عَلَى نَفْسِهَا، وتَأْمَنُهُ عَلَى سِرِّهَا.

❑ وتُصْفِيه غَايَةَ الحُبِّ، وتُؤْثِرُهُ عَلَى الأُمِّ والأَبِ.

❑ لا تَلْفِظُ بِعَيْبِهِ، ولا تُخبِرُ بِسِرِّهِ.

❑ تُحَسِّنُ أَمرَهُ، وتَتَبَّعُ سُرُورَهُ[5].

❑ ولا تَجْفُوهُ في عُسْرِهِ، ولا تَقْلاهُ في فَقْرِهِ[6].

---

(١) الكفاف من الرزق: ما كان مقدار الحاجة من غير زيادة ولا نقصان. ومنه الحديث: «اللّٰهم اجعل رزق آل محمد كَفَافاً»، رواه مسلم (ح ١٠٥٥).

(٢) أي: تتواضع له.

(٣) خَلَص الشيء: صار خالصاً، وبابه دَخَل يَدخُل.

(٤) فهي قاصرة الطرف لشدة حيائها.

(٥) التتبُّع: طلب الأمر شيئاً بعد شيء في مُهلة. أي تطلب سروره مرة بعد مرة.

(٦) وفي هذا المعنى ما ورد عن سَمُرة بن جُنْدُب قال: سمعتُ عمر بن الخطاب =

- بَلْ تَزِيدُ في الفَقْرِ وُدّاً، وعَلَى الافتِقَارِ حُبّاً.
- تَلْقَىٰ غَضَبَهُ بِحِلْمٍ وصَبْرٍ، وتَلْقَىٰ مُعَاشَرَتَهُ بِوُدٍّ وشُكْرٍ.
- إنْ أَسَاءَ إلَيْهَا غَفَرَتْ، وإنْ آثَرَ عَلَيْهَا صَبَرَتْ.
- تتَرَضَّاهُ في غَضَبِهِ، وتَتَوقَّاهُ في سَخَطِهِ.
- وتَسْتَوْحِشُ لِغَيْبَتِهِ، وَتَسْتَأْنِسُ لِرُؤيَتِهِ.
- قَدْ فَهِمتْ عَنِ الله ذِكْرَهُ وَعِلْمَهُ، فَقَامَت فِيهِ بِحَقِّ فَضْلِهِ[1].
- فَعَظُمَ بِذَلِكَ فَاقَتُهَا إليهِ، ولَمْ تَجْعَلْ[2] لها مُعَوَّلاً إلاَّ عَلَيْهِ.
- فَهُوَ لَهَا سَمْعٌ ولُبٌّ، وهِيَ لَهُ بَصَرٌ وقَلْبٌ.

رحمها الله من مؤمنة

= يقول: النساء ثلاثة:

١ ــ امرأة: عاقلة مسلمة عفيفة هيِّنة لينة ودود ولود، تعينُ أهلها على الدَّهر، ولا تعين الدهرَ على أهلها، وقليلاً ما تجدها.

٢ ــ وأخرى: وعاءٌ للولد لا تزيد على ذلك.

٣ ــ وأخرى: غُلٌّ قَمِلٌ يجعله الله في عنق من يشاء، ثم إذا شاء أن ينزعه نزعه. بهجة المجالس ٣/ ٣١.

وغل قمل: مثل يضرب للمرأة السيئة الخُلق، وأصله أن العرب كانوا يغلون الأسير بالقدّ ــ أي الجلد ــ وعليه شعر، فإذا طال القدّ عليه قمل في عنقه، فتجتمع عليه محنتان: الغل والقمل. وضربه مثلاً للمرأة السيئة الخلق الكثيرة المهر، لا يجد بعلها منها مخلصاً. ينظر: مجمع الأمثال ٢/ ٦، لسان العرب ١١/ ٥٠٤.

(١) أي: بما أوصى الله به المرأة في حق زوجها.

(٢) في الأصل: يجعل، والمثبت أنسب للسياق.

تمَّت والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد وآله

كتب عبد الرحمن بن يونس

التونسي مصلِّياً ومسلِّماً[1]

(١) تمت قراءة هذه الرسالة ليلة ٢٣ رمضان المبارك في صحن المسجد الحرام تجاه الركن اليماني في موضعنا المعتاد، بمتابعة الأخ الشيخ نظام اليعقوبي على المخطوط وبسماع ومتابعة الدكتور الفاضل عبد الله محارب والأخ العزيز البحَّاثة الدكتور قاسم علي سعد، والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على رسوله المصطفى، وآله وصحبه وكفى.

❏ وتمت قراءتها على شيخنا الفاضل العلامة البارع محمد كريِّم راجح شيخ قراء الشام، ثم على الأستاذ الأديب والخطيب المِسْقَع الشيخ هشام الحمصي، في مجلسين بمنزلنا الصيفي ببلدة بحمدون من جبل لبنان، بحضور عدد من الأحبة الكرام، وذلك في شهر جمادى الآخرة من عام ١٤٢٣هـ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتبه

مصليًا ومسلماً على خير البَرِيَّة

رمزي سعد الدين دمشقية

المصَادر وَالمـَراجع

١ ــ بهجة المجالس، لابن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٢ ــ تاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى الزَّبيدي، المطبعة الخيرية ــ مصر.

٣ ــ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٤ ــ تاريخ دمشق، للحافظ ابن عساكر، دار الفكر ــ بيروت.

٥ ــ تذكرة الحفاظ، للحافظ الذهبي، طبعة محمد أمين دمج.

٦ ــ ترتيب كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي.

٧ ــ حِلْية الأولياء، لأبي نُعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٨ ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الجيل ــ بيروت.

٩ ــ سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي، مؤسسة الرسالة ــ بيروت.

١٠ ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة ــ بيروت.

١١ ــ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

١٢ ــ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للحافظ السخاوي، دار مكتبة الحياة ــ بيروت.
١٣ ــ العبر في خبر من عَبَر، للحافظ الذهبي، دار الكتب العلمية ــ بيروت.
١٤ ــ القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة ــ بيروت.
١٥ ــ مجمع الأمثال، للميداني، المطبعة البهية ــ القاهرة، ١٣٤٢هـ.
١٦ ــ مختار الصحاح، للرازي، دار اليمامة ــ دمشق.
١٧ ــ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ــ القاهرة.
١٨ ــ لسان العرب، لابن منظور، دار صادر ــ بيروت.
١٩ ــ وَفَيات الأعيان، لابن خلِّكان، دار صادر ــ بيروت.

● ● ●

لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٣٥)



تأليف

العلامة الزاهد عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي

(٧٨٢ - ٨٥٦هـ)

اعتنى بها

محمد بن ناصر العجمي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية


تفريج الكروب
في تعزيل الدروب

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣/ ٠٠٩٦١١

e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام على مَنْ لا نبيّ بَعْده.

أمَّا بعد:

فإنَّ علماء الأمَّة الإسلاميّة ــ رحمهم اللَّهُ تعالى ــ قد قاموا بخدمة هذا الدِّين، فصنَّفوا الكُتب والأجزاء في شتَّى نواحيه، فمن ذلك هذه الرسالة اللَّطيفة التي جَمَعها العالِم الصَّالح العامل الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الصَّالحي الحنْبليّ المتوفَّى سنة **٨٥٦هـ** في فضل إماطة الأذى عن الطريق.

وقد كان الباعث له على ذلك هو ما رآه من وُعُورة الطَّريق من دمشق ــ حَماها اللَّه وسائر بلاد الإسلام ــ إلى طرابلس الشَّام وما فيها من صخور كانت من الصعوبة بمكان على السَّالك لها؛ فلهذا ندب جمعاً من إخوانه وأصحابه لرفع هذا الأذى عن الطريق طمعاً في الأَجر، واحتساباً للثواب من الله تعالى، وكذلك فعل في الطريق إلى البقاع العزيز؛ فجزاه الله هو وإخوانه خير الجزاء.

* * *

اعتمدتُ في إخراج هذه الرسالة على نسخة من شستربتي[1] برقم (٣٢٩٦/ ١٣)، وتقع في خمس ورقات، وعدد الأسطر فيها (١٦) سطراً، ولم يُكتب عليها تاريخ النَّسخ ولا اسم الناسخ، وهي من مخطوطات القرن التاسع الهجري.

هذا، وقد قمتُ بتخريج ما في هذه الرسالة مع مراعاة الاختصار والإيجاز، سائلاً المولى الكريم التوفيق في الأقوال والأفعال، إنه وليّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) تفضَّل أخي الشيخ فيصل بن يوسف العلي فصوَّر لي هذه الرسالة؛ جزاه الله عني أوفى الجزاء.

نبذة عن حياة المؤلِّف
الشيخ عبد الرحمن بن أبـي بكر بن داود

قال برهان الدِّين ابن مفلح:

«عبد الرحمن بن أبـي بكر بن داود، الشيخ العالم، النَّاسك، تَخَرَّج بجماعة من الشيوخ، منهم والده، ونشأ على طريقة حسنة... وكان مُحَبَّباً للنَّاسِ، ويتردد إليه النواب، والقضاة، والفقهاء من كل مذهب، اشتغل في فنون كثيرةٍ وأخذ العلم عن جماعةٍ، منهم: العمّ الشيخ بُرهان الدِّين. وكتب بخطّه كثيراً، وكان له قَلَمٌ حسنٌ مع جودةِ الخَطِّ.

أَلَّف كتباً عديدة، منها: «الكنزُ الأكبر في الأمر بالمعروفِ والنَّهي عن المُنكر»[1]، وهو أجلّها.

وكان بشوشاً متَصَدِّراً لقضاء الحوائج، وكانت كلمتُهُ مسموعةً في الدَّولة الأشرفية، والظاهرية، وألزم بالكلام على مدرسةِ الشيخ أبـي عمر، والبيمارستان القيمريّ فَحَصَلَ به غاية النَّفع من عمارةِ جهاتهما، وعملِ مصالحهما، ورغَّبَ النَّاسَ في نفعِ الفقراء بكلِّ طريقٍ»[2].

---

(١) طبع هذا الكتاب وصدر عن دار الكتب العلمية ببيروت.

(٢) «المقصد الأرشد»، لابن مفلح (٢/ ٨٤، ٨٥).

وقال الحافظ السخاوي:

«عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الزين أبو الفرج بن التقي أبي الصفا الدمشقي الصالحي الحنبلي، يعرف بابن داود. وُلد كما كتبه بخطه في سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة، وقال غيره: سنة ثلاث، بجبل قاسيون من دمشق، ونشأ بها فحفظ القرآن واشتغل، وكان يذكر أنه أخذ الفقه عن التقي إبراهيم بن الشمس محمد بن مفلح، والعلاء بن اللحام...».

ثُمَّ قال: «وكان شيخاً قدوة، تام العقل والتدبير قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، راغباً في المساعدة على الخير والقيام في الحق مقبول الرسائل نافذ الأوامر، كريماً متواضعاً، حسن الخط، ذا جلالة ووقع في النفوس، وشهرة عند الخاص والعام. وله الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجلدين.

وفتح الأغلاق في الحث على مكارم الأخلاق.

ومواقع الأنوار ومآثر المختار.

والإنذار بوفاة المصطفى المختار.

وتحفة العباد وأدلة الأوراد، في مجلد ضخم.

والدر المنتقى المرفوع في أوراد اليوم والليلة والأسبوع.

ونزهة النفوس والأفكار في خواص الحيوان والنبات والأحجار، في ثلاث مجلدات.

وتسلية الواجم في الطاعون الهاجم، في مجلد.

وغير ذلك مما قُرِىء عليه جميعه أو أكثره، وكان استمداده في الحديث من شيخه ابن ناصر الدين، وقد حدَّث باليسير، أخذ عنه الفضلاء، أجاز لي، ومات في ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ست وخمسين بعد فراغه من قراءة أوراده بيسير فجأة.

وصُلِّي عليه بعد صلاة الجمعة بالجامع المظفري في مشهد عظيم جدًّا...»[1].

---

(١) «الضوء اللامع»، للسخاوي (٣/ ٦٢، ٦٣).

١٦٦

كتاب تفريج الكروب في تعديل الذنوب

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد العابد الورع المربي السالك زين الدين عبد الرحمن بن المرحوم الشيخ تقي الدين أبي بكر بن داود تغمدهما الله تعالى برحمته

المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الدمشقي الصالحي - ٨٥٦ هـ

المصدر: شستربيتي رقم ٣٢٩٦/ ١٣

الأوراق: ١٦٦ - ١٧١

تعريف بالمخطوط: مجموعة قليلة من الأحاديث المتعلقة بنظافة الطرق وسلامتها

تاريخ النسخ: ٩٠٤ هـ

صورة الغلاف من النسخة المعتمدة في التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العابد الفقيه الورع المربي
المسلك زين الدين عبد الرحمن بن داود الحنبلي رحمه الله
الحمد لله الذي يسر السبيل لمن اراد وهدى الى الصراط
المستقيم من شاء من العباد وجعل الاعمال الصالحة ذخيرة
ليوم المعاد مخول النعم ومحول النقم ومبلغ الهمم حدا
تعظم به المباهج وتتضح بنوره المناهج واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له المشيئة وسبحان ما احسن سبحانه
ما اعظم قدرته وابدع صنعته واعجب حكمته ووفق الى
سبيل الخيرات من اسعده وصرف عن فعلها من اشقاه
وابعده حكمة جارية على وفق مراده دالة على تصرفه
في الوجود وانفراده واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله
وصفيه الاصيل العريق المنتخب من خير فريق الامر باماطة
الاذى عن الطريق شفقة منه على العباد فطر عليها و
محبته في فعل القربات وفق اليها صلى الله عليه وعلى آله
الابرار وصحبه السادة الاخيار الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار صلاة تكرم

الطريق الواضح

ما ينعم

صورة الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة في التحقيق

١٧١

أبي عمرة قال أتيت سعيد بن جبير وكان لي على عبيد بن يوسف الحكم
جئت تشفع لي فقلت لا قال أحسب أن لا أشغل حدثني ابن عباس رضي
الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مشى إلى أخيه بدين ليقضيه
إياه كان له به صدقة ومن أعان على حمل دابته فله به صدقة ومن
أماط الأذى عن طريق فله به صدقة ومن هدى زقاقًا فله به صدقة
وكل معروف صدقة وروى أبو يعلى الموصلي والبزار بسنديهما عن
أنس رضي الله عنه قال حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم بحديث فما فرحنا
بشيء منذ عرفنا الإسلام أشد من فرحنا به قال إن المؤمن ليؤجر في
إماطته الأذى عن الطريق وفي هدايته السبيل وفي تعبيره عن الأرتم
وفي منحه اللبن حتى إنه ليؤجر في السلعة تكون مصرورة فيلمسها فتخطئها
يده زاد البزار وإنه ليؤجر في إتيانه أهله حتى إنه ليؤجر في السلعة تكون
في طرف ثوبه فيلمسها فيفقدها مكانها أو كلمة نحوها فيخفق بذلك فؤاده
فيردها الله عليه ويكتب له أجرها. فهذا ما أمليت عليك من الأدلة
القاطعة وألقيت إليك من البراهين الجامعة لترغب في حسن المآب
وما أعد الله للمزيد الذي من الثواب يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين.

[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة المعتمدة في التحقيق

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٣٥)

تفريج الكروب

في تعزيل الدروب

تأليف
العلامة الزاهد عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي
(٧٨٢ - ٨٥٦ هـ)

اعتنى بها
محمد بن ناصر العجمي



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشَّيخ الإمامُ، العالِمُ، العَابِدُ، الزَّاهد الوَرع المُرَبِّي المُسَلِّك زين الدِّين عبد الرحمن بن داود تغمَّده الله برحمتِهِ:

الحَمْدُ للَّهِ الذي يَسَّرَ السَّبيل لمن أراد، وهدى إلى الصراط المستقيم من شاء من العباد، وجعل الأعمال الصَّالحة ذخيرة ليوم المعاد، مُخَوِّل النِّعَم، ومُحَوِّل النِّقم، ومُبَلِّغِ اللَّقَم[1]، حَمْداً تَعْظُمُ به المباهِج، وتتضح بنوره المناهِج.

وأَشهد أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، إله يَسَّر وسهَّل ما تعسَّر، سبحانه ما أعظم قُدْرته، وأَبدَع صَنعته، وأَعجبَ حكمته، وفَّق إلى سبيل الخيرات من أَسعده، وصَرَفَ عن فعلها من أَشقاهُ وأَبْعَدَه، حِكَمة جارية على وفق مراده، دالَّة على تصرُّفِه في الوجود وانفراده.

---

(١) اللَّقَم من الطريق: هو مدخله ومجراه الواضح.

وأَشهد أَنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله وصفيُّهُ، الأصيل العريق المنتخب من خير فريق، الآمر بإماطة الأذى عن الطريق، شفقةً منه على العباد فُطِرَ عليها، ومحبةً في فعل القربات وُفِّقَ إليها، صلَّى الله عليه وعلى آله الأبرار وصحبه السادة الأخيار، الصَّابرين والصَّادقينَ والقانتينَ والمُنفقين والمستغفرين بالأَسحار، صلاة تُـكْرِمُ مآبَهُم، وتُجْـزِلُ في القيامـة ثَوابهم، وسلَّـم تسليماً، وكَرَّمَ تكريماً، وَزَادَهُ شَرَفاً وتعظيماً.

وَبَـعْــدُ: فلمَّـا صُعِبَـتْ فـي هـذا الـزمـان الـدُّروب، وتعسَّـر سلـوكهـا علـى الطـالـب والمطلـوب، وفَّـق الله ــ ولـه المنَّـة ــ بالاطلاع على أحاديثَ وردت في السُّنَّة، من الحثِّ على اغْتِنَامِ ما أرْشَـدَ إليـهِ خيـر الأنـام، عليـه أفضـل الصَّـلاة والسَّـلام، مِـنَ الأعمـال المحَصِّلـة لـلأجـور، المنجيـة مـن هـول يـوم النُّشـور، والمنقـذة مـن شـدة الكـروب، ومـن جملتهـا صـرف الأذى عـن الدُّروب؛ لِما ثبت في فضلها من الآثار النبوية، والأخبار الصحيحة المرويَّة.

فبعثني ذلك على الاهتمام بتعزيلها، وتنحية الأذيَّةِ عنها وتحويلها.

وكان الطَّريق من دمشق إلى ثَغْر طرابلس من أكثرها وَعْراً، وأصلبها صخراً، فذهبتُ إليها في سنة سبع وثلاثين وثمان مائة من

السنين بجماعة من الإخوان والأصحاب والخلان، كُلّ منهم بالعمل مُتبَرِّع، وبفعل المعروف متورِّع، رغبة في ثواب من لا يُضيِّع لعاملٍ عمله، ولا يخيِّب لآمل في جوده أمله، واجتهدوا فيها حتى سَهُلَ حَزْنُها، وَخَفَّ عَلَيْهِمُ التَّعَبُ، طمعاً في أجور ثَقُل وزْنُها.

ثُمَّ صرت بهم بعد سنة إلى دروب البقاع، مادِّين إلى ذلك القدم والباع، وتزاحموا في تعزيلها بالمناكب ومهَّدوها للماشي والراكب.

ونحن إن شاء الله مستمرون على ذلك إلى الممات، مع ما يَسَّره الله من الطاعات المقَرِّبات، وذلك من فضل الذي أحسن وجاد، وأنعم وزاد، ومنح وأفاد، وبلَّغ المراد.

فأحببتُ أن أنبِّه على موقع هذه المِنَّة العظيمة، وأجمع شيئاً مما ورد فيها من السُّنَّة الكريمة؛ فقلت وبالله التّوفيق إلى جادَّة العرفان والتَّحقيق:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فممَّا آتانا إيَّاه:

❑ ما ثبت في «الصحيحين» و «سنن أبي داود» و «الترمذي» و «النسائي» و «ابن ماجه»: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

أنَّ رسـول الله ﷺ قـال: «الإيمـانُ بضـع وستـون ـ أو سبعـون ـ شعبةً، أدناها إماطة الأذى عن الطَّريقِ، وأَرْفعها قول لا إلـه إلاَّ الله»[1].

قوله: «إمَاطَةُ الأذَى» أي تنحيته وإزالته، يُقالُ: أَماطَ الأذى عنِ الطَّريق، أي: نحَّاه وَأَزاله. والمراد بالأذى: كل ما يؤذي المارّ، كالحجر والشوك والعظم والنجاسة، ونحو ذلك.

❑ وفي «الصَّحيحين» من حديث أبـي هريرة أيضاً قال:

قالَ رسول الله ﷺ: «كلُّ سُلامىٰ مِنَ النَّاسِ عليهِ صدقة، كُلَّ يوم تطلُعُ فيهِ الشَّمس تَعْدِلُ بين الاثْنين صَدَقَةٌ، ويُعين الرَّجُلَ في دابته، فيحملُهُ عليها أو يَرْفع له عليها متاعهُ صدقةٌ، والكلمةُ الطيِّبة صَدَقَةٌ، وبكُلِّ خَطْوةٍ يَمشيها إلى الصَّلاة صَدَقَةٌ، ويميطُ الأذى عن الطريق صَدَقة»[2].

«السُّلامَىٰ»، بضمّ السِّين المُهملة وتخفيف اللام وفتح الميم: المِفْصَل، والله أعلم.

❑ وروى مسلم، وابن ماجه من حديث أبـي ذر جُنْدب بن جُنادة الغفاري رضي الله عنه قال:

---

(١) البخاري (١/ ٥١)، ومسلم (١/ ٦٣)، وأبو داود (٤٦٧٦)، والترمذي (٢٦١٤)، والنسائي (٨/ ١١٠)، وابن ماجه (٥٧).

(٢) البخاري (٦/ ١٣٢)، ومسلم (٢/ ٦٩٩).

قال النبـي ﷺ: «عُرِضَتْ عليَّ أعمال أُمتي حَسَنُها وسيِّـئُها، فوجدت في محاسن أعمالها: الأذى يُماطُ عن الطريق، ووجدتُ في مساوىء أعمالها: النُّخامة تكون في المسجد لا تُدْفن»[1].

«النُّخامة»، بضم النون: النخاعة. يقال: تنخَّم، إذا تنخَّع.

❑ وروى مسلم أيضاً، والنسائي من حديث عبد الله بن فرُّوخ: أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقولُ:

قال رسول الله ﷺ: «إنَّه خُلِقَ كُلُّ إنسانٍ من بني آدم على ستينَ وثلاث مائة مَفْصل، فمن كبَّرَ الله، وحَمِدَ الله، وهلَّلَ الله، وسبَّحَ الله، واستغفر الله، وَعَزَلَ حَجَراً عن طريق الناس، أو شَوْكة أو عَظْماً عن طريق النَّاس، وأَمَرَ بمعروف، أو نهى عن مُنْكرٍ، عَدَدَ تلك الستِّين والثلاث مائة، فإنَّه يُمْسي يومئذٍ وقد زَحْزَحَ نفسه عن النَّار»[2].

وفي رواية: بعد قوله «عن منكر»: «أو علَّمَ خَيْراً، أو تعلَّم».

❑ وروي من طريق آخر عن عبد الله بن فرُّوخ مولى عائشة، عن عائشة رضي الله عنها:

عن النبـي ﷺ قال: «رُكِّب ابن آدم على ثلاث مائة وستين مفصلاً، فمن قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلـه إلاَّ الله، والله

(١) مسلم (١/ ٣٩٠)، وابن ماجه (٣٦٨٣).

(٢) مسلم (٢/ ٦٩٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٣٧).

أكبر، وأَمَرَ بمعروفٍ ونهى عن منكر، وعَزَلَ الأذى عن طريق المسلمين ــ من عظم أو شوك أو حجر ــ فبلغ ذلك عدد سلاماه زحزح نفسه يومئذ عن النار»[١].

وفَرّوخ أبو عبد الله راوي هذا الحديث، هو بفتح الفاء وتشديد الراء وآخره معجمة، أعجمي لا ينصرف. وقوله: «عَزَلَ»، أي: نَحّى.

❑ وروى أبو داود وغيره من حديث أبي ذر رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ أنه قال: «يُصبح على كل سُلامىٰ من ابن آدم صدقةٌ: تسليمه على من لقي صدقة، وأمره بالمعروف صدقة، ونَهْيُهُ عن المنكر صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة...» الحديث[٢].

❑ وروى الترمذي وابن حبان في «صحيحه»، من حديث أبي ذر أيضاً رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرُك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادُكَ الرجل في أرض الظِّلال لك صدقة، وإماطتك الحَجَرَ والشَّوك والعَظْمَ عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (١٨٨٢)، وذكر أن إسناده ليس بشيء.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٦٧)، وأبو داود (٥٢٤٣)، وإسناده جيد.

الطريق لك صدقة»[1].

قوله: «أرض الظلال»: أي المظلمة.

❑ وروى الإمامُ أحمد ـ واللفظ له ـ، وأبو داود، وابن حبان، وابن خزيمة في «صحيحيهما»، من حديث بُريدة بن الحَصيب رضي الله عنه قال:

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «في الإنسان سِتون وثلاث مائة مَفْصِل، فعليه أن يتصدَّق عن كل مفصل منها صَدَقة».

قالوا: فمن يُطيق ذلك يا رسول الله؟

قال: «النُّخامة في المَسْجِدِ تدفنها، والشيءُ تُنحِّيهِ عن الطريق، فإن لم تَقْدر، فركعتا الضحى تُجْزِىء عنك»[2].

❑ وروى ابن خزيمة في «صحيحه» وأبو القاسم الأصبهاني بسنديهما: عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «على كل مِيْسَمٍ من الإنسان صلاةٌ كُلَّ يوم».

فقال رجل من القوم: يا رسول الله، هذا من أشَدِّ ما أُتينا به!

(١) أخرجه الترمذي (١٩٥٦)، وابن حبان (٤٧٤، ٥٢٩)، وهو صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣٥٤، ٣٥٩)، وأبو داود (٥٢٤٢)، وابن خزيمة (٢/٢٢٩)، وابن حبان (٢٥٣١)، وهو صحيح.

قال رسول الله ﷺ: «إِن أَمْرك بالمعروف، ونَهيك عن المنكر صلاة، وحَمْلُكَ عن الضَّعيف صلاةٌ، وإنحاؤك القَذَرَ عن الطريق صلاةٌ، وكلُّ خطوة تخطوها إلى الصَّلاة صلاة»[1].

قوله: «مِيسم» بكسر الميم ثم مثناة تحتانية وسين مهملة مفتوحة، هي: المِكواة، أي: على كل عضو موسوم بالصنع، صنع الله تعالى، وقيل: مِنْسَم بالنون، والمراد به العظم.

❑ وروى مسلم، وأحمد، وابن ماجه من حديث أبي ذرّ رضي الله عنه: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدُّثور بالأُجور؛ يُصلون كما نُصلِّي ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقُونَ بفضُول أموالهم!

قال: «أَوَلَيْسَ قد جَعَلَ اللَّهُ لَكُم ما تصدَّقون؟ إن بكل تَسْبيحةٍ صدقةً، وكُلّ تكبيرةٍ صدقةٌ، وكل تحميدةٍ صدقةٌ، وكل تهليلة صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ، ونهيٌ عن منكرٍ صدقةٌ، وفي بُضْعِ أحدِكم صدقة»، الحديث[2].

هذا لفظ مسلم وأحمد.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (٢/ ٣٧٧)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢٨١)، وفي إسناده ضعف لاضطراب أحد رواته، ولكن الحديث صحيح بما له من شواهد.

(٢) «مسند أحمد» (٥/ ١٦٧)، و «صحيح مسلم» (٢/ ٦٩٧)، و «سنن ابن ماجه» (٩٢٧).

❑ وفي رواية لأحمد عن أبي سلاَّم قال: قال لي أبو ذر: قلت: يا رسول الله، من أين أتصدق وليس لي مالٌ؟

قال: «إن من أبواب الصَّدقة التكبير، وسبحان الله، والحمدُ لله، ولا إلـه إلاَّ الله، وأستغفر الله، وتأمر بالمعروف، وتَنْهى عن المنكر، وتَعْزِلُ الشَّوْكَ عن طريق النَّاس، والعَظْمَ والحَجَرَ، وتَهْدِي الأعمى، وتُسْمِعُ الأصَمَّ والأَبْكَمَ حتى يَفْقَهَ، وتَدُلُّ المستدِلَّ على حاجةٍ له قد علمت مَكَانَها، وتسعى بِشِدَّةِ ساقَيْكَ إلى اللَّهْفَانِ المُستغيث، وتَرْفَعُ بِشد ذِراعَيك مع الضَّعيف، كل ذلك من أبواب الصَّدَقة منك على نَفْسِكَ، ولك في جِماعِكَ أجر» الحديث[1].

❑ ورواه البيهقي مختصراً، وزاد في رواية:

«وتبسُّمك في وجه أخيك صدقة، وإماطتك الحجر والشَّوْك والعَظْمَ عن طريق الناس صدقة، وهديك الرجل في أرض الظِّلال لك صدقة»[2].

❑ وفي رواية له: قال: قلت: يا نبيَّ الله، علِّمْني شيئاً أنتفع به.

قال: «اعْزِلِ الأذى عن طريق المسلمين»[3].

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٦٩)، بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٥٨).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠٦٥١) من حديث أبي برزة بإسناد لا بأس به. =

❑ ورواه الإمام أحمد، ولفظه: قال: قلت: يا رسول الله، مُرْني بعمل أعمله.

قال: «أَمطِ الأذى عن الطَّريقِ فهو لَكَ صَدَقَةٌ»[1].

❑ ورواه ابن ماجه، ولفظه: قال: قلت يا رسول الله، دُلَّني على عمل أنتفع به.

قال: «اْعْزِل الأذى عن طريق المُسلمين»[2].

❑ وروى البخاري، ومسلم، ومالك في «الموطأ»، والترمذي، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَما رجلٌ يمشي بطريقٍ وجدَ غُصْنَ شَوْكٍ على الطريق، فأخَّره، فَشَكَرَ الله له، فغفر له»[3].

❑ وفي رواية لمسلم: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد رأيتُ رجلاً يتقلَّب في الجنَّة، في شَجَرةٍ قَطَعَها من طريق المسلمين كانت تؤذي الناس»[4].

❑ وله في رواية أخرى: قال: «مرَّ رجل بفضل شجرة على ظَهْر الطريق فقال: واللَّهِ لأُنحِّيَنَّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٣) من حديث أبي برزة بإسناد حسن.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٨١) بإسناد حسن، وهو في «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٢١).

(٣) «موطأ مالك» (١/ ١٣١)، والبخاري (٥/ ١١٨)، ومسلم (٣/ ١٥٢١)، والترمذي (١٩٥٨).

(٤) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٢١).

فأُدْخِلَ الجنة»[1].

❑ ورواه الإمام أحمد، ولفظه: قال: «مرَّ رجل بِجِذْل شَوْكٍ في الطريق، فقال: لأُميطنَّ هذا الشَّوْك عن الطريق أن لا يعقر رجلاً مُسلماً. قال: فغُفِر له»[2].

❑ ورواه أبو داود، ولفظه: قال:

قال رسول الله ﷺ: «نَزَع رجلٌ لم يعمل خَيْراً قط غُصْنَ شوك عن الطريق ــ إمّا قال: كان في شجرة فقطعه، وإمَّا كان موضوعاً ــ فأماطه عن الطريقِ، فَشَكَرَ الله له، فأدخله الجنة»[3].

❑ ورواه ابن ماجه، ولفظه:

قال: «كان في الطَّريق غُصْنُ شجرةٍ يُؤذي الناس، فأماطه رجل، فأدخله الجنة»[4].

والجِذل، بكسر الجيم: أصل الشجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع، والجمع: أجذال، وجذال وجُذول وجذولة، وكذلك ما على شماريخ النخل من العيدان. وقيل: بفتح الجيم فيهن، والله أعلم.

❑ وروى الإمام أحمد، وأبو يعلى الموصلي من حديث أنس رضي الله عنه قال:

---

(١) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٢١).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٤١) بإسناد صحيح على شرط مسلم.

(٣) أبو داود (٥٢٤٥) بإسناد جيد.

(٤) ابن ماجه (٣٦٨٢) بإسناد صحيح.

كانت شجرة في طريق الناس تؤذي الناس، فأتاها رجلٌ فَعَزَلها عن طريق الناس، فقال نبـيّ الله ﷺ: «فَلَقَدْ رأيتهُ يتقلبُ في ظلِّها في الجنَّة»[1].

❑ وروى الإمام أحمد أيضاً، وأبو القاسم الطبراني في «المعجم الأوسط»، من حديث أبـي الدرداء عويمر رضي الله عنه قال:

«مَنْ زَحْزَحَ عن طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم كُتب له به حسنةٌ، ومن كَتَبَ له عنده حسنة، أدخله الله بها الجنة»[2].

❑ ورواه الطبراني أيضاً في «الكبير» من حديث أبـي شَيْبة الهروي، قال:

كان معاذ رضي الله عنه يمشي ورجل معه، فَرَفَعَ حَجَراً من الطريق، فقال: ما هذا؟

فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَفَعَ حجراً من الطريق كُتِبت له حسنة، ومن كانت له حسنة دَخَلَ الجنَّة»[3].

❑ وروى الطبراني في «الكبير» أيضاً، من حديث المُسْتنير بن أَخْضر بن معاوية، عن أبيه قال:

كنت مع مَعْقل بن يسار رضي الله عنه في بعض الطَّريق،

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٤)، وأبو يعلى (٣٠٥٨) بإسناد حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٠)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢) بإسناد فيه ضعف، إلاَّ أن الحديث حسن بشواهده.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٠٢) بإسناد فيه جهالة لكن يشهد له ما قبله.

فمررنا بأذى فأماطه، أو نحَّاه عن الطريق، فرأيت مثلَه فأخذته فنحَّيته، فأخذ بيدي وقال: يا ابن أخي ما حملك على ما صنعت؟ قلت: يا عم رأيتك صنعت شيئاً فصنعت مثله.

فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أماط أذى عن طريق المسلمين كُتبت له حَسَنةٌ، ومن تُقُبِّلَت منه حسنة دخل الجنة»[1].

❑ ورواه البخاري في كتاب «الأدب المفرد» فقال: عن المُستنير بن أخضر بن معاوية بن قرة عن جده.

قال الحافظ عبد العظيم المنذري: وهو الصواب[2].

❑ وروى أبو عبد الله الحسين بن حُبيش الضَّرَّاب في الأول من «فوائده»، من طريق الحسن بن عُمارة، عن حبيب بن أبي عَمرة، فقال:

أتيت سعيد بن جبير، وكان لي عليه دين، فقال: لعلك جئت تتقاضاني؟

قلت: لا.

قال: أحبُّ أن لا تفعل؛ حدثني ابن عباس رضي الله عنهما:

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢١٧)، بإسناد فيه مجهول لكنه حسن بما قبله.

(٢) «الترغيب والترهيب»، للمنذري (٣/ ٥٧٩).

أنَّ النبـي ﷺ قال: «مَنْ مشى إلى أخيه بدين يقضيه إياه، كان له به صدقة، ومن أعان على حَمل دابة فله به صدقة، ومن أماط الأذى عن طريق فله به صدقة، ومن هدى زُقاقاً فله به صدقة، وكل معروف صدقة»(١).

❑ وروى أبو يعلى الموصلي، والبزّار بسنديهما عن أنس رضي الله عنه قال: حدَّث نبـي الله ﷺ بحديث، فما فرِحنا بشيء منذ عرفنا الإِسلام أشدَّ من فرحنا به.

قال: «إنَّ المؤمن ليُؤجرُ في إماطة الأذى عن الطَّريق، وفي هدايته السبيل، وفي تَعْبِيرِهِ عن الأَرْثَم(٢)، وفي مِنْحة اللَّبَن، حتى أنه لَيؤجَرُ في السِّلْعة تكون مَصْرورةً فيلمسَها فتُخْطِئُها يده»(٣).

زاد البزّار: «وإنه ليؤْجَرُ في إتيانه أهْلَه، حتى ليُؤجر في السِّلْعة تكونُ في طَرَفِ ثَوْبِهِ، فيلمَسُها فيفقد مكانها ــ أو كلمة نحوها ــ فيَخْفِقُ بذلك فؤادُه، فيردُّها الله عليه، ويَكْتُبُ له أجرها».

فهذا ما أمليت عليك من الأدلة القاطعة، وألقيت إليك من

---

(١) أخرجه بنحوه مختصراً الدولابـي في «الكنى والأسماء» (٢/ ٣٤) وإسناده عنده حسن.

(٢) الأرثم: هو الذي لا يصحح كلامه ولا يبينه لآفة في لسانه.

(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٣٤٧٣)، والبزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» (٩٥٧)، وإسناده ضعيف لأجل المنهال بن خليفة فإنه ضعيف الحديث.

البراهين الجامعة، لترغب في حُسن المآب، وما أعد الله لمزيل الأذى من الثواب، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمـــران: ٣٠]، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمدُ للّٰهِ ربّ العالمين.

* * *

الحمد لله

بلغ مقابلة صحيحة على النسخة المنقول منها،

فصحَّ ووافق بحمد الله وعونه على حسب الطاقة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم[1].

---

(١) انتهيت من قراءة هذه الرسالة تجاه الكعبة المشرفة في ليلة الحادي والعشرين بين العشائين، وقد عارضها معي الشيخ الدكتور قاسم علي سعد، والأخ الشيخ العزيز رمزي بن سعد الدين دمشقية، وحضور الإخوة الكرام: الشيخ الدكتور وليد المنيّس، والأخ الأستاذ الوجيه هانىء بن عبد العزيز ساب، والأخ الكريم الأستاذ مساعد العبد القادر، والحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه

محمد بن ناصر العجمي



المحتوى

• • •

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٣٦)

مجلس في فضل صوم يوم عاشوراء

إملاء
الحافظ زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري
(ت ٦٥٦ هـ)

تحقيق وتعليق
عبد اللطيف بن محمد الجيلاني

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولىٰ
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنَّ من بديع حكمة الله أن جعل لبعض الشهور فضلاً على بعض، كما جعل بعض الأيام والليالي أفضل من بعض، وجعل ليلة القدر خيراً من ألف شهر، وأقسم بالعشر، وهي عشر ذي الحجة على الصحيح، وجعل لكل موسم وظيفة من وظائف طاعته، كالصيام، والزكاة، والحج، فالسَّعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتقرَّب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات.

ومن الأيَّام العظيمة، التي لها في التاريخ حرمة قديمة، يوم العاشر من المحرَّم، ففيه استوت سفينة نوح عليه السلام على الجُودِيّ، وفيه نجّى الله نوحاً ومن معه فيها من الغَرَقِ، وفيه أيضاً نجّى موسى عليه السلام وبني إسرائيل من عدوهم فرعون، وجاء في بعض الروايات أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يصومونه، وأن اليهود تصومه،

وَوَرَدَ أيضاً أن قريشاً كانت تعظمه، وتكسو فيه الكعبة، وأن أهل الجاهلية يصومونه.

ومن الوقائع التي وقعت في هذا اليوم حادثة مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه التي كانت يوم عاشوراء، في يوم الجمعة بعد صلاة العصر، سنة إحدى وستين من الهجرة بكربلاء من العراق.

وقد نهى العلماء العارفون عن اتخاذ هذا اليوم مأْتَماً، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ): «وأما اتخاذه مأتماً كما تفعله الرَّافضة لأجل قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما فيه، فهو عَمَلُ من ضَلَّ سَعْيُهُ في الحياة الدنيا وهو يَحسب أنه يُحْسِنُ صنعاً، ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً، فكيف بمن دونهم»[(١)].

وقال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢هـ): «وقد تغالى الرَّافضة ــ قبَّحهم الله ــ في حزنهم لهذه المصيبة، واتخذوا يوم عاشوراء مأتماً لمقتل الحسين رضي الله عنه، فيُقِيمُون في مثل هذا اليوم العزاء، ويُطِيلُون النَّوْحَ والبكاء، ويُظهرون الحزن والكآبة، ويَفْعَلُون فعل غير أهل الإصابة، ويتعدّون إلى سَبِّ بعض الصَّحابة، وهذا عَمَلُ الضُّلّال، المستوجبين من الله الخزي والنكال، ولو كان فعل ذلك جائزاً بين المسلمين لكان أحقّ بالمأتم اليوم الذي قُبِضَ فيه مُحَمَّد سيِّد

---

(١) «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» (ص ١١٣).

المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»[1].

هذا، وقد رُوِيَ في فضل هذا اليوم العظيم والحَثّ على صيامه أحاديث كثيرة، فالصَّوم فيه مشروع، والعمل فيه أجره معظَّم، فطوبى لمن كان فيه من القانتين، وفوزاً لمن أقلع فيه فكان من التائبين؛ فهو يوم تاب الله فيه على قوم، ويتوب فيه على آخرين.

وأمَّا ما رُوِيَ في فضل الاكتحال والاختضاب والاغتسال فيه فموضوع لا يصح[2].

وقد استشعر بعض العلماء أهمية التصنيف في بيان مكانة يوم عاشوراء وعظيم فضله، فأفردوا فيه مصنفات خاصَّة، منهم ابن أبي الدنيا وابن عساكر والسِّلَفِيّ[3].

وَيُعَدُّ هذا الجزء الذي أُقَدِّمُ له واحداً من تلك المصنفات، وهو من إملاء الحافظ الكبير أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري في يوم عاشوراء سنة ٦٥٦هـ، وهو العام الذي توفي فيه، ساق فيه جملة من الروايات بسنده المتصل، ثمَّ أتبعها بتعليقات مفيدة اعتنى فيها بعزو الأحاديث وتخريجها، والتعريف بالرواة، مع ضبط الأسماء المشكلة، وتحديد الأماكن والمواضع.

كما أنه جَرَى رحمه الله على عادة المحدثين في ختم

---

(١) «اللفظ المكرم بفضل عاشوراء المحرم» (ص ٩٧).

(٢) «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» (ص ١١٢).

(٣) سيأتي ذكر هذه المصنفات بالتفصيل عند التعريف بالجزء.

مجالس الأمالي بحكاية أو شعر، فَخَتَمَ بإيراد أبيات لأبي محمد ابن السّرّاج في مدح أصحاب الحديث؛ لذلك فهذا الجزء يكشف بجلاء عن منهج الحافظ المنذري في مجالس إملائه للحديث، بل يُعطينا صورة عن مجالس الإملاء عند المحدثين في ذلك العصر، وهي مجالسُ عامرةٌ بالفوائد، ومحافلُ جَمَّةُ العَوَائِد، كان للمحدثين بها اهتمام واضح بيِّنٌ، ثم تضاءل الاهتمام بها إلى أن انعدمت وزالت، والله المستعان.

وكنت قد عَثَرْتُ على نسخةٍ خطية لهذا الجزء اللَّطيف في خزانة عارف حكمت بالمدينة النبوية الشريفة، فَعَزَمْتُ على تحقيقه ليكون ضمن سلسلة الأجزاء القَيِّمَةِ المفيدة التي تصدر عن لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام بعناية دار البشائر الإسلامية ببيروت.

وَزَادَتْ هذه الرغبة عندما تفضَّل أستاذنا الكبير الأديب المطلع العالم بالمخطوطات الدكتور قاسم السّامرائي حفظه الله فبعث إليَّ مشكوراً بمصوَّرة عن نسخة أخرى لهذا الجزء محفوظة في مكتبة جامعة لايدن، فقابلت هذه النسخة بالنسخة الأخرى[1]، ثم قمت بعد ذلك

---

(١) قرأته بحمد الله تعالى على ثُلَّةٍ من الأفاضل قبيل صلاة العصر من يوم السادس والعشرين من رمضان المعظم عام ١٤٢١هـ بصحن المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة، ثم قرأته في المكان نفسه في العام الذي يليه مع المقابلة على النسخة الأخرى، كما قرأته وقابلت بين نسختيه مع جماعة من أفاضل طلبة العلم عشية يوم عاشوراء عام ١٤٢٢هـ بالمسجد النبوي بالمدينة النبوية الشريفة.

بخدمته والتعليق عليه حسب الجهد والطاقة، وقدَّمت له بمقدمة موجزة عرَّفت فيها بالمؤلف وبموضوع الجزء.

والله المسؤول أن يصلح نياتنا، وأن يوفقنا لنافع العلم وصالح العمل، إنه سبحانه وتعالى ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله أولاً وآخراً.

وكتب

عبد اللّطيف بن محمّد الجيلاني

في يوم الخميس الثامن والعشرين

من شهر الله المحرم عام ١٤٢٣هـ

بالمدينة النبوية شرَّفها الله



التعريف بالمصنِّف

ترجم للحافظ المنذري العديد من العلماء[1]، كما كتب الدكتور بشار عواد معروف ترجمة حافلة له في صدر تحقيقه لكتاب التكملة لوفيات النقَلة، بعنوان: «المنذري وكتابه التكملة لوفيات النقلة»[2]،

---

(١) انظر ترجمته في: «ذيل الروضتين» لأبي شامة (ص ٢٠١)، و «وفيات الأعيان» (٨/ ٢٢٢)، و «السير» (٢٣/ ٣١٩)، و «تاريخ الإسلام» (٤٨/ ٢٧٠)، و «تذكرة الحفاظ» (٤/ ٢٢٠)، و «مرآة الجنان» (٤/ ١٣٩)، و «فوات الوفيات» للكتبي (٢/ ٣٦٦)، و «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٢٤)، و «الوافي بالوفيات» (١٩/ ١٤)، و «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٥/ ١٠٨)، و «ذيل التقييد» للفاسي (٣/ ٥٥)، و «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٢/ ١٤٠)، و «السلوك» للمقريزي (ج١/ ق ٢/ ٤١٢)، و «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٧/ ٦٣)، و «حسن المحاضرة» للسيوطي (١/ ٣٥٥)، و «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ٢٧٧).

(٢) وهو المجلد الأول من الكتاب الذي يقع في ثمانية أجزاء، يحتوي على ٣٨٥ صفحة مع الفهارس (الطبعة الأولى، مطبعة الآداب بالنجف ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، وهذه الدراسة هي مقدمة رسالته التي نال بها الماجستير من دائرة التاريخ والآثار بجامعة بغداد بالامتياز في عام ١٩٦٧م، أما في الطبعة الثانية التي صدرت عن مؤسسة الرسالة في أربعة أجزاء (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) فترجم له فيها ترجمة موجزة (١/ ١٩ ـ ٢٣).

وبعداً عن التكرار، ولأن حجم هذا الجزء لا يناسب أن أُصَدِّرَهُ بترجمة مطولة، رأيت أن أكتفي في هذا المقام بإيراد نبذة موجزة في التعريف به، لَخَّصْتُهَا من المصادر التي اعتنت بترجمته، وهي كما يلي:

زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد المنذري، الشَّامي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة.

وُلِدَ بفسطاط مصر في غُرَّة شعبان سنة ٥٨١هـ، واعتنى به والده منذ الصغر، فابتدأ بسماع الحديث بإفادة والده، وأول سماعه سنة إحدى وتسعين، وله من العمر عشر سنين، واستمر على الطلب منذ ذلك الوقت فحضر مجالس العلماء، وأنصت إليهم، وأخذ عنهم، ولازم الإمام الحافظ أبا الحسن علي بن المفضل المقدسي (ت ٦١١هـ) فقرأ عليه الكثير وكتب عنه جملة صالحة، وانتفع به انتفاعاً كبيراً، وبه تخرَّج.

وقدَّمه الحافظ أبو الحسن إلى الوزير الصَّاحب صفي الدين ابن شكر فخلع عليه، ونوَّه باسمه، وولَّاه الإمامة بالمدرسة الصَّاحبية، وهو أوَّل منصب يتقلده، ثم ولي التدريس بالجامع الظافري بالقاهرة، وفي أثناء ذلك كان مثال طالب العلم المُجد في تحصيله، السَّاعي إلى الاغتراف من مناهله ما وسعه ذلك، فلم ينقطع في كل حياته التي عاشها عن الطلب والتحصيل في شتى العلوم والفنون.

فقرأ القرآن الكريم بالقراءات السبع، وتفقَّه بالمدرسة الناصرية المجاورة للجامع العتيق بمصر، ودرس العروض والأدب واللغة،

وبالغ في الاعتناء بسماع الحديث فسمع من جماعة كبيرة، ورحل من أجل ذلك إلى العديد من المراكز العلمية بمختلف البلاد الإسلامية، فسمع بدمشق وحرَّان والإسكندرية والرملة وبيت المقدس والمدينة النبوية، وهو في كل ذلك يُقَيِّدُ ويستفيد ويُنَاظِرُ الشيوخ، وأجاز له الجمّ الغفير من العلماء، وقد صنَّف معجم شيوخه من الرجال والنساء فبلغ ثمانية عشر جزءاً حديثياً.

ولما استكمل المنذري فنون علمه، وبزغ نجمه، وذاع صيته، ولاَّه السلطان الكامل الأيوبي مشيخة دار الحديث الكاملية بعد وفاة شيخها أبي عمر عثمان بن حسن بن دحية الكلبي السبتي سنة ٦٣٤هـ، فانتقل المنذري وسكن هذه الدار بقية عمره، فكان لا يخرج منها إلاَّ لصلاة الجمعة، وانقطع بها، وانكبَّ على التصنيف والتخريج والإفادة والتحديث، فألَّف كتباً كثيرة معظمها في الحديث والتاريخ والتراجم.

ومن أشهر هذه الكتب: الترغيب والترهيب، ومختصر صحيح مسلم، ومختصر سنن أبي داود، والتكملة لوفيات النقلة، وكفاية المتعبد وتحفة المتزهد، وكل هذه الكتب مطبوعة متداولة.

ومن تلامذته البارزين الحافظ ابن نقطة (ت ٦٢٩هـ)، والبرزالي (ت ٦٣٦هـ)، وابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ)، والدمياطي (ت ٧٠٥هـ).

وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عاطراً، قال الذهبي: «الإمام العلامة الحافظ المحقق»، وقال أيضاً: «لم يكن في زمانه أحد أحفظ منه، وكان صالحاً زاهداً متنسكاً»، وقال السبكي: «الحافظ الكبير الورع

الزاهد»، وقال الشريف عز الدين الحسيني: «كان شيخنا زكي الدين عالماً بصحيح الحديث وسقيمه، ومعلوله وطرقه، متبحراً في معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله، قيماً بمعرفة غريبه وإعرابه واختلاف ألفاظه، إماماً حجَّة».

وتوفي رحمه الله في أول الساعة العاشرة من يوم السبت الرابع من ذي القعدة سنة ٦٥٦هـ، وصلي عليه يوم الأحد بعد الظهر في موضع تدريسه بدار الحديث الكاملية، ودفن بسفح المقطم، وشيَّعه خلق كثير، ورثاه غير واحد بقصائد حسنة.



التعريف بموضوع الجزء
ومجالس الإملاء

يعَدُّ هذا الجزء من كتب الأمالي، فقد أملاه مصنفه الحافظ المنذري في يوم عاشوراء سنة ٦٥٦هـ، كما هو واضح من ديباجة النسختين الخطيتين اللتين اعتمدتهما في تحقيقه.

والإملاء نوع من أنواع طرق تدريس الحديث النبوي في العصور المتقدمة، حيث كان الإملاء «من وظائف العلماء قديماً، خصوصاً الحفاظ من أهل الحديث في يوم من أيام الأسبوع يوم الثلاثاء أو يوم الجمعة، وهو المستحب، كما يستحب أن يكون في المسجد لشرفهما.

وطريقهم فيه أن يكتب المستملي في أول القائمة: هذا مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا، ويذكر التاريخ، ثم يورد المملي بأسانيده أحاديث وآثاراً، ثم يفسر غريبها ويورد من الفوائد المتعلقة بها بإسناد أو بدونه ما يختاره ويتيسر له، وقد كان هذا في الصدر الأول فاشياً كثيراً، ثم ماتت الحفاظ وقلَّ الإملاء»[1].

وقد عَقَدَ الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لأخلاق الراوي

---

(١) «الرسالة المستطرفة» للكتاني (ص ١٥٩).

وآداب السَّامع باباً بعنوان: «إملاء الحديث وعقد المجلس له»، قال في أوله: «يستحب عقد المجالس لإملاء الحديث؛ لأن ذلك أعلى مراتب الرَّاوِين، ومن أحسن مذاهب المحدثين، مع ما فيه من جمال الدين، والاقتداء بسنن السلف الصالحين»[1].

وقد شهدت مجالس الإملاء إقبالاً كبيراً في العهود الأولى، فقد كان يحضر مجلس يزيد بن هارون نحو سبعين ألفاً، وحدَّث عاصم بن علي أبو الحسين الواسطي في مسجد الرصافة، وكان مجلسه يحزر بأكثر من مائة ألف إنسان، وكان يجتمع في مجلس محمد بن إسماعيل البخاري ببغداد أكثر من عشرين ألفاً[2]، ولهذا فإن العناية بإخراج كتب الأمالي ونفض الغبار عنها لتأخذ مكانها في المكتبة الإسلامية عمل جليل يستحق كل الإشادة والتنويه.

وهذا الجزء الذي بين أيدينا أملاه الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري يوم عاشوراء سنة ٦٥٦هـ حسبما جاء في ديباجة المخطوط، ثم تناقله رواة الكتاب فحدثوا به في مجالس العلم وحلقات الإقراء.

وتفيدنا السماعات المثبتة في آخر نسخة مكتبة عارف حكمت أن أحد رواة الكتاب وهو نور الدين علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن قريش المخزومي قد حدَّث بهذا الجزء في تاسع المحرم سنة ٧٠٣هـ بالقاهرة، وكان من بين السامعين عليه الشيخ الصالح زين الدين عبد الرحمن بن

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، (٢/ ٥٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٥٩ ـ ٦٠).

أحمد بن مبارك الغزي، ثم حدَّث هذا الأخير جماعة من تلاميذه بعد سبعة وثمانين سنة من التاريخ المتقدم، وذلك في يوم عاشوراء من شهر الله المحرم سنة ٧٩٠هـ بسكنه بالقرب من الجامع الظاهري بالحسينية بالقاهرة.

ومن ضمن من قرأ هذا الجزء على الشيخ عبد الرحمن المذكور الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)[١]، وقد أثبت سماعه على النسخة بخطه.

وموضوع هذا الجزء الحث على صوم يوم عاشوراء كما هو واضح من خلال الأحاديث التي تضمنها، وقد سبق أن تحدَّثت في المقدمة عن فضيلة يوم عاشوراء وعظيم قدره، وما وقع فيه من الحوادث المهمة عبر التاريخ، كما أشرت إلى ما ألصق بهذا اليوم من البدع والمحدثات، إلى غير ذلك من الفوائد والتنبيهات، فأغنى عن إعادته هنا.

وكأنني بالحافظ المنذري يريد من خلال إملائه لهذا الجزء أن يبين ما ينبغي للمرء المسلم عمله يوم عاشوراء، وهو صوم هذا اليوم العظيم اقتداءً بالنبي الكريم، ولما ورد في ذلك من الفضل، وفي إعراضه عن تناول باقي الروايات الواردة في فضل عاشوراء وفضل التوسعة فيه على العيال والاختضاب والاكتحال إشارة إلى عدم اعتداده بما ورد في ذلك من الروايات، ولله درّه ففيما صحّ من الأحاديث غنية عن الضعيف والواهي.

---

(١) «المعجم المفهرس» (ص ٦٨).

هذا، ولم يكتف الحافظ المنذري في إملائه بسرد الروايات فحسب كما يصنعه الكثير من الحفاظ، بل أتبعها بتعليقات مفيدة خرَّج فيها بعض الأحاديث وعرَّف فيها ببعض الرواة والأماكن، وضبط كثيراً من الأسماء المشكلة، وهذا ما جعل إملاءه هذا أكثر فائدة وجدوى؛ لا سيّما وأن أسانيده في الغالب تلتقي مع الكتب المصنفة كما بيّنته في التخريج.

ومهما يكن من أمر فهذا الجزء يعطينا صورة جلية عن منهج المحدثين في إملاء الأجزاء الحديثية ذات الصلة بمواضيع محددة، فإن كثيراً من كتب الأمالي التي وصلتنا لا يجمعها موضوع معين، وأشهر من اعتنى بمعالجة مواضيع وقضايا محددة من خلال أماليه هو الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي، المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)[١]، ولعلَّ الحافظ المنذري قد تأثَّر به في ذلك، فسار على نفس النهج، والله أعلم.

ولم يكن الحافظ المنذري هو الوحيد الذي تناول موضوع عاشوراء في جزء مفرد، فهناك عدد كبير من المصنفات المفردة في

---

(١) ذكر العلائي في كتابه: «إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة» (ل ٧٢/ب مخطوط مصور عن دار الكتب المصرية بالقاهرة)، وهي مشيخته أن ابن عساكر أملى أربعمائة مجلس وعشرة مجالس وأنه وقف على قطعة منها، قلت: وقد طبع عدد من مجالس إملائه، منها مجلس في ذم من لا يعمل بعلمه، ومجلس في التوبة، ومجلس في ذم ذي الوجهين واللسانين، وغير ذلك.

فضل عاشوراء وما يتعلق به، أذكر بعضها في هذه العجالة:

١ ـ فضل عاشوراء، لأبـي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، المعروف بابن أبـي الدنيا (ت ٢٨١هـ)[١].

٢ ـ فضائل يوم عاشوراء، لأبـي حفص عمر بن شاهين (ت ٣٨٥هـ)[٢].

٣ ـ فضل عاشوراء، لأبـي ذر عبد بن أحمد الهروي (ت ٤٣٤هـ)[٣].

٤ ـ فضائل عاشوراء، لأبـي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)[٤].

٥ ـ فضل عاشوراء، لأبـي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)[٥].

٦ ـ مجلسان في فضل عاشوراء لأبـي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني (ت ٥٧٦هـ)[٦].

---

(١) انظر: «السير» (١٣/ ٤٠٣).

(٢) انظر: «تفسير القرطبـي» (٢٠/ ٩٤).

(٣) انظر: «الغنية»، للقاضي عياض (ص ١٢٠).

(٤) نقل عنه مغلطاي في: «الزهر الباسم في سير أبـي القاسم» (١/ ٥٠١)، (أطروحة مقدمة من الباحث خميس الغامدي لنيل الدكتوراه في التاريخ الإسلامي بجامعة أم القرى عام ١٤٢١هـ).

(٥) انظر: المصدر السابق (٢٠/ ٥٦٢).

(٦) انظر: المصدر السابق (٢١/ ٢١).

٧ ــ فضل عاشوراء، للموفق أبـي محمد عبد الله بن أحمد، المعروف بابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)[١].

٨ ــ فضائل عاشوراء، لأبـي الحسن علي بن محمد الكتامي، المعروف بابن القطان الفاسي (ت ٦٢٨هـ)[٢].

٩ ــ أحاديث عاشوراء، للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)[٣].

١٠ ــ رسالة في فضائل عاشوراء، لأبـي الحسن محمد بن محمد بن إبراهيم بن علاَّن البكري الصديقي (ت ١٠٥٧هـ)[٤].

١١ ــ عاشوراء وتحقيق وجود رأس الحسين، لعلي بن محمد الأُجْهُورِيّ (ت ١٠٦٦هـ)[٥].

---

(١) انظر: «فوات الوفيات»، لابن شاكر الكتبـي (٢/ ١٥٩).

(٢) توجد له نسخة خطية بخزانة ابن يوسف بمراكش برقم: ١٦٨/ ٥ في جزء صغير مبتور، وقد اطَّلعت على مصورة عنه يبدو من خلالها أنه قد حصل فيه تلف وتآكل كبير، وقد قام شيخنا الفقيه محمد بن الأمين بو خبزة الحسني بنسخه وإصلاح ما يمكن إصلاحه منه بخطه الجميل، وقد تفضل فمنحني صورة من عمله جزاه الله خيراً.

(٣) اطلعت على نسخة خطية له بالخزانة العامة بالرباط برقم: ٥٢١ ك ضمن مجموع (٢٧ ــ ٣٦)، وله نسخة أخرى بدار الكتب المصرية بالقاهرة، وعنها مصورة على الميكروفيلم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٤) انظر: «مشيخة أبـي المواهب الحنبلي» (ص ٨٤).

(٥) نشر بتحقيق محمد مصطفى أبـي العلا، عن دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

١٢ ــ الدُّر المنثور في فضل عاشور، لمحمد بن أحمد السّفاريني (ت ١١٨٨هـ)[١].

١٣ ــ الدّر المنظَّم في فضل عشر المحرَّم، للسَّفاريني أيضاً (ت ١١٨٨هـ)[٢].

ومن الكتب التي أفردها الباحثون المعاصرون في يوم عاشوراء:

* صيام عاشوراء وما يرتبط بهذا اليوم، لمحمد عودة الرحيلي، نشر دار الرسالة بمكة.

* عاشوراء في الإسلام بين الحقائق والأوهام، للدكتور أحمد غنيم، نشر بالقاهرة عام ١٤٠٥هـ.

وهذه التصانيف كلها تدلّ على أهمية هذا اليوم وعظيم مكانته وقدره.

عنوان الجزء وإثبات صحَّة نسبته للحافظ المنذري والتعريف برواته

العنوان الذي جاء في صدر نسخة جامعة لايدن: «مجلس في صوم يوم عاشوراء»، وقريب منه ما جاء في نسخة مكتبة عارف حكمت: «مجلس في صوم عاشوراء»، وعندما ذكره الحافظ ابن حجر في معجمه سمَّاه هكذا: «جزء فيه مجلس في فضل صوم عاشوراء

(١) انظر: «مقدمة محقق لوائح الأنوار السنية»، للسفاريني (١/ ٤٣).

(٢) انظر: «شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد» (٢/ ٧٢٩)، و «النعت الأكمل» (ص ٣٠٣).

للمنذري»[1]، وسمَّاه محمد بن حماد المارديني ناسخ مخطوطة عارف حكمت عند كتابته لطباق السماع: «فضل عاشوراء»[2]، وهذه العناوين كلها متقاربة تدل بوضوح على مضمون الجزء وفحواه، وأمثلها العنوان الذي ذكره الحافظ ابن حجر في معجمه، ولذلك أثبته على غلاف هذا الجزء.

وأما نسبته إلى الحافظ المنذري فصحيحةٌ ثابتةٌ، فقد رواه الحافظ ابن حجر بسنده إلى مصنفه في كتابه المعجم المفهرس فقال: «قرأته في يوم عاشوراء على أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك الغزي، بسماعه له في يوم عاشوراء على أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن قريش، بسماعه له في يوم عاشوراء على ممليه زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري»[3].

كما ورد منسوباً إليه في النسختين الخطيتين اللَّتين اعتمدتهما، وَوَرَدَ أيضاً نسبته إليه في السَّماعات التي تقع في آخر نسخة عارف حكمت.

أما رَاوِي هذا الجزء عن مصنفه، فهو الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إبراهيم المخزومي المصري، مولده سنة ٦٥١هـ، قال التقي الفاسي: «أحضره أبوه على الحافظ عبد العظيم المنذري مجلسين من أماليه»، قلت: وأحدهما هذا المجلس الذي أقدم له،

---

(١) «المعجم المفهرس» (ص ٦٨).

(٢) «مجلس في صوم عاشوراء» (ل ٢١/ ب)، (مخطوطة مكتبة عارف حكمت).

(٣) «المعجم المفهرس» (ص ٦٨).

وكان سماعه لهذا الجزء سنة ٦٥٦هـ وعمره خمس سنين، وكانت وفاته في سنة ٧٣٢هـ[١].

ويروي هذا الجزء عن المخزومي: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن مبارك بن حماد الغزي، المعروف بابن الشيخة المصري، سمع على علي بن إسماعيل بن قريش المخزومي بعض كتاب المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم الأصبهاني وغيره، قال التقي الفاسي: كان معتنياً بالفقه وغيره، صالحاً، خيِّراً، زاهداً، صبوراً على السماع، وإذا اعتراه نعاس أمر القارىء بإعادة ما سهى عنه»، مات سنة ٧٩٩هـ بمنزله بالحسينية ظاهر القاهرة، ودفن بباب النصر[٢].

ثم يرويه عن أبي الفرج هذا محمد بن حمّاد المارديني التركماني ناسخ مخطوطة خزانة عارف حكمت، وفي نسخة لايدن يرويه عنه أبو محمد بن محمد السيوطي، وفي السماعات المثبتة في آخر نسخة عارف حكمت تسمية تسعة من الرواة عنه، كما يرويه عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني، وقد تقدَّم الإشارة إلى ذلك.

وصف النسختين الخطيتين، وبيان منهج التحقيق:

وقفت لهذا الجزء على نسختين خطيتين، وهما:

---

(١) انظر ترجمته في: «ذيل التقييد» (٣/ ١٣٥)، و «الدرر الكامنة» (٣/ ٩١)، و «شذرات الذهب» (٦/ ١٠٢).

(٢) انظر ترجمته في: «ذيل التقييد» (٢/ ٤٧٧)، و «الدرر الكامنة» (٢/ ٣٢٤)، و «شذرات الذهب» (٦/ ٣٥٩).

١ ـ النسخة المحفوظة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة، برقم ٧/١٥٦ ضمن مجموع.

٢ ـ والنسخة المحفوظة في مكتبة جامعة لايدن بهولندا برقم: ٢٤٧٦.

وهناك نسخة ثالثة في مجموعة جاريت يهودا بمكتبة جامعة برنستون بأمريكا برقم: ٦٩[١]، ومن أسف أنَّني لم أتمكن من الحصول عليها، وفيما يلي وصف للنسختين المعتمدتين:

الأولى: وهي نسخة مكتبة عارف حكمت إحدى المكتبات الوقفية التي تحتوي عليها مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة النبوية، ورقمها: ٧/١٥٦ ضمن مجموع، وتقع في ثلاث ورقات، تشغل في المجموع من الورقة ١٩ إلى الورقة ٢١، وكل ورقة تتكون من وجهين، كل وجه يحتوي على ما يقارب ستة وعشرين سطراً في الغالب، ويتراوح عدد الكلمات في كل سطر من سبع كلمات إلى عشر، وقد كتبت النسخة بقلم نسخ مهمل من النقط والشكل.

والناسخ هو أبو الخير محمد بن حماد بن عبد الرحيم الماردينى التركماني الحنفي[٢]، ولم يصرِّح بتاريخ النسخ في

(١) «الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط» (٣/ ١٣٦٩)، (قسم الحديث).

(٢) وقد صرَّح بكونه الناسخ للجزء في صدر نسخة عارف حكمت عند ذكر رواة الكتاب، حيث قال: «سماعاً لكاتب هذه الأحرف أبي الخير محمد بن حماد بن عبد الرحيم الماردينى الحنفي، وصرَّح مرة أخرى في السماع المثبت في آخر النسخة حينما ذكر والده ضمن السامعين للجزء، فقال: «الشيخ الإمام حميد الدين حماد بن العالم جمال الدين عبد الرحيم ابن العلامة قاضي =

آخـر النسخة، لكنـه أثبت تاريـخ سماعه للجـزء على شيخـه زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن مبارك الغزي بقوله: «وصحّ ذلك وثبت فـي يوم عاشـوراء من شهـر الله المحـرم سنة ٧٩٠هـ بسكن المسمع بحكـر أبو صيرم بالقرب من الجامع الظاهري بالحسينية، وأجاز لنا ما يجوز له روايته»[1].

وهذه النسخة صحيحة مقابلة، جاء في آخرها: «بلغ مقابلة بأصله»، وقد جعلت هذه النسخة أصلاً لِقدمها ونفاستها.

ولا يفوتني هنا أن أشكر مدير عام مكتبة الملك عبد العزيز فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن سليمان المزيني لتذليله سبيل الاطلاع على هذه النسخة والحصول على صورة منها، ولجهوده الواضحة في سبيل الرقي بالمكتبة وخدمة الباحثين وطلاب العلم.

والثـانيـة: وهـي نسخـة مكتبـة جـامعـة لايـدن بهـولنـدا، ورقمهـا: ٢٤٧٦، وتقـع فـي خمـس ورقـات، كـل ورقـة تتكـون مـن وجهيـن، كـل وجـه يحتـوي علـى خمسـة عشـر سطـراً، كـل سطـر فيـه مـا يقـارب سبـع كلمـات، وقـد كتبـت هـذه النسخـة بقلـم نسـخ جيـد وواضـح، وناسخها هو أحمد بن خليل بن أحمد الدمشقي، المعروف

= القضاة علاء الدين علي ابن العلاّمة فخر الدين عثمان المارديني الحنفي وولده أبو الخير محمد وهذا خطه...»، وهو ناسخ جزء فضل عشر ذي الحجة للطبراني ضمن المجموع نفسه، ولم أجد له ترجمة، لكن وجدت ترجمة لوالده عند السخاوي في: «الضوء اللامع» (٣/ ١٦٢).

(١) «مجلس في صوم عاشوراء» (ل ٢١/ ب)، (نسخة مكتبة عارف حكمت).

بابن اللَّبودي (ت ٨٩٦هـ)[1]، وذلك في يوم السبت الثالث من صفر ٨٦٦هـ بمنزله بصالحية دمشق المحروسة جوار مدرسة الشيخ أبـي عمر رحمه الله.

وعلى هذه النسخة ما يدل على المقابلة، وقد رمزت لها بحرف: ب.

وأما المنهج الذي سرت عليه في تحقيق هذا الجزء والتعليق عليه فهو كالآتي:

١ ــ نسخت الجزء من النسخة التي اتخذتها أصلاً وهي نسخة عارف حكمت حسب قواعد الإملاء الحديثة مراعياً تنظيم النص، وتقسيم فقراته، وضبط عباراته.

٢ ــ قابلت المنسوخ على نسخة مكتبة جامعة لايدن، وهي التي رمزت لها بحرف: (ب)، وأثبت الفروق الجوهرية في الهامش.

٣ ــ عزوت الأحاديث إلى من أخرجها من أصحاب دواوين السنَّة المعتبرة، وبيَّنت الحكم على الروايات التي أوردها المصنف وليست في الصحيحين حسب القواعد التي وضعها أئمة الفن.

٤ ــ عرَّفت بالرواة والأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب،

---

(١) مولده سنة ٨٣٤هـ بسفح جبل قاسيون بدمشق، قال السخاوي: «ما رأيت بدمشق طالباً لهذا الشأن غيره، وقد كتبت من نظمه ونثره، ونعم هو ذكاء وفضلاً وتواضعاً وتودداً ولطافة»، من تصانيفه: النجوم الزواهر في معرفة الأواخر، مطبوع، وكانت وفاته سنة ٨٩٦هـ بدمشق. انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» للسخاوي (١/ ٢٩٣)، و«الأعلام» للزركلي (١/ ١٢١).

واستثنيت ـ من باب التخفيف وعدم إثقال الحواشي ـ الرواة الثقات ممن أخرج لهم أصحاب الكتب الستة والصحابة لتوفر تراجمهم في كتاب تهذيب الكمال وفروعه، ولعدم تأثيرهم في الحكم على الروايات.

٥ ـ علَّقت على بعض المسائل، وحرَّرت بعض القضايا، وضبطت ما يحتاج إلى ضبط من الأسماء واللغات.

٦ ـ أحلت في بعض ما يورده المصنف على المصادر المتخصصة في ذلك.

إلى غير ذلك من مستلزمات التحقيق العلمي الجادّ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

١٨ ١٩

مجلس في صوم عاشوراء

املا الحافظ زكي الدين ابي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري

رواية الشيخ نور الدين علي بن اسماعيل بن ابراهيم المخزومي عنه

رواية شهاب الدين عبد الرحمن بن احمد بن مبارك الغزي عنه

سماعا منه لكاتب هذه الاحرف ابي الحرم محمد بن حامد بن عبد الرحيم [illegible]

صورة لعنوان المخطوط كما في بداية النسخة الخطية المحفوظة بخزانة عارف حكمت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ العلامة زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي
ابن عبد الله المنذري قراءة عليه ونحن نسمع في العاشر من المحرم سنة ست وخمسين
وستمائة قال أخبرنا الشيخان الشيخ المسند أبو حفص عمر بن محمد بن معمر البغدادي
بقراءتي عليه بدمشق والشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي الفرج بن أبي القاسم البغدادي قراءة [illegible]
[illegible] ببغداد واللفظ له قالا أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري
قراءة عليه ونحن نسمع أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا
أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن كيسان قراءة عليه فأقر به أخبرنا يوسف بن يعقوب
القاضي ثنا أبو الربيع ثنا حماد بن زيد عن غيلان بن جرير عن عبد الله بن معبد
الزماني عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صيام
يوم عاشوراء إني أحتسب على الله عز وجل أن يكفر السنة التي قبله

هذا حديث صحيح انفرد به مسلم بن الحجاج ورواه
في صحيحه مطولا عن أبي زكريا يحيى بن يحيى بن بكر بن
عبد الرحمن النيسابوري التميمي ويقال مولى لهم منقري
توفي سنة ست ويقال سنة خمس وعشرين ومائتين. حماد بن زيد
احتج به الإمامان في صحيحيهما وأبو الربيع سليمان بن [illegible]
[illegible] بن عبد الله [illegible] أهل [illegible] العلا [illegible]
به الإمامان توفي سنة أربع وثمانين ومائة [illegible]
[illegible] وتسعين [illegible] عن أبي إسماعيل حماد بن زيد بن درهم
الأزدي مولاهم البصري الأزرق احتج به الإمامان توفي
[illegible] رمضان سنة تسع وتسعين ومائة عن غيلان بن جرير
المعولي البصري احتج به الإمامان في [illegible] بعضهم بفتح الميم
وسكون العين وفتح الواو ومنهم من قيده بكسر [illegible]
وسكون العين وفتح الواو ومنهم من قيده بضم الميم وفتح
العين وكسر الواو وتشديدها وهم بطن من الأزد

عن عبد الله

صورة للصحيفة الأولى من المخطوط (نسخة خزانة عارف حكمت)

٢١

لله در عصابة يسعون في طلب الفوائد
يدعون أصحاب الحديث بهم جملت المشاهد
طوراً تراهم بالصعيد وتارة في بغداد
يسعون من العلوم بكل أرض كل شارد
فهم النجوم المهتدى بهم إلى سبل المقاصد

الصعيد الناحية المشهورة بمصر وقد حدث من أهلها جماعة غير قليل والصعيد أيضاً موضع قرب وادي القرى به مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة أو اجتيازه إلى تبوك والله أعلم أيهما أراد ابن السراج في شعره والأشبه أنه أراد الناحية بمصر فإنه دخل مصر وأقام بها وسمع بها من عمرو أحمد والله عز وجل أعلم [illegible]

آخره [illegible] شيوخ الأملاء الحافظ زكي الدين المنذري رحمه الله ورضوانه

سمعه على مخرجه بقراءة أبي عبد الله محمد [illegible] الرازي جماعة منهم إسماعيل بن إبراهيم بن قريش المخزومي ومن خطه نقلت [illegible] وصح يوم [illegible] سنة [illegible] وخمسين وستمائة وأجاز

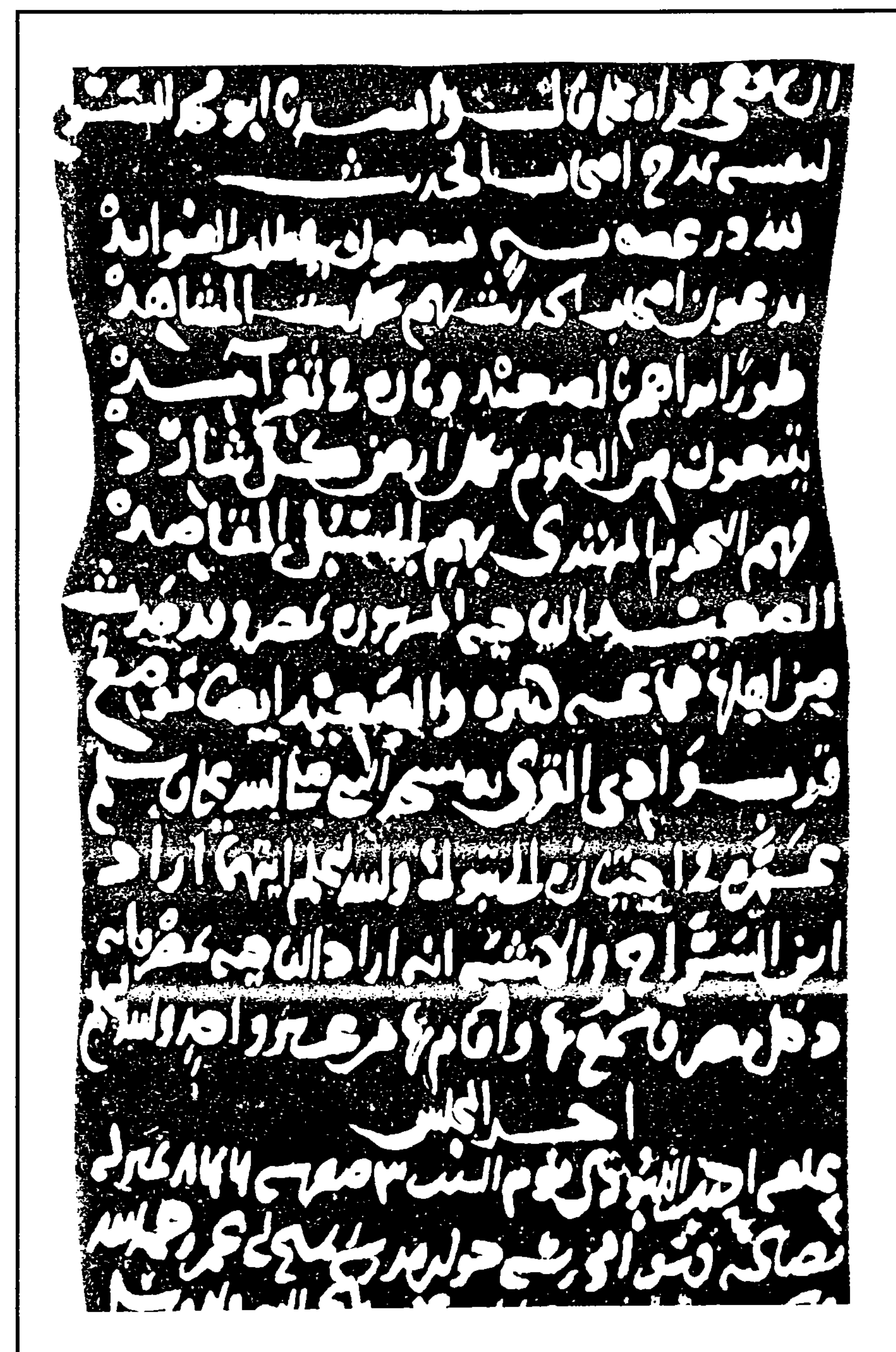
[illegible]

صورة للصحيفة الأخيرة من المخطوط (نسخة عارف حكمت)



بسم الله الرحمن الرحيم

صورة للصحيفة الأولى من المخطوط (نسخة جامعة لايدن)



صورة للصحيفة الأخيرة من المخطوط (نسخة جامعة لايدن)

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٣٦)

مَجْلِسٌ فِي فَضْلِ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ

إِمْلَاءُ

الحَافِظِ زَكِيِّ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ العَظِيمِ بْنِ عَبْدِ القَوِيِّ المُنْذِرِيِّ
(ت ٦٥٦ هـ)

روايـة

الشيخ نور الدين علي بن إسماعيل بن إبراهيم المخزوميّ عنه

روايـة

شيخنا زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن منازل الغَزِيّ عنه

سماعاً منه لكاتب هذه الأحرف:

أبـي الخير محمد بن حمّاد بن عبد الرَّحيم المَارْدِينِيّ الحَنَفِيّ(١)

---

(١) كـذا ورد ذكـر رواة الكتاب في نسخـة عارف حكمت، وفي نسخـة لايـدن المـرمـوز لهـا بحـرف: (ب) جـاء كـالآتـي: «روايـة أبــي الحسـن علـي بـن إسماعيل بن قريش عنه، رواية أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن الشيخة عنه، رواية أبـي محمد بن محمد السيوطي عنه».



بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ العلاَّمة زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري قراءة عليه ونحن نسمع في العاشر من المحرم سنة ست وخمسين وستمائة[1]، قال:

١ ـ أخبرنا الشيخان الشيخ المسند أبو حفص عمر بن محمد بن معمر [بن طَبَرْزَد][2] البغدادي بقراءتي عليه بدمشق، والشيخ أبو محمد

(١) في (ب): [أخبرنا الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك بن حماد بن تركي الغزي بن الشيخة في يوم عاشوراء سنة...، أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن قريش المخزومي قراءة عليه وأنا أسمع في يوم عاشوراء... من المحرم سنة ٧٣١هـ بحر ابن السلاح من القاهرة، أخبرنا الشيخ الإمام العالم الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري قراءة عليه وأنا أسمع في يوم عاشوراء سنة ٦٥٦هـ].

(٢) زيادة من (ب)، وابن طبرزد شيخ مسند مكثر، مولده سنة ٥١٦هـ، ووفاته سنة ٦٠٧هـ. انظر ترجمته في: «السير» (٢١/ ٥٠٧)، و «ذيل الروضتين» (ص ٧٠)، و «الشذرات» (٥/ ٢٦).

عبد الله بن أبي بكر بن أبي القاسم البغدادي[1] في كتابه إلي من بغداد، واللَّفْظُ له، قالا: أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري[2] قراءة عليه ونحن نسمع، أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري[3] قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن كَيْسَان[4] قراءة عليه فأقر به، أخبرنا يوسف ـ يعني ابن يعقوب ـ القاضي[5]، حدثنا

---

(١) عبد الله بن أبي بكر المبارك بن أبي القاسم هبة الله، أبو محمد ابن الطويلة الدَّارقَزِيّ البغدادي، يعرف بابن الأخرس، محدث مسند، قال المنذري: حدَّث ولنا منه إجازة، توفي سنة ٥٩٧هـ. انظر ترجمته في: «التكملة لوفيات النقلة» للمصنف (١/ ٣٩٣)، و «تاريخ الإسلام» للذهبي (حوادث ووفيات ٥٩١ ـ ٦٠٠) (ص ٢٨٥)، و «شذرات الذهب» (٤/ ٢٢٩).

(٢) قاضي المَرَسْتَان، إمام عالم متفنن، محدث مسند، تكلم فيه ابن عساكر بغير حجة، له المشيخة الكبرى، مولده سنة ٤٤٢هـ، وتوفي سنة ٥٣٥هـ. انظر ترجمته في: «السير» (٢٠/ ٢٣)، و «اللسان» (٥/ ٢٤١)، و «الشذرات» (٤/ ١٠٨).

(٣) محدث متبحر في الرواية، أملى مجالس عديدة، مولده سنة ٤٤٢هـ، وتوفي سنة ٥٣٥هـ. انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٧/ ٣٩٣)، و «السير» (١٨/ ٦٨)، و «الشذرات» (٣/ ٢٩٢).

(٤) الحربي، قال البرقاني: كان لا يحسن يحدث إلاَّ أن سماعه كان صحيحاً، لا يعرف تاريخ وفاته بالتحديد، لكن ذكر الجوهري أنه سمع عليه سنة ٣٧٣هـ. انظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٨٦)، و «السير» (١٦/ ٣٣٠).

(٥) أبو محمد الأزدي البصري، قال الخطيب: كان ثقة صالحاً، توفي سنة ٢٩٧هـ. انظر: «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣١٠)، و «السير» (١٤/ ٨٥).

أبو الربيع[1]، حدثنا حماد بن زيد، عن غيلان بن جرير، عن عبد الله بن معبد الزِّمَّانِيّ، عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**صيام يوم عاشوراء، إني أحتسب على الله عز وجل أن يكفِّر السَّنَةَ التي قبله**».

هذا حديث صحيح انفرد به مسلم بن الحجاج[2]، فرواه في صحيحه مطولاً:

*** عن أبي زكريا يحيى بن يحيى بن [بكر][3] بن عبد الرحمن النّيسابوري التميمي، ويقال: مولى لبني مِنْقَرٍ[4]:**

توفي سنة ست، ويقال: سنة خمس وعشرين ومائتين.

احتج به الإمامان في صحيحيهما[5].

*** وأبي رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله الثقفي مولاهم البلخي البغلاني[6]:**

---

(١) سليمان بن داود العتكي الزهراني، نزيل بغداد، ثقة لم يتكلم فيه أحد بحجة، من رجال التهذيب.

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٨١٨ ــ ٨١٩) كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، ح ١١٦٢.

(٣) في (ب): أبي بكر، وهو خطأ.

(٤) انظر ترجمته في: «الثقات» (٩/ ٢٦١)، و «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٣١)، و «تهذيب التهذيب» (١١/ ٢٩٦)، و «التقريب» (ص ٥٩٨).

(٥) قال ابن حجر: ثقة ثبت إمام، مات سنة ست وعشرين على الصحيح. «التقريب» (ص ٥٩٨).

(٦) انظر ترجمته في: «الثقات» (٩/ ٢٠)، و «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤٦٤)، =

[احتج به الإمامان.

توفي سنة أربعين ومائتين في شعبان.

واسمه يحيى، وقتيبة لقب][1].

* عن أبي إسماعيل حمّاد بن زيد بن درهم الأزدي مولاهم البصري الأزرق[2]:

احتج به الإمامان[3].

توفي في شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة[4].

= و «تهذيب الكمال» (٢٣/ ٥٢٣)، و «تهذيب التهذيب» (٨/ ٣٦١)، و «التقريب» (ص ٤٥٤).

(١) في (ب): ويقال اسمه يحيى، وقتيبة لقب، قال ابن عدي: اسمه يحيى وقتيبة لقب، وقال ابن منده: اسمه علي، انظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤٦٤)، وقال ابن حجر: يقال اسمه يحيى، وقيل علي، ثقة ثبت، مات سنة أربعين ــ ومائتين ــ عن تسعين سنة. «التقريب» (ص ٤٥٤).

(٢) انظر ترجمته في: «الطبقات» لابن سعد (٧/ ٢٨٦)، و «تقدمة الجرح والتعديل» (١/ ١٣٦)، و «تهذيب الكمال» (٧/ ٢٣٩)، و «تهذيب التهذيب» (٣/ ٩)، و «التقريب» (ص ١٨٧).

(٣) قال ابن حجر: ثقة ثبت فقيه، قيل: إنه كان ضريراً، ولعله طرأ عليه؛ لأنه صحّ أنه كان يكتب. «التقريب» (ص ١٧٨).

(٤) ذكر ابن حجر أنه مات سنة تسع وسبعين ومائة، وله إحدى وثمانون سنة، انظر: «التقريب» (ص ١٧٨)، وانظر الكلام في تحديد تاريخ وفاته مفصلاً عند المزي في: «تهذيب الكمال» (٧/ ٢٥٢).

* عن غيلان بن جرير المعولي البصري[1]:

احتج به الإمامان[2].

وقيَّده بعضهم بفتح الميم، وسكون العين، وفتح الواو.

ومنهم من قيَّده بكسر الميم، وسكون العين، وفتح الواو.

ومنهم من قيَّده بضم الميم، وفتح العين، وكسر الواو وتشديدها[3].

وهم بطن من الأزد[4] / .

* عن عبد الله بن معبد الزِّمَّاني[5]:

وهو [ممن][6] انفرد مسلم بن الحجاج بإخراج حديثه[7].

---

(1) انظر ترجمته في: «طبقات ابن سعد» (٧/ ٢٤٠)، و «الثقات» (٥/ ٢٩١)، و «تهذيب الكمال» (٢٣/ ١٣٠)، و «التهذيب» (٨/ ٢٥٣)، و «التقريب» (ص٤٤٣).

(2) قال ابن حجر: ثقة، مات سنة تسع وعشرين ومائة. «التقريب» (ص ٤٤٣).

(3) ضبطه الحافظ السمعاني بفتح الميم، وضبطه ابن نقطة بكسرها، وصوَّب ابن الأثير ضبطه بالكسر، وردّ النووي تصويب ابن الأثير، ثم قال: صرَّح من لا يحصى من كبار أئمة هذا الشأن بفتح ميمه. انظر: «الأنساب» (١٢/ ٣٥٨)، و «اللباب» (٣/ ٢٣٨)، و «تكملة الإكمال» (٥/ ٥٨٨)، و «توضيح المشتبه» (٨/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢)، و «تبصير المنتبه» (٤/ ١٣٧٨).

(4) قال ابن الأثير: «المعولي نسبة إلى معولة بن شمس بن عمرو بن غَنْم، بطن من بني زهران بن الأسد». «اللباب في تهذيب الأنساب» (٣/ ٢٣٨).

(5) انظر ترجمته في: «الثقات» (٥/ ٤٣)، و «تهذيب الكمال» (١٦/ ١٦٨)، و «تهذيب التهذيب» (٦/ ٤٠)، و «التقريب» (ص ٣٢٤).

(6) في (ب): ما.

(7) أخرج له مسلم والأربعة أصحاب السنن، وهو بصري ثقة. انظر: «التقريب» (ص ٣٢٤).

وزِمَّان بكسر الزاي والميم مشددة، بطن من ربيعة[1].

* عن أبـي قتادة:

الحارث بن رِبْعِيّ بن بَلْدَمَة الأنصاري السَّلَمِيّ المدني[2]، أحد الصحابة المُخَرَّجِ حديثهم في الصَّحيحين.

توفي سنة أربع وخمسين بالمدينة، وقيل [مات][3] بالكوفة سنة ثمان وثلاثين، وصلَّى عليه علي بن أبـي طالب رضي الله عنه، وكبَّر عليه سبعاً رضي الله عنهم.

والأول أظهر [وأرجح][4].

---

(١) زِمَّان هو ابن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة، ينتسب إلى ربيعة بن نزار. انظر: كتاب «النسب» لأبـي عبيد القاسم بن سلام (ص ٣٥٠)، و «جمهرة النسب» للكلبـي (ص ٥٢٥)، وقال ابـن ناصر الدين الدمشقي: وفـي ربيعـة زمّان بـن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل «توضيح المشتبه» (٤/ ٢٢٤)، وذكر ابن حزم زمان بن تيم الله بن حقال بن أنمار، ونسبه إلى الأزد «جمهرة أنساب العرب» (ص ٣٧٤).

(٢) في «تهذيب الكمال» و «التقريب»: المدني، وذكره ابن حجر فقال: الحارث، ويقال: عمرو أو النعمان بـن ربعي بكسر الراء وسكون الموحدة بعدها مهملة، ابن بُلْدُمة، بضم الموحدة والمهملة بينهما لام ساكنة، السَّلميّ، بفتحتين، المدني، شهد أحداً وما بعدها ولم يصح شهوده بدراً، ومات سنة أربع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وثلاثين، والأول أصحّ وأشهر، أخرج له الجماعة «التقريب» (ص ٦٦٦). وانظر ترجمته في: «الطبقات» لابن سعد (٦/ ١٥)، و «السير» (٢/ ٤٤٩).

(٣) ساقط من (ب).

(٤) زيادة من (ب)، وهذا القول مروي عن يحيـى بن عبد الله بن أبـي قتادة، وهو =

وصحَّح بعضهم الثاني[1].

وبَلْدَمَة بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الدال المهملة، ويقال: بُلْدُمَة بالضم، والأول أشهر، ويقال: بُلذُمة، بالذال المعجمة المضمومة[2].

وقع لنا بدلاً عالياً بحمد الله تعالى ومنه، فكأنني سمعته من أبـي عبد الله الفُرَاوِي[3].

وكانت وفاته بنيسابور في شوال سنة ثلاثين وخمسمائة رضوان الله عليهم أجمعين.

٢ ـ أخبرنا الحافظ أبو الحسن علي بن المفضَّل بن علي المقدسي[4] بقراءتي عليه، أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن

= الذي ذهب إليه جماعة من العلماء منهم الواقدي وابن بكير والفلاس. انظر: «الطبقات» لابن سعد (٦/ ١٥)، و «تهذيب الكمال» (٣٤/ ١٩٦).

(١) منهم خليفة بن خياط. انظر: «تهذيب الكمال» (٣٤/ ١٩٦).

(٢) انظر: «توضيح المشتبه» (٣/ ٥٤).

(٣) محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدي الفراوي، مسند خراسان، وفقيه الحرم، توفي سنة ٥٣٠هـ. انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٩٠)، و «السير» (١٩/ ٦١٥).

(٤) الإسكندراني المالكي، شرف الدين، الإمام المفتي الحافظ الكبير، ذكره المنذري وبالغ في تبجيله وتوقيره ثم قال: وكان متورعاً حسن الأخلاق جامعاً لفنون انتفعت به كثيراً، مولده سنة ٥٤٤هـ، وتوفي سنة ٦١١هـ. انظر ترجمته في: «التكملة لوفيات النقلة» للمصنف (٢/ ترجمة ١٣٥٤)، و «وفيات =

إبراهيم الأصبهاني[1]، أخبرنا أبو طاهر محمد بن الحسن بن محمد الحِنَّائِيّ بدمشق[2]، أخبرنا أبو علي أحمد بن عبد الرحمن بن أبي نصر التميمي[3]، أخبرنا [القاضي][4] أبو بكر يوسف بن القاسم المَيَانَجِيُّ[5]، حدثنا أبو محمد شعيب بن أحمد بن أبي عمرو خَتَنُ البَرَاثِي[6]، حدثنا سليمان بن تَوْبَة[7]، عن

= الأعيان» (٣/ ٢٩٠ ــ ٢٩٢)، و «السير» للذهبي (٢٢/ ٦٦).

(١) السِّلَفي الجُرْوَءاني، مسند الدنيا وحافظها في زمانه، الشيخ الإمام العلامة المعمّر، توفي بالإسكندرية سنة ٥٧٦هـ، وقد بلغ المائة أو جاوزها بقليل. انظر ترجمته في: «السير» (٢١/ ٥ ــ ٣٩، و «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٢٩٨)، و «الطبقات الكبرى» للسبكي (٦/ ٣٢).

(٢) الدمشقي، الشيخ الجليل الثقة، تفرد بأجزاء كثيرة، توفي سنة ٥١٠هـ وله سبع وسبعون سنة. انظر ترجمته في: «السير» (١٩/ ٤٣٦)، و «شذرات الذهب» (٤/ ٢٩).

(٣) الدمشقي، المحدث الثقة العدل المأمون، صاحب أصول، توفي سنة ٤٧٣هـ. انظر ترجمته في: «السير» (١٧/ ٦٤٩).

(٤) زيادة من (ب)، وهي مثبتة في تاريخ بغداد.

(٥) الشافعي، نائب الحكم بدمشق عن قاضي الدولة العبيدية، مسند الشام في زمانه، وكان ثقة نبيلاً، توفي سنة ٣٧٥هـ، وقد قارب التسعين. انظر ترجمته في: «السير» (٣/ ٤٨٨)، و «شذرات الذهب» (٣/ ٨٦).

(٦) هو صهر أبي عبد الله البراثي، ترجم له الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٢٤٦) وأورد من طريقه هذا الحديث، وذكره ابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه» (١/ ٤٠٨).

(٧) النهرواني، ويقال: سلمان، قال ابن حجر: صدوق، مات سنة ٢٦٢هـ. أخرج =

أبـي النضر[1]، حدثنا الأشجعي[2]، عن عمرو بن قيس المُلاَئِيّ، عن الحُرِّ بن الصَّيَّاح، عن هُنَيْدَةَ بن خالد الخُزَاعِيّ، عن حفصة رضي الله عنها قالت: «**أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنِ النَّبِـيُّ ﷺ يَدَعُهُنَّ: صِيَامُ عَاشُورَاء، وَالْعَشْر، وَثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَانِ قَبْلَ الْغَدَاةِ**»[3].

أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده[4]، وأبو بكر ابن أبـي شيبة في مسنده أيضاً[5]، كلاهما عن أبـي النضر هاشم بن القاسم.

وأخرجه النسائي في سننه عن أبي بكر ابن أبي النضر عن أبيه[6].

= له ابن ماجه. انظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (١١/ ٣٧٦)، و «التهذيب» (٤/ ١٧٦)، و «التقريب» (ص ٢٥٠).

(١) هاشم بن القاسم بن مسلم الليثي مولاهم البغدادي، مشهور بكنيته، ولقبه قيصر، ثقة من رجال التهذيب.

(٢) هو أبو إسحاق الأشجعي الكوفي، شيخ لأبـي النضر، وليس هو عبيد الله، قال الذهبـي: ما علمت أحداً روى عنه غير أبـي النضر هاشم، وقال ابن حجر: مقبـول. انظـر تـرجمتـه فـي: «تهـذيـب الكمـال» (٣٣/ ٢٧)، و «الميـزان» (٤/ ت ٩٩٤٤)، و «التهذيب» (١٢/ ٨)، و «التقريب» (ص ٦١٨).

(٣) إسناد المصنف حسن، وللحديث شواهد كثيرة، وقد أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٩/ ٢٤٦) عن أبـي الحسين محمد بن عبد الرحمن التميمي بهذا الإسناد.

(٤) (٦/ ٢٨٧) من طريق أبـي النضر هاشم بن القاسم عن الأشجعي، به.

(٥) لم أجده في القسم الموجود من كتابه، لكن رواه من طريقه أبو يعلى في مسنده (١٢/ ٤٦٩) ح ٧٠٤١.

(٦) رواه النسائي في سننه الصغرى (٤/ ٥٣٨) كتاب الصيام، باب كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك، ح ٢٤١٥.

وقد اختلف على هنيدة بن خالد في إسناده:

فَرُوِيَ عنه عن حفصة كما أوردناه.

وَرُوِيَ عنه عن امرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ، ولم يسمهما[١].

وَرُوِيَ عنه عن أمه عن أم سلمة[٢].

والبَرَاثِيّ:

منسوب إلى بَرَاثَا موضعٌ ببغداد متصل بالكَرْخ[٣]، وهو بفتح الباء الموحدة وبعدها راء مهملة مفتوحة وبين الألفين ثاء مثلثة[٤].

والأشجعي هذا:

كوفي، /كنيته أبو إسحاق، وليس هو الأشجعي صاحب سفيان الثوري[٥]، فإن ذاك كنيته أبو عبد الرحمن، واسمه عبيد الله بن

---

(١) أخرجه بهذا الإسناد: أحمد في مسنده (٦/ ٢٨٨، ٤٢٣)، وأبو داود في سننه (٢/ ٨١٥) كتاب الصوم، باب في صوم العشر، ح ٢٤٣٧، والنسائي في سننه (٤/ ٥٣٨) ح ٢٤١٦، وفي «مسند أبي يعلى» (١٢/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) ح ٦٨٩٨ عن هنيدة الخزاعي عن امرأته عن أم سلمة.

(٢) أخرجه بهذا الإسناد: النسائي في سننه (٤/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩) ح ٢٤١٨، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٣١٥) ح ٦٨٨٩.

(٣) انظر: «معجم البلدان» (١/ ٤٣٢)، و «مراصد الاطلاع» (١/ ١٧٤).

(٤) انظر: «تكملة الإكمال» (١/ ٤٨٩)، و «تبصير المنتبه» (١/ ١٣١)، و «توضيح المشتبه» (١/ ٤٠٦).

(٥) تقدم ترجمته، وورد عند أبي يعلى في مسنده (١٢/ ٤٧٦) ح ٧٠٤٨ عند روايته للحديث المتقدم من طريق أبي بكر ابن أبي النضر عن أبيه، قال: =

عبيد الرحمن بالتصغير فيهما، وقيل عبد الرحمن مكبراً، وذكر بعضهم أن الأشجعي المذكور في هذا الحديث هو عبيد الله صاحب سفيان الثوري[1]، والصحيح الأول، وقد وقع لنا منسوباً في هذا الحديث عن أبي النضر قال: حدثنا أبو إسحاق الأشجعي في كتاب النسائي وغيره[2].

ـ والحُرّ:

بضم الحاء وتشديد الراء المهملتين[3].

ـ والصَّيَّاح:

بفتح الصاد المهملة وتشديد الياء آخر الحروف، وبعد الألف حاء مهملة[4].

ـ وهُنَيْدَة:

بضم الهاء وفتح النون وسكون الياء آخر الحروف، وبعدها دال مهملة مفتوحة، وتاء تأنيث، وهو تشبيه بهبيرة بضم الهاء، وفتح الباء الموحدة، وسكون الياء آخر الحروف، وبعدها راء مهملة، وتاء تأنيث[5].

= «حدثنا أبو إسحاق الأشجعي، وليس بعبيد الله».

(١) عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي، أبو عبد الرحمن الكوفي، ثقة مأمون أثبت الناس كتاباً في الثوري، من رجال التهذيب.

(٢) «سنن النسائي» (٤/ ٥٣٨) ح ٢٤١٥، وفيه: «أبو إسحاق الأشجعي كوفي».

(٣) انظر: «توضيح المشتبه» (٢/ ٣١٤)، و «التقريب» (ص ١٥٥).

(٤) انظر: «توضيح المشتبه» (٥/ ٣٩٩)، و «تبصير المنتبه» (٣/ ٨٢٩).

(٥) في «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (ق ١/ ٢/ ١٤١): «هو بالهاء في آخره، =

وهذه الترجمة لم يذكرها عبد الغني بن سعيد، ولا الأمير أبو نصر ابن ماكولا.

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث الأسود بن يزيد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**مَا رَأَيْتُ رسول الله ﷺ صَائِماً في العَشْرِ قَطُّ**»[1].

وفي رواية: «**أن النَّبيَّ ﷺ لَمْ يَصُمِ العَشْرَ**»[2].

وقد أشار بعض أهل الحديث إلى الجمع بين حديث عائشة وحديث حفصة رضي الله عنهما الذي قبله، فقال: «يحتمل أن تكون عائشة لم تعلم بصومه؛ لأن النبي ﷺ كان له تسع نسوة، يَقْسِمُ لهن، ولا يكون عندها في سائر العشر، وقد كان ﷺ يصوم يوم الاثنين والخميس فلعلّه لم يتفق صيامه في يومها إلاّ في أحد هذين اليومين فلم تعلم بصومه أيام العشر»، هذا آخر كلامه[3].

= تصغير هند»، وفي «تهذيب الكمال» (٣٠/ ٣١٧): هُنَيد، وفي «التهذيب» (١١/ ٧٣)، و «التقريب» (ص ٥٧٤): «هنيدة، بنون مصغر».

(١) «صحيح مسلم» (٢/ ٨٣٣) كتاب الاعتكاف، باب صوم عشر ذي الحجة، ح ١١٧٦ من طريق أبـي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود، به.

(٢) وهي رواية سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود به، وقد رواها مسلم عقب الرواية السابقة.

(٣) رجَّح البيهقي في «فضائل الأوقات» (ص ٣٤٨) حديث حفصة على حديث عائشة، وقال: «لأن حديث حفصة مثبت، فهو أولى من النافي»، وقال القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٤/ ١٥٩) عند شرحه لحديث عائشة: «ليس يحتج =

وحديث عائشة صحيح، وحديث حفصة قد تقدم الاختلاف فيه على هنيدة بن خالد.

٣ ــ أخبرنا الحافظ أبو محمد القاسم ابن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن الدمشقي[١] في كتابه إلي منها[٢]، قال: أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني في كتابه إلي من ثغر الإسكندرية، أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسين بن علي الرَّبَعِيّ[٣] في آخرين، قالوا:

= به على كراهية صومه»، وقال أبو العباس القرطبي في «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٣/ ٢٥٣): «تعني به عشر ذي الحجة، ولا يفهم منه أن صيامه مكروه، بل أعمال فيه أفضل منها في غيره...، وترك النبي ﷺ صومه إنما كان والله أعلم لما قالته عائشة رضي الله عنها في صلاة الضحى أنه ﷺ كان يدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم، ويحتمل أن يكون ﷺ لم يوافق عشراً خالياً من مانع يمنعه من الصيام فيه، والله تعالى أعلم»، وقال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٨/ ٧١ ــ ٧٢): «هذا الحديث مما يوهم كراهة صوم العشر...، قالوا: وهذا مما يتأول فليس في صوم هذه التسعة كراهة، بل هي مستحبة استحباباً شديداً، لا سيما التاسع منها وهو يوم عرفة، فيتأول قولها لم يصم العشر أنه لم يصمه لعارض مرض أو سفر أو غيرهما، أو أنها لم تره صائماً فيه، ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس الأمر».

(١) الشافعي، بهاء الدين المعروف بابن عساكر، الإمام المحدث الحافظ الضابط الثقة، توفي سنة ٦٠٠هـ. انظر ترجمته في: «التقييد» لابن نقطة (ص ٤٣٢)، و «السير» (٢١/ ٤٠٥)، و «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٦٨).

(٢) أي دمشق.

(٣) البغدادي الشافعي، الشيخ الفقيه العالم المسند، توفي سنة ٥٠٢هـ. انظر =

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد [بن محمد][1] بن مخلد البَزَّاز[2]، حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن البَخْتَرِيّ الرَّزَّاز[3]، حدثنا محمد بن عبد الملك الدَّقِيقِي[4]، حدثنا علي بن الحسن[5] بن سليمان[6]، حدثنا ابن إدريس[7]، عن حُصَيْن[8]، عن مجاهد[9]، عن عُبَيْد بن عُمَيْر، قال: كان إذا جاء الشتاء قال: «[يَا][10] أَهْلَ القُرْآنِ طَالَ اللَّيْلُ لِقِرَاءَتِكُمْ

= ترجمته في: «السير» (١٩/ ١٩٤)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٧/ ٢٢٣)، و«الشذرات» (٤/ ٤).

(١) زيادة من (ب).

(٢) البغدادي، الشيخ المعمّر، مسند زمانه، قال الخطيب: كان صدوقاً، مات سنة ٤١٩هـ. انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٣١)، و«السير» (١٧/ ٣٧٠)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (١/ ١١٨).

(٣) البغدادي، الإمام المحدث الثقة، مسند العراق، قال الخطيب: كان ثقة ثبتاً، توفي سنة ٣٣٩هـ. انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٣/ ١٣٢)، و«السير» (١٥/ ٣٨٥)، و«الوافي بالوفيات» (٤/ ٢٩١).

(٤) أبو جعفر الواسطي، قال ابن حجر: صدوق، مات سنة ٢٦٦هـ. أخرج له أبو داود وابن ماجه. انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٨/ ٥)، و«تهذيب الكمال» (٢٦/ ٢٤)، و«التهذيب» (٩/ ٣١٧)، و«التقريب» (ص ٤٩٤).

(٥) في (ب): الحسين، وهو خطأ.

(٦) الحضرمي الواسطي، أبو الحسن أو الحسين، ثقة من رجال التهذيب.

(٧) عبد الله بن إدريس بن يزيد، أبو محمد الأودي الكوفي، ثقة من رجال التهذيب.

(٨) ابن عبد الرحمن السلمي، ثقة تغير حفظه في الآخر، من رجال التهذيب.

(٩) ابن جبر المخزومي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، من رجال التهذيب.

(١٠) ساقط من (ب).

فَقُومُوا، وَقَصُرَ النَّهَارُ لِصِيَامِكُمْ فَصُومُوا»[1].

٤ ــ أخبرناه أبو الحسن الثَّغْرِيّ[2] بقراءتي عليه، أخبرنا أو أنبأنا أبو طاهر السِّلَفِيّ فذكره.

---

(١) إسناده صحيح، رواه المصنف هنا من طريق ابن البختري، وهو في أماليه (مجموع فيه مصنفات أبي جعفر ابن البختري ص ١٨٢ برقم: ١٤٤)، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٦٣) ح ٣٤٩٩١، وابن أبي الدنيا في «التهجد» (ص ٤١٥) برقم: ٣٧٧، والآجري في «فضل قيام الليل والتهجد» (ص ١٠١) برقم: ١٤، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٦٧)، كلهم من طريق عبد الله بن إدريس عن حصين، به.
وحصين تغير حفظه في الآخر «التقريب» (ص ١٧٠)، ولم يذكر عبد الله بن إدريس ممن سمع منه قبل تغيره، لكن تابعه خالد الواسطي فرواه عن حصين كما عند أبي نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٦٧)، وخالد الواسطي ممن سمع من حصين قبل تغيره. انظر: «هدي الساري» (ص ٣٩٨).
ورواه أيضاً عبد الله بن أحمد في زوائده على كتاب «الزهد» (ص ٤٥٤) من طريق عبثر عن حصين، به.
ورواه عبد الله بن أحمد في زوائده على كتاب «الزهد» (ص ٤٥٤) من طريق عبثر عن حصين، به.
ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٦٧) من طريق خالد الواسطي عن حصين، به.
وحصين بن عبد الرحمن السلمي ثقة تغير حفظه في الآخر «التقريب» (ص ١٧٠)، لكن ممن يروي عنه هذا الحديث خالد الواسطي، وهو ممن سمع منه قبل تغيره. انظر: «هدي الساري» (ص ٣٩٨).

(٢) يعني شيخه أبا الحسن علي بن المفضل المقدسي المتقدم في الرواية رقم: ٢، والثغري نسبة إلى الثغر؛ يعني الإسكندرية.

٥ ـ أخبرنا الفقيه أبو الحسن المالكي بقراءتي عليه[(١)]، أخبرنا الفقيه أبو طاهر الشَّافعي قراءة عليه[(٢)]، قال: وأنشدنا أبو محمد بن السَّرَّاج[(٣)] لنفسه يَمْدَحُ أصحاب الحديث/ :

لِلَّـــــهِ دَرُّ عِصَـــــابَـــــةٍ ... يَسْعَـوْنَ فِـي طَلَـبِ الْفَـوَائِـدْ

يُـدْعَـوْنَ أَصْحَـابَ الْحَـدِيـ ... ـثِ، بِهِـمْ تَجَمَّلَـتِ الْمَشَـاهِـدْ

طَـوْراً تَـرَاهُـمْ بِـالصَّعِيـ ... ـدِ وَتَـارَةً فِـي ثَغْـرِ آمِـدْ

يَتَتَبَّعُـونَ مِـنَ الْعُلُـو ... مِ، بِكُـلِّ أَرْضٍ كُـلَّ شَـارِدْ

فَهُـمُ النُّجُـومُ المُهْتَـدَى ... بِهِـمْ إِلَـى سُبُـلِ المَقَـاصِـدْ[(٤)]

الصَّعِيد: النّاحية المشهورة بمصر، وقد حدَّث من أهلها جماعة

---

(١) هو أبو الحسن المقدسي، تقدم.

(٢) هو أبو طاهر السلفي، تقدم.

(٣) أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين البغدادي السرَّاج، مولده سنة ٤١٧هـ، ثقة عالم مقرىء أديب، له اختصاص بأبـي بكر الخطيب، انتخب عليه السلفي من أصوله ثلاثين جزءاً، توفي سنة ٥٠٠هـ. انظر ترجمته في: «معجم الأدباء» لياقوت (٧/ ١٥٣)، و «وفيات الأعيان» (١/ ٣٥٧)، و «السير» (١٩/ ٢٢٨)، و «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ١٠٠).

(٤) الأبيات من مجزوء الكامل، وقد رواها المصنف هنا من طريق الحافظ أبـي طاهر السلفي الشافعي، وهي في كتابه «المشيخة البغدادية» (ل ٣٢/ أ مخطوط بخزانة دير الإسكوريال برقم: ١٧٨٣)، ومن طريق السلفي رواها الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي في «مسلسلاته» ل ٢٩ (مخطوط بخزانة شهيد باشا بالآستانة برقم: ٥٦١)، والحافظ ابن رُشيد في كتابه «ملء العيبة» (٣/ ٢٩٨)، وأوردها نقلاً عن السلفي الذهبـي في «السير» (١٩/ ٢٣٠).

كبيرة، والصَّعيد أيضاً موضع قرب وادي القرى، به مسجد النبـي ﷺ، عَمَّرَهُ في اجتيازه إلى تبوك[1].

والله أعلم أيّهُمَا أرادَ ابن السرَّاج [في شعره][2]، والأشبه أنه أراد الناحية بمصر؛ فإنه دخل مصر وأقام بها، [وسمع بها][3] من غير واحد، والله عز وجل أعلم.

آخر الجزء في فضل عاشوراء

إملاء الحافظ زكي الدين المنذري تغمده الله برضوانه[4].



(١) انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٤٦٣)، و «مراصد الاطلاع» (٢/ ٨٤١).

(٢) ساقط من (ب).

(٣) ساقط من (ب).

(٤) آخر المجلس: علَّقه أحمد بن اللَّبودي يوم السبت ٣ صفر سنة ٨٦٦هـ بمنزله بصالحية دمشق جوار مدرسة الشيخ أبـي عمر. . .

[السماعات التي بآخر الكتاب]

١ ـ سمعه على مخرجه بقراءة أبي عبد الله محمد بن عثمان الرزازي جماعة منهم:

ـ إسماعيل بن إبراهيم بن قريش المخزومي، ومن خطه نقلت.

ـ وولده علي(١).

وصحَّ يوم عاشوراء سنة ست وخمسين وستمائة وأجاز.

٢ ـ وسمعه على العدل نور الدين علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن قريش المخزومي بسماعه من مخرجه بقراءة أحمد بن عبد الرحمن بن الحارثي:

ـ محب الدين محمد بن عبد الله بن أحمد الطبري المكي(٢).

ـ وعبد الرحمن بن أحمد بن مبارك الغزي(٣).

ـ وعلي بن قبران السكري، ومن خطه نقلت.

---

(١) انظر ترجمته في: «ذيل التقييد» (٣/ ١٣٥).

(٢) انظر ترجمته في: المصدر السابق (١/ ٢٢٨).

(٣) انظر ترجمته في: المصدر السابق (٢/ ٤٧٧).

وصحّ في تاسع المحرم سنة ثلاث وسبعمائة بدار الضرب بالقاهرة، وأجاز.

نقله ملخصاً حماد بن عبد الرحمن بن علي الحنفي[1]، سامحه الله تعالى.

وصلّى الله على نبينا محمد. . .

٣ ـ سمع جميع هذا الجزء؛ وهو فضل عاشوراء للحافظ المنذري رحمه الله على الشيخ الصالح زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن مبارك الغزي نفع الله ببركاته بسماعه فيه نقلاً بقراءة المحدث العالم زين الدين قاسم بن محمد بن إبراهيم بن ناجي السميسطائي المالكي الجماعة:

ـ الشيخ الإمام حميد الدين حماد بن العالم جمال الدين عبد الرحيم ابن العلامة قاضي القضاة علاء الدين علي ابن العلامة فخر الدين عثمان المارديني الحنفي، وولده أبو الخير محمد، وهذا خطه.

ـ والشيخ تاج الدين محمد بن عمر بن أبي بكر الرابيشي.

ـ ومحب الدين محمد بن علي بن محمد الرملي.

ـ وشمس الدين محمد بن عمر بن أبي بكر الأبوصيري.

ـ ومحمد بن محمد بن أبي بكر القرشي.

ـ ومحب الدين محمد بن صلاح الدين خليل بن إبراهيم السطيوفي.

---

(١) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (٣/ ١٦٢).

ـ وشهاب الدين أحمد بن محمد بن زكريا الشهير بابن السامي الشافعيون.

ـ وأبو بكر بن إبراهيم بن محمد الشهير بابن علم الحنان.

ـ ومحمد بن عثمان بن عيسى الحمصاني.

وصحَّ ذلك وثبت في يوم عاشوراء من شهر الله المحرم سنة ٧٩٠هـ بسكن المسمع بحِكْرِ (أبو صيرم) بالقرب من الجامع الظاهري بالحسينية[١]، وأجاز لنا ما يجوز له روايته، والحمد لله وحده.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٤ ـ [...][٢] شيخنا المذكورين يوم عاشوراء من سنة سبع وتسعين. كتبه ابن حجر.

تمَّ ولله الحمد[٣]



---

(١) قول أهل مصر حكر فلان أرض فلان يعنون منع غيره من البناء عليها، وقد ذكر المقريزي في خططه عدة أحكار بمصر لم يذكر هذا الحكر من بينها، والجامع الظاهري جامع مشهور أنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري. انظر: «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، للمقريزي (٢/١١٤، ٢٩٩).

(٢) كلمة لم أستطع قراءتها.

(٣) قال عبيد ربه ورهين كسبه: عبد اللطيف بن محمد الجيلاني الأسفي لطف الله وغفر له ولوالديه: قرأت هذا الجزء من منسوختي على الشيخ الفاضل العالم =

= نظام يعقوبي البحريني، وهو يمسك بنسخة عارف حكمت ويقابل معي عليها، وصحَّ وثبت بحضور جمع من الفضلاء بصحن المسجد الحرام مقابل الركن اليماني تجاه الكعبة المشرفة قبيل صلاة العصر يوم السادس والعشرين من رمضان عام ١٤٢١هـ.

ـ ثم قرأته مع المقابلة والتصحيح على الشيخ المطلع فضيلة الدكتور الحسن العلوي، والأستاذ النابغة عبد الرحمن بن محمد الهيباوي السجلماسي، والشيخ الفاضل عمر بن العربي عميري، وصحَّ وثبت عشية يوم عاشوراء عام ١٤٢٢هـ في المسجد النبوي الشريف بالمدينة النبوية زادها الله تشريفاً وتعظيماً.

ـ ثم قرأته على الشيخ المحقق المطلع محمد بن ناصر العجمي حفظه الله، وهو يقابل معي على نسخة مكتبة لايدن، والشيخ الفاضل رمزي دمشقية وهو يقابل معي على نسخة عارف حكمت. وصحَّ وثبت بصحن المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة زادها الله تعظيماً يوم الثلاثاء قبيل مغرب ليلة السابع والعشرين من رمضان عام ١٤٢٢هـ، نفعنا الله جميعاً بالعلم وجعلنا من أهله ووفقنا لمرضاته. آمين.

فهرس المصادر والمراجع

١ ــ الأعلام، لخير الدين أبي الغيث محمود الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، نشر دار العلم للملايين ببيروت، ط/ ٦، ١٩٨٤م.

٢ ــ إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، نشر دار الوفاء بالمنصورة، ط/ ١، ١٤١٩هـ.

٣ ــ أمالي ابن البَخْتَرِيّ: محمد بن عمرو البغدادي الرزاز (ت ٣٣٩هـ)، طبع ضمن: «مجموع فيه مصنفات أبي جعفر ابن البختري»، تحقيق: نبيل سعد الدين جرار، نشر دار البشائر الإسلامية ببيروت، ط/ ١، ١٤٢٢هـ.

٤ ــ الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق: محمد أحمد حلاق، نشر دار إحياء التراث العربي، ط/ ١، ١٤١٩هـ.

٥ ــ البداية والنّهاية، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وجماعة، نشر دار الكتب العلمية، ط/ ٣، ١٤٠٧هـ.

٦ ــ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي ببيروت، ط/ ١، ١٤١١ ـ ١٤٢٢هـ.

٧ ـ تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، نشر دار الكتاب العربي عن الطبعة الأولى للكتاب، بدون تاريخ.

٨ ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: علي البجاوي، نشر الدار العلمية بدلهي ـ الهند، ط/ ٢، ١٤٠٦هـ.

٩ ـ تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.

١٠ـ تكملة الإكمال، لأبي بكر محمد بن عبد الغني بن نقطة البغدادي الحنبلي (ت ٦٢١هـ)، تحقيق: د. عبد القيوم عبد رب النبي ومحمد صالح المراد، نشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط/ ١، ١٤٠٨هـ.

١١ـ التكملة لوفيات النقلة، لأبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط/ ٢، ١٤٠١هـ.

١٢ـ تقريب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، ط/ ١، نشر دار الرشيد بحلب، ط/ ١، ١٤٠٦هـ.

١٣ـ التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لأبي بكر محمد بن عبد الغني بن نقطة (ت ٦٢٩هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط/ ١، ١٩٨٨م.

١٤ـ التهجد وقيام الليل، لأبي بكر عبد الله بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، دراسة وتحقيق: مصلح بن جزاء الحارثي، نشر مكتبة الرشد بالرياض، ط/ ١، ١٤١٨هـ.

١٥ـ تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، نشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ١٤١٠هـ.

١٦ـ تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، نشر دار صادر ببيروت، مصوَّرة عن طبعة الهند.

١٧ـ تهذيب الكمال في أسماء الرّجال، لأبـي الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد، نشر مؤسسة الرِّسالة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٠ ـ ١٤١٣هـ.

١٨ـ توضيح المشتبه، لأبـي بكر محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي المعروف بابن ناصر الدين (ت ٨٤٢هـ)، تحقيق: د. محمد نعيم العرقسوسي، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط/ ١، ١٤١٤هـ.

١٩ـ الثقات، لأبـي حاتم ابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط/ ١، عام: ١٣٩٣ ـ ١٤٠٣هـ.

٢٠ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبـي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط/ ١، ١٤١٢هـ.

٢١ـ الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبـي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، نشر مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ـ الدكن بالهند، ط/ ١، ١٣٧١هـ.

٢٢ـ جمهرة النسب، لأبـي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبـي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: د. ناجي حسن، نشر عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ببيروت، ط/ ١، ١٤٠٧هـ.

٢٣ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبـي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، نشر دار الكتاب العربـي ببيروت، ط/ ٣، ١٤٠٠هـ.

٢٤ـ ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي (ت ٨٣٢هـ)، تحقيق: محمد صالح المراد، نشر مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط/ ١، ١٤١١هـ.

٢٥ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنَّة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥هـ)، قدم لها محمد المنتصر الكتاني، نشر دار البشائر الإسلامية ببيروت، ط/ ٤، ١٤٠٦هـ.

٢٦ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبـي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، نشر دار إحياء التراث العربـي ببيروت.

٢٧ـ ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، نشر دار المعرفة ببيروت.

٢٨ـ الذيل على الروضتين، لأبـي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ)، تصحيح: محمد زاهد الكوثري وعزت العطار، نشر دار الجيل ببيروت، ط/ ٢، ١٩٧٤م.

٢٩ـ الزهد، للإمام أحمد بن حنبل، ط/ ١، نشر دار الرَّيان للتراث بالقاهرة، عام: ١٤٠٨هـ.

٣٠ـ السنن، لأبـي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، نشر محمد علي السيد بحمص، ط/ ١، ١٣٨٨ ـ ١٣٩٤هـ.

٣١ـ السنـن أو المجتبـى، لأبـي عبـد الـرحمـن أحمـد بـن شعيـب النسـائـي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، نشر دار المعرفة ببيروت، ط/ ٢، ١٤١٢هـ.

٣٢ـ سير أعلام النبلاء، لأبـي عبد الله محمد بن أحمد الذهبـي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط/ ١، ١٤٠١هـ ـ ١٤٠٥هـ.

٣٣ـ شرح صحيح مسلم، لأبـي زكريا يحيـى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، نشر دار الريان بالقاهرة، ط/ ١، ١٤٠٧هـ.

٣٤ـ صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ ١، نشر دار إحياء الكتب العربية، عام: ١٣٧٤هـ.

٣٥ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبـي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، نشر دار المسيرة ببيروت، ط/ ٢، ١٣٩٩هـ.

٣٦ـ طبقات الشافعية الكبرى، لأبـي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، نشر دار هجر بالرياض، ط/ ٢، ١٤١٣هـ.

٣٧ـ الطبقات الكبرى، لأبـي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ)، تقديم: د. إحسان عباس، نشر دار صادر ببيروت.

٣٨ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لأبـي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، نشر دار الجيل ببيروت.

٣٩ـ فضائل الأوقات، لأبـي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عدنان عبد الرحمن القيسي، نشر دار المنارة بمكة وجدة، ط/ ١، ١٤٢٠هـ.

٤٠ـ فضل قيام الليل والتهجد، لأبـي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠هـ)، بتحقيقي، نشر دار الخضيري بالمدينة المنورة، ط/ ١، ١٤١٨هـ.

٤١ـ الفهرس الشامل للتراث العربـي الإسلامي المخطوط ـ الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله، نشر مؤسسة آل البيت بعمان ـ الأردن، ١٩٩١م.

٤٢ـ فوات الوفيات والذيل عليها، لمحمد بن شاكر الكتبـي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، نشر دار صادر ببيروت، ط/ ١، ١٩٧٣م.

٤٣ـ لسان الميزان، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، نشر مؤسسة الأعلمي ببيروت، ط/ ٢، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م.

٤٤ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لأبـي الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: د. ياسين السواس، نشر دار ابن كثير بدمشق، ط/ ٤، ١٤١٩هـ.

٤٥ـ اللَّفظ المكرم بفضل عاشوراء المحرم، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر عبد الله القيسي المعروف بابن ناصر الدين (ت ٨٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: مشعل بن باني الجبرين المطيري، نشر دار ابن حزم ببيروت، ط/ ١، ١٤٢٢هـ.

٤٦ـ لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية، لمحمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٨هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، نشر مكتبة الرشد بالرياض، ط/ ٢، ١٤٢١هـ.

٤٧ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي (ت ٧٦٨هـ)، نشر دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن بالهند، ط/ ١، ١٣٣٨هـ.

٤٨ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: علي البجاوي، نشر دار إحياء الكتب العربية، تصويراً عن طبعة البابي الحلبي، ط/ ١، ١٣٧٣هـ.

٤٩ـ المسلسلات، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (ت ٦٣٤هـ)، مخطوط مصور في مكتبة الدكتور محمد بن شريفة عن الأصل المحفوظ بشهيد علي باشا بإستانبول برقم: ٥٦٢.

٥٠ـ المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، نشر المكتب الإسلامي ببيروت بالتصوير عن الطبعة الميمنية، ط/ ٢، ١٣٩٨هـ.

٥١ـ المسند، لأبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط/ ١، نشر الثقافة العربية ببيروت، عام: ١٤١٢هـ.

٥٢ـ مشيخة أبي المواهب الحنبلي: محمد بن عبد الباقي البعلي (ت ١١٢٦هـ)، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، نشر دار الفكر بدمشق، ط/ ١، ١٤١٠هـ.

٥٣ـ المشيخة البغدادية، لأبي طاهر أحمد بن محمد السلفي (ت ٥٧٦هـ)، مخطوط مصور عن الأصل المحفوظ بخزانة دير الإسكوريال بإسبانيا برقم: ١٧٨٣.

٥٤ـ المصنف، لأبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني ومختار الندوي، نشر الدار السلفية بالهند، ١٣٩٩ ـ ١٣٠٢هـ.

٥٥ـ معجم الأدباء أو إرشاد الأريب، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي ببيروت.

٥٦ـ معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط/ ١، ١٤١٠هـ.

٥٧ـ المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد شكور المياديني، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط/ ١، ١٤١٨هـ.

٥٨ـ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: د. محيي الدين مستو ويوسف علي بديوي وجماعة، نشر دار ابن كثير ودار الكلم الطيب بدمشق، ط/ ١، ١٤١٧هـ.

٥٩ـ ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن رُشيد السبتي (ت ٧٢١هـ)، تحقيق: د. محمد الحبيب بلخوجه، نشر الدار التونسية للنشر بتونس، ١٤٠٢هـ.

٦٠ـ ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال، للذهبي، تحقيق: علي بن محمد البجاوي وابنته، ط/ ١، نشر دار المعرفة ببيروت، عام: ١٣٨٢هـ.

٦١ــ النسب، لأبـي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: مريم محمد خير الدرع، نشر دار الفكر ببيروت، ط/ ١، ١٤١٠هـ.
٦٢ــ هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأبـي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، مطبوع مع الفتح بترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي وتصحيح الشيخ عبد العزيز بن باز، نشر المطبعة السلفية ومطبعتها بالقاهرة، ١٣٨٠هـ.
٦٣ــ الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، نشر وتوزيع مؤسسة الكتب الثقافية تصويراً عن طبعة هلموت ريتر، ١٣٨١هـ.
٦٤ــ وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لأبـي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، نشر دار الثقافة ببيروت.



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

● ● ●

لِقَاءُ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ
بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
(٣٧)

بَذْلُ الْمَرَامِ
فِي فَضْلِ الْجَمَاعَةِ وَأَحْكَامِ الْمَأْمُومِ وَالْإِمَامِ

تَأْلِيفُ
الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ حَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبَيْطَارِ الدِّمَشْقِيِّ
(١٢٠٦هـ - ١٢٧٢هـ)

تَحْقِيق
عبد الرؤوف بن محمد الكمالي

أَسْهَمَ بِطَبْعِهِ بَعْضُ أَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَمُحِبِّيهِم

دَارُ الْبَشَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بذل المرام

في فضل الجماعة وأحكام المأموم والإمام

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥

e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb



المقـــدّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّ مِن أعظم ما يَشْغَلُ به الإنسانُ وقتَه وحياتَه، وجهدَه ونشاطَه، العلمَ الشرعي، علمَ كتابِ الله تعالى، وسنةِ رسوله عليه الصلاة والسلام، وما فيهما من فقهٍ وحِكَمٍ وأحكام؛ فقد رفع الله عز وجل شأن العلم والعلماء، وبلغ بهم في الدرجة عَنان السماء، فقال عَزَّ من قائل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالى وتقدّس: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

مِن أجل ذلك، كان نشرُ هذه الرسالة القيِّمة، التي تناول فيها مؤلفُها ـ وهو العلامة الشيخ حسن البَيْطار رحمه الله ـ بابًا مهمًّا في فقه الصلاة، وهو في أحكام الاقتداء؛ إذْ أن ذلك مما يَحتاج إليه كلُّ فَرْدٍ، وهو مما يتكرر كثيرًا في كل يوم وليلة، فكان إيضاحُ وبيانُ هذا الباب من الأمور الواجبة المهمة.

ومؤلف هذه الرسالة عالم فاضل جليل، من علماء الشافعية المعروفين في عصره، وقد جرى في رسالته هذه في بيان أحكام الاقتداء على المعتمد من مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، وسمّاها:

«بذل المَرام، في فضلِ الجماعةِ وأحكامِ المأمومِ والإمام»

وقد قمت بالتعليق على ما يحتاج إلى تعليق في هذه الرسالة، وأشرت إلى خلاف العلماء في أهم مسائلِ هذا الباب، ليكونَ القارىء على علمٍ بذلك واطّلاع؛ فلا يبادرَ إلى الإنكار في مسائل الخلاف، ولْيعملْ هو بما يطمئن إليه من القول بعد معرفة قائلِه من أئمة المذاهب وأهلِ الذِّكر.

هذا مع قيامي بعزوِ الآياتِ الكريمةِ إلى سورها، وعزوِ الأحاديث إلى مخرِّجيها، وبيانِ أحكامها من حيثُ الثبوتُ وعدمُه، وعزوِ الأقوال إلى مصادرها، وذلك على وجه الاختصار.

ثم إنَّ مِنَ الواجب عَلَيَّ أن أتقدم بالشكر الجزيل، لأخي الفاضل الشيخ محمد بن ناصر العجمي، الذي أحضر لي مخطوطة هذه الرسالة، ولأخي الكريم الشيخ رمزي دمشقية صاحب «دار البشائر الإسلامية»، الذي تُغني آثارُه وثمارُه المرئيةُ عن ذكر ما يتكلفه لنشر هذا التراث العظيم، فجزاهما الله خير الجزاء، وأدخلنا جميعًا جنَّته في دار البقاء.

وقد اعتمدت في تحقيقي لهذه الرسالة على نسخة في دار الكتب المصرية، تحت رقم (٢١٦٣٢ب)، وتقع في (١١) ورقة، وعدد الأسطر فيها (٢٣) سطرًا، وهي بخط نسخ واضح، وفيها بعض الأخطاء نبّهت عليها في الحاشية. ويبدو أنها بخط أحد تلامذة المؤلف، والله تعالى أعلم.

ترجمة المؤلف[1]

نسبه ومولده وعائلته:

هو: حسن بن إبراهيم بن حسن بن محمد بن حسن بن إبراهيم بن عبد الله، الشافعي، الأشعري، النقشبندي، الدمشقي، المعروف بالبَيْطار.

وُلد في حي الميدان من دمشق سنة (١٢٠٦هـ ـ ١٧٩١م).

وبنو البَيْطار من الأسر العلمية العريقة في دمشق. قال المؤرخ محمد أديب تقي الدين الحصني في «منتخبات التواريخ»[2]: «ومن الأسر الشهيرة في العلم والفضل في حي الميدان ودمشق: بنو البَيْطار. قيل: إن أصلهم من الغرب، يعني بلاد المغرب. خرج من رجال هذا البيت جماعة من أجلة العلماء والشعراء...». اهـ.

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية البشر» لولده الشيخ عبد الرزاق البَيْطار (١/ ٤٦٣ ـ ٤٧٥) و «تعطير المشام» للشيخ جمال الدين القاسمي (١/ ٥٦)، و «أعيان دمشق» للشطي (ص ٧٩ ـ ٨٣) و «منتخبات التواريخ» للحصني (٢/ ٦٥١)، و «الأعلام» للزِّرِكْلي» (٢/ ١٧٨).

(٢) (٢/ ٨٥٨).

علمه وفضله:

قال عنه ولده الشيخ عبد الرزاق البَيْطار في «حلية البشر»[1]: «... الوالد الأعظم، والسيد الأفخم الأكرم، والعالم النِّحرير، والمدقق الخبير، شافعي زمانه، وألمعيُّ أوانه، الجامع بين العلوم العقلية والنقلية، والمقتدي بالكتاب العزيز والسنة المحمدية، بحر العلوم والمعارف، الشارب من أطيب مناهل العرفان واللطائف، الآخذ بعزائم العبادة، والجاعل التقوى إلى الآخرة زادَه، الصوفيُّ النقيُّ الصالح، والزاهد التقيّ العابد الناجح...».

وقال عنه ـ أيضًا ـ: «وكان رضي الله عنه مواظبًا على التهجد وصلاة الفجر في الوقت الأول، وبعد الصلاة له أوراد لا يبرح عنها في سفر ولا حضر، منها أوراد الصباح والمساء الواردة في السنة، فإنه كان يقرأها صباحًا ومساءً، ومنها أنه يقرأ في كل يوم من القرآن جزءًا، فيختم في كل ثلاثين يومًا القرآنَ بتمامه...»، إلى أن قال:

«حَسَن الخلق، يغلب عليه الزهد والإعراض عن الدنيا، وكان إذا تصعب أمر بين الناس من حقوق وغيرها، بمجرد حضوره وتكلمه فيه ينقضي أمره على أحسن حال؛ وذلك لصفاء نيته وحُسْنِ سريرته». اهـ[2].

نشأته العلمية وشيوخه:

نشأ ـ رحمه الله ـ في حِجْر والده، فلمّا بلغ سن التمييز وجّهه

---

(١) (١/ ٤٦٣).

(٢) (١/ ٤٧٠).

والده لتعلم القرآن الكريم، عند العالم الشيخ فتح الله أفندي، فقرأه عليه، وحفظه على تمام الإتقان.

ثم تفقّه على علاَّمة وقته الشيخ صالح الزَّجاج، والشيخ حسن العطار المصري الأزهري، والشيخ عبد الله الكُرْدي.

وقرأ كثيرًا من العلوم الآلية والشرعية على الشيخ عبد الرحمن الكُزبري، والشيخ حامد العطار، والشيخ نجيب القلعي، والشيخ عبد الرسول المكي، والشيخ عمر المجتهد، والشيخ عبد الغني السَّقطي، وغيرهم من العلماء الأعلام، والفضلاء الكرام، الذين اعترفوا له بالإجادة، وألزموه بالتدريس والإفادة.

ولمّا بلغ من العمر ثلاثين سنة (١٢٣٦هـ)، طلبه أعيان أهل الميدان للقيام بوظائف الإمامة والخطبة والتدريس في جامع «كريم الدِّين» (المعروف الآن بجامع الدقاق)، فتولّى ذلك بعد تمنُّع وإباء، واشتد الإقبال عليه، فاستدعاه قاضي البلد، واتّهمه بالتعرض لمصالح الحكام، وأرسله إلى السجن، فثار الناس له، وخرجوا أفواجًا سَدّت الطرق، وشعر القاضي بحرج عظيم، فأذن بإخراجه في مساء اليوم نفسه، واعتذر إليه.

وفي سنة (١٢٦٣هـ) أمر السلطان الغازي عبد المجيد خان بدعوة الشيخ حسن البَيْطار والشيخ عبد الرحمن الطيبي إلى الآستانة، وأكرمهما وأحسن إليهما. ولقي هناك شيخ الإسلام إذ ذاك السيد أحمد عارف حكمت بيك، فأخذ كل منهما عن الآخر وأجازه.

وقد مدح الشيخ أحمد عارف مترجَمنا بهذه الأبيات على الارتجال من غير إمهال:

يا قلبُ أبشِرْ بما ترجوه مِن مِنَنِ ... فقد حظيتَ بشهمٍ كاملٍ فطِنِ
حليفِ علمٍ إمامٍ سيدٍ ثقةٍ ... أخلاقُه الشُّمُّ قد جاءت على سَنَنِ
فقلت للقلب هذا ماتؤمِّلُهُ ... لقد بلغتَ المنى والأنسَ من حَسَنِ

فأجابه الشيخ حسن ــ رحمه الله ــ بأبياتٍ، أوَّلها:

شمسُ المعارف تغنينا عن السُّرُجِ ... ومنهجُ الفضل لا يَخفى لمن يلج
وطالعُ السَّعْدِ لا يعروه كاسفة ... وعارف الدهر محفوظ من العِوَج
شيخ الأنام الذي طابت مآثره ... بحر الكمالات ذو الأمواج واللُّجَج

تلاميذه:

من تلاميذ الشيخ أبناؤه الأربعة، وكلهم علماء، وهم:

١ ــ الشيخ محمد. وهو من كبار علماء دمشق وفقهائها، وأمين الفتوى بها أكثر من ثلاثين سنةً.

٢ ــ الشيخ المقرىء: عبد الغني.

٣ ــ الشيخ عبد الرزاق، صاحب كتاب «حلية البشر».

٤ ــ الشيخ سليم. وهو أحد أركان رجال هذا البيت.

مؤلفاته[1]:

١ ــ إرشاد العباد في فضل الجهاد. طُبعت مِن قِبَلِ دار البشائر

(١) ذكرها الشيخ محمد بن ناصر العجمي في مقدمة تحقيقه لـ«إرشاد العباد» (ص ١٤).

الإسلامية ضمن سلسلة «لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام» (١٤)، بتحقيق الأخ الشيخ محمد بن ناصر العجمي حفظه الله.

٢ ــ بذل المرام في فضل الجماعة وأحكام المأموم والإمام. وهو كتابنا هذا.

٣ ــ تحقيق الكلام في وجوب الصلاة قبل السلام. منه نسخة في دار الكتب المصرية (٢١٦٣٢ب).

٤ ــ فتح الكريم بشرح بسم الله الرحمن الرحيم. له نسخة في دار الكتب المصرية (٢١٦٣٢ب).

٥ ــ كشف اللثام عن هداية الأنام. وهو كتاب كبير يقع في (٢٠٩) ورقات، له نسخة في الظاهرية برقم (٨٢٣٢).

٦ ــ نبذة في بناء دمشق الشام. دار الكتب المصرية برقم (٨٣٠٠).

وفاته:

توفي ــ رحمه الله ــ بدمشق، في غرة رمضان، سنة (١٢٧٢هـ ــ ١٨٥٦م)، إثْر مرضه بداء ذات الجنب في الثاني والعشرين من شعبان من السنة نفسها، وقد حضر جنازته جمع عظيم، ودُفِن في تربة باب الله بالميدان.

❑ ❑ ❑

صورة صفحة العنوان من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

منه

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا امرنا رشدا يا كريم

الحمد لله الذي شرف هذه الملة المحمديه وسن فيهم الجماعة ففاقوا بها على ساير البريه وضاعف لهم فيها الاجور السنيه واودعها الاسرار الربانيه فهم في رياضها راتعون وعلى حماها عاكفون واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله تفرد بالواحديه والاحديه واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي حاز اوفر مقام واعلا مزيه صلى الله عليه وعلى آله واصحابه اولي الرتب العليه والوجوه البهيه ما نطق المومنون بالجماعة يتقربون

وبعد فيقول كثير الاوزار ومن اوثقته ذنوبه في بحر الاخطار حسن بن ابراهيم البيطار لما من المولى علي بنسبتي لسيدي وملاذي وعمدتي وملاذي بقية السلف الطاهره وعين اعيان الخلف الظاهره سيدي الشيخ عبد الغني السقطي متعني الله والمسلمين بحياته ونفعني واياهم بصالح دعواته بان صرت من جملة خدامه وتلامذته واعوانه خرجت لزيارته في بعض الايام لاقتبس من انواره ما يجلو عن القلب الظلام فاراني رسالة لوالده الهمام النحرير والعالم المدقق البصير الشيخ عبد القادر السقطي سقى الله ثراه صيب الرحمة والغفران تنبي في فضل الجماعة السنيه وما ورد فيها من الاخبار المرويه وامرني ان اضم اليها ما اطلعت عليه من الفوايد التي يسر بها الخاطر مع التصرف في ترتيبها على حسب فهمي القاصر وفكري الفاتر هذا وان كنت لست اهلا لذلك لكن حسن ظنه في وامتثال امره الواجب علي لسابق احسانه الي دعاني لان اسلك تلك المسالك وسميتها بذلك

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

وابن ماجه عن جابر بن سمرة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم الصف الأول أفضل
على الصفوف رواه الطبراني في الكبير عن الحكم بن عمير رض، قوله صلى
الله عليه وسلم عليكم بالصف الأول وعليكم بالميمنة وإياكم والصف بين السواري
رواه الطبراني عن ابن عباس ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون
ما في الصف الأول ما كانت إلا قرعة رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة
ومنها قوله عليه الصلاة والسلام أتموا الصفوف فإن إقامة الصف
الصف من حسن الصلاة رواه مسلم عن أبي هريرة ومنها قوله صلى الله عليه
وسلم إن من تمام الصلاة إقامة الصف رواه أحمد عن جابر ومنها قوله
عليه الصلاة والسلام خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير
صفوف النساء آخرها وشرها أولها رواه مسلم عن أبي هريرة ومنها قوله
عليه الصلاة والسلام لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم
الله في النار رواه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها ومنها قوله عليه الصلاة
والسلام من ترك الصف الأول مخافة أن يؤذي مسلما فصلى في الصف
الثاني أو الثالث أضعف له أجر الصف الأول رواه الطبراني في الأوسط
وابن النجار عن ابن عباس ومنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يستغفر
للصف المقدم ثلاثا وللثاني مرة رواه ابن ماجه عن ابن جعفر إلى هنا
كلامه وبه ينتهي ما أردنا إيراده في هذه النبذة اليسيرة فالمرجو ممن
اطلع على عثرة أن يجر عليها ذيل الستر وأن يصلحها بعد أن يكشف بالمراجعة
عن حقيقة الأمر لأن قصور بضاعتي عن الوفاء معلوم لا سيما
مع قلة الباع وتوالي الهموم، تمام أسأل الله أن يحشرني ومن يحبني وأحبابي
مع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وأن ينفعنا بفضله نفحة القبول
وحسن الختام قاله مؤلفها شيخنا وأستاذنا الشيخ حسن بن عمار رحمه الله تعالى
ونفعنا الله والمسلمين بطول حياته ونفعنا من صالح دعواته آمين

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٣٧)

بذل المرام

في فضل الجماعة وأحكام المأموم والإمام

تأليف
العلامة الشيخ حسن بن إبراهيم البيطار الدمشقي
(١٢٠٦هـ - ١٢٧٢هـ)

تحقيق
عبد الرؤوف بن محمد الكمالي



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ يا كريم

الحمد لله الذي شرَّف هذه الملَّةَ المحمَّدية، وسنَّ فيهم الجماعة ففاقوا بها على سائر البريَّة، وضاعف لهم فيها الأجور السَّنِيَّة، وأودعها الأسرار الربَّانية؛ فهم في رياضها راتعون، وعلى حماها عاكفون.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، إله تفرَّد بالواحدية والأحديَّة، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمدًا عبده ورسوله، الذي حاز أوفر مقامٍ وأعلى مزيَّة، صلَّى الله عليه، وعلى آله وأصحابه أولي الرُّتب العليَّة، والوجوه البهيَّة، ما طفق المؤمنون، بالجماعة يتقربون.

وبعد: فيقول كثير الأوزار، ومن أوثَقَتْهُ ذنوبه في أبحر الأخطار، حسنُ بنُ إبراهيمَ البَيْطار:

لمَّا مَنَّ المولى عَليَّ بنسبتي لسيِّدي وأستاذي، وعمدتي وملاذي، بقيَّةِ السلف الطاهر، وعين أعيان الخَلَفِ الظاهر، سيِّدي الشيخ عبد الغني السقطي ـ متَّعني الله والمسلمين بحياته، ونفعني وإيَّاهم بصالح دعواته ـ بأن صرت من جملة خدَّامه، وتلامذته وأعوانه؛ خرجت لزيارته في بعض الأيام؛ لأقتبس من أنواره ما يجلو عن القلب

الظلام، فأراني رسالةً لوالده الهُمَام النِّحرير[1]، والعالم المدقق البصير، الشيخ عبد القادر السقطي ـ سقى الله ثراه صبيبَ الرحمة والغفران ـ في فضل الجماعة السَّنِيَّة، وما ورد فيها من الأخبار المرويَّة، وأمرني أن أضمّ إليها ما اطلعت عليه من الفوائد التي يُسَرُّ بها الخاطر، مع التصرّف في ترتيبها على حسب فهميَ القاصر، وفكريَ الفاتر.

هذا، وإن كنتُ لستُ أهلاً لذلك؛ لكن حُسْنُ ظنِّه فيّ، وامتثالُ أمرِه الواجبِ عليَّ، لسابق إحسانه إليّ، دعاني لأن أسلك تلك المسالك، وسمَّيتها:

«بذل المَرام، في فضلِ الجماعةِ وأحكامِ المأمومِ والإمام».

ورتبتها على: مقدمة، وبابين، وخاتمة.

فاللَّهَ أسألُ أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون سببًا لحسن الخاتمة.



---

(١) النِّحْرير والنِّحْر ـ بكسر النون فيهما ـ: الحاذقُ الماهر، العاقلُ المجرِّب، المتقِن، الفَطِن، البصيرُ بكل شيء؛ لأنه يَنْحَرُ العلم نحرًا. «القاموس المحيط» (ص ٦١٨) ـ مادة نحر.

المقدمة
في بيان الأصل في مشروعية الجماعة وما ورد في فضلها

اعلم أن صلاة الجماعة مشروعة بالكتاب والسنَّة وإجماع الأمة.

وإنما شُرِع لنا الجمعُ في السفر والمطر محافظةً عليها.

قال تعالى:

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ...﴾ الآية [النساء: ١٠٢]؛ أمر بها سبحانه وتعالى في الخوف، ففي الأمن أَوْلى.

ومن السنَّة: خبر الصحيحين[١]: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ ـ أي: المنفرد ـ بسبع وعشرين درجة»، وفي رواية: «بخمس وعشرين درجة»[٢].

---

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ١٣١) ـ «الفتح»، و «صحيح مسلم» (١/ ٤٥٠، ٤٥١) مِن رواية ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) وردت من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجها البخاري (١/ ٥٦٤) (٢/ ١٣١)، ومسلم (١/ ٤٤٩، ٤٥٠).

ومِن رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجها البخاري (٢/ ١٣١).

قال في «المجموع»[1]: ولا منافاة بين الروايتين؛ لأن القليل لا ينفي الكثير، أو أنه أخبر أولاً بالقليل ثم أُخبر بزيادة الفضل، فأخبر بها، أو أن ذلك يختلف باختلاف المصلين[2]. اهـ.

أو أن الاختلاف بحسب قرب المسجد وبعده، أو أن الأُولى[3] في الصلاة الجهرية، والثانيةَ في السرِّية؛ لأنها تنقص عن الجهرية بسماع قراءة الإمام والتأمين لتأمينه، إذ روى الشيخان[4]: «إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا، فإنه مَن وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه».

وخبر ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (مَن سرَّه أن يلقى الله تعالى غدًا مسلمًا فلْيحافِظْ على هؤلاء الصلواتِ حيث يُنادىٰ بهن؛ فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سُنن الهُدَى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنَّة نبيكم، ولو تركتم سنَّة نبيكم لضللتم [. . . . .] ولقد رأَيتُنا وما يتخلف عنها[5]

(١) (٤/ ٨٤) ـ ط مكتبة الإرشاد ـ جدة.

(٢) أي تكون لبعضهم خمس وعشرون، ولبعضهم سبع وعشرون، بحسب كمال الصلاة ومحافظته على هيئاتها وخشوعها وكثرة جماعتها. . . ذكره في «المجموع» (٤/ ٨٤).

(٣) أي الرواية الأولى.

(٤) «صحيح البخاري» (٢/ ٢٦٢)، و «صحيح مسلم» (١/ ٣٠٧) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في الأصل: «منا»، والتصويب من مسلم.

إلَّا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادَى بين الرجلين[1] حتى يُقامَ في الصف). رواه مسلم[2].

وقد علمتَ مما تقدم أن صلاةَ الجماعة مطلوبةٌ شرعًا، وهذا مما لا خلاف فيه، بل هو مجمع عليه[3]، وإنما الخلاف في وجه الطلب:

فقيل: **فرض كفاية**. وهو الصحيح من مذهبنا[4]، وبه قال طائفة من العلماء[5].

وقيل: **إنها سنَّة**، وِفاقًا لأبـي حنيفة[6].

وقيل: **فـرض عين**، وليست شرطًا للصحـة، وبـه قال أحمد[7]، والأوزاعي، وأبو ثور، وابن المنذر[8].

---

(١) في الأصل: «رجلين»، والتصويب من مسلم.
ومعنى «يُهادى»: أي يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما. «شرح مسلم» للنووي (٥/ ١٥٦).

(٢) «صحيح مسلم» (١/ ٤٥٣).

(٣) انظر: «المجموع» للنووي (٤/ ٨٥).

(٤) أي مذهب الشافعية.

(٥) انظر: «المجموع» (٤/ ٨٧).

(٦) لكن ذكر ابن عابدين في «حاشيته» (١/ ٣٠٧) أن صلاة الجماعة واجبة على الراجح في المذهب، أو سنة مؤكدة في حكم الواجب كما في «البحر»، وصَرَّحوا بفسق تاركها وتعزيره وأنه يأثم.

(٧) وهو المذهب عند الحنابلة، ذكره في «الإنصاف» (٢/ ٢١٠)، وقال: «وهو من مفردات المذهب». اهـ.

(٨) انظر: «المجموع» للنووي (٤/ ٨٧).

وقال داود: فرض على الأعيان، وشرط للصحة، وبه قال بعض أصحاب أحمد[1].

وهي من خصائص هذه الأمة المحمدية.

وشُرعت بالمدينة النبوية حين أَظهر الله بها هذا الدين، ونَشر بها راية الموحدين؛ وذلك لأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين كانوا بمكة تحت أيدي الكفار مقهورين، فلما ظهر هذا الدين القويم، ونالوا به العزّ والتكريم؛ أقاموا الجماعة، وأجابوا بالسمع والطاعة.

وأما فضلها: فقد ورد فيه الأحاديث الصحيحة الدالة على شرفها:

منها: ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل في جماعة تُضَعَّفُ على صلاته في بيته وفي سوقه بخمسٍ وعشرين ضعفًا؛ وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يُخرجه إلاَّ الصلاة، لم يَخْطُ خطوةً، إلاَّ رفعت له بها درجة، وحطت بها عنه خطيئة، فإذا صلَّى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في صلاة ما لم يُحدث: اللَّـهُمَّ صلِّ عليه، اللَّهم ارحمه، ولا يزال في الصلاة ما انتظر الصلاة». متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ

---

(١) وهو رواية عن أحمد، واختارها شيخ الإسلام ابن تيمية. ذكره المرداوي في «الإنصاف» (٢/ ٢١٠)، وقال: «وقال في «الحاوي الكبير»: وفي هذا القول بُعد». اهـ.

(٢) سبق تخريجه في (ص ١٩).

أعمى، فقال: يا رسول الله، [إنه] ليس [لي] قائد يقودني إلى المسجد. فسأل رسولَ الله ﷺ أن يرخص له [فيصليَ في بيته][1]، فرخَّص له، فلما ولَّى دعاه، فقال له: «تسمع الصلاة بالنداء؟»، قال: نعم، قال: «فأجب». رواه مسلم[2].

وعن ابن أم مكتوم المؤذن رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله، إن المدينةَ كثيرةُ الهوام والسباع؛ فقال النبي ﷺ: «أتسمع حيّ [على] الصلاة، حيّ [على][3] الفلاح؟ فحَيَّ هلا». رواه أبو داود[4].

ومعنى «فحيّ هلا»: تعال.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة في قرية ولا بادية لا تقام فيهم الصلاةُ إلاَّ استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»[5].

---

(١) الزيادات ما بين المعقوفات من مسلم.

(٢) «صحيح مسلم» (١/ ٤٥٢).

(٣) الزيادات ما بين المعقوفات من أبي داود.

(٤) «سنن أبي داود» (٥٥٣) ـ ط دار الفكر. كما أخرجه ابن خزيمة (١٤٧٨) والحاكم (١/ ٢٤٦، ٢٤٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٦)، وأبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٢/ ١٠٦، ١٠٧)، وابن خزيمة (١٤٨٦)، وابن حبان (٢١٠١) ـ «الإحسان».
وفي آخره: قال السائب: يعني بالجماعة: الصلاة في الجماعة.
وإسناده حسن؛ فيه السائب بن حبيش الكَلاعي، قال عنه الدارقطني: «صالح الحديث»، ووثقه العجلي وابن حبان. انظر: «تهذيب التهذيب» (٣/ ٤٤٦).

وعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلَّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلَّى الصبح في جماعة فكأنما صلَّى الليلَ كلَّه». رواه مسلم[(١)].

وعن أبـي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلمون ما في العَتَمَةِ والصبح لأتوهما ولو حبوًا». متفق عليه[(٢)].

وقوله: «العتمة»، أي: صلاة العشاء. وقوله: «حبوًا»، أي: ماشين على أيديهم وأرجلهم.

وعن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضيَ فريضةً من فرائض الله، كانت [خَطْوتاه][(٣)] إحداهما تحط خطيئةً والأخرى ترفع درجة». رواه مسلم[(٤)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كانت ديارُنا نائيةً عن المسجد، فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقتربَ[(٥)] من المسجد، فنهانا رسول الله ﷺ فقال: «إن لكم بكل خطوة درجةً». رواه مسلم[(٦)].

وعن أُبَـي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رجل لا أعلم رجلاً

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ٤٥٤).

(٢) هو جزء من حديث، أخرجه البخاري (٢/ ٩٦)، ومسلم (١/ ٤٥١، ٤٥٢).

(٣) الزيادة من مسلم.

(٤) «صحيح مسلم» (١/ ٤٦٢).

(٥) في الأصل: «فتقرب»، والتصويب من مسلم.

(٦) «صحيح مسلم» (١/ ٤٦١).

أبعدَ من المسجد منه، وكان لا تخطئه[1] صلاةٌ، فقيل له: لو[2] قلت له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء والرمضاء. قال: ما يسرّني أنَّ منزلي إلى جنب المسجد؛ إني أريد أن يُكتب لي ممشايَ إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي. فقال رسول الله ﷺ: «قد جمع الله لك ذلك كلَّه». رواه مسلم[3].

وعن جابر رضي الله عنه قال: أراد بنو سلِمةَ[4] أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال لهم: «إني بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد!» قالوا: نعم، قد أردنا ذلك يا رسول الله، فقال: «بني سلِمةَ! ديارَكم؛ تُكْتَبْ آثارُكم[5]، ديارَكم؛ تُكْتَبْ آثارُكم». رواه مسلم[6].

والاستقصاء في فضل الجماعة وما ورد في الحث عليها من الأحاديث الشريفة لا يليق بهذه النبذة اللطيفة، وفيما ذكر كفاية لأولي الأبصار، وعبرة لذوي الاعتبار.

---

(١) في الأصل: «لا يخطئه» بالياء، والتصويب من مسلم.

(٢) في الأصل: «إن»، والتصويب من مسلم.

(٣) «صحيح مسلم» (١/ ٤٦٠، ٤٦١).

(٤) بنو سلِمة: بكسر اللام، قبيلة معروفة من الأنصار، رضي الله عنهم. «شرح مسلم» للنووي (٥/ ١٦٩).

(٥) معناه: الزَموا ديارَكم؛ فإنكم إذا لزمتموها كُتبت آثارُكم وخطاكم الكثيرةُ إلى المسجد. المصدر السابق.

(٦) «صحيح مسلم» (١/ ٤٦٢).

والحكمة في مشروعية الجماعة:

قيل: لأن المذنب إذا اعتذر من سيِّده فيجمع الشفعاء لتُقضىٰ حاجته. ألا ترى أن الجماعة إذا قَصَدَتْ باب السلطان وفيها واحد له جاه مكين فُتح له الباب فيدخل الكل بجاهه؟ فإذا كان فيهم واحد مذنب قَبِل الملكُ عُذره، وعفى عنه لأجل ذي الجاه؟ وكذلك الجماعة إذا كان فيهم واحد قُبِلَتْ طاعته، قُبِلَ الجميع لأجله.

ولأن الصلاة مائدة الكريم، ومن سننه[1]: كلما كثرت الأضياف زاد في الإنعام عليهم والإكرام لهم.

وفيها فوائد تعود على المصلي:

منها: أمنه من السهو عن بعض الأركان.

ومنها: أنه إذا دخل الصلاةَ من لا يُحْسِنُها تعلَّم منهم.

ومنها: إظهار الانقياد والطاعة من غير عناد.

ومنها: تشبيه الصلاةِ بالحج والصوم؛ إذ المسلمون يحجون معًا ويصومون معًا، فناسب أن يصلوا معًا.

ومنها: تشبيه صفوفها بصفوف القيامة.

ومنها: كثرة العمل، كالمشي إليها وانتظارها؛ لأنه في صلاة.

ومنها: تفقُّد أحوال إخوانه المسلمين، وإظهار السلام وإفشاؤه على الحاضرين والمصلِّين.

---

(١) أي: سنن الكريم سبحانه وتعالى.

ومنها: إنشاء المساجد وعِمَارتُها، ونصب مؤذن وإمام.

و[منها][1]: إيقاع الصلوات في أول وقتها؛ لأنه أحب الأعمال إلى الله تعالى كما ورد في الخبر: «أحب الأعمال إلى الله: الصلاة لأول وقتها»[2].

ومنها: انتشار الرحمة على المصلين، وتشبيههم بصفوف الملائكة والمقاتلين؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، فإذا دخل الإنسان صف القتال فقد أحرز نفسه بغيره من المقاتلين، ومن دخل صف الصلاة فقد أحرز نفسه من عدوّه الشيطانِ بإخوانه المسلمين، وقد قال ﷺ: «عليكم بالجماعة، فإن الشيطان مع الواحد»[3].

فحيث كان ما ذكرنا بعضُ ما اشتملت عليه من الأسرار، وحوته من لطائف المعاني وبدائع الأنوار، كيف تسمح نفس المؤمن بتركها من

---

(١) ليست في الأصل، والسياق يقتضيها.

(٢) أصل الحديث متفق عليه، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها». . . الحديث، أخرجه البخاري (٢/ ٩)، ومسلم (١/ ٨٩، ٩٠). وجاء في غير الصحيحين لفظ: «الصلاة في أول وقتها»، لكنه ــ على التحقيق ــ يظهر أنه مروي بالمعنى، وهو خلاف رواية الجماعة، فلا يثبت. انظر: «فتح الباري» (٢/ ١٠)، وضعّف النووي في «المجموع» (٣/ ٥٤) رواية: «أول وقتها».

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، والحاكم (١/ ١١٤) وصححه ووافقه الذهبي، وهو من حديث عمر رضي الله عنه، وأوله: «أوصيكم بأصحابي. . .»، وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب». اهـ.

غير عذر، وقد قرع سمعُه ما فيها من عظيم الأجر؟!

نعم، يكون السبب في ذلك: **إما حُمق**، وهذا لا يتوجه إليه خطاب، **أو غفلة**، بأن لا يتفكر في هذا التفاوت العظيم والثواب الجسيم!! فمعلوم أن الإنسان إذا آثر واحدًا على سبع وعشرين؛ دل على نقصان عقله، وشدة حُمْقِه، **وإما كفر**، وهو أن يجزم أن هذا ليس كذلك، وإنما ذكر ترغيبًا في الجماعة، وإلاَّ فأي مناسبة بين الجماعة وهذا العدد المخصوص من سائر الأعداد؟! وهذا كفر خفي تنطوي عليه الصدور.

وأعظم من ذلك أنه يصدِّق المنجم في أمور أغبى من ذلك، ولا يصدق النبيَّ ﷺ المكاشفَ عن أسرار الملكوت، والمنبىءَ عن الحي الذي لا يموت.

وسبب ما ذكر: التكاسل، وحب الشهوات، والميل مع الهوى، فـ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىءٍ ما نوى»[1].



(١) وهو أول حديث مشهور، أخرجه البخاري في مقدمة «صحيحه» (١/٩)، ومسلم (٣/١٥١٥، ١٥١٦)، من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الباب الأول
في فضيلة الإمامة، وشروطها
وما يستحب في الإمام وما يستحب له

أما فضيلة الإمامة:

فقد استُفيدَ من اختيارِ النبي ﷺ والخلفاء الراشدين مِن بعده لها ومواظبتِهم عليها.

واستدل جماعة من العلماء على فضيلتها أيضًا بقوله ﷺ في خبر الصحيحين[1]: «فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدُكم، وليؤمَّكم أكبرُكم»، انتهى.

ووجه الدليل من هذا الحديث: أن تقديم الأكبر في هذه المزية يدل على فضلها وشرفها.

ونقل حُجَّةُ الإسلامِ الغزاليُّ ــ رحمه الله تعالى ونفعنا به ــ في «إحياء علوم الدين»[2] عن بعض السلف أنه قال: ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء، ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلِّين؛ لأنهم قاموا بين الله وبين خلقه: هؤلاء بالنبوَّة، وهؤلاء بالعلم، وهؤلاء

---

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ١١٠)، و«صحيح مسلم» (١/ ٤٦٦) من رواية مالك بن الحويرث رضي الله عنه في قصة قدومهم إلى النبي ﷺ.

(٢) (١/ ١٧٤)، في باب الإمامة ــ ط دار المعرفة.

بعماد الدين، وهو[1] الصلاة. وبهذه الحجَّة احتج الصحابة رضي الله عنهم في تقديم الصدِّيق رضي الله عنه للخلافة، إذ قالوا: نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين، فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا[2].

ومعلوم أن الإمامة إقامة الجماعة، فيأتي فيه الأدلة التي تقدمت في فضلها، فلا نطيل بذكرها.

واختلف في الأفضلية بين الإمامة والأذان:

فنقل النووي في زوائد «الروضة» و «المنهاج»[3]: أن الأذان أفضلُ؛ للأحاديث الصحيحة الواردة في فضله، واعتمده الشمس الرملي[4].

وخالفه ابن حجر[5] تبعًا لشيخ الإسلام[6]، فاعتمد أن الأذان مع الإقامة أفضلُ من الإمامة. وعبارته في «التحفة»[7] مع المتن: «والإمامة أفضل منه في الأصح؛ لمواظبته ﷺ وخلفائه الراشدين عليها، ولأن

---

(١) في الأصل: «وهي»، والتصويب من «الإحياء» (١/ ١٧٤)، وهو مقتضى اللغة.

(٢) هذا النقل كله من «الإحياء».

(٣) «روضة الطالبين» (١/ ٢٠٤)، و «المنهاج» (١/ ١٣٨) ــ مع «مغني المحتاج». قال في «الروضة»: «وهو قول أكثر أصحابنا». اهـ.

(٤) انظر: «نهاية المحتاج» (١/ ٤١٧) له. والرملي هو: شمس الدِّين محمد بن أحمد بن حمزة الرملي، نسبةً إلى الرملة، من قرى المنوفية بمصر، يقال له: الشافعي الصغير. توفي سنة (١٠٠٤هـ).

(٥) أي: الهيتمي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد، المتوفى سنة (٩٧٤هـ)، خالف النوويَّ رحمه الله.

(٦) أي: الشيخ زكريا الأنصاري، صاحب «شرح المنهج»، المتوفى سنة (٩٢٦هـ).

(٧) «تحفة المحتاج» (١/ ٤٧٣) ــ ومعه حاشية الشرواني وابن قاسم.

الصحابة احتجوا بتقديم الصدِّيق للإمامة على أحقيته بالخلافة، ولم يقولوا بذلك في بلال وغيره. قلت: الأصح أنه مع الإقامة لا وحده ــ كما اعتمده خلافًا لمن نازع فيه ــ أفضل، والله أعلم» انتهى.

وأما الإمامة: فهي تحصيل الجماعة، وأقلها إمام ومأموم.

ولها شروط ثلاثةَ عَشَرَ:

أحدها:

الإسلام: فلا تصح إمامة الكافر المُعلِن بكفره، كاليهودي والنصراني، وكذا المُخفي كالزنديق، اعتبارًا بما في نفس الأمر.

قال ابن حجر في «التحفة»[1]: «ويصح الاقتداء بمجهول الإسلام ما لم يَبِنْ خلافُه ولو بقوله؛ لأن إقدامه على الصلاة دليلٌ ظاهرٌ على إسلامه.

وفي «المجموع»[2]: لو بان أن إمامه لم يكبِّر للإحرام بَطَلت صلاته، لأنها لا تخفى غالبًا، أو كبَّر ولم ينو، فلا. انتهى.

قال الحِناطي[3] وغيره: ولو أحرم بإحرامه ثم كبر ثانية بنية ثانية

---

(١) (٢/ ٢٩٠، ٢٩١).

(٢) (٤/ ١٥٩).

(٣) هو أبو عبد الله: الحسين بن محمد بن عبد الله الحناطي [نسبة إلى بيع الحنطة] العابري، من أكابر فقهاء الشافعية، قال عنه السبكي: «كان إمامًا جليلاً، له المصنفات والأوجه المنظورة. قدم بغداد وحدَّث بها، ووفاته ــ فيما يظهر ــ بعد الأربعمائة بقليل، أو قبلها بقليل، والأول أظهر». اهـ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ١٦٠). من مصنفاته: «الكفاية في الفروق». انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٤٩٩)، وذكر أنه توفي سنة (٤٩٥هـ).

سرًّا بحيث لم يسمع المأمومُ، لم يضرَّ في صحة الاقتداء وإن بطلت صلاة الإمام، أي: لأن هذا مما يخفى، ولا أمارة عليه[1].

لا[2] إن بان إمامه محدثًا أو جنبًا، أو ذا نجاسة خفيَّة في ثوبه أو مَلاقيه[3] أو بدنه، ولو في جمعة إن زاد على الأربعين كما يأتي؛ إذ لا أمارة [عليها]، فلا تقصير. ومن ثمَّ لو علم ذلك ثم نسيه واقتدى به ولم يحتمل تطهرَه[4]؛ لزمته الإعادة. أما إذا بان ذا نجاسة ظاهرة فتلزمه[5] الإعادة لتقصيره» انتهى كلامه[6].

والثاني:

العقل: فلا تصح إمامة المجنون؛ إذ لا يعتد بصلاته.

نعم، لو كان له حالة جنون وحالة إفاقة، وحالة إسلام وحالة ردَّة، واقتدى به ولم يدر في أي حالة صلَّى؛ فلا إعادة عليه، لكن تستحب. قاله «في الروضة»[7].

---

(١) إلى هنا انتهى كلام الحناطي.

(٢) هذا كلام ابن حجر، وهو متعلق بما نقله أوَّلاً عن «المجموع» من بطلان صلاة المقتدي إن بان أنَّ إمامه لم يكبر للإحرام؛ لأنه مما لا يخفى غالباً. ثم قال هنا: «لا إن بان إمامه محدثاً أو جنباً. . .».

(٣) الملاقي: في «المعجم الوسيط» (٢/ ٨٣٦): «مآزم الفرج ومضايقه». اهـ. وفي «القاموس المحيط»: (ص١٧١٦): «شُعَب رأس الرَّحِم، جمع مَلْقَى ومَلْقاة». اهـ.

(٤) في الأصل: «تطهيره»، والتصويب من «تحفة المحتاج».

(٥) في الأصل: «فلزمه»، والتصويب من «التحفة».

(٦) أي كلام ابن حجر في «تحفة المحتاج».

(٧) (١/ ٣٥٣).

ولا المغمى عليه؛ لأنه نوع من الجنون. ولا السكران؛ لزوال عقله بالسكر، ولقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣]، ومثله كل من شرب دواء مجنِّنًا حتى زال عقله. انتهى من «غاية المرام في أحكام المأموم والإمام»[1] للشمس الرملي.

والثالث:

التمييز: فلا تصح إمامة غير المميِّز؛ لأنه ليس من أهل العبادات.

واختلف في حدّ المميز، فقيل: هو ابن سبع سنين.

وأحسن ما قِيل فيه ما ذكره الشهاب الرملي، وهو: أن يصير الطفل ــ ذكرًا كان أو أنثى ــ بحيث يأكل وحده ويشرب وحده ويستنجي وحده؛ لأنه ﷺ سُئل: متى يصلي الصبي؟ فقال: «إذا عرف شماله من يمينه»[2]. والمراد: ما يضرُّه وينفعه.

---

(١) شرح فيه رسالة والده.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٧) من رواية هشام بن سعد عن معاذ بن عبد الله بن خُبيب الجُهَني، قال [أي هشام]: «دخلنا عليه، فقال لامرأته: متى يصلي الصبي؟ فقالت: كان رجل منا يذكر عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن ذلك فقال: . . . .» الحديث. قال ابن القطان: «لا تعرف هذه المرأة، ولا الرجلُ الذي رَوَتْ عنه». ذكره الحافظ في «التلخيص الحبير» (١/ ١٨٤)، وقال: «وقد رواه الطبراني من هذا الوجه فقال: عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه: أن النبي ﷺ، به، وقال: لا يروى عن عبد الله بن خبيب ــ وله صحبة ــ إلاّ بهذا الإسناد، تفرد به عبد الله بن نافع عن هشام. وقال ابن صاعد: إسناد حسن غريب». اهـ. =

والرابع:

الذكورة[1]: فيمن أمَّ برجل أو خنثى، فلا يصح اقتداء رجل ولا خنثى بامرأة ولا خنثى؛ لأن المرأة ناقصة عن الرجل والخنثى المأموم بالمرأة يجوز أن يكون ذكرًا. ولقوله ﷺ: «لن يفلح قوم وَلَّوْا أمرَهمُ امرأة»[2]، مع خبر ابن ماجه[3]: «لا تَؤُمَّنَّ امرأةٌ رجلاً». فقوله: «رجلاً» شامل للصبـي؛ لأنه في مقابلة المرأة.

ولو اقتدى رجل بخنثى فبان رجلاً لم يسقط القضاء؛ لعدم صحة القدوة.

= وهشام بن سعد ـ وهو في الوجهين ـ قال عنه في «تقريب التهذيب» (ص ٥٧٢): «صدوق له أوهام». اهـ.

وعبد الله بن نافع: هو الصائغ، قال عنه في «التقريب» (ص ٣٢٦): «ثقة صحيح الكتاب، في حفظه لِين». اهـ.

فالحديث ضعيف؛ لضعف الطريقين والاضطراب في إسناده.

(١) وهذا قول عامة العلماء. انظر: «المحلى» (٣/ ١٢٥). وقال بعض الحنابلة: يجوز أن تؤم المرأة الرجال في التراويح، وتكون وراءهم. ذكره ابن قدامة في «المغني» (٣/ ٣٣) وردّه.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ١٢٦) من حديث أبـي بكرة، قال: «لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجَمَل، بعدما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتلَ معهم. قال: لما بلغ رسولَ الله ﷺ أن أهل فارسَ قد ملّكوا عليهم بنتَ كسرى قال: . . .» فذكره.

(٣) «سنن ابن ماجه» (١٠٨١)، وهو جزء من حديث طويل من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٢٠٣): «هذا إسناد ضعيف؛ لضعف علي بن زيد بن جدعان، وعبد الله بن محمد العدوي». اهـ.

والخامس:

اجتماع شروط الصلاة فيه يقينًا أو ظنًّا: إذ معظم الأحكام مبنية على غلبة الظن، مِن: **طهارة**؛ لقوله ﷺ: «لا يقبل الله صلاة بغير طُهور»[1]، **وستر عورة، واجتناب نجاسةٍ غيرِ معفوٍ عنها في ثوب أو بدن أو مكان**.

أما النجاسة المعفوُّ عنها، فلا يضرّ عدم اجتنابها. فلو صلَّى شخص خلف آخرَ ظانًّا اجتماعَ الشروط فيه، ثم تبين له أنه محدث أو جنب أو ذو نجاسة خفية في ثوبه أو بدنه وهي غير معفو عنها؛ صحت صلاة المأموم، ولا تلزم الإعادة؛ لانتفاء التقصير منه في ذلك، بخلاف النجاسة الظاهرة فإنه ينسب فيها إلى تقصير، فتلزمه الإعادة. وقد تقدم عن «التحفة» ما يُصرِّح بما ذكرنا وزيادة، فراجعه.

والسادس:

أن لا يكون أميًا والمقتدي قارئًا[2]: وإن لم يمكنه التعلمَ ولا عُلِم بحاله؛ لأنه لا يصلح لتحمل القراءة عنه لو أدركه راكعًا مثلاً، ومن شأن الإمام التحمل.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) وهذا قول الشافعي في الجديد، وهو الصحيح عند الشافعية ـ كما ذكر النووي في «المجموع» (٤/ ١٦٤، ١٦٥) ـ وقول أبـي حنيفة ومالك وأحمد.
وقال الشافعي في القديم: يصح في الصلاة السرية دون الجهرية.
وفي قولٍ مخرَّجٍ للشافعية: يصح مطلقًا. واختاره المُزَني وأبو ثور وابن المنذر، وهو مذهب عطاء وقتادة.
انظر: «المجموع» (٤/ ١٦٤، ١٦٥)، و«الإفصاح» (١/ ١٦١).

فلو اقتدى بمن ظنه قارئًا فبان أميًّا؛ وجبت الإعادة، سواء كانت الصلاة سرِّيةً أو جهريَّة.

والمراد به[1]: من يخلُّ بحرف أو تشديدة من الفاتحة، **كالأرتِّ**، وهو من يدغم حرفًا في حرف في غير موضع الإدغام. **والألثغ**، وهو من يبدل حرفًا بحرف كالسين بالثاء، والذال بالزاي، والراء بالغين، ومَن في لسانه رخاوةٌ تمنعه التشديد.

فإن كان المقتدي مثلَه ــ بأن اتفقا في المعجوز عنه وإن لم يكن مثله في الإبدال، كما إذا عجز عن الراء وأبدلها أحدهما غينًا والآخر لامًا ــ [صحّ][2]، بخلاف عاجز عن راء بعاجز عن سين وإن اتفقا في البدل لإحسان أحدهما ما لم يحسنه الآخر.

وتكره القدوة **بالتمتام والفأفاء**، وهو من يكرر الحرف[3]؛ لزيادته ونفرة الطبع عن سماعه، ومن ثمّ كرهت له الإمامة، وصحت[4] لعذره مع إتيانه بأصل الحرف، **وباللاَّحن إن لم يغير المعنى**[5]، كفتح دال

---

(١) أي بالأمي.

(٢) ما بين المعقوفين ليس في الأصل، والسياق يقتضيها.

(٣) التَّمْتام: من يكرر التاء.
والفَأْفاء: من يكرر الفاء.
انظر: «المغني» (٣/ ٣٢).

(٤) ونَصَّ عليه الحنابلة أيضًا. انظر: «المغني» (٣/ ٣٢).

(٥) أي: تكره إمامته وتصح. وهو قول الحنابلة وقولٌ للمالكية. وقال الحنفية ــ وهو قول للمالكية ــ: تبطل الصلاة ولو كان في غير الفاتحة. انظر: =

﴿ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: ٥] وكسر بائها ونونها، لبقاء المعنى، وإن أثم بتعمد ذلك.

فإن غيَّر المعنى كضم تاء ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ [الفاتحة: ٧] أو كسرها؛ فلا تصح صلاته ولا القدوة به[1].

هذا إن أمكنه التعلم ولم يتعلم؛ لأنه أتى بما ليس بقرآن. قال في «التحفة»[2]: «نعم، إن ضاق الوقت صلَّى؛ لحرمته. ويظهر أنه لا يأتي بتلك الكلمة؛ لأنها غير قرآن قطعًا، فلم تتوقف صحة الصلاة [حينئذ] عليها. بل تعمدُها ولو من مثل هذا مبطل، وأعاد لتقصيره، وحذف هذا من أصله[3] لأنه معلوم، ولا يجوز الاقتداء به في الحالين». انتهى.

وأما إذا لم يمكنه التعلم، فإن كان في الفاتحة فكأمِّيٍّ، وإلَّا فتصح صلاته والقدوة به.

قال الشمس الرملي في «شرحه على الزُّبَد»[4]: «أما لو كانت اللثغة يسيرةً لا تمنع إتيانه بالحرف على معناه، فهي غير مؤثرة في صحة القدوة» انتهى.

= «المجموع» (٤/ ١٦٦)، و «المغني» (٣/ ٣٢)، و «الإنصاف» (٢/ ٢٧٠، ٢٧٢)، و «جواهر الإكليل» (١/ ٧٨)، و «حاشية ابن عابدين» (١/ ٣٨٩).

(١) أي إذا كان التغيير في الفاتحة. فأما في غيرها فلا تبطل. وهو ــ أيضًا ــ قول الحنابلة في المذهب عندهم وقول للمالكية. انظر: المصادر السابقة.

(٢) (٢/ ٢٨٧).

(٣) أي حذف النووي رحمه الله هذا الاستدراك من «منهاجه».

(٤) المسمى بـ «غاية البيان شرح زُبَدِ ابن رسلان» (ص ١٧٢) ــ ط دار الكتب العلمية.

والسابع:

أن تكون أفعال الإمام ظاهرة: ليتمكن من متابعته، فلو أجرى أفعال الصلاة على قلبه لعجزه عن إظهارها لم يصح الاقتداء به؛ للعجز عن الاطلاع على أفعال صلاته.

والثامن:

أن لا يعتقد المأموم بطلان صلاة الإمام: كأن يختلف اجتهادهما في القِبلة، أو إنائين: طاهر ونجس، فإن تعدد الطاهر فالأصح الصحة، ما لم يتعيَّن إناء الإمام للنجاسة.

قال ابن حجر: «ويؤخذ منه كراهة الاقتداء هنا للخلاف في بطلانه، وأنه لا ثواب في الجماعة؛ لما يأتي في بحث الموقف أن كلّ مكروه من حيثُ الجماعةُ يَمْنَعُ فضلها»[1]. اهـ.

والتاسع:

معرفة أركان الصلاة وشروطها: لأن من لا يعرف ذلك لا تصح صلاته لنفسه، فكيف تصح إمامته.

وأركان الصلاة سبعةَ عشرَ: النية، وتكبيرة الإحرام، والقيام للقادر، وقراءة الفاتحة، والركوع، والطمأنينة فيه، والاعتدال، والطمأنينة فيه، والسجود، والطمأنينة فيه، والجلوس بين السجدتين، والطمأنينة فيه، والتشهد الأخير، والقعود له، والصلاة على النبي ﷺ، والتسليمة الأولى، وترتيب هذه الأركان.

---

(١) «تحفة المحتاج» (٢/ ٢٧٨).

وأما شروطها: فيشترط قبل الدخول فيها خمس: الطهارة عن الحدث والنجس، وستر العورة، واستقبال القبلة، والعلم بدخول الوقت يقينًا أو ظنًّا، والخامس: العلم بفريضة الصلاة، بأن لا يقصد بفرض نفلاً، فإن اعتقد أن جميع أفعال الصلاة فرض، أو البعضَ فرضٌ والبعض سنَّة، ولم يميِّز ولم يقصد بفرض نفلاً: صحت صلاته، أو أن الجميعَ سنةٌ أو البعضَ سنةٌ والبعضَ فرضٌ وقصد بفرض نفلاً: فلا.

والعاشر:

أن لا تلزمه إعادة: وإن اقتدى به مثله. كمقيمٍ يتيمم لعدم الماء في محل يغلب فيه وجودُه، وفاقدِ الطهورين، ومتيممٍ للبرد؛ لعدم الاعتداد بصلاته[1].

والحادي عشر:

أن لا يكون مقتديًا بغيره: فلا يصح اقتداؤه بمقتد؛ لأنه تابع

(١) القول بالإعادة لفاقد الطهورين والمتيمم للبرد، هو ـ أيضًا ـ رواية عن أحمد. وكذا قال مالك في رواية عنه في فاقد الطهورين. وأما أبو حنيفة فقال فيه: لا يصلي حتى يجد الماء أو الصعيد.
وذهب مالك وأحمد ـ في رواية عنهما ـ إلى أن فاقد الطهورين لا يعيد. كما ذهب أبو حنيفة ومالك ـ وهو رواية عن أحمد ـ إلى أن المتيمم لشدة البرد لا يعيد. انظر: «الإفصاح» لابن هبيرة (١/ ٩٧، ٩٨).
ولعل القول بعدم الإعادة في المسألتين هو الراجح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكل من صلى في الوقت كما أُمر بحسب الإمكان فلا إعادة عليه. وسواء كان العذر نادرًا أو معتادًا. قاله أكثر العلماء». اهـ. «الاختيارات الفقهية» للبعلي (ص ٤٧).

لغيره، يلحقه سهوه. ومن شأن الإمام الاستقلال وحمل سهو الغير، فلا يجتمعان.

وما في الصحيحين من أن الناس اقتدَوْا بأبي بكر خلف النبي ﷺ محمول على أنهم كانوا مقتدين به ﷺ، وأبو بكر يُسمِعهم التكبير، كما في الصحيحين[1] أيضًا.

والثاني عشر:

أن يكون موافقًا في الفروع الاجتهادية: فإن اختلفا فيها بأن مسّ الحنفي فرجه وصلَّى ولم يتوضأ، أو ترك الاعتدال أو الطمأنينة، أو قرأ غير الفاتحة، فلا تصح صلاة الشافعي خلفه.

أما إذا حافظ الحنفي على جميع ما يعتقد الشافعيُّ وجوبَه واشتراطَه فيصح اقتداؤه به.

بل لو شك هل أتى بالواجبات أوْ لا؟ صح أيضًا على الصحيح.

فإن تيقن عدمَ محافظته، لم يصح اقتداؤه؛ اعتبارًا بنية المقتدي[2].

---

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ٢٠٣، ٢٠٤)، و«صحيح مسلم» (١/ ٣١١، ٣١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) قال ابن قدامة ــ رحمه الله ــ في «المغني» (٣/ ٢٣، ٢٤):
«فأما المخالفون في الفروع ــ كأصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي ــ فالصلاة خلفهم صحيحة غير مكروهة. نَصَّ عليه أحمد؛ لأن الصحابة والتابعين ومَن بعدهم لم يَزَلْ بعضهم يأتم ببعض، مع اختلافهم في الفروع، فكان ذلك إجماعًا. =

والثالث عشر:

أن يكون معروفًا: فلو رأى رجلين يصليان جماعة، وشك أيهما الإمام؟ لم يَجُزِ الاقتداءُ بواحد منهما، حتى يظهر الإمام منهما.

وبعضهم أوصل الشروط إلى أكثرَ مما ذكرناه، وإنما أعرضنا عنه لتداخلها في المذكور، كما لا يخفى على المتأمِّل، والله سبحانه أعلم.

= ولأن المخالف إما أن يكون مصيبًا في اجتهاده، فله أجران: أجر على اجتهاده، وأجر لإصابته، أو مخطئًا فله أجر على اجتهاده، ولا إثم عليه في الخطإ؛ لأنه محطوط عنه.

فإن عَلِمَ أنه يترك ركنًا أو شرطًا يعتقده المأموم دون الإمام، فظاهر كلام أحمد صحة الائتمام به. قال الأثرم: سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل صلَّى بقوم وعليه جلود الثعالب، فقال: إن كان يلبَسه وهو يتأول: «أيما إهاب دُبِـغَ فقد طهر»، يُصَلَّى خلفه. قيل له: أفتراه أنت جائزًا؟ قال: لا، نحن لا نراه جائزًا، ولكن إذا كان هو يتأول فلا بأس أن يصلى خلفه. ثم قال أبو عبد الله: لو أن رجلاً لم يرَ الوضوء من الدم لم يُصَلِّ خلفه؟! ثم قال: نحن نرى الوضوء من الدم، فلا نصلي خلف سعيد بن المسيَّب ومالكٍ ومَن سهّل في الدم؟ أي: بلى».

قال ابن قدامة: «ورأيت لبعض أصحاب الشافعي مسألةً مفردةً في الرد على من أنكر هذا، واستدل بأن الصحابة كان يصلي بعضهم خلف بعض مع الاختلاف. ولأن كل مجتهد مصيب أو كالمصيب في حطِّ المأثم عنه، وحصولِ الثواب، وصحة الصلاة لنفسه، فجاز الائتمام به، كما لو لم يترك شيئًا.

وذكر القاضي فيه روايةً أخرى: أنه لا يصح ائتمامه به؛ لأنه يرتكب ما يعتقده المأموم مفسدًا للصلاة، فلم يصح ائتمامه به، كما لو خالفه في القبلة حالَ الاجتهاد فيها». اهـ.

وأما الصفاتُ التي تستحب في الإمام المقتضيةُ تقديمَه:

* فأن يكون عدلاً: فهو مقدم على الفاسق وإن اختص بزيادة الفقه وغيره من الفضائل؛ لأنه لا وثوق به في المحافظة على الشروط؛ ولخبر الحاكم وغيره[1]: «إنْ سَرَّكم أن تُقْبَلَ صلاتُكم فليؤمَّكم خيارُكم؛ فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم».

بل تكره الصلاة خلف الفاسق لذلك، وإنما صحت؛ لما رواه الشيخانِ[2] رضي الله عنهما: أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يصلي خلف الحَجَّاج.

---

(١) «مستدرك الحاكم» (٣/ ٢٢٢) وسكت عنه. كما أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٣٢٨) (٧٧٧). والحديث من رواية مَرْثد بن أبي مَرْثد الغَنَوي.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٦٤): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه يحيى بن يعلى الأسلمي، وهو ضعيف». اهـ.

(٢) بل هو عند البخاري فقط في حديث كما ذكره الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٤٣). وليس في الأثر التصريح بأنه صلَّى خلفه، لكنه استنباط، وهو حديث يرويه سالم قال: «كتب عبد الملك إلى الحجاج أن لا يخالف ابن عمر في الحج...» الأثر، أخرجه البخاري في: كتاب الحج ـ باب التهجير بالرواح يوم عرفة (٣/ ٥١١، ٥١٣، ٥١٤) ـ «الفتح». قال الحافظ في فوائد هذا الأثر: «وفيه صحة الصلاة خلف الفاسق». اهـ.
وقد أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٣٧٨) عن عمير بن هانىء قال: «شهدت ابن عمر والحجاجُ محاصرٌ ابنَ الزبير، فكان منزل ابن عمر بينهما، فكان ربما حضر الصلاة مع هؤلاء، وربما حضر الصلاة مع هؤلاء». قال الألباني في «إرواء الغليل» (٢/ ٣٠٣): «وهذا سند صحيح على شرط الستة». اهـ.

قال الشافعي رضي الله عنه: وكفى به فاسقًا. انتهى.

* **وأن يكون فقيهًا في باب الصلاة وما يتعلق بها**: وإن لم يحفظ غير الفاتحة، فهو مقدم على الأقرإ؛ لأن افتقار الصلاة للفقه لا ينحصر، بخلاف القرآن، ولتقديمه ﷺ أبا بكر في الصلاة على غيره مع أنه ﷺ نص على أن غيره أقرأُ منه.

* **وأن يكون قارئًا**: فهو مقدم على الورِع. قال الشمس الرملي: «لأنها أشد احتياجًا إليه من الورع؛ ولخبر مسلم[1] عن أبـي مسعود البدري رضي الله عنه: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً فأعلمُهم بالسنَّة، فإن كانوا في السنَّة سواءً فأقدمُهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرة سواءً فأقدمُهم سِنًّا»، (وفي رواية: سِلْمًا[2]) ـ، «ولا يَؤُمَّنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه، ولا يقعدْ في بيته على تكرِمته[3] إلاَّ بإذنه».

وظاهره تقديم الأقرإ على الأفقه، كما هو وجه.

وأجاب عنه الشافعي: «بأن الصدر الأول كانوا يتفقهون مع القراءة، فلا يوجد القارىء إلاَّ وهو فقيه»، انتهى.

* واعلم أن المراد بالفقه والقراءة: أن يكونا فيه زيادةً على القدر الواجب كما عُلم مما تقدم.

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ٤٦٥).

(٢) أي إسلامًا.

(٣) قال العلماء: التَّكْرِمة: الفراش ونحوه مما يُبْسَطُ لصاحب المنزل ويُخَصُّ به. «شرح مسلم» للنووي (٥/ ١٧٤).

* **وأن يكون وَرِعًا**: فهو مقدم بعد الفقيه والقارىء. وفُسِّر الوَرَعُ بأنه: اجتناب الشبهات خوفًا من الله تعالى، وهو زيادة على العدالة من حسن السيرة والعفة.

والزهد أعلى من ذلك؛ إذ هو ترك ما زاد على الحاجة. وإذا جعلنا الزهدَ غيرَ الورَع قُدِّم الزاهد.

ثم يقدم من هاجر إلى رسول الله ﷺ، أو بعده إلى دار الإسلام على من لم يهاجر. ويقدم من تقدمت هجرته على من تأخرت، وأولادُ من هاجر أو تقدمت هجرته على أولاد غيره.

ثم الأسن في الإسلام على الأنسب للخبر السابق؛ ولخبر الصحيحين[1]، عن مالك بن الحويرث: «لِيَؤُمَّكم أكبرُكم»، والعبرة بالأسن في الإسلام لا بكبر السن، فيقدم شاب أسلمُ أسنُّ على شيخ أسلمَ اليوم.

ثم النسب: فيقدم القرشي على غيره؛ لخبر مسلم[2]: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مُسْلِمُهم تبع لمسلمهم، وكافرُهم تبع لكافرهم».

والمراد بهذا الشأن الإمامة الكبرى، فقسنا عليها الصغرى.

فإن استويا في جميع الصفات، قدم بنظافة الثوب والبدن عن الأوساخ، وبطيب الصنعة، وحسن الصوت والهيئة.

---

(١) سبق تخريجه في (ص ٢٩).

(٢) «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فإن تساويا وتشاحّا أُقرع؛ قطعًا للمنازعة.

ويقدم الوالي في محل ولايته، ويقدم المكتري على المالك؛ لملكه المنفعة، ومثله كل من يملك المنفعة ولو بدون الرقبة، كالموصىٰ له بالمنافع، فيقدم على المالك، والمعير على المستعير، والسيد على عبده لا على مكاتَبِه في داره.

وإمام المسجد الراتب أولى من غيره، وإن اختص غيره بفضيلة، لخبر: «لا يَؤمَّنَ الرجلُ الرجلَ في سلطانه»[1]، فإن لم يحضر استحب طلبه إذا أبطأ ليحضر أو يأذن في الإمامة. فإن خيف فواتُ أول الوقت استُحب تقديم غيره ليحوزوا فضيلة أول الوقت، إلاَّ أن يخافوا فتنةً فيصلوا فرادى. وتسن الإعادة معه إن حضر تطييبًا لخاطره وتحصيلاً لفضيلة الجماعة.

وأما السنن المستحبة للإمام ــ المتأكدُ منها وغيره ــ فكثيرة:

ولنقتصر منها على ما نقله الرملي في «شرح رسالة والده»[2] فقال: «**وأما سننها:**

فمنها: **أبعاض يُجْبَرُ تركُها بسجود السهو**، وهي ثمانية: التشهد الأول، والقعود له[3]، والصلاة على النبي ﷺ فيه، وعلى آله في

---

(١) سبق تخريجه في (ص ٤٣).

(٢) واسمها: «غاية المرام في شرح شروط المأموم والإمام»، وقد ذكره المصنف في (ص ٣٣) من هذه الرسالة بنحو هذا الاسم.

(٣) وقد ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي إلى أن الجلوس الأول والتشهد له سنة. وأما أحمد، ففي الجلوس روايتان عنه: إحداهما سنة، والأخرى واجب. =

الثاني، والقيام للقنوت[1]، والصلاة على النبـي ﷺ، وعلى الآل فيه.

والباقي هيئات، وهي أربعون:

رفع اليدين عند الإحرام حذو منكبيه، وإمالة أطراف الأصابع نحو القبلة، على ما ذكره المحاملي، وهو غريب، والتفريج بين الأصابع، ووضع اليمين على الشمال، وحطهما تحت صدره وفوق سرته[2]، والنظر إلى موضع سجوده[3]، والاستفتاح، والتعوذ، والجهر بالفاتحة

= وأما التشهد فالرواية المشهورة عنه أنه واجب. انظر: «الإفصاح» لابن هبيرة (١/ ١٤٢).

(١) القنوت بعضٌ، والقيام له كذلك، فهما اثنان. انظر: «المنهاج» مع «مغني المحتاج» (١/ ٢٠٥).

(٢) وهو الصحيح عند الشافعية ورواية عن أحمد، وقول بعض المالكية. انظر: «روضة الطالبين» (١/ ٢٣٢)، و «المغني» (٢/ ١٤١)، و «شرح الزرقاني على الموطإ» (١/ ٣٢٠، ٣٢١).
وذهب بعض العلماء إلى أنه يضعهما على الصدر، وهو قول القاضي عياض في كتابه «الإعلام» كما في «صفة صلاة النبـي ﷺ» للألباني رحمه الله (ص ٨٨)، وبه أخذ الشوكاني في «نيل الأوطار» (٢/ ٢٠٤)، والصنعاني في «سبل السلام» (١/ ٣٢٨)، والمباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٢/ ٨٣ ــ ٩٥). وهو قول الحنفية في حق المرأة كما في «بدائع الصنائع» (٢/ ٥٣٤).
ولعل القول بالوضع على الصدر مطلقًا أرجح؛ لورود عدة أحاديث فيه، وهي وإن كانت في نفسها ضعيفةً، إلاَّ أنه يقوي بعضها بعضًا. والأمر في ذلك واسع إن شاء الله.

(٣) وهو ــ أيضًا ــ قول الحنابلة.
انظر للشافعية: «مغني المحتاج» (١/ ١٨٠) وذكر فيه أنه يستثنى من ذلك =

والسورة فيما يجهر فيه ـ ومما يسن الجهر فيه: العيدان وخسوف القمر[1] ـ ، والتأمين، والجهر به في الجهرية، وقراءة السورة بعد الفاتحة، والتكبير للركوع، والتسبيح فيه، ومدّ الظهر والعنق فيه، وذكر الاعتدال، وذكر الرفع منه، ورفع اليدين عند الاعتدال، والتكبير للسجود، وأن يضع على الأرض ركبتيه، ثم يديه[2]، ثم جبهته وأنفه، وأن يضم أصابع يديه[3]، بخلاف الركوع وعند رفع اليدين، وأن يضعهما نحو القبلة، وأن يجافي الذَّكَرُ في ركوعه وسجوده، والتسبيح في السجود، والتكبير عند الرفع منه، وأن يجلس بين السجدتين مفترشًا، يجلس على اليسرى وينصب اليمنى، وأن يدعو في الجلسة، وأن يجلس للاستراحة بعد السجدة الثانية في الركعة التي يقوم بعد

= المصلي على جنازة، فينظر إليها.

وانظر ـ للحنابلة ـ : «المغني» (٢/ ٣٩٠)، وذكر في «الروض المربع» (٢/ ٢١) أنه يستثنى من ذلك صلاة الخوف.

(١) وذهب أحمد والصاحبان من الحنفية إلى أنه يجهر بكسوف الشمس أيضًا، خلافًا لأبي حنيفة ومالك والشافعي. والقول بالجهر هو الأرجح؛ لحديث عائشة المتفق عليه «صحيح البخاري» (٢/ ٥٤٩)، و «صحيح مسلم» (٢/ ٦٢٠).

(٢) وهو قول الحنفية والشافعية والمشهور عند الحنابلة، واختيار ابن عبد البر. ونسبه الترمذي والخطابي إلى أكثر أهل العلم. انظر: «بدائع الصنائع» (٢/ ٥٥٣)، و «مغني المحتاج» (١/ ١٧٠)، و «الإنصاف» (٢/ ٦٥)، و«الكافي» لابن عبد البر (ص ٤٤)، و «سنن الترمذي» (٢/ ٥٧)، و «معالم السنن» (١/ ٣٩٧)، والخلاف في المسألة مشهور.

(٣) أي: في السجود.

سجـودهـا[1]، وأن يعتمـد بيـديـه علـى الأرض عنـد القيـام[2]، والتكبيـر عنـد القيـام مـن التشهـد الأول، ورفـع اليـديـن حينئـذٍ[3]، والجلـوس فـي التشهـد الأول مفتـرشًـا كـالجلـوس بيـن السجـدتيـن، والإشـارة بـالمسبِّحـة فـي التشهـد عنـد التـوحيـد[4]

---

(1) القول باستحباب جلسة الاستراحة هو المشهور من قول الشافعي، وهو ـ أيضًا ـ قول جماعة من الصحابة والتابعين، ورواية عن أحمد، وقول ابن حـزم. انظـر: «المجمـوع» للنـووي (٣/ ٤٢١)، و «المغنـي» (٢/ ٢١٣)، و «المحلى» (٤/ ١٢٤). قـال ابـن قـدامـة فـي «المغنـي» (٢/ ٢١٣): «قـال الخلاّل: رجع أبو عبد الله إلى هذا».

(2) وهـو ـ أيضًـا ـ قـول المـالكيـة وروايـة للحنـابلـة. انظـر: «مغنـي المحتـاج» (١/ ١٨٢)، و «حاشية العدوي على شرح الرسالة» (١/ ٢٣٨)، و «الإنصاف» (٢/ ٧٢).

(3) هو وجه للشافعية صححه النووي رحمه الله. وهو ـ أيضًا ـ قول البخاري وبعـض المـالكيـة، وروايـة عـن أحمـد اختـارهـا شيـخ الإسـلام ابـن تيميـة والمرداوي. انظر: «روضة الطالبين» (١/ ٢٦٦، ٢٦٧)، و «جزء رفع اليدين» للبخاري (ص ١٨٩) ـ مطبوع مع «جلاء العينين» لبديع الدين السندي ـ و «حـاشيـة الـدسـوقـي» (١/ ٢٤٧)، و «مجمـوع فتـاوى شيـخ الإسـلام» (٢٢/ ٤٥٢)، و «الإنصاف» للمرداوي (٢/ ٨٨).

(4) قال الشافعية: يرفع مسبِّحته في كلمة الشهادة إذا بلغ همزة «إلاَّ الله»؛ لأنه حال إثبات الوحدانية لله تعالى، ويقيمها ولا يضعها كما قال نصر المقدسي.

وقال الحنابلة: يشير عند ذكر الله تعالى فقط.

وقال بعض الحنفية: يشير بالمسبحة إذا انتهى إلى قوله: «أشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله». وعن بعضهم: يرفع عند «لا إلـٰه»، ويضع عند «إلاَّ الله»؛ ليكون الرفع =

بلا تحريك[1]، وأن يجعل السبابة في حال الإشارة منحنية، والتورك

= للنفي، والوضع للإثبات.

وذهب ابن حزم إلى أنه يشير إذا جلس للتشهد، أي في جميعه. وهو ظاهر كلام الشافعي في «الأم» (١/ ١١٦)، وهو وجه شاذ أو ضعيف عند الشافعية كما قال النووي، وهو ــ أيضًا ــ رواية عن أحمد. وكذا لم يقيده المالكية بوقت معين. وهذا القول ــ وهو رفع السبابة من أول الجلوس للتشهد إلى آخره ــ هو الذي تدل عليه ظواهر جميع الأحاديث، والله تعالى أعلم.

انظر: «روضة الطالبين» (١/ ٢٦٢)، و «مغني المحتاج» (١/ ١٧٣)، و «المغني» (٢/ ٢١٩)، و «الإنصاف» (٢/ ٧٦)، و «بدائع الصنائع» (٢/ ٥٦٢)، و «فتح القدير» (١/ ٣١٣)، و «المحلى» (٤/ ١٥١)، و «حاشية الدسوقي» (١/ ٢٥٠، ٢٥١).

(١) هذا هو الصحيح عند الشافعية، أنه لا يحرك السبابة، وهو ــ أيضًا ـ قول الحنفية وقول للمالكية، وقول الحنابلة في الصحيح وابنِ حزم.

وفي قول للشافعية: أنه يستحب تحريكها. وهو ــ أيضًا ــ مروي عن مجاهد ــ كما في «مصنف عبد الرزاق» (٢/ ٢٥٠) و «سنن البيهقي» (٢/ ١٣٣)، وهو المعتمد عند المالكية، وقول للحنابلة اختاره ابن القيم؛ وذلك لحديث وائل بن حُجْر في وصفه لصلاة النبي ﷺ، وفيه: «ثم قبض اثنتين مِن أصابعه، وحلّق حلْقةً، ثم رفع إصبعه فرأيتُه يحركها يدعو بها». أخرجه النسائي (٢/ ٣٧) ــ واللفظ له ــ وأحمد (٤/ ٣١٨)، وابن خزيمة (١/ ٣٥٤)، وصححه النووي في «المجموع» (٣/ ٤٣٤).

والذي يظهر: أن الأحاديث التي فيها مطلق الإشارة دون التحريك هي الأكثر، وهي حديث عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عُمَر عند مسلم (١/ ٤٠٨، ٤٠٩)، وحديث أبي حُمَيْدٍ ومعه التسعة الذين صدّقوه في حديثه، وهو عند أبي داود (١/ ١٩٤، ١٩٦) وغيره. =

في جلوس لا يعقبه حركة، وإلاَّ افترش، وأن يضع في التشهد يديه على فخذيه، وأن يقبض أصابع يده اليمنى إلاَّ المسبِّحة، وأكمل التشهد مع التعوذ من عذاب القبر ونحوه بعد التشهد الأخير، ويكون ما يأتي به بعدُ أنقصَ مما أتى به من التشهد، والتسليمة الثانية، والالتفات يمينًا وشمالاً في التسليمتين» انتهى.

وهذه السنن يشترك فيها الإمام وغيره، لكن يتأكد على الإمام فعلُها ليُقتدى به، فربما يكون سببًا لإحياء السُّنَّة، ولا ينبغي له تركها، والله أعلم.



= فهذه الأحاديث تدل بظاهرها على عدم التحريك؛ إذ لو كان لنقلوه، وليس من لازم الإشارةِ التحريكُ حتى يقال ــ مثلاً ــ : إنما تركوا ذكره للعلم به.
وعلى هذا، فالأفضل للمصلي أن يكون أكثر أحيانه يرفع السبابة دون تحريكها، وأن يحركها أحيانًا؛ جمعًا بين الأحاديث الواردة في هذه المسألة، والله تعالى أعلم.

الباب الثاني
في شروط القدوة

وهي سبعة:

أحدها:

أن لا يتقدم المأموم على الإمام في الموقف: فإن تقدم عليه في غير صلاةِ شدَّة الخوف بطلت[1]؛ لأن هذا أفحشُ من المخالفة في الأفعال المبطلة، أما لو شكَّ في التقدم عليه فلا تبطل وإن جاء من أمامه؛ لأن الأصل عدم المبطل، فقُدِّم على أصل بقاء التقدم.

ولا تضرّ مساواته للإمام لعدم المخالفة، لكنها مكروهة مفوِّتة لفضيلة الجماعة[2].

ويندب تخلفه عنه قليلاً[3] بأن تتأخر أصابعُه عن عَقِبِ إمامه.

---

(١) هذا قول الشافعي في الجديد، وقول أبـي حنيفة وأحمد.
وقال الشافعي في القديم ومالك: تصح صلاته.
انظر: «الإفصاح» لابن هبيرة (١/ ١٦٢).

(٢) القول بتفويت فضيلة الجماعة في هذه الحال محلُّ نظرٍ، والله أعلم.

(٣) هذا قول الشافعية رحمهم الله، وعلَّله في «تحفة المحتاج» (٢/ ٣٠١) بأنه الأدب.
لكن ذهب العلماء إلى أنه يقف بجانبه سواء، كما هو قول عطاء الذي أخرجه =

والاعتبار في التقدم والتأخر والمساواة في حال القيام بالعقب، وفي حال القعود بالأَلْية، وفي الاضطجاع بالجنب، وفي الاستلقاء بالعقب إن اعتمد عليه، وإلاَّ فآخر ما اعتمد عليه فيما يظهر. انتهى. «تحفة»[1] ملخصًا فراجعه فإنه لا يخلو هذا المحل عن فوائد.

وهذا في غير المسجد الحرام، فإن صَلَّوْا فيه فالمستحب أن يقف الإمام خلف المَقام، ويستدير المأمومون حول الكعبة. ولا يضر كونُه[2] أقربَ إلى الكعبة في غير جهة الإمام في الأصح.

قال ابن حجر[3]: «إذ لا يظهر بذلك مخالفة فاحشة، بخلافه في جهته، ويؤخذ من هذا الخلافِ القويِّ أن هذه الأَقْرَبِيَّةَ مكروهةٌ مفوِّتةٌ لفضيلة الجماعة، وهو محتمل، بل متجه، كالانفراد عن الصف، بل أولى؛ لأن الخلاف المذهبي أحق بالمراعاة من غيره، ولو توجه أحدهما للركن فكل من جانبيه جهته». اهـ.

= عبد الرزاق في مصنفه (٣٨٧٠). وبوّب الإمام البخاري رحمه الله (٢/ ١٩٠): «باب يقوم عن يمين الإمام بحذائه سواءً إذا كانا اثنين». قال الحافظ: «وقوله: (سواء): أي لا يتقدم ولا يتأخر». اهـ.

ويدل عليه ظواهر الأحاديث، ومنها حديث ابن عباس المتفق عليه ــ «صحيح البخاري» (٢/ ٢٨٧)، و «صحيح مسلم» (١/ ٥٢٧) ــ في قصة مبيته عند خالته ميمونة واقتدائه بالنبي ﷺ، وفيه: «فقمت إلى جنبه»، قال الحافظ: «وظاهره المساواة». اهـ. «فتح الباري» (٢/ ١٩٠).

(١) «تحفة المحتاج» (٢/ ٣٠٢).

(٢) أي المأموم.

(٣) أي الهيتمي في «تحفة المحتاج» (٢/ ٣٠٣، ٣٠٤).

ويندب للذَّكَر أن يقف عن يمين الإمام، وأن يتأخر عنه قليلاً كما تقدم قريبًا، فإن جاء آخرُ أحرم عن يساره[1]، ثم يتقدم الإمام أو يتأخران حالة القيام، وهو أفضل إن أمكن[2].

وأن يصطف الذكران خلفه.

وإن أَمَّ امرأةً: وقفت خلفه[3]، وكذا النساء.

أو رجلاً وامرأة: وقف الرجل عن يمينه والمرأة خلف الرجل.

أو رجلين وامرأة: وقفا خلفه، وهي خلفهما.

أو رجلاً وامرأة وخنثى: وقف الذكر عن يمينه، والخنثى خلفهما، والمرأة خلف الخنثى.

فإن كثروا: فالرجال، ثم الصبيان، ثم الخناثى، ثم النساء. اهـ. رملي[4].

---

(١) هذا يحتاج إلى دليل، والصواب ما ذكره بعدُ مِن تقدُّم الإمام أو تأخرهما.

(٢) لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الطويل في «صحيح مسلم» (٤/ ٢٣٠٥، ٢٣٠٦)، وفيه أن النبي ﷺ دفعه وجبّارَ بن صخر ـ وكان هو عن يمينه وجبار عن يساره ـ حتى أقامهما خلفه.

(٣) لحديث أنس رضي الله عنه المتفق عليه، وفيه: «قام عليه [أي على الحصير] رسول الله ﷺ، وصففت أنا واليتيمُ [واسمه ضميرة بن سعد الحميري] وراءه، والعجوزُ [واسمها مليكة، جدة أو أم أنس] من ورائنا، فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين، ثم انصرف». «صحيح البخاري» (١/ ٤٨٨)، و «صحيح مسلم» (١/ ٤٥٧).

(٤) انظر: «نهاية المحتاج» (٢/ ١٩٢، ١٩٣).

والثاني:

أن يكون عالمًا بانتقالات الإمام ليتمكن من متابعته، بأن يراه أو يرى بعض صفٍ من المقتدين به، أو واحدًا منهم وإن لم يكن في صف، أو يسمَعه[1] أو يسمعَ صوتَ مبلِّغٍ عنه.

والثالث:

اجتماعهما في الموقف: إذ مقاصد الاقتداء اجتماع جمع في مكان، كما عهد عليه الجماعات في الأعصر[2] الخالية، **ومبنى العبادات على رعاية الاتباع.**

ولاجتماعهما أحوال؛ لأنهما إما أن يكونا بمسجد، أو بغيره في فضاء أو بناء، أو يكون أحدهما بمسجد والآخر بغيره.

فإن جمعهما مسجد: صح الاقتداء، وإن بَعُدت المسافة، وحالت الأبنية، وسواء أتحد البناء أو اختلف، كصحن المسجد وصُفَّته أو منارته، أو سِرْداب[3] فيه؛ لأن المسجد كله مبني للصلاة، فالمجتمعون فيه مجتمعون لإقامة الجماعة، مؤدون لشعارها، إذا علم المأموم بصلاة الإمام ولم يتقدم عليه.

وشرط البنائين في المسجد أن ينفذ أحدهما إلى الآخر، ولا يضر إغلاق باب بينهما، ولا المَرْقَى الذي يُصعَد فيه على السطح. نعم، لو أزيل المنفذ أضر، لتعدد المكان حينئذٍ مع عدم نفوذ أحدهما إلى الآخر

---

(١) أي: أو أن يسمع المأمومُ الإمامَ.

(٢) في الأصل: «العصر»، وهو خطأ.

(٣) وهو بناء تحت الأرض للصيف. مُعَرَّب. «القاموس المحيط» (ص ١٢٤).

على ما اعتمده الرملي[1].

والمساجد التي تنفذ أبوابها بعضها إلى بعضٍ كالمسجد الواحد وإن بَعُدَتِ المسافةُ واختلفت الأبنية، وانفرد كل مسجد بإمام ومؤذن وجماعة.

والحال الثاني: أن يكونا بغير مسجد: فيشترط في الفضاء ـ ولو محوَّطًا أو مسقَّفًا، مملوكًا أو مواتًا، أو وقفًا أو مختلفًا فيها ـ أن لا يزيد ما بين الإمام ومَن خلفه أو مَن على أحد جانبيه ولا ما بين كل صفين أو شخصين ممن يصلي خلفه أو بجانبيه على ثلاثمائة ذراع بذراع الآدمي[2]، وهو شبران تقريبًا، فلا يضر زيادة أذرع يسيرة كثلاثة ونحوها، ولا بلوغ ما بين الإمام والأخير من صفٍّ أو شخص فراسخ[3]. وهذا التقدير مأخوذ من العُرف.

ويشترط مع ذلك فيما إذا كانا في بنائين، أو أحدهما في بناء والآخر في فضاء، ولو كان أحدهما في عُلُوٍّ والآخر في سُفْلٍ، أو كان البناء مدرسةً أو رِباطًا[4]: **أن لا يحول بينهما حائل يمنع الاستطراق أو المشاهدة للإمام لمن خلفه،** كشباك أو باب مردود أو جدارِ صُفَّةٍ

---

(١) انظر: «تحفة المحتاج» (٢/ ١٩٩)، و «شرح الزبد» للرملي (ص ١٧٠).

(٢) الذِّراع هو: مِن طَرَفِ المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى. «القاموس المحيط» (ص ٩٢٥).

(٣) جمع فَرْسخ، وهو: ثلاثة أميالٍ هاشمية، أو اثنا عَشَرَ ألف ذراع، أو عشرة آلاف. «القاموس المحيط» (ص ٣٢٩).

(٤) الرِّباط: ما يُبنى للفقراء، وهو مولَّد. انظر: «المصباح المنير» (١/ ٢١٦).

شرقيةٍ أو غربية لمدرسة إذا كان الواقف فيها لا يرى الإمام ولا من خلفه؛ إذ الحيلولة بذلك تمنع الاجتماع، بخلاف حيلولة النهر ــ وإن أحوج إلى سباحة ــ وشارع.

وكذا إن كان أحدهما خارج المسجد والآخر داخله[1] وبينهما منفذ اشترط مع ما مر ــ لصحة اقتداء من ليس في بناء الإمام ولم يشاهده ولا من يصلي معه في بنائه ــ أن يقف واحد من المأمومين مقابل المنفذِ يشاهد الإمام أو من معه في بنائه. فتصح صلاة من في المكان الآخر تبعًا له، ولا يضر الحائل بينهم وبين الإمام، ويصير المشاهد في حقهم كالإمام، فلا يُحْرِمون قبله، لكن لو فارقهم أو زال عن موقفه لم يضر، إذ يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء. اهـ. «شرح الزُّبَد»[2] للشمس الرملي.

والحال الثالث: أن يكون أحدهما في المسجد والآخر خارجه: بأن وقف الإمام في مسجدٍ [والمأموم][3] خارجه، فإن لم يكن بينهما حائل جاز إذا لم تزد المسافة على ثلاثمائة ذراع كالفضاء، وتعتبر من آخر المسجد.

وأما إذا حال بينهما جدار المسجد وفيه باب نافذ فقد تقدم حكمه قريبًا فراجعه.

---

(١) يلاحظ أن هذا الكلام يلزم دخوله في الحال الثالث الآتي تفصيله قريباً.

(٢) انظر: (ص ١٦٩، ١٧٠).

(٣) في الأصل: «والإمام»، وهو خطأ بيِّن.

والرابع:

«أن ينوي المأموم مع التكبير للتحرم الاقتداءَ، أو الجماعة، أو الائتمام، أو كونه مأمومًا أو مؤتمًا؛ لأن المتابعة عمل؛ فافتقرت للنية»[١].

«والجمعة كغيرها في اشتراط النية المذكورة، وإن افترقا[٢] في أنَّ فقد نية القدوة مع تحرّمها يَمنَع انعقادَها، بخلاف غيرها. وكونُ صحتها متوقفةً على الجماعة، لا يغني عن وجوب نية الجماعة فيها. ومرَّ في المعادة[٣] ما يعلم منه وجوب نية الاقتداء عند تحرّمها فهي كالجمعة». اهـ «تحفة»[٤].

فلو ترك هذه النية وتابع في الأفعال بطلت صلاته؛ للتلاعب، فإن وقع ذلك منه اتفاقًا لا قصدًا أو انتظره يسيرًا أو كثيرًا بلا متابعة، لم تبطل جزمًا.

* ولا يجب على المأموم تعيين الإمام في نيته، بل يكفيه الاقتداءُ بالإمام الحاضر.

واختلاف نية الإمام والمأموم لا تمنع صحةَ الاقتداء، فيجوز أن يقتدي المؤدِّي بالقاضي، وعكسه[٥]، والمفترض بالمتنفل،

---

(١) «تحفة المحتاج» (٢/ ٣٢٤، ٣٢٥).

(٢) أي الجمعة وغيرها من الصلوات.

(٣) أي الصلاة المعادة.

(٤) «تحفة المحتاج» (٢/ ٣٢٦).

(٥) هذا قول الشافعية والمذهب عند الحنابلة ــ واختاره شيخ الإسلام ــ وقول =

وعكسه[1]. اهـ.

وهذه النية للمأموم كما عُلِم.

وأما الإمام: فلا تجب عليه نية الإمامة، إلاَّ في ثلاث[2] صلوات:

أحدها: الجمعة: فإن لم ينوها لم تصحَّ جمعتُه، لعدم استقلاله فيها، سواء كان من الأربعين أم زائدًا على الأربعين. نعم، إن لم يكن من أهل الوجوب ونوى غير الجمعة لم يشترط ذلك.

وكذا لا تصح جمعهتم إن كان من الأربعين؛ إذ لو حُكم بصحتها لزم انعقادها بدون أربعين.

وثانيها: المنذورة: بأن نذر شخص أن يصلي في جماعة، وصلى إمامًا، فتجب نية الإمامة فيها، كالجمعة.

= الظاهرية. انظر: «الأم» (١/ ١٧٤)، و«مغني المحتاج» (١/ ٢٥٣)، و «الإنصاف» للمرداوي (٢/ ٢٧٥)، و «الاختيارات الفقهية» للبعلي (ص ١٢٧)، و «المحلى» (٤/ ٢٢٤).

(١) أما اقتداء المتنفل بالمفترض فهو قول عامة العلماء. انظر: «المجموع» للنووي (٤/ ١٦٩)، و «الإفصاح» (١/ ١٦٢).
وأما اقتداء المفترض بالمتنفل، فهو قول الشافعية ورواية عند الحنابلة ــ اختارها شيخ الإسلام ــ وقول ابن حزم.
وذهب الحنفية والمالكية والحنابلة في المذهب عندهم إلى عدم الجواز.
والراجح الجواز؛ لحديث صلاة معاذ بقومه العشاء الآخرة بعد أن كان يصليها مع رسول الله ﷺ. أخرجه البخاري (١٠/ ٥١٥)، ومسلم (١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٢) في الأصل: «ثلاثة»، وهو خطأ.

وثالثها: **الصلاة المعادة**: ولو في غير وقت الكراهة، فإن لم ينوها صار منفردًا فلا تنعقد صلاته، إذ شرط صحتها أن تكون في جماعة، فإذا لم ينو الإمامة انعقدت صلاته منفردًا وهي غير صحيحة؛ لأنا لو حكمنا بصحتها لزم القولُ بإعادتها منفردًا. اهـ. رملي[1].

* ولا يجب على المأموم تعيينُ الإمام باسمه، أو وصفه كـ: الحاضر، أو الإشارة إليه، بل يكفي نية الاقتداء. فإن عيّنه وأخطأ بطلت صلاته[2].

والخامس من الشروط:

توافق نظم الصلاتين في الأفعال الظاهرة: فلا تصح المكتوبة خلف جنازة أو كسوف[3]، ولا عكسه.

وتصح نحو ظهر خلف صبح أو مغرب[4]، وله مفارقته عند

---

(١) انظر: «نهاية المحتاج» (٢/ ٢١١، ٢١٢).

(٢) ذكر الشافعية أن ما لا يشترط التعرض لنيته جملةً ولا تفصيلاً، فإنه إذا عيّنه وأخطأ لم يضر، كتعيين مكان الصلاة وزمانها. وأما ما يجب التعرض له جملةً ولا يشترط تعيينه، فإنه إذا عينه وأخطأ ضَرّ، كما لو نوى الاقتداء بزيد فبان عَمْرًا، لم يصح. انظر: «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص ١٦). ولا يخلو هذا الأخير من نظر، والله تعالى أعلم.

(٣) هذا هو الصحيح عند الشافعية. وهو ــ أيضًا ــ قول الحنفية والمالكية والحنابلة. انظر: «مغني المحتاج» (١/ ٢٥٤)، و«بدائع الصنائع» (١/ ٣٨٥)، و«حاشية العدوي» (١/ ٢٦٤)، و«المغني» (٣/ ٦٩).

(٤) وهو ــ أيضًا ــ قول للحنابلة. انظر: «مغني المحتاج» (١/ ٢٥٤)، و«الإنصاف» للمرداوي (٢/ ٢٧٩). وذلك لعدم ما يوجب اتفاق نية الإمام والمأموم، وقياسًا على المقيم يصلي خلف من يقصر، وعلى المسبوق.

القنوت والتشهد. وتصح الصبح خلف الظهر[1]، وانتظارُه ليسلمَ معه أفضل. نعم لو صلَّى مغربًا خلف نحو الظهر لزمه مفارقته عند قيامه للرابعة، ويتشهد ويسلم. قال في «التحفة»[2]: «وذلك لأنه يُحدِث به ــ أي بانتظاره ــ جلوسًا مع تشهد لم يفعله الإمام فيفحش التخلف حينئذ، فتبطل صلاته». اهـ.

وتصح العشاء خلف التراويح[3]، والأولى إتمامها منفردًا، فإن اقتدى به ثانيًا جاز.

والسادس:

الموافقة للإمام في أفعال الصلاة: فإن ترك إمامه فرضًا

---

(١) هذا هو المذهب عند الشافعية. وهو ــ أيضًا ــ رواية عند الحنابلة وقول الظاهرية.

وفي قول للشافعية: أنه لا يجوز. وهو ــ أيضًا ــ قول الحنفية والمالكية والمذهب عند الحنابلة.

وهذا هو الراجح من حيث الدليل؛ لما يترتب على الاقتداء في هذه الصورة من لزوم مخالفة المأموم لإمامه في الأفعال، وهو لا يجوز.

انظر: «مغني المحتاج» (١/ ٢٥٤، ٢٧٠)، و «الإنصاف» (٢/ ٢٧٨)، و «المحلى» (٤/ ٢٢٤)، و «بدائع الصنائع» (١/ ٣٨٥)، و «الشرح الكبير» للدردير (١/ ٣٣٩).

(٢) (٢/ ٣٣٥).

(٣) هذا قول الشافعية. وهو ــ أيضًا ــ رواية عند الحنابلة اختارها شيخ الإسلام، وقول ابن حزم. انظر: «مغني المحتاج» (١/ ٢٥٤)، و «المغني» (٣/ ٦٨، ٦٩)، و «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٣٨٦، ٣٨٩)، و «المحلى» (٤/ ٢٢٣).

لم تجز متابعته في تركه؛ لأنه إن تعمد فصلاته باطلة، وإلاَّ ففِعْلُه غير معتدٍّ به.

أو ترك سنَّةً في الاشتغال بها تخلُّفٌ فاحش ـ كسجود التلاوة والتشهد الأول ـ لم يأت بها؛ لخبر: «إنما جعل الإمام ليؤتم به»[١]، فلو اشتغل بها بطلت صلاته؛ لعدوله عن فرض المتابعة إلى سنة. أما إذا لم يفحش تخلفه بها كجلسة الاستراحة[٢]، وقنوت يدرك معه السجدة الأولى، فله أن يأتي بها[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٢٠٩، ٢١٦)، ومسلم (١/٣٠٩ ـ ٣١١) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، كما ثبت من رواية غيره من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) هذا قول الشافعية. وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لا ينكر عليه؛ لأن التأخر يسير ليس هو من التخلف المنهي عنه، لكنه رجّح متابعة الإمام؛ لأنها أوْلى مِن فعل مستحب. انظر: «روضة الطالبين» (١/٣٦٩)، و «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢٢/٤٥٢).

(٣) هذا قول الشافعية أيضًا في هذه المسألة. كما ذهب بعض الحنفية إلى أنه يأتي المأموم بقنوت الوتر قبل ركوع الإمام إن لم يأت به الإمام، شريطة أن لا يفوته الركوع.

وذهب بعض الحنفية إلى أنه لا يقنت إن لم يقنت إمامه. وهو ـ أيضًا ـ قول شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا هو الراجح؛ لأن متابعة الإمام أَوْلى مِن فعل مستحب، على أن القنوت فيه تأخر ظاهر عن الإمام، مع ما فيه من الخلاف في مشروعيته ـ أصلاً ـ في صلاة الفجر. انظر: «مغني المحتاج» (١/٢٠٧)، و «حاشية ابن عابدين» (٢/١١)، و «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢٢/٢٦٨).

السابع:

متابعة الإمام في أفعال الصلاة: وهي واجبة، فينبغي أن لا يسبقَه بالفعل[1]، ولا يقارنَه فيه[2]، ولا يتأخرَ إلى فراغه منه[3].

فإن قارنه لم تبطل صلاته، وكره، وفاته فضل الجماعة إلاَّ في تكبيرة الإحرام[4]، فإن قارنه فيها أو في بعضها، أو شك في أثنائها أو بعدها ولم يتذكر عن قرب هل قارنه فيها أوْ لا؟ أو ظن التأخُّرَ فبان خلافُه: لم تنعقد.

ولو تخلف عن المتابعة بلا عذر ـ كالاشتغال بالسورة

---

(١) اتفق عامة العلماء على حرمة مسابقة الإمام إلاَّ في قول ضعيف للحنابلة أنها مكروهة لا محرمة. انظر: «عارضة الأحوذي» لابن العربي (٣/ ٦٤)، و «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢٣/ ٣٣٦)، و «الإنصاف» (٢/ ٣٣٤).

(٢) ذهب أكثر أهل العلم إلى كراهة مقارنة المأموم للإمام في أفعال الصلاة. وفي قول للحنابلة: تبطل الصلاة. وذهب ابن حزم إلى تحريم المقارنة. انظر: «المغني» (٢/ ٢٠٨)، و «الإنصاف» (٢/ ٢٣٨)، و «المحلى» (٣/ ٢٥٥).

(٣) وقد نَصّ الحنابلة على أن تخلف المأموم عن إمامه بركن بلا عذر محرم. وقال المالكية: تخلف المأموم عن الركوع والسجود في الركعة الأولى مبطل للصلاة، وفي غير الأولى محرم. انظر: «الإنصاف» (٢/ ٢٣٨)، و «حاشية الدسوقي» (١/ ٣٤١).

(٤) ذهب الشافعية والمالكية والحنابلة في الصحيح من المذهب إلى أنه لا تصح الصلاة بتكبير المأموم مقارنًا لتكبير الإمام. انظر: «مغني المحتاج» (١/ ٢٥٦)، و «حاشية الدسوقي» (١/ ٣٤٠)، و «الإنصاف» (٢/ ٢٣٧). وأما سبقه بها فحرام بالاتفاق.

أو التسبيحات ــ بركنين فِعْلِيَّيْنِ وإن لم يكونا طويلين: بطلت، لا بأقلَّ منهما.

والتخلف بركنين: أن يتمهما الإمام والمأموم فيما قبلهما، كما لو ركع واعتدل ثم هوى إلى السجود، والمأموم قائم.

فإن كان لعذر: كإبطاء قراءة لعجز ــ لا لوسوسة واشتغالٍ باستفتاح ــ لزمه إتمام الفاتحة[1]، ويسعى خلف الإمام على نظم صلاة نفسه ما لم يسبقه بأكثر من ثلاثة أركان مقصودة، وهي الطويلة[2]، فإن سبقه بها وافقه فيما هو فيه وفعل ما فاته بعد سلام إمامه. هذا كله في الموافق[3]. قال ابن حجر: «وهو من أدرك من قيام الإمام زمنًا يسع الفاتحةَ بالنسبة للقراءة[4] المعتدلة، لا لقراءة الإمام ولا لقراءة نفسه على الأوجه، كما بينته في «شرح الإرشاد»[5] وغيره». انتهى[6].

أما مسبوقٌ ركع الإمام في فاتحته، فالأصح أنه إن لم يشتغل بافتتاح أو تَعَوُّذٍ تابعه وأجزأه، فإن تخلف لإتمامها وفاته الركوع، فاتته

(١) هذا هو الصحيح عند الشافعية في الموافق. انظر: «مغني المحتاج» (١/ ٢٥٦، ٢٥٧).

(٢) وهي ما عدا الاعتدال والجلوس بين السجدتين فهما قصيران. انظر: «مغني المحتاج» (١/ ٢٥٦).

(٣) في الأصل: «المواقف»، وهو خطأ.

(٤) في «تحفة المحتاج»: «إلى القراءة».

(٥) واسمه: «فتح الجواد بشرح الإرشاد» (١/ ١٨٢) ــ ط مصطفى البابي الحلبي بمصر ــ ط ٢. و «الإرشاد» للمقري اليمني المتوفى سنة (٨٣٧هـ).

(٦) «تحفة المحتاج» (٢/ ٣٤٨).

الركعة[1]، وإن اشتغل بافتتاح أو تعوذ لزمه قراءةٌ بقدره[2] حيث غلب على ظنه أنه يدرك الإمام في الركوع[3]، فإن لم يدركه فاتته الركعة، ولا يركع بل يتابعه.

وإن سبقه بركن أو بركنين، فإن فرغ منهما والإمام فيما قبلهما بطلت صلاته إن كان عامدًا عالمًا بالتحريم، وإلَّا فركعته[4]. اهـ. (م د).

---

(١) وكُره له ذلك عند الشافعية.

(٢) أي بقدر حروف ما اشتغل به من الافتتاح أو التعوذ.
هذا هو قول الشافعية رحمهم الله، وهو بحاجة إلى دليل واضح، مع ما فيه من المشقة الظاهرة.

(٣) وهذا على المعتمد، وإلَّا فيفارقه ويتم صلاته، لكن لا تلزمه المفارقة إلَّا عند هويه للسجود؛ لأنه يصير متخلفًا بركنين.
وما ذُكِرَ في حكم المسبوق فإنما هو على الأصح عند الشافعية. والقول الثاني لهم: أن المسبوق يركع مع إمامه مطلقًا؛ سواء أشتغل بالافتتاح والتعوذ أم لا.
انظر: «روضة الطالبين» (١/ ٣٧١)، و «مغني المحتاج» (١/ ٢٥٦، ٢٥٧)، و «عمدة السالك» (ص ٤٧).
وظاهر كلام ابن مفلح من الحنابلة في «الفروع» (١/ ٥٩٢): أن المأموم الذي بقي عليه شيء من الفاتحة يتبع إمامه مطلقًا؛ سواء أكان موافقًا لإمامه أم مسبوقًا. وهذا هو الراجح من حيث الدليل، لإطلاق قوله ﷺ: «إنما الإمام ليؤتم به»، قال: «وإذا ركع فاركعوا». وقياسًا على المسبوق الذي أدرك الإمام وهو راكع، فإذا أسقط الشرع الفاتحة عنه، فَلأنْ تسقط عن الذي أتى ببعض الفاتحة، ولم يتمكن من إكمالها من باب أَوْلى.

(٤) أي بطلت ركعته فقط.

تنبيهان:

أحدهما: ينبغي لمن دخل في الصلاة وجهل حال الإمام، أن لا يشتغل بسُنَّة، بل بالفاتحة[1]، إلاَّ أن يغلب على ظنه إدراكها لاعتبار التطويل مثلاً.

ثانيهما: لو علم المأموم في ركوعه أنه ترك الفاتحة أو شك، لم يعد إليها، فإن عاد عامِدًا عالمًا بطلت صلاته؛ لفوات محلها، بل يصلي ركعة بعد صلاة الإمام تداركًا لما فاته كالمسبوق.

فلو علم أو شك في فعلها بعد ركوع الإمام وقبل ركوعه هو، تخلف عن الإمام وقرأها واغتُفِر له ثلاثةُ أركان طويلة، وسعى على نظم صلاة نفسه، فإن سُبق بها[2] وافق الإمام وأتى بركعة بعد سلامه. والله سبحانه أعلم.



(١) أي: بل يشتغل بالفاتحة.

(٢) أي بالأركان الثلاثة الطويلة.

خاتمة

ـ نسأل الله حُسْنَها بمَنِّه وكرمه ـ
في بعضِ نُقولٍ لطيفةٍ تتعلق بالإمامة
وبعضِ ما ورد في فضل الصف الأول

[ما يتعلق بالإمامة][١] :

* ذكر الإمام العلاَّمة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عز الدِّين بن عبد السلام في خاتمة رسالته :

أنه ينبغي للإمام أن لا يُشغل فكره عن المراقبة :

فقد حكى الشيخ تاج الدين السبكي في كتابه «معيد النِّعَم ومبيد النِّقَم»[٢] ما حاصله : أن أبا العباس أحمدَ أخا حجة الإسلام الغزالي ـ

---

(١) العناوين الموضوعة بين معقوفين ليست من المؤلف، وإنما وضعتها للتوضيح.

(٢) (ص ٨٦)، مطبعة دار الكتاب العربي بمصر ـ ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م.

وتاج الدين السبكي، هو : أبو النصر عبد الوهاب بن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، الأديب الشافعي المصري (ت ٧٧١هـ). انظر : «كشف الظنون» (٢/ ١٧٤٤).

اقتدى بأخيه حجة الإسلام في بعض الصلوات، فلما فرغ حجة الإسلام من قراءة الفاتحة، قطع أخوه القدوةَ وصلَّى وحده، فلما فرغ حجة الإسلام وعلم بذلك، سأل أخاه عن سبب ذلك؟ فقال له: لا أصلي خلف من يكون متلطخًا بالدم.

فرأى[1] حجة الإسلام في ثوبه فلم ير فيه شيئًا، ففكر في نفسه: أنه لما فرغ من قراءة الفاتحة عرضت له مسألة في الحيض فشرع يفكر في حكمها[2]. اهـ ملخصًا.

وذكر التاج ابن عطاء الله الإسكندري في كتابه «التنوير»[3] من جملة حكايةٍ عن الإمامِ أحمدَ بنِ حنبل، وشيبانَ الراعي، رضي الله عنهما:

أن الإمام أحمد سأله فقال له: يا شيبان، ما تقول فيمن نسي أربع سجدات من أربع ركعات؟ فقال: يا أحمد! هذا قلب غافل عن الله، يجب أن يؤدب حتى لا يعود إلى مثل ذلك. فخر أحمد مغشيًّا عليه، ثم أفاق.

---

(١) أي: نظر.

(٢) لا تخلو هذه القصة من نظر من عدة وجوه، أهمها: أن ما في القلوب لا يطلع عليه إلاَّ الله سبحانه وتعالى، فدعوى كشف ذلك أمر ليس بعادي، فيحتاج لإثباته إلى إثبات أصل القصة بالنقل الصحيح. ثم إن انشغال فكر الإنسان في الصلاة ــ ولا سيما بمسألة علمية ــ لا يُسَوِّغُ قطعَ الصلاة والجماعة.

(٣) اسمه: «التنوير في إسقاط التدبير»، لتاج الدين أحمد بن محمد، المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني (ت ٧٠٩هـ). وانظر: (ص ٩٦) منه، ط دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط ١ ــ ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م.

فهؤلاء كانوا يرون الغفلةَ مُؤَثِّرةً في العبادة.

وينبغي للإمام تحسينُ ظنه بالجماعة:

فقد حكى التاج ابن عطاء الله في كتابه المذكور عن رجل: أنه صلَّى خلف إمام أيامًا، فقال له الإمام يومًا ـ وهو يتعجب من ملازمته وتَرْكِه الأسباب ـ: مِن أين تأكل؟ فقال له: قف حتى أعيد صلاتي؛ فإني لا أصلي خلف من يشكُّ في الله. اهـ.

وينبغي أن لا يتدافع أحدٌ الإمامة بعد الإقامة:

ففي «مصنف عبد الرزاق»[1] ـ فيما حكاه الإمام الدَّميري[2] ـ: أن قومًا تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة، فخُسِف بهم.

* واعلم أن الإمامة خطرها عظيم؛ لأن الأئمة ضمناء، كما ورد في الحديث[3]، والإمامة فيها خطر، فإنه يحفظ على المأمومين

---

(١) كتاب الصلاة ـ باب الإمامة وما كان فيها (١/ ٤٨٩) (١٨٨٠)، قال عبد الرزاق: أخبرني أبي، قال: سمعت بعض أهل العلم...، ثم ذكره بنحوه.

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الدَّميري، من فقهاء الشافعية. وُلد بدمير من قرى مصر، وقدم القاهرة. له شرح أول المختصر لصلاة السفر والبيوع للجِراح. مات سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة. انظر: «معجم المؤلفين» (٣/ ٤٢٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٧)، والترمذي (٢٠٧)، وأحمد (٢/ ٢٣٢، ٢٨٤، ٣٧٨...)، وابن حبان (٤/ ٥٦٠) ـ الإحسان ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن. اللَّـهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين». =

صلاتهم، ولذلك يتعين لها الأفضل علمًا وورعًا وسِنًّا، **وإنَّ من قام بحقوقها حصل له من الفضل العظيم ما لا يُحْصَر**، فنسأل الله المعونة.

ولكن لا ينبغي التعرض لها، إلاَّ لمن تعينت. قال الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه: «ولا أكره الإمامة إلاَّ من جهة أنها ولاية، وأنا أكره سائر الولايات»[1]. اهـ. كلام الشيخ السبكي.

ولا يخفاك[2] ما نقله حجة الإسلام الغزالي في كتابه «إحياء علوم

= كما أخرجه أحمد (٦/ ٦٥)، وابن حبان (٤/ ٥٥٩) ـ الإحسان ـ من حديث عائشة رضي الله عنهما بنحوه.

وأخرجه أحمد (٥/ ٢٦٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وفيه الجملتان الأوليان من الحديث فقط.

وأخرجه ابن ماجه (٩٨١) من حديث سهل بن سعيد الساعدي رضي الله عنه، وفيه الجملة الأولى فقط.

وانظر لتصحيح الحديث كلام الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تحقيقه لسنن الترمذي (١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٦).

(١) قال الشافعي رحمه الله في «الأم» (١/ ١٥٩): «وأكره الإمامة للضمان وما على الإمام فيها». اهـ.

(٢) لعل هذا خطأ من الناسخ؛ فإن الصواب أن يقال: «لا يخفى عليك»؛ لأن الفعل «خفي» لا يتعدى بنفسه، وإنما لا بد له من أن يتعدى بحرف الجر «على»، وعلى هذا القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝﴾ [آل عمران: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [إبراهيم ٣٨] وغير ذلك من الآيات.

انظر: معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة» لمحمد العدناني (ص ١٩٧، ١٩٩)، و «معجم الخطأ والصواب» للدكتور إميل يعقوب (ص ٣٠٠).

الدين»[1] من أن الخشوع ركن في الصلاة، فبدونه لا تصح[2]، والله أعلم.

* وأما الصف الأول:

فقد نقل منلا علي القاري رحمه الله في رسالته المسمَّاة بـ «الفصل[3] المعوَّل في الصف الأول»، فقال:

«قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١﴾ [الصافات: ١]، أقسم بالملائكة الصافِّين[4] في مقام العبودية للقيام بحق الربوبية، أو بنفوس العلماء الصافِّين في العبادات، الجامعين بين العلم والعمل في جميع الحالات، أو بنفوس الغزاة الصافِّين في الجهاد، والواقفين لفتح البلاد.

وقد قال عز من قائل ـ حكايةً عن الملائكة المفتخرين

(١) انظر: «الإحياء» (١/ ١٥٩ ـ ١٦١).

(٢) وهناك وجه ضعيف للشافعية وقول ضعيف للحنابلة، أن حديث النفس إذا كثر في الصلاة أبطلها. وأما النووي رحمه الله، فقد نَقَلَ الإجماع على عدم البطلان. انظر: «روضة الطالبين» (١/ ٢٩٤)، و «الإنصاف» للمرداوي (٢/ ٩٨، ٩٩)، و «المجموع» للنووي (٤/ ٣٥).

(٣) في الأصل: «الصف المعول»، والتصويب من «هدية العارفين» (٥/ ٧٥٣)، وهو لنور الدين علي بن سلطان محمد القاري الهروي، الفقيه الحنفي، نزيل مكة (ت بها ١٠١٤هـ). انظر: «هدية العارفين» (٥/ ٧٥١).

(٤) وهذا قول السلف رضي الله عنهم، كابن عباس وابن مسعود وقتادة ومسروق وسعيد بن جبير وغيرهم. انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣).

بالعبادة ـ : ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ [الصافات: ١٦٥]، أي: في أداء الطاعة وقضاء الخدمة.

وقال عزَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤]، وسبيله يشمل: طريق الغزاة وفريق الصلاة[1].

وقال جَلَّ جلالُه وعَظُمَ نوالُه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ [الحجر: ٢٤]، روي: أن رسول الله ﷺ رغَّب على الصف الأول، فازدحموا عليه، فنزلت.

وقيل: «إن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله ﷺ، فتقدم بعض القوم لئلا ينظر إليها، وتأخر بعضهم ليقع نظره عليها، فنزلت»[2].

---

(١) ليس هذا بواضح، والآية صريحة في القتال، وإن كان الله تعالى قد صَفَّ المؤمنين في صلاتهم أيضًا كما قال قتادة، انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٣١ ـ ١٣٤).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٥)، والترمذي (٣١٢٢)، وابن ماجه (١٠٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ورُوِي بدون ذكر ابن عباس فيه، وذكر الترمذي أنه أصح. وذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في «تفسيره» (٤/ ٤٥٠) أن الحديث غريب جدًّا وفيه نكارة شديدة. واستظهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط. كما ذكر تفسير الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «المستقدمون»: كل من هلك من لدن آدم عليه السلام. و «المستأخرون»: من هو حيّ ومن سيأتي إلى يوم القيامة. قال ابن كثير: «وروي نحوه عن عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب والشعبي وغيرهم، وهو =

وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ من هذا الباب، استيعابها يفضي إلى الإطناب.

منها: قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدَّم»، رواه أحمد والنسائي[1]. وأيضًا عن البراء في رواية للنسائي[2]: «على الصفوف المتقدمة».

ومنها: قوله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على الذين يَصِلون الصفوف، ولا يَصِلُ عبدٌ صفًّا إلاَّ رفع الله له بها درجة». رواه الطبراني في «الأوسط»[3] عن أبـي هريرة رضي الله عنه.

= اختيار ابن جرير رحمه الله». اهـ «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٥٠).

ومع ترجيح ابن جرير لما ذُكِر، إلاَّ أنه جوّز أن تكون الآية نزلت في شأن المستقدمين في الصف والمستأخرين فيه، وجاءت الآية بصيغة العموم، لتشمل جميع المعاني. انظر: «تفسير ابن جرير» (٧/ ٥١٠) ــ ط دار الكتب العلمية.

(١) «مسند أحمد» (٤/ ٢٨٤، ٢٩٨)، و«سنن النسائي» (٢/ ١٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. كما أخرجه ابن خزيمة (١٥٥١)، وابن حبان (٢١٥٧) ــ «الإحسان» ــ بلفظ: «الصف الأَول».

(٢) «سنن النسائي» (٢/ ٩٠). كما أخرجها ابن حبان (٢١٦١) ــ «الإحسان» ــ بلفظ: «المقدّمة». وأخرجها أبـو داود (٦٦٤)، وابـن خـزيمـة (١٥٥٦) (١٥٥٧) بلفظ: «الصفوف الأُول».

(٣) (٤/ ٤٦٢، ٤٦٣) (٣٧٨٣)، وتتمة الحديث عنده: «وذَرّتْ عليه الملائكة من البر». وقال عقب إخراجه: «لم يرو غانم بن الأحوص عن أبـي صالح غير هذا الحديث، تفرد به ابن أبـي أويس». اهـ. =

ومنها: قوله ﷺ: «ألا تصفُّون كما تَصُفُّ الملائكة عند ربها؟ يتمون الصفوفَ الأُوَلَ ويتراصون في الصف». رواه أحمد ومسلم

= وهذا إسناد مسلسل بالعلل: ١ ـ فيه إسماعيل بن أبي أويس، وهو إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أبي أويس، قال عنه الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٢٢٢): «محدث مكثر، فيه لِين». اهـ. وقال عنه في «تقريب التهذيب» (ص ١٠٨): «صدوق، أخطأ في أحاديثَ من حفظه». اهـ.

٢ ـ إسماعيل بن عبد الله بن خالد، قال عنه أبو حاتم: «في حديثه ضعف، وهو مجهول». اهـ «الجرح والتعديل» (٢/ ١٨٠). ٣ ـ خالد بن سعيد بن أبي مريم، قال عنه في «التقريب» (ص ١٨٨): «مقبول». اهـ. ٤ ـ غانم بن الأحوص، قال عنه في «الميزان» (٣/ ٣٣٣): «قال الدارقطني: ليس بالقوي». اهـ.

والجملة الأولى من الحديث: «إن الله وملائكته يصلون على الذين يصِلون الصفوف»، لها شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه أحمد (٦/ ٦٧، ١٦٠)، وابن خزيمة (١٥٥٠)، وابن حبان (٢١٦٣) ـ «الإحسان» ـ والحاكم (١/ ٢١٤) وصححه ووافقه الذهبي، وإسناده حسن. وله وجه آخر حسن ـ أيضًا ـ أخرجه ابن حبان (٢١٦٤) ـ «الإحسان» ـ . وله وجه ثالث أخرجه أحمد (٦/ ٨٩)، وابن ماجه (٩٩٥)؛ من طريق إسماعيل بن عياش.

كما أن لهذه الجملة شاهدًا من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣١) (٥٠٦٣)، وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف كما في «التقريب» (ص ٥٥٢).

والخلاصة أن الجملة الأولى من الحديث صحيحة لشواهدها، وأما باقي المتن فهو ضعيف.

وأبو داود والنسائي وابن ماجه[1]، عن جابر بن سَمُرةَ.

ومنها: قوله ﷺ: «للصف[2] الأول فضل[3] على الصفوف». رواه الطبراني في «الكبير»[4] عن الحكم بن عمر[5].

ومنها: قوله ﷺ: «عليكم بالصف الأول، وعليكم بالميمنة، وإياكم والصفَّ بين السواري». رواه الطبراني[6] عن ابن عباس.

ومنها: قوله ﷺ: «لو تعلمون ما في الصف الأول ما كانت إلَّا قرعة». رواه مسلم وابن ماجه[7] عن أبي هريرة.

ومنها: قوله عليه الصلاة والسلام: «أقيموا الصفوف؛ فإن إقامة الصف من حسن الصلاة»، رواه مسلم[8] عن أبي هريرة.

---

(١) «مسند أحمد» (٥/ ١٠١، ١٠٦)، و «صحيح مسلم» (١/ ٣٢٢)، وأبو داود (٦٦١)، والنسائي (٢/ ٩٢)، و «سنن ابن ماجه» (٩٩٢).

(٢) في الأصل: «الصف»، وهو خطأ.

(٣) في الأصل: «أفضل»، وهو خطأ.

(٤) لم أجده في الجزء المطبوع منه في ترجمة الحكم بن عمر. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٩٢): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه يحيى بن يعلى الأسلمي، وهو ضعيف». اهـ.

(٥) في الأصل: «الحكيم بن عمير»، وهو خطأ.

(٦) «المعجم الكبير» (١٢٠٠٤). قال في «مجمع الزوائد» (٢/ ٩٢): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه إسماعيل بن مسلم المكي، وهو ضعيف». اهـ.

(٧) «صحيح مسلم» (١/ ٣٢٦)، و «سنن ابن ماجه» (٩٩٨).

(٨) «صحيح مسلم» (١/ ٣٢٤)، لكن أوله: «أقيموا الصف في الصلاة».

ومنها: قوله ﷺ: «إن من تمام الصلاة إقامةَ الصف». رواه أحمد[1] عن جابر.

ومنها: قوله عليه الصلاة والسلام: «خير صفوف الرجال أولها، وشرُّها آخرها. وخير صفوف النساء آخرها، وشرُّها أولها». رواه مسلم[2] عن أبي هريرة.

ومنها: قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرَهم الله في النار». رواه أبو داود[3] عن عائشة رضي الله عنها.

ومنها: قوله عليه الصلاة والسلام: «من ترك الصف الأول مخافة أن يؤذي مسلمًا فصلَّى في الصف الثاني أو الثالث، أضعف الله له أجر الصف الأول». رواه الطبراني في «الأوسط»، وابن النجار عن ابن عباس[4].

---

(١) «مسند أحمد» (٣/ ٣٢٢). وإسناده حسن؛ فيه عبد الله بن محمد بن عقيل، قال عنه في «تقريب التهذيب» (ص ٣٢١): «صدوق، في حديثه لِين». اهـ.

(٢) «صحيح مسلم» (١/ ٣٢٦).

(٣) «سنن أبي داود» (٦٧٩). وأخرجه ـ أيضًا ـ ابن خزيمة (١٥٥٩)، وابن حبان (٢١٥٦) ـ «الإحسان»، وفي سنده عكرمة بن عمار يرويه عن يحيى بن أبي كثير، قال في «تقريب التهذيب» (ص ٣٩٦) عن عكرمة هذا: «صدوق يَغلَط، وفي روايته عن يحيى بن أبي كثير اضطراب». اهـ.

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/ ٣٢٦) (٥٤١) وقال: «لا يروى هذا الحديث عن ابن عباس إلاَّ بهذا الإسناد، نفرد به الوليد بن الفضل». اهـ. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٩٥، ٩٦): «رواه الطبراني في =

ومنها: «أنه عليه الصلاة والسلام كان يستغفر للصف المقدَّم ثلاثًا، وللثاني مرةً». رواه ابن ماجه[1] عن ابن جعفر»[2].

إلى هنا كلامه[3].

وبه ينتهي ما أردنا إيرادَه في هذه النبذة اليسيرة، فالمرجو ممن اطلع على عثرة أن يَجُرَّ عليها ذيل السِّتر، وأن يصلحها بعد أن يكشف بالمراجعة عن حقيقة الأمر؛ لأن قصور بضاعتي عن الوفاء معلوم، لا سيَّما مع تشتت البال وتوالي الغموم، فاللّٰهَ أسألُ أن يمدَّني ومشايخي وأحبابي بمدد سيدنا محمد[4] عليه الصلاة والسلام، وأن يمنحنا بفضله نفحة القَبول وحسن الختام.

= «الأوسط»، وفيه نوح بن أبي مريم، وهو ضعيف». اهـ.

(١) «سنن ابن ماجه» (٩٩٦). كما أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨)، والنسائي (٢/ ٩٢ ــ ٩٣)، وابن خزيمة (١٥٥٨)، والحاكم (١/ ٢١٤، ٢١٧)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) كذا في «المخطوط» والصواب: عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٣) أي انتهى كلام منلا علي القاري الذي نقل المؤلف عنه.

(٤) هذه العبارة فيها إيهام؛ إذ يحتمل أن يكون مقصود المصنف ــ رحمه الله ــ بمدد من جنس المدد الذي أعطاه الله تعالى لنبيه محمد ﷺ، من الرحمة والهداية والبركة، وحينئذٍ فلا إشكال.
ويحتمل أن يكون مقصوده بمدد من عند نبينا محمد ﷺ، فكأنه ﷺ ينفع الناس بهذا المدد، وفي هذا حَوْمٌ حول حمى الشرك.
ولهذا، فإن الابتعاد عن هذه العبارة وأمثالها هو المتعين، غفر الله تعالى للجميع.

قال مؤلفها شيخنا وأستاذنا الشيخ حسن بن إبراهيم البَيْطار، متّعنا الله والمسلمين بطول حياته. ونفحنا من صالح دعواته، آمين[1].



(١) انتهيتُ ــ بحمد الله تعالى ــ من قراءة هذه الرسالة مقابلةً على أصلها المخطوط، في صحن المسجد الحرام ــ شرَّفه الله ــ تجاه الركن اليماني، وذلك بين العشاءين، في الحادي والعشرين من رمضان، سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة، على صاحبهما أفضل صلاة وأزكى سلام.
وقد تعاقب على مقابلتها معي ثلاثة من المشايخ الكرام الأعزّاء: الشيخ نظام يعقوبي، ثم الشيخ رمزي دمشقيّة، ثم الشيخ محمد بن ناصر العجمي، حفظهم الله تعالى، والحمد لله على توفيقه.

الفهـرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٣٨)

جُزْءٌ فِيهِ
زَوَاجُ أَبِي العَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ
بِزَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

مِنْ تَخْرِيجِ
الحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ المَقْدِسِيِّ الحَنْبَلِيِّ
(٥٤١ - ٦٠٠ هـ)

بِعِنَايَة
مساعد سالم العبد الجادر

أَسْهَمَ بِطَبْعِهِ بَعْضُ أَهْلِ الخَيْرِ مِنَ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَمُحِبِّيهِم

دَارُ البَشَائِرِ الإِسْلَامِيَّة

جُزْءٌ فِيهِ

زَوَاجُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ

بِزَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

الطَّبْعَةُ الأولىٰ
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb



مقدمة المعتني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

وبعد، فهذه رسالة لطيفة كتبها العلاَّمة عبد الغني المقدسي رحمه الله، في زواج زينب بنت رسول الله ﷺ، ساق فيها عدة روايات في هذا الخصوص.

وهذه الرسالة هي جزء من الأجزاء الحديثية التي اعتنى بها الحفّاظ والمحدثون، لبيان فوائد إسنادية، وفوائد تتعلق بالمتن، وهو نص الحديث.



ترجمة المؤلف

مؤلف هذا الجزء هو الحافظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي المنشأ، الصالحي الحنبلي، وهو أخو الموفق ابن قدامة، ويكبره بأربعة أشهر.

ساق له الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء[1] ترجمة حافلة، وصفه في بدايتها بأنه: الإمام العالم الحافظ الكبير، الصادق القدوة، العابد الأثريّ، المُتَّبع عالم الحفَّاظ. اهـ.

ويكفيه هذا ثناءً ووصفاً من الحافظ الذهبي.

وُلد عام ٥٤١هـ، وتوفي سنة ٦٠٠هـ، بمصر.

وكان رحمه الله يحفظ أكثر من مائة ألف حديث، وكان يقارن بالحافظ الدارقطني.

وقال الحافظ في السِّير: «كان لا يُضيِّع شيئاً من زمانه بلا فائدة، فإنَّه كانَ يُصَلي الفجرَ، ويلقِّن القرآنَ، وربما أَقرأَ شيئاً من الحديث تَلْقِيناً، ثم يقوم فيتوضأ، ويصلي ثلاث مئة رَكعة بالفاتحة والمعوَّذَتَين إلى قبل الظهر،

(١) ٢١/٤٤٣.

وينام نَوْمة ثم يصلي الظُّهر، ويشتغل إمّا بالتَّسْمِيع أو بالنَّسخ إلى المغرب، فإن كان صائماً أفطر، وإلاَّ صَلَّى من المغرب إلى العشاء، ويصلِّي العشاءَ، وينام إلى نِصف اللَّيل أو بعده، ثم قام كأنَّ إنساناً يُوقظه، فيصلِّي لحظةً ثم يتوضأ ويصلِّي إلى قُرب الفَجر، ربما توضأ سبع مرات أو ثمانياً في الليل، وقال: ما تطيب لي الصلاة إلاَّ ما دامت أعضائي رَطْبَة، ثم ينام نَوْمَة يسيرة إلى الفجر، وهذا دأبه».

وله تصانيف جليلة، ذكرها الحافظ الذهبي وغيره، منها: الأحكام الكبرى والأحكام الصغرى، والمصباح في عيون الأحاديث الصِّحاح، واليواقيت، والتهجد، وفضائل مكة، وذم الغيبة، وغيرها كثير.

ولم أرَ من ذكر له هذا الجزء في زواج زينب بنت رسول الله ﷺ، ولعله لصغر حجمه لم يحتفلوا به، والله أعلم.

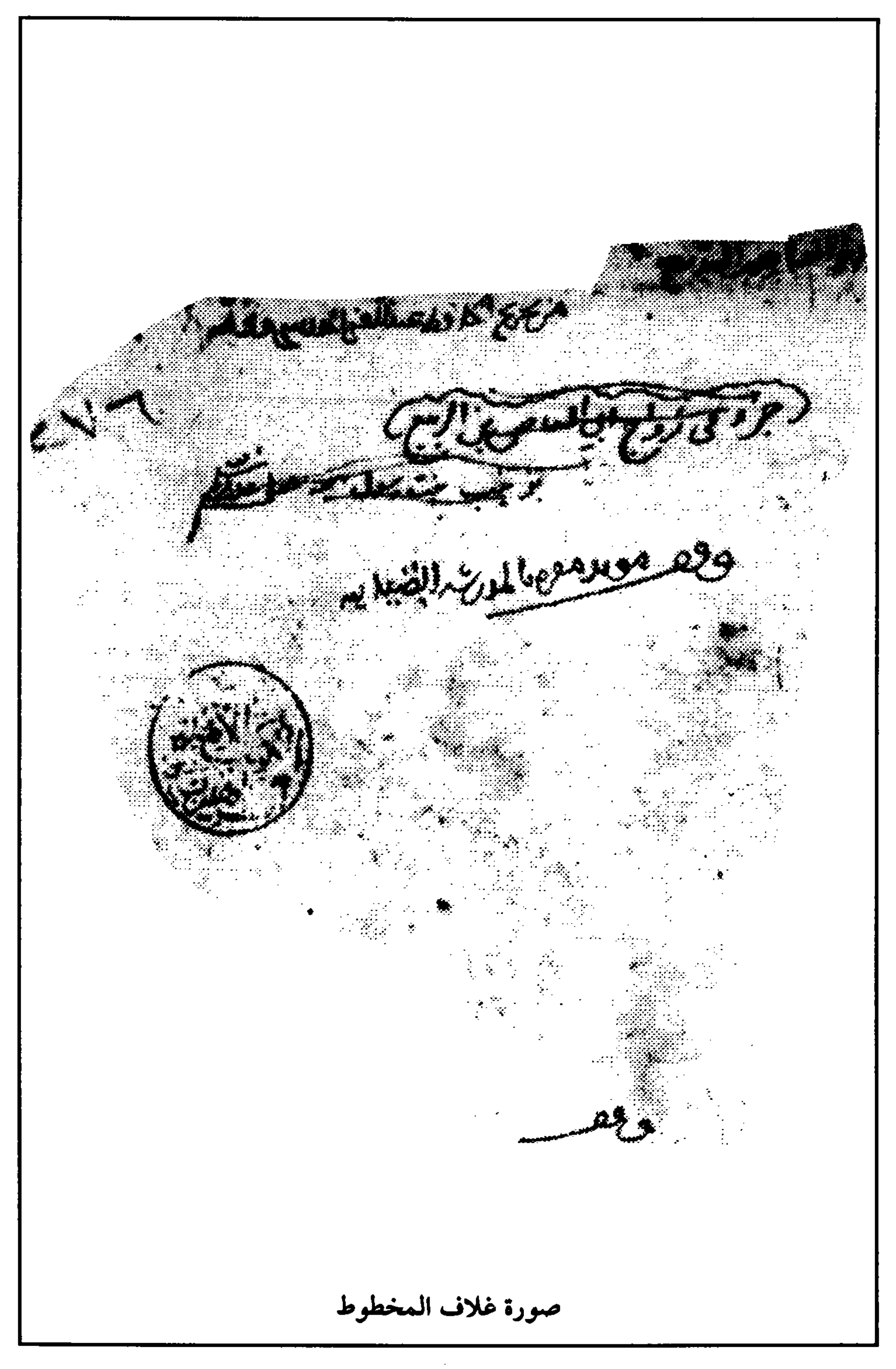
* * *

وصف النسخة الخطية

وهي نسخة محفوظة بالمكتبة الظاهرية برقم ٢٧٦ عدد أوراقها أربع ورقات، قياس الورقة (٢٣ × ١٤) عدد أسطرها ٢٠ سطراً.

بدون ناسخ، أو تاريخ نسخ.





صورة غلاف المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم سهل

أخبرنا الشيخ الحافظ الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني رحمه الله بثغر
الإسكندرية قال أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد القيسي الصيرفي فيما
قرأت عليه ببغداد في شوال سنة أربع وسبعين وأربع مائة قال أبو الحسن محمد بن عبد الله بن
محمد بن جعفر بن العدل قال أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ قراءة
عليه قال وأما زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها أبو العاص بن
الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وهو ابن خالتها أمه هالة بنت خويلد أخت
خديجة لأبيها وأمها فولدت لأبي العاص عليا وأمامة فمات علي وقد راهق وكان ردف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته يوم الفتح وقد ناهز الحلم وأما أمامة
فهي التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملها على عاتقه وهو قائم
يصلي فإذا أراد أن يسجد وضعها بالأرض ثم تزوجها علي بن أبي طالب
بعد وفاة فاطمة عليها السلام وقيل إن فاطمة كانت أوصته
بذلك فقتل عنها علي صلى [illegible] فتزوجها بعده المغيرة بن نوفل
ابن الحارث وقيل بل تزوجها بعده أبو الهياج بن سفيان بن
الحارث بن عبد المطلب

صورة الورقة الأولى من المخطوطة

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٣٨)

جزء فيه
زواج أبي العاص بن الربيع
بزينب بنت رسول الله ﷺ رضي الله عنها

من تخريج
الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي
(٥٤١ - ٦٠٠ هـ)

بعناية
مساعد سالم العبد الجادر



بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

اللهم سهل

* أخبرنا الحافظ الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني رحمه الله بثغر الإسكندرية، أنبا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي غير مرة فيما قرأت عليه ببغداد في شوال سنة أربعٍ وتسعين وأربع مئة، أنبا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر بن العدل، أنبا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ، قراءة عليه، قال:

وأما زينب بنت رسول الله ﷺ، فتزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، وهو ابن خالتها، أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة لأبيها وأمها.

فولدت زينب لأبي العاص عليًّا وأمامة.

فأما عليٌّ[1] فأردفه رسول الله ﷺ على راحلته يوم الفتح، وقد ناهز الحلم.

وأما أمامة فهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها على عاتقه، وهو قائمٌ يُصلِّي، فإذا أراد أن يسجد وضعها بالأرض، بلغت وتزوجها عليٌّ بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة عليها السلام، وقيل: إن فاطمة كانت أوصته بذلك. فقُتل عنها عليٌّ ولم تلد له، فتزوَّجها بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث، وقيل: لا، بل تزوَّجها بعد عليٍّ أبو الهياج بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

* أخبرنا أبو طاهر، روح بن أبي الرجاء بن أبي الفتح بن أبي طاهر الراراني بأصبهان، أنبا أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الحداد إجازة، أنبا أبو بكر أحمد بن علي اليزدي الحافظ كتابةً، أنبا أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحافظ، قال:

أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، ويقال: ابن الربيع بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب

(١) هو علي بن أبي العاص سبط رسول الله ﷺ، ترجم له الحافظ ابن حجر في الإصابة وغيره، توفي في حياة جده ﷺ، ولم يذكروا لذلك وقتاً. ولكن قال البلاذري في أنساب الأشراف ٩/ ٣٨٠: إنه قتل يوم اليرموك.
قلت: وهذا بعيد.

القرشي، خَتْن رسول الله ﷺ على ابنته زينب وابن عمه، واسمه لقيط، وكان يسمى جرو البطحاء، يعني أنه مُتَّلِدٌ بها[1].

يُقال: أسلم قبل الحبشة[2] بخمسة أشهر، ثم رجع إلى مكة، ولم يشهد مع رسول الله ﷺ شيئاً، ويُقال: جيء به مربوطاً، فسأل رسول الله ﷺ أصحابه أن يطلقوه.

ومات في ذي الحجة سنة ثنتي عشرة، ويُقال: قدم مهاجراً إلى المدينة بعدما أسلم بمكة، فدفع إليه النبي ﷺ ابنته زينب بالنكاح الأول، ويُقال: ردَّ عليه بمهر جديد ونكاحٍ جديد، فولدت له أُمامة، [تزوجها عليّ][3] بعد فاطمة، فلم تزل عنده حتى قُتل عنها.

* أخبرنا أبو طاهر روح بن أبي الرجاء الراراني، أنبأنا أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن محمد اليزدي، أنبا أبو أحمد محمد بن محمد بن إسحاق، أنبا أبو العباس الثقفي، ثنا أبو الأشعث يعني أحمد بن المقدام، ثنا زهير بن العلاء العبدي، ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، قال:

---

(١) مُتَّلِدٌ: جاء في القاموس في مادة «تلد»: مُتَّلَدٌ كمُعظّم: والمعنى في السياق: ملتصق بها.

(٢) سيأتي ذكر المصنف أنه أسلم قبل الفتح بخمسة أشهر، وهو الأشهر والصحيح.

(٣) ليس في الأصل، وأضيف لمقتضى السياق.

تزوج أبو العاص بن الربيع بن ربيعة بن عبد شمس زينب، فولدت له أُمامة، وتزَّوج عليٌّ أمامة بعد فاطمة، فلم تزل عِنده حتى قُتل عَنْها.

* أخبرنا أبو رشيد حبيب بن إبراهيم بن عبد الله المعري الصوفي، والرئيس أبو غالب محمد بن محمد بن ناصر بن منصور الأصبهانيان بها، أنبا أبو منصور محمود بن إسماعيل الصيرفي، أنبا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الحسين بن باذشاه، أنبا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، قال:

لقيط بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو العاص، صهر رسول الله ﷺ، وقد اختلف في اسمه، فقيل: مُهَشِّمْ، وقيل: القاسم.

* أخبرنا أبو رشيد حبيب بن إبراهيم بن عبد الله، وأبو غالب محمد بن محمد بن ناصر بن منصور، أنبا أبو منصور محمود بن إسماعيل بن محمد الصيرفي، أنبا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الحسين بن باذشاه، أنبا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبا عبد الرزاق، أنبا ابن جريج، أخبرني عمرو بن دينار، أن حسن بن محمد أخبره:

أنَّ أبا العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف وكان تزوج بنت النبي ﷺ، فجيء به إلى النبي ﷺ في القِدّ[1]،

(١) هكذا في الأصل، والقَدّ بالفتح: إناء من جلد، والقِدّ بالكسر: السِّيرُ يُقد من =

فجاءته زينب. قال عمرو: ولا أظنهما إلاَّ أُقِرّا على نكاحهما في الجاهلية.

* أخبرنا الحافظ الإمام أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني، وأبو طاهر معاوية بن علي بن معاوية الصوفي، وأبو علي حمزة بن أبي الفتح بن عبد الله عتيق مسافر الطبري بأصبهان، أنبا أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن المقرىء الحداد، أنبا أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الحافظ، قال:

لقيط بن الربيع، وهو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، أُمّه هالة أخت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصي، خَتَن النبي ﷺ بابنته زينب، أسلم وهاجر إلى مدينة النبي ﷺ، وقال: إنَّهُ حدَّثني فصدقني، ووعدني فوفّاني.

ردَّ عليه النبي ﷺ ابنته بعد إسلامه بنكاحه الأول، كان يُقال له: جرو البطحاء، مختلف في اسمه، فقيل: لقيط، وقيل: مهشم، وقيل: القاسم، وقيل: ياسر.

روى عنه عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو[1].

* أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلفي الأصبهاني، أنبا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن فاتك الأيلي

= الجلد لخصف النعال ونحوه. والسَّوْط. المعجم الوسيط ٢/ ٧٢٤ (قدد)، والمراد: القيد.

(١) قلت: وأبو العاص ليس له رواية، وإنما روى عبد الله بن عباس قصة إجارة زينب له، وهي في الترمذي وابن ماجه.

بمصر، أنبا أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري قراءة عليه من كتابه فأقَرَّ به، ثنا أبو محمد عبد الله بن محمد اللَّماي قراءة عليه بالقيروان في سنة أربع وثمانين وثلاث مئة، قال: ثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن الورد بن زَنْجَوَيه، ثنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم البَرْقي، ثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، ثنا زياد بن عبد الله البكائي، قال:

قال ابن إسحاق: وقد كان في الأَسارى، يعني أسارى بدر: أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، ختن رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب.

قال ابن هشام: أسرَهُ خراش بن الصمة، أحد بني حرام.

* أخبرنا أبو محمد عبد الله بن منصور بن هبة الله بن الموصلي ببغداد، أنبا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار أحمد بن القاسم الصيرفي، أنبا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن حبيب القادسي، أنبا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدَّثني أبي رحمه الله، ثنا حجاج بن محمد، ثنا ليث، حدَّثني عقيل عن ابن شهاب أنه قال:

كان رسول الله ﷺ تزوَّج في الجاهلية خديجة ابنة خويلد، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت أبي هالة أخي بني تميم، وكانت بعد أبي هالة عند عتيق بن عائذ المخزومي، ثم تزوجها بعدهما رسول الله ﷺ، وكانت أول محصنة تزوجها رسول الله ﷺ، فولدت له: فاطمة،

وأم كلثوم، وزينب، ورقية، والقاسم، والطاهر عليهم السلام، فكانت زينب أكبر بنات رسول الله ﷺ، فأنكحها أبا العاص بن الربيع أحد بني عبد شمس، وأنكح علي بن أبي طالب فاطمة، وأنكح عثمان بن عفان أم كلثوم، ورقية، إحداهما بعد الأخرى.

قد جعله في هذه الرواية من بني عبد شمس(١)، وأميَّة هو ابن عبد شمس، إلاَّ أنَّ من كان أمويًّا نُسب غالباً إلى أُمية، ولم ينسب إلى عبد شمس؛ لأنه إذا اشتهر الجد الأدنى نُسبوا إليه، ولم ينسبوا إلى الأعلى، وقد يجمعوا بينهما، فيُقال: قرشيٌّ هاشمي، وعند الإطلاق غالباً ينسبون إلى الأدنى.

* أخبرنا الشيخ الصالح أبو طاهر خضر بن الفضل بن عبد الواحد الأصبهاني، يعرف برجل مما كتب إليَّ من أصبهان، قال: أنبأنا أبو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق كتابة، أنبا والدي أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، قال:

لقيط بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس أبو العاص، القرشي، ختن النبي ﷺ، أسلم وهاجر إلى النبي ﷺ وقتل يوم اليمامة، روى عنه عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، وكان النبي ﷺ ردَّ عليه ابنته بالنكاح الأوَّل.

---

(١) قلت: أراد المصنف أن ينبه إلى أن من ينسبون إلى بني أميَّة، هم من بني عبد شمس، وإنما نسبوا إلى أميَّة لأنه أشهر من أبيه، بخلاف عبد العزى بن عبد شمس، فإن بنيه ينسبون إلى عبد شمس جدهم الأعلى لأنه أشهر من ابنه عبد العزى.

* أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي، أنبا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن فاتك الأيلي، أنبا أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري، ثنا أبو محمد عبد الله بن محمد اللَّماي قراءة عليه بالقيروان، ثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن الورد بن زنجويه، ثنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم البَرْقي، ثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، ثنا زياد بن عبد الله البكائي، قال:

قال ابن إسحاق: وكان من سُمِّي لنا من الأَسارى ممن مُنَّ عليه بغير فداءٍ، من بني عبد شمس بن عبد مناف: أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، منَّ عليه رسول الله ﷺ بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ بفدائه.

* أخبرنا أبو صالح سعد الله بن نجا بن محمد بن الوادي الدلال، أنبا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري، أنبا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري، أنبا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز، أنبا عبد الوهاب بن أبي حية، أنبا محمد بن شجاع الثلجي، أنبا محمد بن عمر الواقدي، قال:

وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، أسرَهُ خِراش بن الصمة. حدثنيه إسحاق بن خارجة، قال: قدم في فدائه أخوه عمرو بن الربيع.

* أخبرنا أبو الفضل مسعود بن عبد الله بن النادر الصفار

ببغداد، أنبا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري، أنبا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، أنبا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنبا أبو علي الحسين بن صفوان البرذعي، ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي، ثنا أبو عبد الله محمد بن سعد، قال:

قال هشام ابن الكلبي: فتزوج زينب بنت رسول الله ﷺ أبو العاص ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، فولدت له عليًّا وأمامة، وكان يُقال لأبي العاص: جرو البطحاء، يعني أنَّه كان مُتَّلِداً بها، وخرج أبو العاص بن الربيع في بعض أسفاره إلى الشام، قال ابن سعد: فقال ـ (يعني أبا العاص)، فيما أنشدناه هشام بن الكلبي عن معروف بن الخرَّبوذ ـ:

ذَكَرْتُ زَيْنَبَ لمَّا ورَّكت إِرماً … فقلتُ سُقْيا لشخصٍ يسكنُ الحَرَما

بنتُ الأمينِ جزاها الله صالحةً … وكلُّ بعلٍ سيُثْني بالذي عَلِما

وتوفيت زينب بنت رسول الله ﷺ، فيما أخبرني محمد بن عمر عن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة عن أبي بكر بن عبد الله بن عمرو بن حزم، سنة ثمان من الهجرة.

* أخبرنا مسعود بن عبد الله، أنبا محمد بن عبد الباقي، أنبا أحمد بن علي بن ثابت، أنبا علي بن محمد بن عبد الله، أنبا الحسين بن صفوان، ثنا عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، أنبا محمد بن سعد، قال:

الطبقة الرابعة: من أسلم قبل فتح مكة: أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، وهو زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، وكان يسمَّى: جرو البطحاء، يعني أنه مُتَّلِدٌ بها.

أسلم قبل الحديبية بخمسة أشهر، ثم رجع إلى مكة، ولم يشهد مع النبي ﷺ شيئاً، ومات في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة.

* أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي، أنبا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي، أنبا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد الأزجي، أنبا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المفيد، قال:

وتزوج أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس زينب، فولدت له أمامة، فتزوج عليٌّ عليه السلام أمامة بعد فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلم تزل عنده حتى قُتِل عنها.

* أخبرَنا أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف ببغداد، أنبا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي إجازة، وأبو علي محمد بن سعيد بن إبراهيم بن نبهان الكاتب إجازة أيضاً، قالا: أنبا الرئيس أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الكاتب المعروف بالصابىء، أنبا أبو الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي الرماني، أنبا أبو بكر محمد ابن السري بن السرّاج، أنبا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، قال:

فمن بطون عبد شمس أمية بن عبد شمس، وعبد العزى بن عبد

شمس، رهط أبـي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ.

* أخبـرنـا أبـو مـوسـى، أنبـا الحسـن بـن أحمـد بـن الحسـن المقدسي، أنبا أبو القاسم عبد الرحمن بن أبـي بكر بن أبـي علي، أنبا أبو بكر عبد الله بن محمد بن محمد بن فُورك القباب، أنبا أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبـي عاصم، قال:

أبو العاص بن الربيع، واسمه لقيط بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، مات في ذي الحجة، من سنة ثلاث عشرة من المهاجرة، [وقيل]: واستشهد يوم اليمامة.

* أخبرنا روح بـن أبـي الرجاء بن أبـي الفتح بن أبـي طاهر الرازاني، أنبأنا أبو الفتح أحمد بن محمد بن سعيد الحداد، أنبا أبو بكر أحمد بن علي بن محمد اليزدي، كتابةً، أنبا الحاكم أبو أحمد محمد بن أحمد بن إسحاق الحافظ، أنبا أبو العباس الثقفي، ثنا عبد الله بن مطيع، ثنا هُشيم عن داود بن أبـي هند عن الشعبـي، قال:

كانت زينب بنت رسول الله ﷺ تحت أبـي العاص بن الربيع، فهاجرت مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأبو العاص مشرك على حاله، فأقبل أبو العاص من الشام في عيرٍ لقريش وتجارة، فلما كان من المدينةِ قـريبـاً، أراد أصحـاب رسـول الله ﷺ أن يخـرجـوا إليـه فيضـربـوا عنقـه ويغنموا ما معه. فبلغ ذلك زينب فقالت: يا رسول الله، أليس عقد المسلمين وعهدهم واحداً، قال: نعم، قالت: إِشهد أني قد أجرت

أبا العاص. فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا إليه عُزلاً بغير سلاح حتى لقوه.

* أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان، أنبا الإمام أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي، أنبا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنبا إسماعيل بن محمد الصفار، أنبا عبد الكريم بن الهيثم أبو محيي الدين عاقولي، ثنا أبو اليمان، أخبرني سعيد عن الزهري، أخبرني علي بن حسين: أن المِسْوَر بن مخرمة أخبره:

أن عليَّ بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقالت له: إن قومك يتحدثون إنك لا تغضب لبناتك، وهذا عليٌّ ناكح ابنة أبي جهل.

قال المِسْوَر: فقام رسول الله ﷺ فسمعتهُ حين تشهَّد، فقال: «أما بعد، فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدَّثني فصدقني، وإنَّ فاطمة بَضْعَةٌ مني، وإنما أكره أن يفتنوها، وإنَّه والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحدٍ أبداً»، قال: فترك عليٌّ الخطبة[1].



(١) تمَّت المقابلة مع الأصل المخطوط في مجلسين آخرهما ليلة الجمعة ٢٧ رمضان المبارك سنة ١٤٢٢هـ، بعد دعاء ختم القرآن العظيم، وذلك في صحن المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة. والحمد لله، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّم.

لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٣٩)

مَدْخَلُ أَهْلِ الفِقْهِ واللِّسانِ إلى مَيْدانِ المَحَبَّةِ والعِرْفانِ

لِلإمامِ الزّاهِدِ عِمادِ الدِّينِ أَبي العَبّاسِ أَحْمَدَ بنِ إبْراهِيمَ الواسِطِيِّ
الشَّهِيرِ بِابْنِ شَيْخِ الحَزّامِيِّينَ
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)

تحقيق وتعليق
وليد بن محمّد بن عبد الله العلي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبّيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٠٩٦١١
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥

المقـدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا؛ ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3].

أمّـا بـعـد:

فإن النفس البشرية في أصل خلقتها (جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية)[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ ــ ٧١.

(٤) «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية (٣/ ١٨).

وقد اجتهد علماء الأمة الربَّانيون ــ الذين هُدُوا للحق؛ وعملوا بما فيه؛ وعلَّموه[1]ــ على تصفية نفوس العباد وتنقيتها بالنصوص الشرعية؛ وتهذيبها بالآداب المرعية، حتى إذا هُذِّبت وذهب درنَها: استعدت للسفر إلى ربها ومولاها الحق؛ تحث السير وتسرع الخطى، تطوي المراحل في الإقبال عليه؛ وتقطع المفاوز في الوصول إليه، حتى إذا ما وصلت إلى جنابه: وضعت خدَّها على عتبة بابه؛ وتوسَّدت ثرى أعتابه.

فهذا سَفر النفوس المهذبة النقية إلى الله تعالى، (فيا له من سفر ما أبركه وأروحه؛ وأعظم ثمرته وربحه؛ وأجل منفعته وأحسن عاقبته، سفر هو حياة الأرواح؛ ومفتاح السعادة؛ وغنيمة العقول والألباب)[2].

وإن من بين هؤلاء العلماء الربانيين ــ الذين حرصوا على بيان الطريقة المؤدية إلى طهارة النفس البشرية وتزكيتها؛ وإصلاح الفطرة الإنسانية وتنقيتها ــ : الإمام ابن شيخ الحزَّاميين رحمه الله تعالى؛ الذي فتح للسالكين مدخلاً يلجون منه إلى محبة الله عزَّ وجلَّ ومعرفته، وعبَّد لهم الطريق الموصلة إليه من خلال القواعد التي تبتني عليها هذه المحبة والمعرفة.

ولما علم رحمه الله أن (المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[3]: اجتهد في جمع هذا الكتاب وترتيبه؛ وتقسيمه وتبويبه، فصار للمحزون سلوة؛ وللمشتاق جلوة، حرَّك به القلوب؛ إلى أجل مطلوب، وحَدَى النفوس؛ إلى عبادة الملك القدوس، لا يسأم حديثَه الجليسُ؛ ولا يمل مسامرتَه الأنيسُ.

---

(١) قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٣/ ١٨): (إن السلف مجمعون على أن العالِم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق؛ ويعمل به؛ ويعلمه، فمن عَلِم وعمل وعَلَّم: فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات).

(٢) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة» لابن قيم الجوزية (٢/ ٣٠).

(٣) «النصيحة» لابن شيخ الحزاميين (ص ١٥).

فجزى الله الإمام ابن شيخ الحزَّاميين خير الجزاء على ما أودعه في مدخله من بدائع الفوائد؛ التي سبكها بحسن تقرير ورصانة تحرير، وعلى فرائد القلائد؛ التي حبكها ببراعة التعبير، حتى إذا ما تجلَّت فوائده وقلائده (للقلوب ـ رافلة في حللها ـ : فإنها تسبـي القلوب وتأخذ بمَجامعها)(١).

وجزى الله خيراً قلوباً كانت لنصحه واعية؛ فاستضاءت (بأنوار العِرفان، فصارت كالكوكب الذي يتلألأ بتوفيق المنان، عَزَفت عن الدنيا وشهواتها؛ واشتاقت إلى قُرْبِ الرحيم الرحمن، لَهَجَت بأذكاره وحنَّت إليه وإلى جواره؛ وتمسَّكت بتقواه، واكتحلت بأنواره، فصارت لها بعد الإيقان إيقان، ومع الإيمان إيمان، يتزايد أبداً إلى سُكنى الجِنان)(٢).

وقد قمت ـ بفضل الله ومِنَّته ـ بتحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه؛ مُقدِّماً بين يَدَيْ ذلك: دراسةً عن المؤلف رحمه الله تعالى؛ وعن كتابه؛ رجاء أن ينفع الله بهذا الكتاب مؤلفه ومحققه ومن وقف من القراء عليه، ورام فتح باب مدخله وقصد الولوج إليه.

والله يعلم ما قصدت؛ وما بتحقيق الكتاب والتعليق عليه أردت، فهو سبحانه عند لسان كل عبد وقلبه؛ وهو المطلع على نيته وكسبه، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٠٥﴾(٣).

والمرجو من الإخوة القراء ممن وقف على هذا الكتاب (أن يصلح ببنانه ما عثر عليه فيه من زلل القلم الفاتر؛ وخلل الخاطر الضعيف

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (١/ ١٢٧).
(٢) «مفتاح طريق الأولياء» لابن شيخ الحزاميين (ص ٢٩).
(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

الخائر)[1]، وأن لا يألو جهداً في بذل النصيحة بالمعروف؛ وأن يحفَّها بالرفق ويتوِّجها بالنقد القويم المألوف، مستحضراً أن الكمال ليس إلاَّ لكتاب الله العظيم؛ والعصمة ليست إلاَّ لرسوله الكريم ﷺ، وأن الله تبارك وتعالى أبى (إلاَّ أن يتفرد بالكمال.

كما قيل:

وَالنَّقْصُ فِي أَصْلِ الطَّبِيعَةِ كَامِنٌ فَبَنُو الطَّبِيعَةِ نَقْصُهُمْ لاَ يُجْحَدُ)[2].

والله سبحانه المسؤول أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، مُدْنِياً لمؤلفه ومحققه وقارئه من جنات النعيم، أن يجعله حجة لهم لا عليهم، وأن ينفع به من انتهى إليهم.

ومن الله الاستمداد، وعليه التوكل وإليه الاستناد، فإنه لا يخيب من توكل عليه، ولا يضيع من لاذ به؛ وفوَّض أمره إليه، إنه سبحانه خير مسؤول؛ وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قاله بفمه وزبَره بقلمه:

أفقر الورى إلى غنى ربه العلي

وليد بن محمد بن عبد الله العلي

غفر الله له ولوالديه ولزوجه ولذريَّته

ولسائر المسلمين

جامعة الكويت

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم العقيدة والدعوة

يوم السبت ١١/ ٤/ ١٤٢٣هـ

الموافق ٢٢/ ٦/ ٢٠٠٢م

---

(١) «الكليات» للكفوي (ص ١٨).

(٢) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٤٥).

التعريف بالمؤلف (1)

اسمه ونسبه:

هو الشيخ الإمام، الزاهد العابد، العارف السالك، القدوة الناسك،

---

(1) انظر التعريف في المصادر الآتية ــ مرتبة وفق التسلسل الزمني لمؤلفيها ــ : «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» لابن عبد الهادي (ص ٢٩٠)، «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤/ ١٤٩٥)، «ذيل العبر» له (٤/ ٢٩)، «معجم الشيوخ» له (١/ ٢٩ ــ ٣٠) ترجمة ٥، «المشتبه في أسماء الرجال وأنسابهم» له (ص ٢٢٤)، «أعيان العصر وأعوان النصر» للصفدي (١/ ١٥٣ ــ ١٥٤) ترجمة ٦٦، «الوافي بالوفَيات» له (٦/ ٢٢١) ترجمة ٢٦٨٩، «مرآة الجَنان وعبرة اليقظان» لليافعي (٤/ ٢٥٠)، «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب (٢/ ٣٥٩ ــ ٣٦٠)، «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص ١٤١٣) (مادة حزم)، «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين الدمشقي (٣/ ١٦٥ ــ ١٦٧)، «الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر» له (ص ١٢٩ ــ ١٣١) ترجمة ٣٢، «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر (١/ ٩١) ترجمة ٢٤٠، «المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي» لابن تغري بردي (١/ ٢١٠ ــ ٢١١) ترجمة ١٠٧، «الدليل الشافي على المنهل الصافي» له (١/ ٣٥) ترجمة ١٠٦، «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» لابن مفلح (١/ ٧٣) ترجمة ٥، «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد» للعليمي (٤/ ٣٨٤ ــ ٣٨٥) ترجمة ١١٩٣، الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» له (٢/ ٤٦١)، «القلائد الجوهرية» لابن طولون (٢/ ٤٧٩ ــ ٤٨٠)، «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد (٦/ ٢٤ ــ ٢٥)، «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي (٣١/ ٤٨٣) (مادة حزم)، «هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين» للبغدادي (١/ ١٠٣ ــ ١٠٤)، «رفع النقاب عن تراجم الأصحاب» لابن ضويان (ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٦ ــ ٨٧)، «معجم المؤلفين» لكحالة (١/ ٨٩)، «تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة» للبردي (٢/ ٩٤٧ ــ ٩٤٩)، «معجم مصنفات الحنابلة» للأستاذ الدكتور عبد الله الطريقي (٣/ ٣١١ ــ ٣١٥)، «علماء الحنابلة» لبكر أبو زيد (ص ٢٢٦) ترجمة ١٧٨٨ .

العالم الرباني، بقية السلف: عماد الدين، أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود بن عمر الحزَّامي، الواسطي، البغدادي، ثم الدمشقي، الشهير بـ : ابن شيخ الحزَّاميين.

والحزَّاميون: نسبة إلى الحزَّامين ــ بفتح الحاء والزاي؛ وتشديدها[1] ــ : محلَّة في شرقيِّ واسط[2]؛ واسعة كبيرة.

كما يطلق الحزَّامون على: الذين يحزمون الكاغد[3] [4]؛ أو يحزمون الأمتعة[5]؛ أي: يشدُّونها، والله أعلم.

ولادته ونشأته:

وقد وُلد رحمه الله تعالى في حادي عشر ــ أو ثاني عشر ــ شهر ذي الحجة الحرام سنة سبع وخمسين وستمائة بشرقيِّ واسط.

وكان والده الشيخُ أبو إسحاق شيخَ الطائفة الأحمدية[6]، ونشأ الشيخ

---

(١) انظر في ضبطها: «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٢١٣)، «المشتبه في أسماء الرجال وأنسابهم» لابن ناصر الدين (ص ٢٢٤)، «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص ١٤١٣) (مادة حزم).

(٢) واسط: اسم يقع على عدة مواضع، وأعظمها وأشهرها: مدينة واسط التي عمَّرها الحجاج في سنة ثلاث وثمانين؛ وهي المشار إليها، وسميت بذلك: لتوسطها بين البصرة والكوفة. انظر: «معجم ما استعجم» للبكري (٤/ ١٣٦٣)، «معجم البلدان» للحموي (٤/ ٣٤٧)، «الروض المعطار في خبر الأقطار» للحميري (ص ٥٩٩).

(٣) الكاغد: هو القرطاس ــ فارسي مُعرَّب ــ . كذا في «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي (٩/ ١١٠) (مادة كغد).

(٤) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٢١٣)، «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (١/ ٣٦٢)، «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي (٣١/ ٤٨٥).

(٥) انظر: «معجم البلدان» للحموي (٢/ ٢٥٢).

(٦) الطائفة الأحمدية: هي إحدى طوائف الصوفية وطرقها، وتسمى بـ : الرفاعية؛ =

عماد الدين بينهم.

وكان رحمه الله تعالى: (يرتزق من النسخ؛ وخطه حسنٌ جدًّا)[1]، (ولا يكاد يقبل من أحد شيئاً إلاَّ في النادر)[2]، وكان مع ذلك (لا يكتب إلاَّ مقدار ما يدفع به الضرورة)[3].

قال الأديب المؤرخ الصفدي رحمه الله تعالى: (وكتب

= والبطائحية، وتنتسب إلى: أبي العباس أحمد بن علي بن رفاعة الحسيني، المولود في قرية حسن ــ من أعمال واسط ــ بالعراق في أول محرم سنة خمسمائة؛ والمتوفى في قرية أم عبيدة ــ بين واسط والبصرة ــ في يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وقد غلب اسم الرفاعية على هذه الطائفة؛ نسبة إلى أحد أجداد المنتسبين إليه؛ حتى لا تكاد ترى أحداً من المصنفين في المقالات والفرق يذكرهم بغير هذا الاسم، وأما تسميتهم بالأحمدية: فنسبة إلى اسم شيخهم المنتسبين إليه، وأما تسميتهم بالبطائحية: فنسبة إلى مسقط رأس شيخهم ببطائح واسط بالعراق، وهذه الطريقة لا تخرج في كثير من طقوسها الفكرية وجذورها العقدية عن عامة الطرق الصوفية.

وقد ناظر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى هذه الطائفة الأحمدية، وسطَّر رسالة في ذكر مناظرته لهم، قال في خاتمتها: (إن فيهم من الغلو والشرك والمروق عن الشريعة ما شاركوا به الرافضة في بعض صفاتهم، وفيهم من الكذب ما قد يقاربون به الرافضة في ذلك؛ أو يساوونهم؛ أو يزيدون عليهم، فإنهم من أكذب الطوائف؛ حتى قيل فيهم: لا تقولوا: أكذب من اليهود على الله، ولكن قولوا: أكذب من الأحمدية على شيخهم. وقلت لهم: أنا كافر بكم وبأحوالكم ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة هود: الآية ٥٥]) [رسالة مودعة في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٤٤٥ ــ ٤٧٥)].

وانظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ١٧١ ــ ١٧٢)، «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للذهبي (حوادث ووفيات ٥٧١ ــ ٥٨٠هـ) (ص ٢٤٨ ــ ٢٥٥)، «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (١/ ٢٦٢).

(١) «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ٩١).

(٢) حكاه الحافظ ابن رجب ــ عن الحافظ الذهبي ــ في «الذيل» (٢/ ٣٦٠).

(٣) حكاه الحافظ ابن رجب ــ عن الحافظ البرزالي ــ في «الذيل» (٢/ ٣٦٠).

المنسوب[1] حتى أخمل[2] الحدائق، وأتى في طرسه[3] بكل سطر على العقد فائق)[4].

معتقده ومسلكه:

وقد ألهمه الله عزَّ وجلَّ (من صغره طلب الحق ومحبته؛ والنفور عن البدع وأهلها)[5]، فاجتمع بطوائف عدة؛ (ولم يسكن قلبه إلى شيء)[6] منها، فاجتمع بفقهاء واسط؛ وبغداد؛ ومكة؛ والقاهرة؛ ثم رحل إلى الإسكندرية؛ فاجتمع هناك بالطائفة الشاذلية[7]، فوجد عندهم ما يطلبه من لوائح المعرفة والمحبة والسلوك، فأخذه عنهم؛ واقتفى طريقتهم وهديهم.

---

(١) خط منسوب؛ ذو قاعدة. كذا في «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي (٤/ ٢٦٤) (مادة نسب).

(٢) قال ابن السكيت: قال أبو صاعد: الخميلة: الشجر المجتمع الذي لا ترى فيه الشيء إذا وقع في وسطه. كذا في «تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٤٢٩) (مادة خمل).

(٣) قال الليث: الطِّرْسُ: الكتاب الممحو الذي يستطاع أن تعاد عليه الكتابة، وفعلك به: التطريس. كذا في «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ٣٢٩) (مادة طرس).

(٤) «أعيان العصر» للصفدي (١/ ١٥٣).

(٥) «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

(٦) «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

(٧) الطائفة الشاذلية: هي إحدى طوائف الصوفية وطرقها، وتنتسب إلى: أبي الحسن علي بن عبد الله الهذلي الشاذلي؛ نسبة إلى شاذلة في المغرب؛ المتوفى في أوائل شهر ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة، وطريقته لا تخرج في كثير من طقوسها الفكرية وجذورها العقدية عن عامة الطرق الصوفية.
انظر: «العبر في خبر من غبر» للذهبي (٣/ ٢٨٢)، «التصوف في ميزان البحث والتحقيق» للسندي (ص ٣٢٧ ــ ٤٨٤)، «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (١/ ٢٧٩ ــ ٢٨٤).

وكان رحمه الله تعالى خلال هذه الحقبة الزمنية من عمره مضطرباً في بعض مسائل الاعتقاد المتعلقة بصفات الله عزَّ وجلَّ، حتى شرح الله صدره للحق وقَبوله.

ثم قدم دمشق، فرأى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى؛ وصَحِبَهُ، وتَخَلَّى عن جلِّ[1] هذه الطرائق والأحوال والأذواق والسلوكيات؛ واقتفى آثار الرسول ﷺ وهديه وطريقته المأثورة عنه في كتب السنن والآثار، واعتنى بأمر السنَّة أصولاً وفروعاً.

وقد أشار رحمه الله تعالى إلى مرحلة الانتقال التي مرَّ بها في حياته؛ والتي تلاها لقاؤه بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فقال: (واعلموا رحمكم الله أن هنا من سافر إلى الأقاليم، وعرف الناس وأذواقهم، وأشرف على غالب أحوالهم، فوالله؛ ثم والله؛ ثم والله، لم يُر تحت أديم السماء مثل شيخكم علماً وعملاً؛ وحالاً وخلقاً؛ واتباعاً وكرماً، وحلماً في حق نفسه؛ وقياماً في حق الله عند انتهاك حرماته، أصدق الناس عقداً؛ وأصحهم علماً وعزماً، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همةً؛ وأسخاهم كفًّا، وأكملهم اتباعاً لنبيه ﷺ)[2].

كما أشار رحمه الله تعالى إلى مرحلة الاضطراب التي مرَّ بها في حياته؛ فقال: (كنتُ برهة من الدهر متحيِّراً في ثلاث مسائل: مسألة الصفات؛ ومسألة الفوقية؛ ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وكنتُ متحيِّراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع

---

(١) وقد حدى بي القول إلى التعبير بكلمة (جلّ)؛ دون (كلّ): نظراً لطغيان قلم المؤلف رحمه الله تعالى ببعض مصطلحات الصوفية؛ والتحدث بلسانهم في مواضع من كتابه ـ كما سيمر بك التنبيه عليها إن شاء الله تعالى ـ .

(٢) «التذكرة والاعتبار» لابن شيخ الحزاميين (ص ٣٧).

ذلك؛ من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها، أو الوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تمثيل)[1].

إلى أن قال رحمه الله تعالى: (فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال؛ حتى لطف الله بي، وكشف لهذا الضعيف عن وجه الحق كشفاً اطمأنَّ إليه خاطره، وسكن به سِرُّه، وتبرهن الحق في نوره)[2].

وبعد لقائه بشيخ الإسلام رحمه الله تعالى وصحبته له: دلَّه على مطالعة السيرة النبوية، فأقبل رحمه الله تعالى عليها؛ وعلى مطالعة كتب الحديث والسنَّة والآثار، وصار (داعية إلى السنَّة ومتابعة الآثار)[3]، (محباً لأهل الحديث؛ معظماً لهم)[4]، (ومذهبه مذهب السلف الصالح في الصفات؛ يُمرُّها كما جاءت)[5].

كما كان رحمه الله تعالى يُعظِّم شيخ الإسلام ويُجلّه؛ ويبالغ في الثناء عليه، فيقول: (شيخنا السيد الإمام؛ الأمة الهمام؛ محيي السنَّة وقاطع البدعة؛ ناصر الحديث؛ ومفتي الفرق، الفائق عن الحقائق؛ وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق، الجامع بين الظاهر والباطن[6]؛ فهو يقضي بالحق ظاهراً وقلبه في العلى قاطن، أنموذج الخلفاء الراشدين

---

(١) «النصيحة» لابن شيخ الحزاميين (ص ١٦ ــ ١٧).

(٢) «النصيحة» لابن شيخ الحزاميين (ص ٣٢).

(٣) «معجم الشيوخ» للذهبي (١/ ٢٩).

(٤) حكاه الحافظ ابن رجب ــ عن الحافظ البرزالي ــ في «الذيل» (٢/ ٣٦٠).

(٥) حكاه الحافظ ابن رجب ــ عن الحافظ الذهبي ــ في «الذيل» (٢/ ٣٦٠).

(٦) سيأتي بيان المراد بالحال الباطن والعلم الظاهر في خاتمة دراسة الكتاب؛ عند بيان بعض المآخذ على المؤلف رحمه الله تعالى في إيراده بعض المصطلحات المجملة المشتبهة في كتابه.

والأئمة المهديين؛ الذين غابت عن القلوب سيرهم، ونسيت الأمة حذوهم وسبلهم، فذكَّرهم بها الشيخ، فكان في دارس نهجهم سالكاً؛ ولموات حذوهم محيياً؛ ولأعنة قواعدهم مالكاً، الشيخ الإمام: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، أعاد الله علينا بركته؛ ورفع إلى مدارج العلى درجته)[1].

ثم شرع رحمه الله تعالى في الرد على طوائف المبتدعة الذين خالطهم وعرفهم من الاتحادية[2] وغيرهم، وبيَّن عوارهم؛ وكشف أستارهم.

وقد أقبل رحمه الله تعالى على التفقه في الدين؛ وبرز فيه، وصارت (له مشاركة في العلوم)[3]، وزاحم في شتى (الفضائل، وصحب الكبار)[4]، وانتفع بهديه و (تسلَّك به جماعة، وأَلِفَ الضَّراعة من الرَّضاعة)[5].

---

(١) «التذكرة والاعتبار» لابن شيخ الحزاميين (ص ١٩ ـ ٢٠).

(٢) الاتحادية: هم القائلون باتحاد الخالق بمخلوقاته، وأن وجود هذه المخلوقات هو عين وجود الرب؛ لا أنها متميزة عنه منفصلة عن ذاته ـ تعالى الله عن إفكهم وبهتانهم علواً كبيراً ـ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رسالته: «حقيقة مذهب الاتحاديين»: (اعلم هداك الله وأرشدك: أن تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده؛ لا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة، بل وهم أيضاً لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه، ولهذا يتناقضون كثيراً في قولهم، وإنما ينتحلون شيئاً ويقولونه أو يتبعونه، ولهذا قد افترقوا بينهم على فرق، ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم؛ مع استشعارهم أنهم مفترقون. وحقيقة قول هؤلاء: أن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى؛ ليس وجودها غيره ولا شيء سواه ألبتة). انتهى كلامه مختصراً من [رسالة مودعة في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ١٣٨ ـ ١٤٠)].

(٣) «ذيل العبر» للذهبي (٤/ ٢٩).

(٤) «معجم الشيوخ» للذهبي (١/ ٢٩).

(٥) «أعيان العصر» للصفدي (١/ ١٥٤).

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى: (جالسته مراراً وانتفعت به، وكان منقبضاً عن الناس؛ حافظاً لوقته[1]، تسلك به جماعة، وكان ذا ورع وإخلاص، ومنابذة للاتحادية وذوي العقول)[2].

مذهبه الفقهي:

وكان رحمه الله تعالى قد (تفقَّه على مذهب الشافعي)[3] رحمه الله تعالى، (ونظر في الروضة والرافعي[4])[5].

وقد أشار رحمه الله تعالى إلى ذلك بقوله: (ومما ذهب إلى هذه الأقوال أو بعضها قوم لهم في صدري منزلة، مثل بعض فقهاء الأشعرية[6]

---

(١) (لوقته): سقطت من «الوافي بالوفَيات»؛ واستدركتها من «الدرر الكامنة».

(٢) حكاه الصفدي في «الوافي بالوفَيات» (٦/ ٢٢١).

(٣) «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ٩١).

(٤) أي: تفقه في مذهب الشافعي على كتاب: «الفتح العزيز في شرح الوجيز» للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (٥٥٧ ـ ٦٢٣هـ)؛ وعلى مختصره: «روضة الطالبين وعمدة المفتين» للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ).

(٥) «أعيان العصر» للصفدي (١/ ١٥٤).

(٦) الأشعرية: هم أصحاب الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري؛ المنحدر نسبه من أبي موسى الأشعري رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ، المولود سنة ستين ومائتين؛ والمتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، نشأ في أحضان المعتزلة؛ وارتضع معتقدهم من شيخه ـ زوج أمه ـ أبي علي الجبائي، فلما تبين له وجه الحق؛ وأسفر صبحه: رجع عن معتقدهم؛ واعتنق في آخر حياته معتقد أهل السنَّة والجماعة؛ وصرح بأنه على معتقد إمام أهل السنَّة والجماعة: أحمد بن حنبل، وصنَّف في ذلك كتابه: «الإبانة عن أصول الديانة»؛ وضمنه معتقده الذي يعتقده، وصرح بانتسابه إلى أهل السنَّة والجماعة في كتابه: «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين». وعلى هذا المعتقد الذي توفي عليه أبو الحسن الأشعري درج أئمة أصحابه؛ حتى جاء بعض متأخري أصحابه فأدخلوا في مذهبه أشياء لم يعتقدها؛ ولم يذهب إلى القول بها. =

الشافعيين، لأني على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى، عرفت منهم فرائض ديني وأحكامه)[1].

ثم تحوَّل رحمه الله تعالى و (انتقل إلى مذهب الإمام أحمد)[2] رحمه الله تعالى[3]، فقرأ على شيخ المذهب مجد الدين إسماعيل بن محمد الحراني[4] رحمه الله تعالى كتاب «الكافي» للموفق ابن قدامة، (واختصره

= قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رسالته: «المسألة المصرية في القرآن»: (أما الأشعري نفسه وأئمة أصحابه: فلم يختلف قولهم في إثبات الصفات الخبرية؛ وفي الرد على من يتأولها، وهذا مذكور في كتبه كلها، وهكذا نقل سائر الناس عنه؛ حتى المتأخرون، فمن قال: إن الأشعري كان ينفيها؛ وإن له في تأويلها قولين: فقد افترى عليه، ولكن هذا فعل طائفة من متأخري أصحابه، فإن هؤلاء أدخلوا في مذهبه أشياء من أصول المعتزلة. والأشعري ابتلي بطائفتين: طائفة تبغضه؛ وطائفة تحبه، كل منهما يكذب عليه؛ ويقول: إنما صنَّف هذه الكتب تقية؛ وإظهاراً لموافقة أهل الحديث والسنَّة، وهذا كذب على الرجل، فإنه لم يوجد له قول باطن يخالف الأقوال التي أظهرها، ولا نقل أحد من خواص أصحابه ولا غيرهم ما يناقض هذه الأقوال الموجودة في مصنفاته، فدعوى المدعي: مردودة شرعاً وعقلاً). انتهى كلامه مختصراً من [رسالة مودعة في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤)].
وانظر: «أبو الحسن الأشعري» للأنصاري، «معتقد الإمام أبـي الحسن الأشعري ومنهجه» للدكتور عمر الأشقر.

(١) «النصيحة» لابن شيخ الحزاميين (ص ١٧ ـ ١٨).

(٢) «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٥٩).

(٣) انظر: «العلماء الذين تحولوا من مذهب إلى آخر وأسباب التحول» لبكر أبو زيد (ص ٤٥)، «المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل» له (١/ ٥٦٩).

(٤) هو أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن الفراء الحراني؛ ثم الدمشقي، شيخ مذهب الحنابلة، وُلد سنة خمس وأربعين وستمائة، كان يقرىء «المقنع» و «الكافي»؛ ويعرفهما، وكتب بخطه «المغني» و «الكافي» وغيرهما؛ حتى قيل: إنه أقرأ «المقنع» مائة مرة، وكان عديم التكلف؛ سريع الدمعة، توفي رحمه الله تعالى ليلة الأحد تاسع جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة بالمدرسة الجوزية، ودفن بمقابر الصوفية؛ وكانت =

في مجلد)[1].

ثناء العلماء عليه:

وقد أثنى عليه رحمه الله تعالى عدد من الأئمة الأعلام، وأفاضوا عليه بالثناء الجزيل والذكر الجميل، فمن ذلك:

١ ـ كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ) يُعظِّمه ويُجلّه، ويقول: (هو جُنَيْد[2] وقته. وكتب إليه كتاباً من مصر؛ أوله: إلى شيخنا الإمام العارف القدوة السالك)[3].

٢ ـ قال الحافظ البرزالي رحمه الله تعالى (٦٦٥ ـ ٧٣٩هـ): (رجل صالح عارف، صاحب نسك وعبادة، وانقطاع وعزوف عن الدنيا، وله كلام متين في التصوف[4] الصحيح، وهو داعية إلى طريق الله

= جنازته مشهودة.
انظر: «معجم الشيوخ» للذهبي (١/ ١٧٩)، «الذيل» لابن رجب (٢/ ٤٠٨ ـ ٤١٠)، «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» لابن مفلح (١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).

(١) «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٥٩).

(٢) ستأتي ترجمته في نص الكتاب المحقق إن شاء الله تعالى.

(٣) انظر: «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

(٤) تشعب كلام أهل العلم في تعريف التصوف، وتأريخ نشأته، وأقسامه، وطرقه.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رسالته: «الصوفية والفقراء»: (إن منشأ التصوف كان من البصرة، وأنه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد مما له فيه اجتهاد؛ كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد، وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف، فقيل في أحدهم: صوفي، وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف؛ ولا هم أوجبوا ذلك؛ ولا علقوا الأمر به، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال.
ثم التصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة؛ قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه.
ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه: تنازع الناس في طريقهم، فطائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنَّة، ونقل عن طائفة من =

تعالى)(١).

٣ ــ قال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى (٧٠٥ ــ ٧٤٤هـ): (كان رجلاً صالحاً ورعاً، كبير الشأن، منقطعاً إلى الله، متوفراً على العبادة والسلوك)(٢).

= الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام. وطائفة غلت فيهم؛ وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم. والصواب: أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطىء؛ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه. وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم؛ كالحلاج مثلاً، فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه؛ وأخرجوه عن الطريق مثل الجنيد بن محمد ــ سيد الطائفة ــ وغيره؛ كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية»؛ وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في «تاريخ بغداد». فهذا أصل التصوف، ثم إنه بعد ذلك تشعب وتنوع). انتهى كلامه مختصراً من [رسالة مودعة في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ١٦ ــ ١٨)].

وانظر في كلام أهل العلم في تعريف التصوف؛ ونشأته؛ وأقسامه؛ ومصادره؛ وطرقه: «التصوف ــ المنشأ والمصادر ــ» لإحسان إلـٰهي ظهير (ص ١١ ــ ١٣٥)، «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» لمحمد أحمد لوح (١/ ٣٤ ــ ٤٤)، «التيجانية» للدكتور علي آل دخيل الله (ص ٢٧ ــ ٤٦)، «الصوفية ــ معتقداً ومسلكاً ــ» للدكتور صابر طعيمة (ص ١٩ ــ ٤٤)، «الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنَّة» لعبد الرحمن عبد الخالق (ص ٤٩ ــ ٥٣)، «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ» لمحمود القاسم (ص ٧٣٥ ــ ٧٥٥)، «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ــ عرضاً ونقداً ــ» لصادق سليم صادق (ص ٢٧ ــ ٩٤)، «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيِّىء على الأمة الإسلامية» لإدريس محمود إدريس (١/ ٢٥ ــ ٧٩).

(١) انظر: «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

(٢) «العقود الدرية» لابن عبد الهادي (ص ٢٩٠).

٤ ـ قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ): (شيخنا القدوة العارف)[١]، ويقول: (كان من سادة السالكين)[٢].

٥ ـ قال الأديب المؤرخ الصفدي رحمه الله تعالى (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ): (لقي المشائخ وتعبَّد، وترك الرئاسة وتزهَّد، وقط العوالق وتجرَّد)[٣].

٦ ـ قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى (٧٣٦ ـ ٧٩٥هـ): (كان له مشاركة جيدة في العلوم، وعبارة حسنة قوية، وفهم جيد، وخط حسن في غاية الحسن، وكان معمور الأوقات في الأوراد والعبادات؛ والتصنيف؛ والمطالعة؛ والذكر والفكر، مصروف العناية إلى المراقبة والمحبة؛ والأُنس بالله، وقطع الشواغل والعوائق عنه، حثيث السير إلى وادي الفناء بالله؛ والبقاء به[٤]، كثير اللهج بالأذواق والتجليات، والأنوار القلبية، منزوياً عن الناس؛ لا يجتمع إلاَّ بمن يحبه؛ ويحصل له باجتماعه به منفعة دينية)[٥].

٧ ـ قال الحافظ ابن ناصر الدين رحمه الله تعالى (٧٧٧ ـ ٨٤٢هـ): (كان زاهداً عابداً، داعية إلى الله)[٦].

---

(١) «معجم الشيوخ» للذهبي (١/ ٢٩).
(٢) «ذيل العبر» للذهبي (٤/ ٢٩).
(٣) «أعيان العصر» للصفدي (١/ ١٥٣).
(٤) سيأتي بيان المراد بالفناء والبقاء في خاتمة دراسة الكتاب؛ عند بيان بعض المآخذ على المؤلف رحمه الله تعالى في إيراده بعض المصطلحات المجملة المشتبهة في كتابه.
(٥) «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).
(٦) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين (ص ١٣٠).

مؤلفاته:

وكان رحمه الله تعالى صاحب (عبارة عذبة)[1] سَبَكَ بحُسْنِ أدبها ما (يُتحلى بقلائده، وتتجلى محاسنُه في فرائده)[2].

ولما كان (قلمه أبسط من عبارته)[3]: اعتنى رحمه الله تعالى بالتصنيف، فـ (صنَّف في السلوك والمحبة)[4] مصنفات و (تواليف نافعة)[5]، وغالب هذه المصنفات في الحثِّ على (اقتفاء السنَّة، وطريق التصوف على السنَّة، والرد على طوائف من المبتدعة كالاتحادية وغيرهم)[6].

وكلامه (في التصوف عجيب)[7].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: (ألَّف تآليف كثيرة في الطريقة النبوية والسلوك الأثري والفقر المحمدي، وهي من أنفع كتب الصوفية للمريدين، انتفع بها خلق من متصوفة أهل الحديث ومتعبِّديها)[8].

ومن هذه المؤلفات:

١ ــ البلغة: (وهو: مختصر «الكافي»)[9] لابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى.

---

(١) «ذيل العبر» للذهبي (٤/ ٢٩).
(٢) «أعيان العصر» للصفدي (١/ ١٥٣).
(٣) حكاه الحافظ ابن رجب ــ عن الحافظ البرزالي ــ في «الذيل» (٢/ ٣٦٠).
(٤) «الوافي بالوفَيات» للصفدي (٦/ ٢٢١).
(٥) «معجم الشيوخ» للذهبي (١/ ٢٩).
(٦) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين (ص ١٢٩).
(٧) «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين (٣/ ١٦٦).
(٨) «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٥٩).
(٩) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين (ص ١٢٩).

وقد ذكره: الحافظ ابن رجب؛ والحافظ ابن ناصر الدين؛ والعليمي؛ وابن طولون؛ وحاجي خليفة؛ والبغدادي؛ وابن العماد؛ وابن ضويان؛ وكحالة؛ والبردي؛ والطريقي؛ وأبو زيد[١].

٢ ـ **البلغة والإقناع في حل شبهة مسألة السماع**: قال حاجي خليفة: (وهو: مختصرٌ، أوله: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب). . . إلخ، ألَّفه بدمشق سنة ثلاث وسبعمائة)[٢].

وذكره: البغدادي؛ وكحالة؛ والبردي؛ والطريقي؛ وأبو زيد[٣].

٣ ـ **التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار**: قال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى: (كتب رسالة؛ وبعثها إلى جماعة من أصحاب الشيخ) أي: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (وأوصاهم فيها بملازمة الشيخ، والحث على اتباع طريقته، وأثنى فيها على الشيخ ثناءً عظيماً)[٤].

---

(١) انظر: «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٥٩)، «الرد الوافر» لابن ناصر الدين (ص ١٢٩)، «المنهج الأحمد» للعليمي (٤/ ٣٨٤)، «الدر المنضد» له (١/ ٤٦١)، «القلائد الجوهرية» لابن طولون (٢/ ٤٧٩)، «شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٢٤)، «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٢٥٢)؛ (٢/ ١٠٠١)، «هدية العارفين» للبغدادي (١/ ١٠٤)، «رفع النقاب» لابن ضويان (ص ٢٩٤)، «معجم المؤلفين» لكحالة (١/ ٨٩)، «تسهيل السابلة» للبردي (٢/ ٩٤٩)، «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٣/ ٣١٢)، «المدخل المفصل» لبكر أبو زيد (٢/ ٧٣٩، ٩٨٦).

(٢) «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٢٥٢)؛ (٢/ ١٠٠١).

(٣) انظر: «هدية العارفين» للبغدادي (١/ ١٠٤)، «معجم المؤلفين» لكحالة (١/ ٨٩)، «تسهيل السابلة» للبردي (٢/ ٩٤٩)، «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٣/ ٣١٣)، «المدخل المفصل» لبكر أبو زيد (٢/ ٨٨٥، ٩٨٦، ١٠٥٢).

(٤) «العقود الدرية» لابن عبد الهادي (ص ٢٩٠).

وذكره: ابن ناصر الدِّين؛ والطريقي[١]، وهو: مطبوع[٢].

٤ ـ السلوك والسير إلى الله تعالى: ذكره: الطريقي[٣]، وهو: مخطوط[٤].

٥ ـ شرح منازل السائرين: وهو: شرح كتاب «منازل السائرين» لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي[٥]، وقد شرح رحمه الله تعالى (أكثر منازل السائرين)[٦]؛ (ولم يُتمَّه)[٧].

ذكره: ابن قيم الجوزية[٨]؛ والصفدي؛ وابن رجب؛

---

(١) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين (ص ١٣٠ ـ ١٣١)، «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٣/ ٣١٥).

(٢) وقد أردفها الحافظ ابن عبد الهادي بترجمة مؤلفه عقيب ذكره في كتابه «العقود الدرية» (ص ٢٩١ ـ ٣٢١).
وقد اعتنى بإفرادها بالطباعة دار العاصمة؛ بتحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي.

(٣) «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٣/ ٣١٤).

(٤) توجد منه نسخة خطية مودعة في دار الكتب الظاهرية بدمشق، تحت رقم التصنيف: (٤٧٠٩)، وتقع في (١٤٧) ورقة، وهي مخرومة الأول والآخر.
انظر: «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية» (قسم التصوف) (٢/ ٦٠ ـ ٦١).

(٥) ستأتي ترجمته في نص الكتاب المحقق إن شاء الله تعالى.

(٦) «الوافي بالوفَيات» للصفدي (٦/ ٢٢١).

(٧) «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

(٨) وقد انفرد الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى عمن سواه من المترجمين بخصيصة؛ حيث ضمَّن مواطن من هذا الشرح في بعض كتبه، حيث قال في «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (١/ ٨٩ ـ ٩١): (والذي يليق به) أي: يليق بكلام شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري في منازل السائرين (ما ذكره شيخنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي رحمه الله في شرحه، فذكر قاعدة في الفناء والاصطلام، فقال) ثم ساق قوله في ثلاث صفحات.

وابن ناصر الدين؛ وابن حجر؛ وابن تغري بردي؛ والعليمي؛ وحاجي خليفة؛ والبغدادي؛ وابن ضويان؛ والزِّركلي؛ وكحالة؛ والبردي؛ والطريقي[1].

٦ ــ **مختصر دلائل النبوة**: ذكره: الصفدي؛ وابن حجر؛ وابن تغري بردي؛ والزِّركلي؛ والطريقي[2].

٧ ــ **مختصر سيرة ابن إسحاق**: قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: (أقبل على سيرة ابن إسحاق ــ تهذيب ابن هشام ــ فلخصها واختصرها)[3].

وذكره: الصفدي؛ وابن ناصر الدين؛ وابن تغري بردي؛ وابن مفلح؛ والعليمي؛ وابن طولون؛ وابن العماد؛ وابن ضويان؛ وسزكين؛ والبردي؛ والطريقي[4].

---

(١) انظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» لابن قيم الجوزية (١/ ٨٩ ــ ٩١)، «الوافي بالوفَيات» للصفدي (٦/ ٢٢١)، «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠)، «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين (٣/ ١٦٥ ــ ١٦٦)، «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ٩١)، «المنهل الصافي» لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، «المنهج الأحمد» للعليمي (٤/ ٣٨٤)، «الدر المنضد» له (١/ ٤٦١)، «كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٨٢٨)، «هدية العارفين» للبغدادي (١/ ١٠٤)، «رفع النقاب» لابن ضويان (ص ٢٩٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٧)، «معجم المؤلفين» لكحالة (١/ ٨٩)، «تسهيل السابلة» للبردي (٢/ ٩٤٩)، «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٣/ ٣١٥).

(٢) انظر: «أعيان العصر» للصفدي (١/ ١٥٣)، «الوافي بالوفَيات» له (٦/ ٢٢١)، «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ٩١)، «المنهل الصافي» لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٧)، «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٣/ ٣١٥).

(٣) «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٥٩).

(٤) انظر: «أعيان العصر» للصفدي (١/ ١٥٣ ــ ١٥٤)، «الوافي بالوفَيات» له (٦/ ٢٢١)، =

٨ ـ **مدخل أهل الفقه واللسان إلى ميدان المحبة والعرفان**: وهو: الكتاب الذي بين أيدينا، وسيأتي له ـ بمشيئة الله تعالى ـ مزيد تعريف وبيان.

٩ ـ **مفتاح طريق الأولياء وأهل الزهد من العلماء**: ذكره: الزركلي[١]، وهو: مطبوع[٢].

١٠ـ **مفتاح طريق المحبين وباب الأنس برب العالمين المؤدي إلى أحوال المقربين**: ذكره: البغدادي؛ وكحالة؛ والبردي؛ والطريقي[٣].

١١ـ **نصيحة في صفات الرب جلَّ وعلا**: وهو: مطبوع[٤].

= «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين (٣/ ١٦٥)، «الرد الوافر» له (ص ١٢٩)، «المنهل الصافي» لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، «المقصد الأرشد» لابن مفلح (١/ ٧٣)، «المنهج الأحمد» للعليمي (٤/ ٣٨٤)، «الدر المنضد» له (١/ ٤٦١)، «القلائد الجوهرية» لابن طولون (٢/ ٤٧٩)، «شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٢٤)، «رفع النقاب» لابن ضويان (ص ٢٩٣)، «تاريخ التراث العربي» لسزكين (١/ ١/ ١١٠)، «تسهيل السابلة» للبردي (٢/ ٩٤٩)، «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٣/ ٣١٥).

(١) «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٧).

(٢) وقد اعتنى بطباعته دار البشائر الإسلامية؛ بتحقيق: محمد بن ناصر العجمي.
وصنيع الأستاذ الدكتور عبد الله الطريقي في كتابه «معجم مصنفات الحنابلة» يشعر بأن كتاب: «مفتاح طريق الأولياء وأهل الزهد من العلماء» والكتاب الذي يليه: «مفتاح طريق المحبين وباب الأنس برب العالمين المؤدي إلى أحوال المقربين»: كتاب واحد، وأن دار البشائر الإسلامية قامت بطباعة الكتاب باسم «مفتاح طريق المحبين وباب الأنس برب العالمين المؤدي إلى أحوال المقربين» بتحقيق: محمد بن ناصر العجمي!

(٣) انظر: «هدية العارفين» للبغدادي (١/ ١٠٤)، «إيضاح المكنون» له (٢/ ٥٢٥)، «معجم المؤلفين» لكحالة (١/ ٨٩)، «تسهيل السابلة» للبردي (٢/ ٩٤٩)، «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٣/ ٣١٥).

(٤) وقد اعتنى بطباعتها المكتب الإسلامي؛ بتحقيق: زهير الشاويش.

١٢ــ **نصيحة لبعض إخوانه**: ذكره: الطريقي[١]، وهو: مخطوط[٢].

نـظـمـه:

وكان رحمه الله تعالى إلى جانب ما جمع الله تعالى له من العلم والفضل، صاحب (نَظْمٍ حسن)[٣]، وقَرْضٍ بديع.

قال الحافظ الذهبـي رحمه الله تعالى: (أنشدنا لنفسه رحمه الله تعالى:

مَـا زَالَ يَعْشَقُهـا طَـوْراً ويُلْهِيهـا ... حتَّـى أَنَـاخَ بـرَبْـعِ الحُـبِّ حَـادِيهـا

يَشْكُـو إليـهِ كَـلالَ السَّيْـرِ مِـن نَصَـبٍ ... وَعْـدَ الـوِصَـالِ يُمَنِّيهـا فيُحْيِيهـا

هَبَّ النَّسيمُ فأَهْدَى طِيبَ نَشْرِهِمُ ... فَهَيَّـجَ الـوَجْـدَ مِـن أَقْصَـى دَواعِيهـا

إنْ رُمْتَ سَيْراً فَصَفِّ الْقَلْبَ مِن دَنَسٍ ... مَـعَ الجَـوَارِحِ كَـيْ تَنْفِـي مَسَـاوِيهـا

وجَانِبِ النَّهْيَ حَسْبَ الجَهْدِ مُمْتَثِلاً ... نُجْـجَ الأَوامِـرِ كَـيْ يَنْفَـكَّ عَـانِيهـا

واقْصِـدْ إلـى السُّنَّـةِ الغَـرَّاءِ تَفْهَمُهـا ... فَهْمَ الخُصُوصِ فَتَعْلُو في مَبَانِيها

وَدَاوِمِ الـذِّكْـرَ بَعْـدَ العَقْـدِ مِـن سُنَنٍ ... عَقْـدَ ابْـنِ حَنْبَـلٍ لـلأَمْـرَاضِ يَشْفِيهـا

لا يَعْـرِفُ الشَّـوْقَ إلاَّ مَـن يُكَـابِـدُه ... ولا الصَّبَـابَـةَ إلاَّ مَـن يُعَـانِيهـا)[٤].

وقال الحافظ ابن ناصر الدين رحمه الله تعالى: (ومن إنشادات الحزَّامي هذا في مراتب المحبة:

---

(١) انظر: «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٣/ ٣١٥).

(٢) توجد منه نسخة خطية مودعة في دار الكتب الظاهرية بدمشق، تحت رقم التصنيف (١٥٣٢)، وتقع في (١٢٧) ورقة.
انظر: «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية» (قسم التصوف) (٣/ ٥٦ ــ ٥٧).
وهو قيد التحقيق من قبل: عمار بن سعيد تمالت الجزائري؛ الباحث في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

(٣) «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

(٤) «معجم الشيوخ» للذهبـي (١/ ٢٩).

مَنْ كَانَ فِي ظُلَمِ الدَّيَاجِي سَارِيَا رَصَدَ النُّجُومَ وَأَوْقَدَ المِصْبَاحَا
حَتَّى إِذَا مَا الْبَدْرُ أَرْشَدَ ضَوْؤُهُ تَرَكَ النُّجُومَ وَرَاقَبَ الإِصْبَاحَا
حَتَّى إِذَا انْجَابَ الظَّلامُ بِأَسْرِهِ وَرَأَى الصَّبَاحَ بِأُفْقِهِ قَدْ لاحَا
تَرَكَ المَسَارِحَ وَالكَوَاكِبَ كُلَّهَا وَالْبَدْرَ وَارْتَقَبَ السَّنَا الوَضَّاحَا[1])[2]

وفاته:

وقد توفي رحمه الله تعالى عن (أربع وخمسين سنة[3])[4]، (وعينه من الانقطاع عن الدنيا وسِنَة[5]، ولم يزل على حاله إلى أن التقمته الأرض، وأودعته في بطنها إلى يوم العرض)[6].

وكانت وفاته آخر نهار السبت سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشر وسبعمائة بالمارستان[7] الصغير بدمشق، عن ثلاثة وخمسين عاماً؛ وأربعة أشهر؛ وأربعة ــ أو خمسة ــ أيام. وصُلِّي عليه من الغد بالجامع الأموي، ودفن بسفح قاسيون؛ قبالة زاوية السيوفي.

---

(١) ذكرها ابن قيم الجوزية في «كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء» (ص ٧٨) دون نسبتها لقائلها.

(٢) «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين (٣/ ١٦٦ ــ ١٦٧).

(٣) وقد وهم الصفدي رحمه الله تعالى بقوله: (عاش بضعاً وسبعين سنة)، كما في «أعيان العصر» (١/ ١٥٤)، و «الوافي بالوفيات» (٦/ ٢٢١).

(٤) «مرآة الجنان» لليافعي (٤/ ٢٥٠).

(٥) السِّنَة والوسنة والوسن: ثقل النوم، وقيل: النعاس؛ وهو أول النوم. كذا في «المحكم والمحيط الأعظم في اللغة» لابن سيده (٨/ ٤٠٨) (مادة وسن).

(٦) «أعيان العصر» للصفدي (١/ ١٥٤).

(٧) دار المرضى ــ وهو معرب ــ ، وأصله: بيمارستان، وبيمار عندهم: هو المريض؛ وأستان: المأوى ــ كذا في «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي (١٦/ ٥٠٠) (مادة مرس).

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى: (ولا أعلم خلف بدمشق في طريقته مثله)[1].

رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وغفر ذنبه، وستر عيبه، وأعلى درجته في المهديين، وأخلفه في عقبه في الغابرين.

❑ ❑ ❑

(١) انظر: «الذيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

التعريف بالكتاب

اسم الكتاب:

اسم الكتاب المُثبت على طُرَّة النسخة الخطية هو: «مدخل أهل الفقه واللسان إلى ميدان المحبة والعرفان».

وبهذا الاسم ذكره: البغدادي؛ وكحالة؛ والبردي؛ والطريقي[(١)].

بينما ذكره حاجي خليفة باسم: «مدخل الفقه واللسان»[(٢)]، ولعلَّ ذلك من قبيل ذكر اسم الكتاب مختصراً، وعلى هذا المنهج جرى حاجي خليفة في بعض أسماء الكتب التي أودعها في كتابه: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون».

إثبات نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

وهذا الكتاب قد ثبتت نسبته لمؤلفه رحمه الله تعالى؛ وصحَّت من أوجهٍ متعددةٍ، منها:

١ ـ عبارة الكتاب العذبة وأسلوبه الحسن، إذ قد كُسيت كلمات الكتاب بعبارة وأسلوب يظهر فيها التشابه الكبير والتقارب الواضح بين هذا

(١) انظر: «هدية العارفين» للبغدادي (١/ ١٠٤)، «إيضاح المكنون» له (٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥)، «معجم المؤلفين» لكحالة (١/ ٨٩)، «تسهيل السابلة» للبردي (٢/ ٩٤٩)، «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٣/ ٣١٤).

(٢) «كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٦٤٣).

الكتاب وبين غيره من كتب المؤلف رحمه الله تعالى المطبوعة، وهذا الوجه من الأوجه المعتبرة في إثبات نسبةِ كتابٍ مَّا لمؤلفه، إذ أن عبارات المؤلفين وأساليبهم في كتبهم تتشابه إلى حدٍ كبير، كما أنها تُلقي في رُوْع القارىء غلبة الظنِّ، وعليه فإنه يمكن من خلال المطابقة بين أسلوب هذا الكتاب وبين غيره من كتب المؤلف رحمه الله تعالى المطبوعة أن يُطمأَنَّ إلى صحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه.

٢ ـ فاتحة الكتاب، حيث افتتح ناسخُ الكتابِ الكتابَ بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعينُ، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه أجمعينَ، قال الشيخُ الإمامُ العلامةُ الفريدُ المحققُ: عمادُ الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي ـ أدام الله علو قدره، وسمو ذكره ـ).

٣ ـ تصريح بعض المترجمين بنسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه رحمه الله تعالى، وممن صرَّح بهذا: حاجي خليفة؛ والبغدادي؛ وكحالة؛ والبردي؛ والطريقي[(١)].

موضوع الكتاب؛ وبيان منزلته العلمية:

والكتاب قد تناول فيه المؤلف رحمه الله تعالى موضوعاً بالغ الأهمية، وهذا الموضوع يُعنى بتزكية النفس البشرية وطهارتها، وتكميل الفطرة الإنسانية وإصلاحها.

وقد قسم المؤلف رحمه الله تعالى كتابه إلى مقدمة تناول فيها ـ بعد فاتحتها البديعة؛ وبراعة استهلالها ـ بيان الأمور التي يتوقف عليها كمال

---

(١) انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٦٤٣)، «هدية العارفين» للبغدادي (١/ ١٠٤)، «إيضاح المكنون» له (٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥)، «معجم المؤلفين» لكحالة (١/ ٨٩)، «تسهيل السابلة» للبردي (٢/ ٩٤٩)، «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٣/ ٣١٤).

العبد؛ وهي تحقيق كمال عبوديته لله عزَّ وجلَّ، فيُكَمِّل كل جزءٍ منه؛ من جسمه ونفسه وعقله وقلبه وروحه.

ثم أتبع هذه المقدمة بفصل تمهيدي بيَّن فيه فضل الكمال؛ وشدة الافتقار إليه، وفضل المرشدين إليه، مع بيان الفضل الحاصل بتحكيم هؤلاء المرشدين والانقياد لهم والأدب معهم.

ثم أعقبه بفصلٍ يتعلق ببيان منشأ المعرفة والمحبة لله عزَّ وجلَّ من أين تنشأ؟ ومن ماذا تنشأ؟

ثم شرع في بيان الأصول التي تُبتنى عليها قواعد معرفة الله عزَّ وجلَّ ومحبته، وجعلها في تسعة أصول؛ هي: صحة الاعتقاد في جميع ما جاء عن الله عزَّ وجلَّ وعن رسوله ﷺ، واليقظة، والتوبة، والمحاسبة، والإخلاص، وآداب الصلاة الباطنة، وتهذيب الأخلاق ورياضة النفس ومخالفتها؛ للتمرُّن على مكارم الأخلاق، والمراقبة؛ وصفة أحوالها وثمراتها، والمشاهدة وأنواعها وتقاسيمها.

وبعد أن كمَّل المؤلف رحمه الله تعالى الأصول التسعة التي عليها مدار السلوك من البداية إلى النهاية، وجعل هذه الأصول بمثابة أركان الصلاة وواجباتها التي لا تُجبر بسجود السهو: ختم الكتاب بفصلٍ ألحق به بعض اللواحق التي بها يتم السلوك؛ وجعلها بمثابة هيئات الصلاة وسننها، وجعل هذه اللواحق في فصول خمسة؛ هي: حفظ المزاج في جدة السير والسلوك، ومجانبة صحبة الأحداث، ومطالعة سنن رسول الله ﷺ، وأن لا يفوته وِرده عند الثلث الآخر، ودوام الافتقار إلى الله عزَّ وجلَّ.

ثم ختم الكتاب بمثل ما ابتدأ به من حمد الله والثناء عليه؛ والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وآله وصحبه.

(فهذا مضمون هذه التحفة، وهذه عرائس معانيها الآن تُجلى عليك، وخود[1] أبكارها البديعة الجمال ترفل في حللها؛ وهي تُزَفُّ إليك، فإما شمسٌ منازلُها بسعد الأسعد، وإما خود تزف إلى ضرير مقعد، فاختر لنفسك إحدى الخطتين، وأنزلها فيما شئت من المنزلتين)[2].

ولما كان السهو (عرضة للإنسان ــ ورب العالمين هو الذي لا يضل ولا ينسى ــ)[3]: رأيت من النصح الواجب ــ وأنا أتناول هذا الكتاب بالدراسة والتحقيق ــ أن أُشير إلى مواطن الزلل؛ وأُبيِّنَ مواضع الخطَل، وهذا الأمر لا يُجهِّل منزلة مؤلفه السَّنيَّة؛ ولا ينقص جلالته البهيَّة، فكفى مؤلفها فخراً وشرفاً أن المآخذ عليه معدودة؛ وجوانب النقد محدودة، فإن (من عُدَّت غلطاته: أقربَ إلى الصواب ممن عُدَّت إصاباته)[4]؛ كما قيل:

ومَنْ ذَا الذي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّها　　　كَفَى المرء نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُه[5].

ولما كانت (الكلمة الواحدة يقولها اثنان، يريد بها أحدهما: أعظم الباطل، ويريد بها الآخر: محض الحق ــ والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه؛ وما يدعو إليه ويناظر عليه ــ)[6]: كان

---

(١) قال الليث: الخود: الفتاة الشابة؛ ما لم تصر نصفاً، وجمعه: خَوْدَاتٌ. وقال أبو عبيد عن الأصمعي: الخود من النساء: الحسنة الخَلْق. كذا في «تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٥١٠) (مادة خاد).

(٢) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٢١٦).

(٣) «أحكام أهل الذمة» لابن قيم الجوزية (٢/ ٦١٩).

(٤) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٤٥).

(٥) استفتح ابن هشام كتابه: «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» (١/ ١٤) بهذا البيت؛ ولم يعزه لقائل، وقد نسبه البغدادي في كتابه «شرح أبيات مغني اللبيب» (١/ ١) إلى: يزيد بن محمد المهلبي.

(٦) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٤٣).

الواجب: إحسان الظن بالمؤلف رحمه الله تعالى؛ والاعتذار له عن المصطلحات الحادثة والألفاظ المجملة والمعاني المتشابهة التي طغى بها قلمه، وأن نحملها على أحسن المحامل وأجمل الوجوه التي يسوغ حملها عليه ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً.

وهذه الألفاظ هي: الفناء والبقاء[1]؛ والسكر والصحو[2]؛ والتمكين

---

(١) ذكر الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى أن هذين اللفظين: (الفناء والبقاء) من الألفاظ المتضادة، وأن الفناء يجري في لسان القوم مراداً به: غاية التعلق ونهايته؛ والانقطاع عما سوى الرب تعالى من كل وجه، وأما البقاء فيجري في لسانهم مراداً به: صفة العبد ومقامه.

وبيَّن رحمه الله تعالى أن هذين اللفظين لم يرد في الكتاب ولا في السنَّة ولا في كلام الصحابة والتابعين مدحهما؛ ولا ذمهما؛ ولا استعمالهما.

انظر: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣/ ٣٨٥ ـ ٤٠٥).

(٢) ذكر الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى أن (السكر) يجري في لسان القوم مراداً به: سقوط التمالك لقوة الطرب الذي لا يدفعه الصبر، وأما (الصحو) فيجري في لسانهم مراداً به: مقام صاعد عن الانتظار؛ مغن عن الطلب؛ طاهر من الحرج، مبيِّناً أن هذين اللفظين: (السكر والصحو) من الألفاظ المتضادة، فالسكر يكون في الانفصال؛ والصحو يكون في الاتصال، والسكر فناء؛ والصحو بقاء، والسكر غيبة؛ والصحو حضور، والسكر غلبة؛ والصحو تمكن، والسكر كالنوم؛ والصحو كاليقظة.

وبيَّن رحمه الله تعالى أن لفظ (السكر) لم يعبر عنه في القرآن ولا في السنَّة ولا في كلام العارفين من السلف، وأن ذلك من اصطلاح المتأخرين؛ وهو بئس الاصطلاح، لأن لفظ (السكر) من الألفاظ المذمومة شرعاً وعقلاً.

انظر: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣/ ٣١٨ ـ ٣٣٣).

والتلوين[1]؛ والقرب والاتصال[2]؛ والغيبة والحضور[3]؛ والقبض والبسط[4]؛ والتفرقة والجمع[5]؛ والحال الباطن والعلم . . . .

---

(١) ذكر الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى أن (التمكين) بمعنى: القدرة على التصرف في الفعل والترك، وأن أكثر ما يطلق في اصطلاح القوم: على من انتقل إلى مقام البقاء بعد الفناء، وأما (التلوين) فيجري في لسانهم مراداً به: التردد والتذبذب.
انظر: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣/١٤٨؛ ٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٢) قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣/ ١٠١): (أحسن من التعبير بالاتصال: التعبير بالقرب، فإنها العبارة السديدة التي ارتضاها الله ورسوله في هذا المقام، وأما التعبير بالوصل والاتصال: فعبارة غير سديدة، يتشبث بها الزنديق الملحد؛ والصديق الموحد، فالموحد يريد بالاتصال: القرب؛ وبالانفصال والانقطاع: البعد، والملحد يريد به: الحلول تارة، والاتحاد تارة).

(٣) ذكر الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى أن (الغيبة) تجري في لسان القوم مراداً بها: غيبة العبد عن مألوفاته لتخليص القصد وتصحيحه؛ ليقطع بذلك العلائق، وأما (الحضور) فيجري في لسانهم مراداً به: إحضار القلب؛ ومشاهدة المعبود سبحانه كأنه يراه.
انظر: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٢/ ٥٣٢؛ ٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢١).

(٤) ذكر الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى أن (القبض) يجري في لسان القوم مراداً به: أمر يطرق القلب يمنعه عن الانبساط والفرح، لا يعرف سببه؛ بل يهجم على القلب هجوماً لا يقدر على التخلص منه، وضده: (البسط) فيجري في لسانهم مراداً به: إرسال ظواهر العبد وأعماله على مقتضى العلم. فالقبض والبسط عند القوم حالتان للقلب؛ لا يكاد ينفك عنهما.
انظر: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣/ ٣٠٥ ـ ٣١٧).

(٥) قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦): (إن الجمع ينقسم إلى صحيح وباطل، والتفرقة تنقسم إلى محمود ومذموم، وكل منهما لا يحمد مطلقاً؛ ولا يذم مطلقاً، فيراد بالجمع: جمع الوجود؛ وهو جمع الملاحدة القائلين بوحدة الوجود، ويريدون بالتفرقة: الفرق بين القديم والمحدث؛ وبين الخالق والمخلوق، وأصحابه يقولون: الجمع ما أسقط هذه التفرقة، ويقولون عن أنفسهم: إنهم أصحاب جمع الوجود، ولهذا صرح بما ذكرنا محققو الملاحدة؛ فقالوا: التفرقة اعتبار الفرق بين وجود ووجود، فإذا زال الفرق في نظر =

الظاهر[1].

ولعمر الله؛ لقد كان المؤلف رحمه الله تعالى في غنية عن إيراد هذه الألفاظ؛ التي ليس لها في حقيقة الأمر (معنى صحيح؛ ولا لفظ مليح، بل المعنى أبطل من اللفظ؛ واللفظ أقبح من المعنى)[2].

= المحقق: حصل له حقيقة الجمع، ويراد بالجمع: الجمع بين الإرادة والطلب على المراد المطلوب وحده، وبالتفرقة: تفرقة الهمة والإرادة، وهذا هو الجمع الصحيح والتفرقة المذمومة، فحد الجمع الصحيح: ما أزال هذه التفرقة، وأما جمع يزيل التفرقة بين الرب والعبد والخالق والمخلوق والقديم والمحدث: فأبطل الباطل، وتلك التفرقة هي الحق، وأهل هذه التفرقة: هم أهل الإسلام والإيمان والإحسان، كما أن أهل ذلك الجمع: هم أهل الإلحاد والكفر والوثنية، ويراد بالجمع: جمع الشهود، وبالتفرقة: ما ينافي ذلك، فإذا زال الفرق في نظر المشاهد؛ وهو مثبت للفرق: كان ذلك جمعاً في شهوده خاصة؛ مع تحققه بالفرق. فإذا عُرِفَ هذا: فالجمع الصحيح: ما أسقط التفرقة الطبيعية النفسية؛ وهي التفرقة المذمومة، وأما التفرقة الأمرية الشرعية بين المأمور والمحظور والمحبوب والمكروه: فلا يحمد جمع أسقطها؛ بل يذم كل الذم، وبمثل هذه المجملات دخل على أصحاب السلوك والإرادة ما دخل).

(١) المراد بالحال الباطن: هو القيام بأعمال القلوب؛ من الإخلاص والحب والخوف والرجاء والمراقبة والتوكل والرضى وغيرها، والمراد بالعلم الظاهر: هو القيام بأعمال الجوارح؛ من: الصلاة والزكاة والصيام والحج. وهذه الألفاظ قد تشتبه بالألفاظ الجارية على لسان الطائفة الباطنية الضالة؛ وقولهم: إن للشريعة ظاهراً يعلمه العوام؛ وهو بمنزلة القشور، وباطناً يعلمه الخواص؛ وهو بمنزلة اللب، ويفسرون العبادات الشرعية الواردة في كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ بالإشارات الباطنية والرموز الخفية.
قال البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق» (ص ٣٠٥): (اعلموا أسعدكم الله: أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم؛ بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم).
وانظر في بيان خطر الباطنية؛ وظهورهم؛ وأسمائهم؛ وعقائدهم: «فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها» للدكتور غالب العواجي (١/ ٢٧١ ــ ٣٢٠).

(٢) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٤١).

ولولا أن العصمة و (الحق لله ورسوله، وأن كل ما عدا الله ورسوله: فمأخوذ من قوله ومتروك؛ وهو عرضة الوهم والخطأ: لما اعترضنا على من لا نلحق غبارهم؛ ولا نجري في مضمارهم، ونراهم فوقنا في مقالات الإيمان ومنازل السائرين كالنجوم الدراري)[1].

ورحم الله الإمام ابن قيم الجوزية ــ الخبير بألفاظ القوم ومصطلحاتهم ــ إذ يقول ــ في معرض بيانه لحال اللفظ الواحد من هذه الألفاظ؛ وما يتضمنه من الإجمال والاشتباه ــ : (كيف يكون ذلك أعلى من مقامات السالكين؛ وغاية مطلب المقربين: ولم يأت له ذكر في القرآن ولا في السنَّة؛ ولا يعرفه إلاَّ النادر من الناس؛ ولا يتصوره أكثرهم إلاَّ بصعوبة ومشقة، ولو سمعه أكثر الخلق لما فهموه؛ ولا عرفوا المراد منه إلاَّ بترجمة؟

فأين في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أو كلام الصحابة ــ الذين نسبة معارف من بَعْدَهم إلى معارفهم كنسبة فضلهم ودينهم وجهادهم إليهم ــ ما يدل على ذلك، أو يشير إليه؟

فصار المتأخرون ــ أرباب هذه الاصطلاحات الحادثة بالألفاظ المجملة والمعاني المتشابهة ــ أعرف بمقامات السالكين ومنازل السائرين وغاياتها من أعلم الخلق بالله بعد رسله! هذا من أعظم الباطل.

فلا تجد هذا التكلف الشديد؛ والتعقيد في الألفاظ والمعاني عند الصحابة أصلاً، وإنما يوجد عند من عدل عن طريقهم، وإذا تأمله العارف وجده: «كلحم جمل غث؛ على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى؛ ولا سمين فينتقل»[2].

---

(١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن قيم الجوزية (٢/ ١٤٣).

(٢) قطعة من حديث أم زرع الطويل؛ الذي أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب النكاح، باب =

فيُطوِّل عليك الطريق؛ ويُوسِّع لك العبارة، ويأتي بكل لفظ غريب؛ ومعنى أغرب من اللفظ، فإذا وصلت لم تجد معك حاصلاً طائلاً، ولكن تسمع جعجعة؛ ولا ترى طحناً.

فكل هؤلاء محجوبون بما لديهم؛ موقوفون على ما عندهم، خاضوا ــ بزعمهم ــ بحار العلم؛ وما ابتلَّت أقدامهم، وكدُّوا أفكارهم وأذهانهم وخواطرهم؛ وما استنارت بالعلم الموروث عن الرسل قلوبهم وأفهامهم، فرحين بما عندهم من العلوم؛ راضين بما قيدوا به من الرسوم، فهم في واد؛ ورسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في واد، والله يعلم أنا لم نتجاوز فيهم القول؛ بل قصرنا فيما ينبغي لنا أن نقوله، فذكرنا غيضاً من فيض؛ وقليلاً من كثير.

وهؤلاء كلهم داخلون تحت الرأي الذي اتفق السلف على ذمه؛ وذم أهله، فهم أهل الرأي حقًّا.

وقال ﷺ في الحديث: «ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون»[1].

فإن لم تكن هذه الألفاظ والمعاني التي نجدها في كثير من كلام هؤلاء

= حسن المعاشرة مع الأهل ــ الحديث رقم (٥١٨٩) ــ (٤/ ١٦٦٨ ــ ١٦٦٩)]، ومسلم في صحيحه [كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم زرع، الحديث رقم (٢٤٤٨) ــ (٤/ ١٨٩٦ ــ ١٩٠١)] من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب العلم، باب هلك المتنطعون ــ الحديث رقم (٢٦٧٠) ــ (٤/ ٢٠٥٥)]؛ بلفظ: «هلك المتنطعون».
وأخرجه بلفظه: أحمد في مسنده [الحديث رقم (٣٦٥٥) ــ (٦/ ١٦٧)]، وأبو داود في سننه [كتاب السنَّة، باب في لزوم السنَّة ــ الحديث رقم (٤٦٠٨) ــ (٥/ ١٥)] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

تنطعاً: فليس للتنطع حقيقة، والله سبحانه وتعالى أعلم)[1].

وقال رحمه الله تعالى في نونيته في بيان ما يترتب على هذه الألفاظ المجملة المشتبهة:

(فعليك بالتفصيل والتمييز فالـ إطلاق والإجمال دون بيان

قد أفسدا هذا الوجود وخبَّطا الأذهان والآراء كل زمان)[2].

والسلامة في هذا الباب: أن يتحلى بالألفاظ الشرعية المثمرة للاتفاق والائتلاف، وأن يتخلى عن الألفاظ البدعية المورثة للافتراق والاختلاف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (إن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة المشتبهة؛ لما فيها من لبس الحق بالباطل؛ مع ما توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة، بخلاف الألفاظ المأثورة؛ والألفاظ التي بُيِّنَت معانيها، فإن ما كان مأثوراً حصلت به الألفة، وما كان معروفاً حصلت به المعرفة)[3].

وهل كبَّ القوم في الشطحات؛ وأوقعهم في الزلَّات: إلَّا ما حصدته ألسنتهم من بِدع المصطلحات؟

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: (إياك ثم إياك والألفاظ المجملة المشتبهة التي وقع اصطلاح القوم عليها، فإنها أصل البلاء)[4].

---

(١) مختصراً من «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن قيم الجوزية (٣/ ٤٥٤ ـ ٤٥٧).

(٢) «الكافية الشافية في الانتصار للفرق الناجية» لابن قيم الجوزية [البيت رقم (٧٧٤ ـ ٧٧٥) ـ (ص ٨٢)].

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٢٧١).

(٤) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن قيم الجوزية (٣/ ١٥٨).

مصدر النسخة الخطية ووصفها:

تتلخص المعلومات المتعلقة بمصدر النسخة الخطية المعتمدة في تحقيق الكتاب في كونها نسخة خطية يتيمة؛ تقع ضمن مجموع مودع في دار الكتب الظاهرية بمكتبة الأسد بدمشق، وتبتدىء صفحات النسخة الخطية في المجموع من: (ق ٦٥ ـ ق ٨٣)، وتقع هذه النسخة الفريدة تحت رقم التصنيف: (٣٧٦٥)[1].

وتوجد من الكتاب نسخة خطية مصورة عنه؛ مودعة في قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية بعمادة شؤون المكتبات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتقع في مجموع يحمل الرقم (٩٧١)، ومنها تمَّ تصوير نسخة الكتاب الخطية المعتمدة في تحقيق الكتاب.

وقد قمت بحمد الله تعالى بقراءة النسخة الخطية؛ ونسخها؛ ومقابلتها على أصلها[2].

---

(١) انظر: «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية» (قسم التصوف) (٢/ ٦٤٦ ـ ٦٤٧).

(٢) وبعد الفراغ من التحقيق؛ وقبل الشروع في التعليق: قمت بمقابلة المنسوخ بأصله ـ بعد صلاة الجمعة؛ بتاريخ: (١٧/ ٨/ ١٤٢٢هـ)؛ الموافق: (٢/ ١١/ ٢٠٠١م)؛ في المسجد النبوي الشريف ـ مع الشيخ الجليل؛ والمحقق النبيل/ أبـي ناصر: محمد بن ناصر العجمي حفظه الله ورعاه.

كما انتهيت بحمد الله تعالى من مقابلته بأصله ـ بين عشائَي ليلة الأربعاء؛ (٢٠ رمضان ١٤٢٢هـ)؛ الموافق: (٥/ ١٢/ ٢٠٠١م)؛ في المسجد الحرام؛ مهوى أفئدة الأنام، والعين إلى الكعبة المعظمة ناظرة؛ والنفس منشرحة ناضرة ـ مع الشيخ الحفي؛ والأخ الوفي/ أبـي ناصر: محمد بن ناصر العجمي؛ وبسماع: الشيخ اللبيب؛ والأخ الحبيب/ أبـي محمد: رمزي بن سعد الدين دمشقية ـ صاحب دار البشائر الإسلامية؛ المتألقة بمطبوعاتها العلمية البهية ـ؛ وبحضور الأخ العزيز/ أبـي عبد العزيز: هاني بن عبد العزيز ساب حفظهم الله ورعاهم.

كما انتهيت بحمد الله تعالى من مقابلته بأصله ـ بعد صلاة عشاء الآخرة من ليلة الأربعاء؛ =

وقد استبانت لي أثناء ذلك بعض المعلومات المتعلقة بوصف النسخة الخطية المعتمدة في تحقيق الكتاب؛ في كونها: نسخت بخط مشرقي معتاد، وتتراوح أسطر صفحاتها ما بين (١٦ ـ ٢١) سطراً، وعدد كلماتها المودعة في أسطرها تتراوح ما بين (٥ ـ ١٥) كلمة، ومقاسها يقع في: ١٧,٥ × ١٢,٥سم، وهي نسخة خطية مراجعة؛ عليها بعض التعليقات، كما أن بعض كلماتها قد ضبطت بالشكل.

وقد أثرت الرطوبة بعض الشيء في منتصف الصفحة الثانية، فأذهبت معالم بعض كلماتها، وحالت دون تيسُّر قراءتها إلاَّ بمشقة وكلفة.

وقد سقطت بعض الأحرف من بعض الكلمات، وهذا السقط قد تكرَّر في بعض مواطن النسخة الخطية؛ لا سيما في الكلمات التي جاءت في نهاية الأسطر كما في كلمة: (يتجاوزوا)؛ حيث كتبت: (يتجاوزا)، أو عند التقاء حرفين متتابعين؛ إما مكررين كما في كلمة: (هذا المشهد)؛ حيث كتبت: (هذالمشهد)، أو متشابهين كما في كلمة: (ورد ذلك)؛ حيث كتبت: (ورد لك)، أو سقوط حرف الألف حال كونه في وسط الكلمة كما في كلمة: (إيثارها)؛ حيث كتبت: (إيثرها)، كما تكرر سقوط تاء التأنيث في بعض الكلمات، كما في كلمة: (الظاهرة)؛ حيث كتبت: (الظاهر)، كما وقع تكرار في بعض الكلمات مثل: (ذلك ذلك). ولا تخلو الأحرف الساقطة من الكلمات عن هذه الأمثلة المذكورة، وقد قمت باستدراك ذلك كله وإصلاحه في متن الكتاب؛ مع الإشارة إليه في حاشيته.

= (١٨/ ٢/ ١٤٢٣هـ)؛ الموافق: (١/ ٥/ ٢٠٠٢م)؛ في المسجد النبوي الشريف ـ مع الشيخ الأريب؛ والأستاذ الأديب/ أبي عبد الرحمن: عبد الباري بن حماد الأنصاري حفظه الله ورعاه.

وقد وقع تقطيع في رسم الكلمة الواحدة؛ وفصل لأولها عن آخرها، وهـذا التقطيـع قـد تكـرَّر فـي بعـض مـواطـن النسخـة الخطيـة؛ لا سيمـا فـي الكلمات التي جاءت في نهاية الأسطر كما في كلمة: (الباطنة)؛ حيث كتبت: (البا) في نهاية السطر؛ وكتبت: (طنة) في أول السطر الذي يليها.

وقد لحقت بعض كلمات النسخة الخطية بعض الإشارات الكتابية، ومنها: علامة اللَّحَق (⌐)[1]؛ وعلامة التضبيب (صـ)[2]، والميميـن (م) و (م)[3]، كما أدرج في غير أصل النسخة الخطية بعض الحواشي.

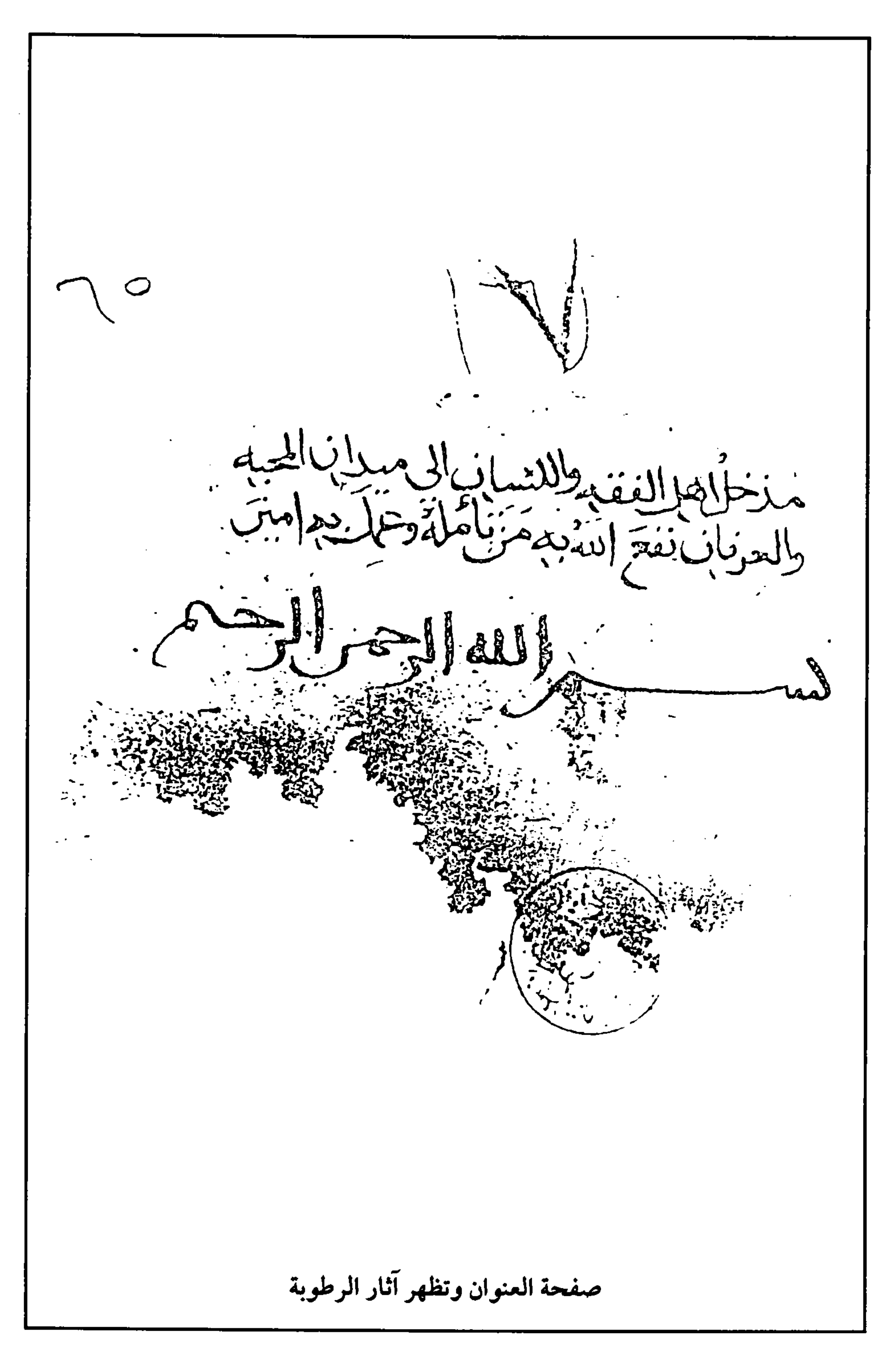
وفيما يلي نماذج مصورة من النسخة الخطية.

---

(١) قال السيوطي في «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي» (٢/ ٧٩ ــ ٨٠): (اللَّحَق ــ بفتح اللام والحاء المهملة ــ : يسمى بذلك عند أهل الحديث والكتابة؛ أخذاً من الإلحاق أو من الزيادة، فإنه يطلق على كل منهما لغة. أن يخط من موضع سقوطه في السطر خطاً صاعداً إلى فوق؛ معطوفاً بين السطرين عطفة يسيرة إلى جهة الحاشية التي يكتب فيها اللحق).

(٢) قال السيوطي في «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي» (٢/ ٨٢ ــ ٨٣): (التضبيب ــ ويسمى أيضاً: التمريض ــ : أن يمد على الكلمة خط أوله كالصاد؛ هكذا: صـ، وفرق بين الصحيح والسقيم؛ حيث كتب على الأول حرف كامل لتمامه، وعلى الثاني حرف ناقص؛ ليدل نقص الحرف على اختلاف الكلمة، ويسمى ذلك: ضبة؛ لكون الحرف مقفلاً بها؛ لا يتجه لقراءة؛ كضبة الباب يقفل بها).

(٣) قال عبد السلام هارون في «تحقيق النصوص ونشرها» (ص ٥٦): (أي: مقدم ومؤخر).



١٧ ٦٥

مدخل اهل الفقه واللسان الى ميدان المحبة
والعرفان نفع الله به من تأمله وعمل به امين

بسم الله الرحمن الرحيم

صفحة العنوان وتظهر آثار الرطوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وآله وصحبه اجمعين قال الشيخ الامام العلامة
الفريد المحقق عماد الدين احمد بن ابراهيم الواسطي
ادام الله علو قدره وسمو ذكره للمريدين الذي فتح
مناهج الهدى والرشاد لمن احبه فانقذه من
الابعاد و[illegible] العناية المحفوفة بالسداد
على المنتسبين الى [illegible] وافاد وهذبهم في مدارج
الاعمال والاحوال [illegible] للمراد وصفاهم من
كدر الطباع البشرية [illegible] الطلاب والمستفاد
ليستعدوا بذلك لفيض الانوار بجلال الناهب
والاستعداد فطهرهم عن المخالفات وغذاهم
بالموافقات فاقبلوا بوجوه قلوبهم عليه وكانوا
قبل ذلك من الشراد كشف لقلوبهم الحجاب
واراهم لوائح الاقتراب فانجذبت قلوبهم الى المحبة
انجذاب الحديد الى المغناطيس بالمحبة والوداد

الصفحة الأولى ويظهر في وسطها آثار الرطوبة

فان الحوادث كلها من خير وشر هي من نتايج فضله او اقضيته
يجب علينا دوام الافتقار الى الله تعالى ليحفظنا في طاعته
ويحرسنا عن معصيته وهذا اصل كبير تخلف عنه قوم
فاتهم فضل كثير قال بعض المشايخ من ادام الالتجا الى
الله تعالى في اكله وشربه وتقلباته وحركاته فتح الله
عز وجل عليه باب المشاهد وهو تنوير الباطن بانوار
العظمة والجلال فهذا طريق موصل الى الله عز وجل بنفسه
اذا واظب العبد عليه وفي الحديث كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى
نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت
وهذا اخر ما تيسر والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا
محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

به

الصفحة الأخيرة

لِقاءُ العشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٣٩)

مَدْخَلُ أَهْلِ الفِقْهِ واللِّسانِ إلى مَيْدَانِ المحبةِ والعرفانِ

للإمام الزّاهد عماد الدّين أبي العبّاس أحمد بن إبراهيم الواسطيّ
الشّهير بابن شيخ الحزاميّين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)

تحقيق وتعليق
وليد بن محمّد بن عبد الله العلي



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه أجمعينَ.

قال الشيخُ الإمامُ العلامةُ الفريدُ المحققُ: عمادُ الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي ـ أدام الله علو قدره، وسمو ذكره ـ:

الحمد لله الذي فتح مناهجَ الهدى والرَّشاد؛ لمن أحبَّه فأنقذه من الإبعاد، وخلعَ جلابيبَ العناية المحفوفة بالسَّداد؛ على المنيبينَ إلى رضاهُ وأفاد، وهذَّبهم في مدارج الأعمال والأخلاق لنيل المراد، وصفَّاهم من كدر الطباع البشريَّة ذات الظُّلمات والسَّواد؛ ليستعدُّوا بذلك لفيض الأنوار بكمال التَّأَهُّب والاستعداد، فَطَمَهُم عن المخالفات وغذَّاهم بالموافقات؛ فأقبلوا بوجوهِ قلوبهم عليه وكانوا قبل ذلك من الشُرَّاد.

كشف لقلوبهم الحجاب وأراهم لوائحَ الاقتراب؛ فانجذبت قلوبهم إلى المحبة انجذابَ الحديد إلى المغناطيس بالمحبة والوداد، حَيِيَتْ به قلوبهم الحياةَ الأبديةَ واتَّصلتْ به اتصالاً لا انفصامَ لهُ أبدَ الآباد، أيقظهم وعلَّمهم وهذَّبهم ففتحوا عيون بصائرهم إليه بعدَ العمى وحفُّوا به بلا استبداد، جالت قلوبهم في فضاء القُرْب بعد سجنها في مضائق الأكوان وتردِّيها في دركات الأضداد.

خرجوا من الدنيا إلى الآخرة بقلوبهم فتوطَّنوا هناك بين يدي محبوبهم أوطان العبودية على أحسن المهاد، فلها في حضرة العزيز أزيز[1] كأزيز المراجل[2] من غليانها بالمحبة والتعظيم والخشية والافتقار والاسترفاد[3]، ولهم منه على مدد الأوقات تزايدُ الصِّلات من منح التَّجلِّيات وأنواع الكرامات ما يعجز عن حصره العباد، يرون بقلوبهم ما غاب عن العيان؛ فَبِهِ يَلْتَذُّون ومنه يخافون وعليه يعكفون؛ فمنهم المريدُ والمراد.

وأشهد أن لا إلـهَ إلاَّ اللَّـهُ وحدهُ لا شريك له، القائمُ بقيوميته على العباد، الشامل لهم بكرمه وفضله المستزاد.

وأشهدُ أن محمداً ﷺ عبدهُ ورسولهُ فاتحُ الخير؛ والواسطةُ إلى كل فضلٍ تُنتظرُ عائدتهُ في المعاد، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه ما قام على باب فضله الوُرَّاد، وصدر عنه بجوائز الصِّلات أهلُ الوداد.

وبـعـدُ:

فإن العبدَ إذا فتح الله بصيرته في فنون العلوم، وأمدَّه بصفاء العقل ونوافذ الفهوم، وارتضعَ من العلوم الشرعية أكملَ الرَّضاع، وصار له من كسوتها أحسنُ القناع، ونفذ فكره في تفاصيل الأمر والنهي، وعرف طريقَ ردِّ الحوادث إلى الأصول؛ فحقيقٌ به أن يَكْتَسِيَ ملابسَ أعمالها، ويذوق

(١) قال أبو عبيدة: الأزيز: الالتهاب والحركة؛ كالتهاب النار في الحطب، يقال: أزَّ قِدرك: أي ألهب النار تحتها، وائتزت القِدر: إذا اشتد غليانها. كذا في «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ٢٨١) (مادة أزّ).

(٢) المراجل: جمع مِرْجَل ــ مذكرٌ ــ وهو: القِدر من الحجارة والنحاس. وقيل: هو قِدر النحاس خاصة. وقيل: هو كل ما طبخ فيه من قِدر وغيره. كذا في «لسان العرب» لابن منظور (١١/ ٢٧٤) (مادة رجل).

(٣) الاسترفاد: الاستعانة. كذا في «لسان العرب» لابن منظور (٣/ ١٨١) (مادة رفد).

رائقَ[1] أشربتِها وحقائقَ أحوالها، فكمالُ العبد متوقفٌ على ذلك، لأن كمالَ العبد إنما يتمُّ بكمال عبوديَّته لله عزَّ وجلَّ، وهو مُركبٌ من جسمٍ ظاهرٍ، ونفسٍ مائلةٍ، وعقلٍ مميزٍ، وقلبٍ حاكمٍ، وروحٍ كليةٍ.

فكمالُ عبوديَّة الجسم: القيامُ بأعمال الشرع واجتنابهُ مناهيه؛ وإتقان ذلك العمل، والاجتنابُ بالتصفية والاستيعاب.

وكمال عبوديَّة النفس: موافقةُ مولاها في محبة ما أحبَّهُ وكراهية ما كَرِهَهُ، وهذا إنما يَصِحُّ لأهل النفوس المطمئنَّة، ويتعذرُ على أهلِ النفوس الأمَّارة واللوَّامة[2].

وكمالُ عبوديَّة العقل: امتلاؤه بتفاصيل علوم الأمر والنَّهي؛ وحَذَاقَةِ[3] البصيرة فيه، مع المهارة وحسن التبصُّر.

وكمال عبوديَّة القلب: افتتاح بصره في الصفات، والقيام بأحكام عبوديَّاتها؛ من الخوف والرجا؛ والخشية والرضا؛ والتوكل والمحبة العامة والمراقبة؛ وغير ذلك من العبوديَّات المقتضية لأحكام الصفات.

وكمال عبوديَّة الرُّوح: انطلاقها في فضاء القُرْب، ووجدانها للحب

---

(١) راق الشراب والماء؛ يروقان روقاً وتروقاً: صَفَوَا. كذا في «لسان العرب» لابن منظور (٣/ ١٨١) (مادة روق).

(٢) انظر في الفرق بين هذه النفوس الثلاثة ــ المطمئنة والأمَّارة واللوامة ــ ؛ وبيان أنها نفسٌ واحدةٌ باعتبار ذاتها؛ وثلاث باعتبار صفاتها، وأن الله سبحانه يمتحن الإنسان بالنفس الأمَّارة تارة؛ وبالنفس اللوامة تارة أخرى، ويكرمه بالمطمئنة ــ التي هي غاية كمال النفس وصلاحها ــ : «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان» لابن قيم الجوزية (١/ ١٢٥ ــ ١٢٩)؛ «الروح» له (ص ٥٠٥ ــ ٥١٤).

(٣) الحذاقة: المهارة في كل عمل. كذا في «لسان العرب» لابن منظور (١٠/ ٤٠) (مادة حذق).

الخاص المُلْهِبِ لها بواسطة ما يبدو عليها من آثار الجلال والإكرام، فتصير بحراً مَوَّاجاً من نسيم القُرْبِ وروح الأُنْسِ، ملتهبةً بنيران الحب، مجذوبةً بجواذب الشَّوق.

فيا من يطلبُ تكميلَ فطرته؛ ويرومُ إصلاحَ جِبِلَّتِهِ: عليكَ بطلب الكمال لكل جزءٍ منك؛ من جسمك ونفسك وعقلك وقلبك وروحك، واحذر أن تخرج من الدنيا وبَعْضٌ من أبعاضك ناقصٌ لم يقم لله عزَّ وجلَّ بما تَعَبَّده به، فإن عجزت عن تكميل كل جزءٍ منك بما قد شُرِحَ فكن بذلكَ مؤمناً؛ وبه عالماً، فمن علم شيئاً وآمن به: ارتقى بذلك عن حضيض الجهل به؛ مع التخلف عن نَيْلِه، فارتقاؤك من دَرَكِ الجهل إلى العلم به أهون من الانحطاط في الجهل مع القصور، فشرٌّ واحدٌ أَهْوَنُ من شَرَّيْن، وفَوْتٌ واحدٌ أَقْرَبُ من فَوْتَيْن، وبالله المستعان.

فصلٌ

إذا علمت ذلك وآمنت به وعرفت فضل صاحب الكمال تبيَّن لك شدة الافتقار إلى ذلك، وعرفت فضل المرشدين إلى ذلك، والفضل الحاصل بتحكيمهم والانقياد لهم والأدب معهم، وعرفت النقص الواقع بفوات صحبتهم وعدم الانتفاع بهم، وبمخالفتهم وبسوء التأتي[1] معهم.

فتأدب معهم بآداب الطلبة الأكياس، واحفظهم وعامل الله تعالى بذلك، وانظر إليه في الأول والآخر والظاهر والباطن، ولا تعلق قلبك بهم دون الله؛ يحفظ الله عزَّ وجلَّ عليك كمالك إن شاء الله تعالى بهم.

---

(١) التأتي: من المواتاة؛ وهي: المطاوعة والموافقة، وأصلها الهمز فخفف وكثر؛ حتى صار يقال بالواو الخالصة. كذا في «لسان العرب» لابن منظور (١٤/ ١٣) (مادة أتي).

فأدبُ صحبة الأستاذِين مُقَدَّمٌ على كل أدب، مَن حفظه: حفظ الله عليه حاله بحسن أدبه معهم، ومعاملة الله عزَّ وجلَّ بذلك من حسن الإصغاء إليهم، وترك الخلاف عليهم، وترك اتهامهم والمماراة لهم، وحسن الاستكشاف لما يشكل من عباراتهم وأحوالهم بلطيف الكلام، وخفض الجناح لهم، والسكوت عند قبضهم، واغتنام أوقات بسطهم، والافتقار إلى الله عزَّ وجلَّ في ذلك كله ليتولى حفظ العبد فيه، فهؤلاءِ هم الوسائط؛ تُستفاد أحكام الطريق من أدبهم، وتُسْتَشَف من ردائهم أنوار المطلوب.

فالأدب معهم هو من الأدب مع الله عزَّ وجلَّ ومع رسوله ﷺ، لأنهم ورثته[1]، ورثوا قسطاً من حاله الباطن كما ورث الفقهاء قسطاً من علمه الظاهر[2]، والكل مشتركون في العمل؛ وبالله التوفيق.

فصلٌ
في بيان منشأِ المعرفة والمحبة لله عزَّ وجلَّ، من أين تنشأ؟ ومن ماذا تنشأ؟

أصل المعرفة: الإيمان بالله عزَّ وجلَّ وبرسوله ﷺ، وإنما ينشأ الإيمان من معرفة الرسول ﷺ بمعرفة: سيرته وسنته وغزواته ومعجزاته وآياته

---

(١) فيه بيانٌ لأحد معالم الوسطية في منهج أهل السنَّة والجماعة ومعتقدها، وتتمثل وسطيتهم في هذا المعلم مع ورثة الرسول ﷺ؛ فلم يغلوا فيهم غلو الرافضة والمتصوفة في طريقتهم الكاسدة، ولم يجفوا عنهم جفاء الخوارج والجهمية والمعتزلة في طريقتهم الفاسدة.
وانظر في بيان منهج أهل السنَّة والجماعة في باب تعظيم العلماء والصالحين؛ وأنه وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين: «وسطية أهل السنَّة بين الفرق» للدكتور محمد باكريم (ص ٤٤٤ ـ ٤٥٣).

(٢) تقدم بيان المراد بالحال الباطن والعلم الظاهر في خاتمة دراسة الكتاب؛ عند بيان بعض المآخذ على المؤلف رحمه الله تعالى في إيراده بعض المصطلحات المجملة المشتبهة في كتابه.

وكراماته، فبذلك يعلم شأن النبوة، وتلوح أدلتها وبراهينها في القلوب.

ومتى عُلِمَ[1] شأن النبوة ورسخت معالمها ودلائلها في القلوب: كانت كرسياً لعلم التوحيد، وطريقاً إلى معرفة الرب العظيم المُرسِل الباعث[2]، لأن النبوة آيات الله عزَّ وجلَّ وبيِّناته ودلالاته لمن اتَّسع فهمه وصَفَا من الكدر، وطلب استخراج ذلك منه.

وإنما حُجِبَ أكثر من حُجِبَ عن حقائق علم التوحيد ـ وإن كانوا عالمين بالسُّنَّة وتفاصيلها ـ لأنهم يطلبون من السُّنَّة معرفة الأحكام؛ وهِمَمُهُم قاصرةٌ عن طلب السُّنَّة لمعرفة حقائق الإيمان، ولو طلبوه ـ مع المشيئة ـ لأدركوه، فهِمَمُهُم منصرفةٌ إلى محبة الدنيا ومناصبها والرفعة فيها، قد سَرَحَت قلوبهم في أكناف الدنيا؛ وانصرفت عن أكناف الآخرة، وحُجِبَت عن شهود المعرفة وذَوْقِ المحبة، ولم يتجاوزوا[3] صورة الشريعة وظواهر الأحكام إلى حقائق أسرارها ومدلولاتها من المعارف الإلـٰهية، فلم يشرق في قلوبهم شيءٌ من أنوار الصفات ولا معارف الأفعال.

ومن أحبَّ معرفة الله عزَّ وجلَّ، وعَزَفَت نفسه عن الدنيا وشهواتها، وجعل طريقه إلى ذلك كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ: ترقى من ظاهر السنَّة إلى باطنها ـ بتوقيف الأستاذِين النافذين إلى ذلك مع المشيئة ـ ؛ فانبثق في قلوب الصادقين الطالبين لذلك أنوارُ المعارف من الكتاب والسنَّة.

وهو النور المُسْتَجِنُّ[4] في ضمن الشرائع والأحكام، فالشرائع

---

(١) في النسخة الخطية: علمت.

(٢) في النسخة الخطية: المرسل الـ الباعث، ووضعت ضبة (صـ) على (الـ).

(٣) في النسخة الخطية: يتجاوزا.

(٤) المستجن: المستتر، ويقال: استجن فلان إذا استتر بشيء. كذا في «لسان العرب» لابن منظور (١٣/ ٩٣) (مادة جنن).

والأحكام هي كالسِّتْر على ذلك النور، لا يُكْشَفُ ذلك السِّتْر إلاَّ عن قلب من صَدَقَ الله في طلبه وطلب معرفته ومحبته، فيخرقه حينئذٍ بمشيئة الله عزَّ وجلَّ، فمن خرقه باشر الإيمان صفو قلبه وعرف الرب عزَّ وجلَّ الباعث للأنبياء بشرائعه وأحكامه؛ بأسمائه وصفاته وأفعاله، فتلوح آثار الأسماء والصفات في القلوب بعد معرفة الأحكام والشرائع والتلبُّس بها، فتلوح أنوارها في ذلك القلب المرتاض المُطَهَّر من حُبِّ الدنيا والمناصب، الزاهدِ فيها، الراغبِ في الآخرة وفيما عند الله، المُحبِّ للمعارف الإلـٰهية والأذواق القدسية.

فقد عرفت أن الحجاب عن ذلك إنما هو: انصرافُ الهِمَمِ إلى الدنيا والرغبة فيها، وإعراضُها عن محبة الله عزَّ وجلَّ وطلبه والقُرْبِ منه، وأن الطريق إلى حصول ذلك ـ مع الزهد ـ : كتابُ الله عزَّ وجلَّ وسنَّةُ رسوله ﷺ؛ ـ بتوقيف الأستاذِين كما تقدم ـ .

فصل

في بيان الأصول التي عليها تُبْتَنَى قواعد هذا الشأن

الأصل الأول: صحة الاعتقاد في جميع ما جاء عن الله عزَّ وجلَّ وعن رسوله ﷺ:

فيُشترط له الإيمان بجميع ذلك على مراد الله عزَّ وجلَّ ومراد رسول الله ﷺ، وليفهم من ذلك ما فهمه سلف الأمة من أهل الحديث كأحمد وأصحابه وأقرانهم ونظرائهم، وكالإمام الأعظم الشافعي ومالكٍ وأبي حنيفة رضي الله عنهم وأتباعهم، مع البُعْد عن أهل الكلام والنظر، فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يأخذوا دين الله عزَّ وجلَّ الذي أنزله على رسوله ﷺ إلاَّ بمجرد الإيمان والتصديق والقَبول، فلم يفتقروا في معرفته

وتلقِّيه إلى معرفة اللازم والملزوم[1] وغير ذلك.

وقد رأينا من يكون حاذقاً بالنظر؛ وخصمه في الحق دونه في ذلك؛ يَقْلِبُ بحذاقته بالنظر الحقائق، فيجعل الباطل حقًّا والحق باطلاً، لكونه ألحن بحجته من خصمه صاحب الحق.

فيكفينا في ذلك طريقة سلفنا الأولين، لِيَسَعَنا ما وَسِعَهُم في كل شيء، وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان رضي الله عنهم، وطريقةُ شيوخنا في هذا المذهب كالجنيد[2] وأقرانه؛ ومن جاء بعدهم كشيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي[3]، والشيخ الإمام عبد القادر

---

(١) اللازم والملزوم: يطلق لغة ويراد به: امتناع انفكاك الشيء عن الشيء.
وهو أحد المصطلحات المنطقية، وقد عرفه الجرجاني في كتابه «التعريفات» (ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤) بقوله: (كون الحكم مقتضياً للآخر؛ على معنى: أن الحكم بحيث لو وقع يقتضي وقوع حكم آخر اقتضاء ضرورياً، كالدخان للنار في النهار، والنار للدخان في الليل).

(٢) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخراز القواريري؛ النهاوندي ثم البغدادي، شيخ الصوفية، وكان خرازاً، وكان أبوه يبيع الزجاج؛ فلذلك كان يقال له: القواريري، وُلد سنة نيف وعشرين ومائتين بالعراق؛ وبها نشأ، وتوفي رحمه الله تعالى في آخر ساعة من يوم الجمعة سنة ثمان وتسعين ومائتين؛ ودفن يوم السبت.
انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (ص ١٥٥ ـ ١٦٣)، «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (١/ ١٢٧ ـ ١٢٩)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٦٦ ـ ٧٠).
وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٢/ ٤٨٣) بعض ما أُثِرَ عنه في منزلة العلم؛ فقال: (قال سيد الطائفة وشيخهم: الجنيد بن محمد رحمه الله: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلاَّ على من اقتفى آثار الرسول ﷺ. وقال: من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنَّة. وقال: مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنَّة).

(٣) هو أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي؛ الحنبلي، من ذرية صاحب النبي ﷺ أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، ولد في سنة ست وتسعين وثلاثمائة، وتوفي =

الجيلي[1] رضي الله عنهم أجمعين.

فالعقائدُ أصول المشاهد عليها تُبتنى، والمشاهدُ أصول المقاعد، فمن صحَّ معتقده صحَّ مشهده؛ وارتقى إلى الدرجات العالية مقعدُه، ومن فسد معتقده فسد مشهده؛ وانحطَّ إلى الدركات السفلى مقعدُه.

واعلم أن الإيمان بمسألة العلو والفوقية[2] ــ من غير إحاطة ولا كيفية

= رحمه الله تعالى بهراة في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة؛ وقد جاوز أربعاً وثمانين سنة.

انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (حوادث ووَفيات ٤٨١ ــ ٤٩٠هـ) (ص ٥٣ ــ ٦٣)، «البداية والنهاية» لابن كثير (١٦/ ١١٢)، «طبقات المفسرين» للداوودي (١/ ٢٥٥ ــ ٢٥٦).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣/ ٥٤٣ ــ ٥٤٤) في وصفه: (كان شيخ الإسلام قدَّس الله روحه: راسخاً في إثبات الصفات ونفي التعطيل؛ ومعاداة أهله، وله في ذلك كتب؛ مثل كتاب: «ذم الكلام»؛ وغير ذلك مما يخالف طريقة المعطلة والحلولية والاتحادية).

(١) هو أبو محمد عبد القادر بن عبد الله بن جكني دوست الجيلي؛ الحنبلي، وُلد بجيلان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وتوفي رحمه الله تعالى بعد عتمة ليلة السبت العاشر من ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة؛ وقد عاش تسعين سنة.

انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/ ٤٣٩ ــ ٤٥١)، «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب (١/ ٢٩٠ ــ ٣٠١)، «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد (٤/ ١٩٨ ــ ٢٠٢).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (٤/ ١٢٧٩) في وصفه: (الشيخ عبد القادر الكيلاني: المتفق على كراماته وآياته وولايته، المقبول عند جميع الفرق).

(٢) قد صُنِّفَ في مسألة العلو والفوقية: مصنفاتٌ مفردةٌ، فمن تلك المصنفات المفردة المتقدمة المطبوعة ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ : «رسالة في إثبات الاستواء والفوقية» للجويني، «إثبات صفة العلو» لابن قدامة، «الرسالة العرشية»؛ و «القاعدة =

ولا حصر ولا تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه كما ورد ذلك[1] في الكتاب العزيز وفي السنَّة الصحيحة ــ : هو أصلُ هذا الشأن وأساسُه.

فمن رسخ في هذه المسألة: صار لقلبه قِبْلَة إلى مولاه وفاطره في توجهه وصلاته وعبادته وسائر مساعيه ــ الظاهرة[2] والباطنة ــ ، وصار ذلك لقلبه مَعْلَقاً[3]، يجول قلبه في الأشياء ثم يعود إلى مَعْلَقِه، كالفرس يجول ثم يعود إلى أَخِيَّتِه[4].

الأصل الثاني: اليقظة:

اليقظة: هي أصل المقامات الشريفة والأحوال العالية، وهي عبارةٌ عن انتباه القلب عن رقدة الغفلات؛ والاستعداد للقاء الله عزَّ وجلَّ. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢)﴾[5].

وإنما يَحجبُ العبدَ عن إصلاح الحال والاستعداد للمآل: طولُ الأمل؛ وحبُّ العاجلة؛ وإيثارُها[6] على الآجلة، فيعمى بذلك

= المراكشية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، «العرش»؛ و «العلو للعلي العظيم» للذهبي، «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن قيم الجوزية.

(١) في النسخة الخطية: وردلك.

(٢) في النسخة الخطية: الظاهر.

(٣) العَلَق: كل ما عُلِّق. كذا في «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي (٢٦/ ١٨١) (مادة علق).

(٤) الأخيَّة والآخيَّة ــ بالمد والتشديد ــ : واحدة الأواخي، عود يُعَرَّض في الحائط؛ ويدفن طرفاه فيه؛ ويصير وسطه كالعروة؛ تُشَدُّ إليه الدابة. كذا في «لسان العرب» لابن منظور (١٤/ ٢٣) (مادة أخا).

(٥) سورة ق: الآية ٢٢.

(٦) في النسخة الخطية: وإيثرها.

العبد[1] عن ما بين يديه من أمور الموت والبرزخ والآخرة.

فإذا أراد الله بعبد خيراً أيقظ قلبه من سِنَة الغفلة، وأحضر الموت بين يديه، وسار بقلبه في مقامات الآخرة ومواقفها مقاماً مقاماً؛ ومنزلاً منزلاً، فَفَكَّرَ في هجوم الأجل على بغتةٍ؛ فاسْتَعَدَّ حينئذٍ لما بين يديه، ليلقى ربه عزَّ وجلَّ في الآخرة بوجهٍ أبيضٍ، فإن العبد ربما مرض أياماً يسيرةً؛ وانتقل إلى الله عزَّ وجلَّ قبل إصلاح الحال، فيطول لذلك ندمه؛ ويعجز عن استدراك[2] ما فاته.

فالعاقل هو الذي لا يصبح ولا يمسي إلاَّ على عمل يحب لقاء الله عزَّ وجلَّ عليه، والمُفَرِّط هو المُسَوِّف بالتوبة من اليوم إلى غَدٍ، ومن غَدٍ إلى بعد غَدٍ.

فالعبد إذ استحضر الموت وهجومه، والقبر والانفرادة[3] فيه بأعماله، فيلحقه في القبر نعيم الأعمال الصالحة؛ وعقوبات الأعمال الطالحة كما في الحديث: «إن العبد الصالح إذا وُضِعَ في قبره وسُئِلَ؛ نادى منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من رَوْحِها وطيبها. وأما الكافر فينادي منادٍ من السماء: أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسمومها»[4]، رواه البراء بن عازب

(١) في النسخة الخطية: العبد بذلك، وقد وضع على رأس كل كلمة: حرف (م)؛ إشارة إلى أن أولى الكلمتين: متقدمة؛ وثانيهما متأخرة.

(٢) في النسخة الخطية: استداك.

(٣) الجادة اللغوية: الانفراد؛ لأنها مصدر، ولعل المراد: اسم المرة.

(٤) حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما: أخرجه أحمد في مسنده [الحديث رقم (١٨٥٣٤) ــ (٣٠/ ٤٩٩ ــ ٥٠٣)]، وأبو داود في سننه [كتاب السنَّة، باب في المسألة =

وأبو هريرة في المسانيد[1].

وكذلك يستحضر العبد يومَ القيامة ووقوفه بين يدي الله عزَّ وجلَّ، وسياقته إلى المحشر مع السائق والشهيد؛ حافياً عارياً؛ جائعاً ظمآنَ، فيقف في ذلك الموقف الطويل خمسين ألف سنة.

وتدنو الشمس من رؤوس الخلائق على قدر أعمالهم، وتَطايُرَ[2] الكتب؛ فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابه من وراء ظهره.

ثم الحساب؛ فيُحاسَبُ العبد عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما

= في القبر؛ وعذاب القبر ــ الحديث رقم (٤٧٥٣ ــ ٤٧٥٤) ــ (٥/ ١١٤ ــ ١١٦)] مطولاً، وأخرجه النسائي في سننه [كتاب الجنائز، باب الوقوف للجنائز ــ الحديث رقم (٢٠٠٠) ــ (٤/ ٣٨١)]، وابن ماجه في سننه [كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجلوس في المقابر ــ الحديث رقم (١٥٤٨ ــ ١٥٤٩) ــ (٢/ ٢٤١)] مختصراً.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٣/ ٥٠): (رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه أحمد في مسنده [الحديث رقم (٨٧٦٩) ــ (١٤/ ٣٧٧ ــ ٣٧٨)]، والنسائي في سننه [كتاب الجنائز، باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه ــ الحديث رقم (١٨٣٢) ــ (٤/ ٣٠٦ ــ ٣٠٧)]، وابن ماجه في سننه [كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له ــ الحديث رقم (٤٢٦٢) ــ (٤/ ٤٩٧ ــ ٤٩٨)] مطولاً، وأخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ــ الحديث رقم (٢٨٧٢) ــ (٤/ ٢٢٠٢)] مختصراً.

(١) مراد المصنف رحمه الله تعالى بالمسانيد ــ مع وجود الحديث الشريف في بعض الصحاح والسنن والمسانيد ــ : الأحاديث المسندة، وليس مراده: المسانيد التي صنفها أصحابها مرتبة على الصحابة رضي الله عنهم، والله أعلم.

(٢) هكذا ضبط شكلها في النسخة الخطية!

أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟

ثم نَصْبُ الموازين؛ ونشر الدواوين، والعبور على الصراط الدَّحْضِ المزلَّة[1]، وغير ذلك من المواقف التي بين أيدينا.

فإذا فكَّر العبد فيها موقناً بها؛ عالماً أنه لا يُنجيه في ذلك اليوم إلاَّ رحمة الله؛ وإصلاحُه لأعماله في الدنيا[2]: كان ذلك كلُّه مما يوجب اليقظة والانتباه من غمار الغفلة، والاستعداد للآخرة بإصلاح الحال، وترك التفريط والإهمال؛ خشية هجوم الآجال على غرةٍ وغفلةٍ قبل الاستعداد، فيُمسي ذلك اليوم من أهل القبور في عسكر الموتى، لا يستطيع أن يزيد في حسنةٍ؛ ولا أن يمحو سيئةً.

---

(١) الدحض المزلة: هما الزَّلَق. كذا في «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (١/ ٤١٧) (مادة دحض).

(٢) لا ينجي العبدَ يوم القيامة إلاَّ عفوُ الله وفضلُه ورحمتُه، وأما صلاح أعماله فإنما هو سبب في النجاة؛ وليس عوضاً ولا ثمناً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في جواب سؤال وَرَدَ عليه: (ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة؛ بل هي سبب، ولهذا قال النبي ﷺ: «إنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا؛ إلاَّ أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل».

وقد قال: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النحل: الآية ٣٢]. فهذه باء السبب، أي: بسبب أعمالكم، والذي نفاه النبي ﷺ باء المقابلة، كما يقال: اشتريت هذا بهذا، أي: ليس العمل عوضاً وثمناً كافياً في دخول الجنة، بل لا بد من عفو الله وفضله ورحمته، فبعفوه يمحو السيئات، وبرحمته يأتي بالخيرات، وبفضله يضاعف البركات) [رسالة مودعة في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٧٠ ــ ٧١)].

وانظر: «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٦)، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» له (١/ ١٠٦ ــ ١٠٨)، «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة» له (١/ ١١٩ ــ ١٢٠).

ومن ذلك قوله ﷺ: «أكثروا من ذكر هادم[1] اللذات، فإنه ما ذُكِرَ في كثيرٍ إلاَّ قلَّله» الحديث[2].

فإذا انتبه العبد في أوان صحته وفراغه وشبابه أمكنه استدراك[3] الفائتات؛ والتخلص من التبعات.

وفي الحديث: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ»[4].

---

(١) قال برهان الدين الناجي في «عجالة الإملاء» (ص ٥١٠): (قال: وفي الحديث: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات» يروى بالذال المنقوطة، أي: قاطعها، انتهى. قال غيره: وأما الهادم ـ بالدال المهملة ـ فمعناه: المزيل للشيء من أصله، قيل: وليس ذلك مراد الحديث، إنما المراد المعنى الأول وهو القطع. كذا قاله الأسنائي في مهماته).

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط [الحديث رقم (٥٧٧٦) ـ (٦/ ٣٦٥)]، والبيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» [باب في الزهد وقصر الأمل ـ الحديث رقم (١٠٠٧٤) ـ (١٩/ ١٥٤ ـ ١٥٥)] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ بلفظ: «أكثروا ذكر هادم اللذات ـ يعني الموت ـ ، فإنه ما كان في كثير إلاَّ قلَّله، ولا قليل إلاَّ جزَّأه».
وإسناد الحديث ضعيف؛ لسوء حفظ راويه عبد الله بن عمر العمري؛ وجهالة حال الراوي عنه؛ وهو: أبو عامر الأسدي.
وقد حكم المنذري والهيثمي على الحديث بالحسن، وتعقبهما الألباني؛ فضعف الحديث.
انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري [الترغيب في ذكر الموت وقصر الأمل ـ الحديث رقم (٢) ـ (٤/ ٢٣٦)]، «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للهيثمي [كتاب الزهد، باب ذكر الموت ـ (١٠/ ٣٠٩)]، «ضعيف الترغيب والترهيب» للألباني [الحديث رقم (١٩٤٣) ـ (٢/ ٣٤٤)].

(٣) في النسخة الخطية: استداك.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ؛ وأن لا عيش إلاَّ عيش الآخرة ـ الحديث رقم (٦٤١٢) ـ (٤/ ٢٠١٥)] من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وفي الحديث أيضاً: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وحياتك قبل مماتك، وفراغك قبل شغلك، ودنياك قبل آخرتك»[١].

فإنَّك لا تعلم ما اسمك غداً.

الأصل الثالث: التوبةُ:

فإذ استيقظ العبد من غفلته استعدَّ لما بين يديه بالتوبة النصوح؛ وإن كان تائباً، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[٢].

فأمر المؤمنين بالتوبة وهم تائبون، والداخل في طريقة الخصوص لا بُدَّ له من إحداث توبة صحيحة بعد حصول أحكام هذه اليقظة؛ وهو أن يتوضأ وضوءاً كاملاً، ويخرج إلى بَرَازٍ[٣] من الأرض أو مكان خلوةٍ ليخلو سِرُّهُ عن شاغلٍ[٤]، ثم يصلي ركعتين يطيل قيامهما وركوعهما وسجودهما،

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه [كتاب الرقاق ـ الحديث رقم (٧٨٤٦) ـ (٤/ ٣٤١)]، والبيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» [باب في الزهد وقصر الأمل ـ الحديث رقم (٩٧٦٧) ـ (١٨/ ٢٣١ ـ ٢٣٢)] من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ بلفظ: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».
وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [الحديث رقم (١٠٧٧) ـ (١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤)].

(٢) سورة التحريم: الآية ٨.

(٣) البَرَاز: المكان الفضاء من الأرض البعيد الواسع، وإذا خرج الإنسان إلى ذلك الموضع قيل: قد بَرَزَ، وإنما قيل في التغوط: تبرَّز فلانٌ: كناية، أي: خرج إلى بَرَاز من الأرض.
كذا في «تهذيب اللغة» للأزهري (١٣/ ٢٠١) (مادة برز).

(٤) لم يُسْعِف المؤلفَ رحمه الله تعالى الدليلُ على مشروعية ما ذكره من بعض أحكام التوبة النصوح، ومن كان لديه فضل علم زائد: فليهده إليَّ ليتضح الحق بدليله، وإني شاكرٌ لسعيه؛ ومتلق هديته بالقبول والإذعان والانقياد والتسليم.

فإذا سلَّم منهما تضرَّع إلى ربه عزَّ وجلَّ تائباً إليه؛ خاشعاً له؛ خاضعاً لقهره، مثل أن يقول: يا ربِّ جئتك هارباً من الديون[1]؛ تائباً إليك؛ نادماً على ما فرطت في جنبك من تضييع حقوقك وارتكاب مناهيك، عازماً على إصلاح الحال والتَّأهب للقدوم عليك، وليس لي ربٌّ أرجوه سِوَاك، فَتُبْ عليَّ يا أرحم الراحمين.

وليَقُلْ الدعاء المشروع مع ذلك[2]، فإنه أولى من غيره وأفضل، وهو: «سيِّد الاستغفار: اللَّـهم أنت ربـي لا إلـه إلاَّ أنت، خلقتني وأنا عبدك، أنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبـي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت»[3].

فيُرَدِّدُ هذا وغيره مما يفتحهُ الله تعالى حتى يخشعَ قلبُه؛ ويخضع سِرُّه؛ ويبكي، فذلك علامة قبول التوبة إن شاء الله تعالى.

وليُقَـدِّم علـى هـذه التـوبـة: العـزم الصحيـح علـى الـدخـول علـى الله عزَّ وجلَّ بدوام طاعته ومجانبة مخالفته، كأنه قد قدَّم نفسه لله عزَّ وجلَّ؛ وتنصَّل[4] من جميع ما يكرهه[5]، قد ألقى بنفسه بين يديه مستصرخاً نادماً،

---

(١) هكذا في النسخة الخطية: الديون، وقد جاءت منقطة؛ دفعاً لإيهام تصحفها بكلمة: الذنوب؛ الموافقة لها في الرسم.

(٢) في النسخة الخطية: ذلك ذلك.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار ــ الحديث رقم (٦٣٠٦) ــ (٤/ ١٩٨٤)] من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، ولفظ أبـي داود: «وأبوء لك بذنبـي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت».

(٤) التَّنَصُّل: شبه التبرؤ من جناية أو ذنب. كذا في «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ١٨٩) (مادة نصل).

(٥) في النسخة الخطية: يكرهيه.

عازماً على أن يقوم له بكل حقٍ أوجبه أو ندب إليه، عازماً على ترك جميع المناهي والمخالفات والمكروهات ـ دَقَّ أو جَلَّ ـ .

وليكن عزمه على أن يستوعب القيام بأمر الله عزَّ وجلَّ؛ لا يترك خصلةً واحدةً أمرهُ الله عزَّ وجلَّ بها، ولا يرتكب خصلة من المناهي والمكروهات، بل يقوم بكل شيء أمره الله به، ويجتنب[1] كل شيء نهاه الله عزَّ وجلَّ، فهذه هي التوبة النصوح، فلا يبرح في موضعه ذلك حتى يجد آثار القبول في قلبه.

ثم يقوم من موضعه مستصحباً لحكم ذلك العزم الذي عزم عليه؛ من الاستقامة لله عزَّ وجلَّ ظاهراً وباطناً؛ في سائر المساعي الظاهرة والباطنة، ومتى زَلَّ أو أخطأ: عاد إلى التوبة كما تقدم.

الأصل الرابع: المحاسبةُ:

والعبد إذا تاب لا تستقيم توبته بالمستقبل إلَّا بالمحاسبة.

وأول المحاسبة: أن يقضي ما عليه من الفوائت من صوم أو صلاة، ويؤدي ما قِبَلَهُ من الحقوق والمظالم والديون، فيتفكر ويتذكر كل صلاة فاتته أو صوم فاته من أيام البلوغ إلى يومه هذا فيقضيه، ويتفكر في كل حق كان قِبَلَهُ فيؤدِّيه، فلا يبرح حتى تبرأ ساحته ويُخَلِّصَ ذمته من كل حق وجب عليه لله عزَّ وجلَّ؛ ومن كل حق تعلق بذمته للآدميين، فعند ذلك ينطلق قلبه من القيود والأغلال، ويكون له في ميدان الصالحين مجالٌ.

ثم يحاسب نفسه في حركات جوارحه السبع من حين تطلع الشمس إلى أن تغيب؛ ومن غروبها إلى أن تطلع، وهي: حركات العين؛ والأذن؛ واللسان؛ والبطن؛ والفرج؛ واليد؛ والرِّجْل.

(١) في النسخة الخطية: ويجتنب ويجتنب.

فيحفظ اللسان عن كل كلام لا يُثاب عليه؛ أو لا يترتب عليه مصلحة دينية ولا دنيوية مما يُحتاج إليه.

ويحفظ العين عن كل نظر محرم؛ خصوصاً إلى المُرد الملاح أو النساء الأجانب، فذلك هو زنا النظر، ويجتنب النظر ولو بغير شهوة؛ فإن ذلك ذريعة إلى الشهوة، ويحسم مادة النظر عن كل شيء لا يُثاب عليه؛ ولا يترتب عليه مصلحة دينية ولا دنيوية[1] مما يُحتاج إليه.

وكذلك يحفظ سمعه ــ فإن المستمع شريك القائل ــ؛ فلا يسمع إلاَّ ما يُثاب عليه؛ أو يترتب عليه مصلحة دينية أو دنيوية مما يُحتاج إليه.

وكذلك يصون بطنه عن الحرام والشبهات فـ: «كل جسم نبت من حرام فالنار أولى به»[2]، وآكل الشبهات كيف يتنور قلبه؟ أم كيف يزكو عمله؟

وكذلك يحفظ الفرج واليدين والرجلين عن جميع محرمات الشرع ومكروهاته، ومتى أخطأ أو[3] زلَّ تاب، فيمحو بالتوبة ما جناه، فينصقل بالتوبة قلبه ويتنوَّر.

---

(١) في النسخة الخطية: أو لا دنيوية.

(٢) أخرجه الطبراني في معجميه الكبير [الحديث رقم (٢٩٨) ــ (١٩/ ١٣٥ ــ ١٣٦)]، والصغير [الحديث رقم (٦١٦) ــ (١/ ٢٣٩)] من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه؛ بلفظ: «كل لحم نبت من سُحت فالنار أولى به».
وأخرجه البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» [باب في المطاعم والمشارب وما يجب التورع عنه منها ــ الحديث رقم (٥٣٧٥ ــ ٥٣٧٦) ــ (١٠/ ٣٣١ ــ ٣٣٣)] من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بلفظين؛ الأول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به»، والثاني: «أيما لحم نبت من حرام فالنار أولى به».
وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [الحديث رقم (٤٥١٩) ــ (٢/ ٨٣١)].

(٣) في النسخة الخطية: أول.

ومن أقسام المحاسبة: النصح للمؤمنين، فيحب لهم ما يحبه لنفسه في المعاملة والبيع والشراء، فلا يغش مسلماً، وينصحه إذا استُنصحَ.

ومن أقسام المحاسبة: الأمر بالمعروف إذا أمكن، والنهي عن المنكر مثله؛ بالرفق وحسن الإرشاد والتلطف، يكون غرضه نصح المسلم ونفعه ونجاته؛ لا مجرد تخليصه من عهدة الإنكار، ويجتنب فيه من التغليظة الموحشة للقلوب، اللَّهم إلاَّ إذا أحوج الأمر إلى ذلك؛ وعلم أنه يفيد، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[2].

خصوصاً إذا رأى في الحمام[3] مكشوف العورة: فلينهه ما استطاع، وكذلك إذا رأى مظلوماً: يجتهد على نصره إذا أمكن.

وفي الجملة: فالمحاسبة تستوعب القيام بكل أمر وجب لله عزَّ وجلَّ، ومجانبة كل نَهْيٍ نَهَى الله عزَّ وجلَّ عنه، فإذا استصحب هذا الحكم فقد قام بحكم التوبة في المستقبل، ويرجى لمثله أن يُبدِّل الله سيئاته حسنات، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ. . .﴾ الآية[4].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧٣، وسورة التحريم: الآية ٩.

(٢) سورة الحجر: الآية ٨٨.

(٣) الحمَّام: واحد الحمامات المبنية التي يغتسل بها، وهو مشتق من الحميم، وسمي بذلك: إما لأنه يُعْرِق، أو لما فيه من الماء الحار. كذا في «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي (٣٢/ ١٣) (مادة حمم).

(٤) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

الأصل الخامس: الإخلاص:

وهو: أن يتفقَّد مساعيه الظاهرة[1] من الأعمال؛ فيجعلها لله عزَّ وجلَّ خالصاً، وكذلك يتفقَّد مساعيه الباطنة من الهمم والعزائم والقصود؛ فيجعلها[2] لله عزَّ وجلَّ خالصاً.

وليتعلم علم النية وتصحيحها، فإذا علمها: لا يتحرك إلاَّ بنيَّة؛ ولا يتكلم إلاَّ بنيَّة؛ ولا يأكل إلاَّ بنيَّة؛ ولا يمشي إلاَّ بنيَّة.

والنيَّة على اصطلاح القوم: هو قصد الشيء على ملاحظة خوف العقاب؛ أو رجاء الثواب؛ أو للتعظيم لأمر الله عزَّ وجلَّ، فكأنه يلحظ الشيئين جميعاً في آنٍ واحدٍ، فيلحظ العمل وما يؤدي إليه عند الله عزَّ وجلَّ في الآخرة، فمتى خلصت هاتان[3] الملاحظتان في القلب فهذه هي النية الصحيحة، والشعور بها في القلب عزيزٌ؛ لا يخلصه إلاَّ أهل الصفاء بالبصائر الباطنة، فقد يلحظ العبد العمل وما يترتب عليه في الآخرة فيقصده لذلك ولشيء آخر من عرض[4] الدنيا[5]، ويخفى تميُّزُ ذلك على أهل الهوى، ويعجزون عن معرفة تخليص ما لله عزَّ وجلَّ عما لأنفسهم ولدنياهم لظلمة قلوبهم؛ وغلبة أهوائهم.

---

(١) في النسخة الخطية: الظاهر.

(٢) في النسخة الخطية: فيجعله.

(٣) في النسخة الخطية: هذه.

(٤) في النسخة الخطية: أعرض.

(٥) حاشية: قال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله: (امتن الله علينا بما جعله غذاءنا، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا﴾ [سورة النحل: الآية ٦٦]. فكذلك طلب منا العمل الخالص، وهو المُخلَّص من شائبتي الرياء والشهوة الخفية، وهي التي أشار إليها المصنف رحمه الله في قوله: ولشيء آخر من عرض الدنيا).

فليتفقد العبد محل النيَّة والإخلاص من قلبه في أعماله وسعاياته الظاهرة والباطنة، ويحفظ نيَّته من الرياء، فلا يلحظ بأعماله أحداً من الخلق، ويحفظ قلبه من العُجْب مع الإخلاص، فقد يُعجبُ العبد بإخلاصه ولا يشعر، وفي الحديث: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لامرىءٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأةٍ يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»(١).

فيجعل اشتغاله بالعلم من التكرار والمذاكرة والبحث لله عزَّ وجلَّ، فيكون باشتغاله بالعلم على الإخلاص من أكبر الأعمال الفاضلة عند الله، وهو عمل العلماء الذين تُسَبِّح لهم الحيتان في البحار؛ كما جاء في الحديث: «والعلماء ورثة الأنبياء، لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً؛ إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ»(٢).

---

(١) افتتح البخاري صحيحه بهذا الحديث [كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ـ الحديث رقم (١) ـ (١/ ٢١)] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ مختصراً.
وأخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الأيمان، باب النية في الأيمان ـ الحديث رقم (٦٦٨٩) ـ (٥/ ٢٠٨٨)]، ومسلم في صحيحه [كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» ـ الحديث رقم (١٩٠٧) ـ (٣/ ١٥١٥ ـ ١٥١٦)] بلفظه؛ ومطلعه: «إنما الأعمال بالنية».

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم ـ الحديث رقم (٣٦٤١) ـ (٤/ ٥٧ ـ ٥٨)]، والترمذي في جامعه [أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ـ الحديث رقم (٢٦٨١) ـ (٤/ ٤١٤)]، وابن ماجه في سننه [المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ـ الحديث رقم (٢٢٣) ـ (١/ ١٤٥)] من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه؛ ولفظ أبي داود: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً: سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض؛ والحيتان في =

والفرق بين الصدق والإخلاص:

أن الصدق: هو اجتماعك على قصد الشيء وعمله بجميعك؛ بحيث لا يتخلف عنه منك شيء، فلا تعمله ببعضك بل بكلِّك ناصحاً لله فيه.

والإخلاص: هو تخليص نظرك في ذلك العمل عن رؤية سوى الله عزَّ وجلَّ؛ وملاحظة غيره من دنيا أو جاهٍ أو رئاسةٍ أو طلب منزلة.

فمن اجتمع في أعماله ومساعيه الظاهرة والباطنة الصدق والإخلاص استقام عمله، ورفع مع المشيئة إلى الله، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[1].

فعلامة الصادق إذا توجَّه لله عزَّ وجلَّ عليه أمرٌ مثل: صلاةٍ أو صامٍ أو حجٍّ، أو أمرٍ بمعروفٍ أو نهيٍ عن منكرٍ، أو غير ذلك من الأوامر، أو توجه عليه نهيٌ مثل: غض نظر[2]، أو اجتناب طعام شبهة، أو تعرية سمع عن الفواحش والخنا[3]، أو توجه هو إلى الله عزَّ وجلَّ ابتداءً بعمل من الأعمال المندوبة أو المستحبَّة: أن يبذل في ذلك العمل جهده وطاقته، كما ينصح العبد البارُّ الناصح لسيده إذا بعثه في مُهِمٍّ، فإنه يجتهد على أن يأخذ لسيده أحسن الحوائج وأظرفها، وكذلك يكون عند المناهي يبذل جهده وطاقته في التَّوَقِّي عن دقائقها ورقائقها.

= جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً؛ ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [الحديث رقم (٦٢٩٧) ـ (١/ ١٠٧٩)].

(١) سورة فاطر: الآية ١٠.

(٢) في النسخة الخطية: نضر.

(٣) قال الليث: الخنا من الكلام: أفحشه. كذا في «تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٥٨٥) (مادة خنى).

فهذا الناصح لله عزَّ وجلَّ في أعماله، لم يتخلف منه في ذلك العمل جهدٌ؛ بل عمل ذلك العمل لله بجسمه ونفسه وعقله وقلبه وروحه.

وهذا الناصح هو الصادق، فإن انضاف إليه الإخلاص بحيث لم يُشْرِك في قصده به أحداً غير الله عزَّ وجلَّ؛ كَمَّل صدقَه أيضاً فيه كمالُ إخلاصِه، فكان ذلك دليلاً منه على صدقه في القصد أيضاً.

ومن صدق في عمله ولم يصدق في قصده لم يكن صادقاً.

فإذاً كلُ صادقٍ كامل الصدق مخلصٌ؛ ولا ينعكس، فقد يكونُ المخلصُ الذي لم يلحظ غير الله في عمله لم يبذل له كله في ذلك العمل.

فصلٌ

وهذا النصح لله عزَّ وجلَّ في الأعمال هو الإكسيرُ[1] الأعظمُ؛ به يفتح الله عزَّ وجلَّ ـ إذا شاء ـ على العبد مغالقَ الأحوال السنيَّة والمقامات العلية، فمن عامل الله بالنصح نصحه الله، وكفى بذلك ثواباً في الدنيا والآخرة، والدليل عليه[2] الحديث: «من تقرَّب مني شبراً تقرَّبت منه ذراعاً»[3].

---

(١) الإكسير: هو علم الكيمياء؛ ويراد به سلب الجواهر المعدنية خواصها؛ وإفادتها خواصاً لم تكن لها.

قال طاش كبري زاده في «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» (١/ ٣١٧ ـ ٣١٨) في بيان حقيقة الإكسير: (هو الدواء الذي يدبِّره الحكماء ويلقونه على الجسد حال انفعاله بالذوبان، فيحيله كإحالة السُّمِّ الجسدَ الوارد عليه؛ لكن إلى الصلاح دون الفساد).

(٢) في النسخة الخطية: علي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى ـ الحديث رقم (٢٦٨٧) ـ (٤/ ٢٠٦٨)] من حديث أبـي ذر الغفاري رضي الله عنه. =

كذلك الناصح يجازى بالنصح: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾[1].

وبعض الناس يقول: تحت هذه الثلاثة كنزٌ لا يعرف قدره إلاَّ أهله، وهو: (ن. ص. ح)، فانقشها في قلبك والتزم حكمها ما عشت؛ تجد ثمرتها إن شاء الله عاجلاً وآجلاً.

الأصل السادس: آدابُ الصلاة الباطنة:

والصلاة محك الأحوال والقلوب، فيها يظهر حال العبد ومقامه من إيمانه، إن كان محبًّا، أو خائفاً، أو راجياً، أو ذا خشيةٍ، أو ذا قربٍ، أو ذا حضورٍ، أو ذا تعلقٍ بالله: ظهرت آثار ذلك في الصلاة.

ومن احتوشته الوساوسُ في الصلاة بحيث لا يفقه ما يقرأ فيها، ولا يجد لذة الحضور والمعاملة مع الله عزَّ وجلَّ فيها، ولا حال له ولا مقام، وصلاته[2] صلاة العوام، يصلي بجسمه وقلبه يجول في أفكار الدنيا وتدبير أمورها، فلم يُقبل على الله بقلبه، ولا حصل له الخشوع الموجب للفلاح، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾[3]. فلم يعرض عن اللغو بفكره؛ وإن كان لسانه تالياً، وجسمه راكعاً وساجداً.

أما الخواصُ ــ أهل الله عزَّ وجلَّ ــ إذا توجَّه أحدهم إلى المسجد فينوي زيارةَ الله عزَّ وجلَّ في بيته، وإجابةَ داعيه ــ وهو المؤذن ــ؛ يرى أنه

= وأخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ؛ وروايته عن ربه ــ الحديث رقم (٧٥٣٦ ــ ٧٥٣٧) ــ (٥/ ٢٣٥٦)] من حديث أنس بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما؛ بلفظ: «إذا تقرب العبد إلي (مني) شبراً تقربت إليه (منه) ذراعاً».

(١) سورة النبأ: الآية ٢٦.

(٢) في النسخة الخطية: صلوه.

(٣) سورة المؤمنون: الآيات ١ ــ ٣.

داعي الله، وينوي إقامةَ فريضة الله، والحضور بين يدي الله، فإذا قال: الله أكبر؛ فلا يجد في قلبه أكبر من الله فَيَتَوَسْوَسَ به، ثم يقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ حاضرَ القلب، عالماً بأن الله عزَّ وجلَّ يراه؛ ويرى مكانه ويسمع نجواه ويعلم قصده ونيته في ضميره، فيقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[1]؛ مناجياً بذلك لربه الكريم، فإذا بلغ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[2]؛ حضر حضوراً آخر أخص من الحضور الأول، فإن ذلك خطاب الحاضر للحاضرين، ثم يقرأ القرآن بتدبر وتفهم، يفهم عن الله عزَّ وجلَّ مراده كأنه يقرأ على الله عزَّ وجلَّ؛ أو يسمعه من الله عزَّ وجلَّ، فيتنبه لوعد الله ووعيده، وتخويفه وتحذيره، فإن لله عزَّ وجلَّ في كل كلمة معنًى يقتضي بها من عباده عبودية خاصة؛ من خوف أو رجاء أو ذكر أو[3] تصديقٍ أو اتعاظٍ أو محبةٍ أو شوقٍ أو رغبةٍ أو رهبةٍ أو قربٍ أو اتصالٍ، فيفهم عن الله عزَّ وجلَّ مراده، ويقوم بما يقتضيه المعنى من العبودية، فيكون في ذلك كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[4].

وفيهم من يستجلي من الآيات معاني صفات المتكلم، فيرزق بذلك المشاهدة بقلبه، فإنه سبحانه يتكلم بكلام عظيم ورحيم وجبار وملك قهار، فيظهر لقلب العارف في كل آيةٍ الوصف الذي ظهر المتكلم به في ذلك المعنى، فيجمع لهذا العبد العارف بين الصلاة والتلاوة والفهم عن الله عزَّ وجلَّ؛ والوقوف بسرِّه على عظمة صفات الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٢.

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٥.

(٣) في النسخة الخطية: أو أو.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٢١.

واعلم أن الناس في الصلاة أربع فرق:

منهم: من يصلي صلاة الغافلين، وهم أهل الوساوس وجواذب الأفكار الدنياوية؛ تجذبهم الأفكار إلى الدنيا، فهؤلاء ليس لهم من صلاتهم إلاَّ ما عقلوا منها.

الفرقة الثانية: قلوبهم غائبة فيطالبونها بالحضور وهي تشرد، كلما شردت إلى أودية الدنيا من بين يدي الله عزَّ وجلَّ ردوها، وهذه صلاة المريدين المجاهدين المحاربين لعدوهم ونفوسهم، وأحدهم غالبٌ تارةً؛ ومغلوب أخرى، يجذبون نفوسهم إلى الحق تارةً؛ وتجذبهم النفوس إلى غير الله أخرى.

الفرقة الثالثة: قد لطفت قلوبهم وتخلَّصت من أسر نفوسهم، فهي المُصلِّيةُ والتاليةُ والفاهمةُ والمناجيةُ، هي الناطقةُ بالتكبير والفاتحة، واللسانُ مترجمٌ عمَّا استكنَّ في القلب من العبادة لله عزَّ وجلَّ، بخلاف الذين قبلهم؛ فإنهم يقرأون بألسنتهم ويطالبون قلوبهم بالمواطأة والحضور مع ألسنتهم، وهؤلاء قلوبهم هي الناطقة واللسان معبر عنها.

الفرقة الرابعة: إذا دخلوا في الصلاة غابوا بما تجلَّى على قلوبهم من آثار الصفات من الهيبة والإجلال والتعظيم، فتُخطف قلوبهم وأرواحهم، تَخْطِفُها أنوارُ العظمة، وتبقى المناجاة والفهم في محل النفس الطاهرة المُزكَّاة، لأن نفوسهم صارت في محل القلب؛ والقلب صار في محل الروح؛ والروح في محل القرب، وهذه صلاة المقربين جعلنا الله منهم، آمين.

فانظر نفسك أيها المريد، من أيِّ الفرق الأربع أنتَ؟ وعالج قلبكَ، وتَرَقَّ من المراتب النازلة إلى المراتب العالية بالتدرج، وافتقر إلى الله تعالى في ذلك تبلغ إن شاء الله تعالى.

وكذلك العبد في الركوع، ينحني ويتدلى بين يدي الحق عزَّ وجلَّ خاضعاً متواضعاً بقلبه وقالبه، وليتصف القلب بالانحناء المعنوي[(١)] ـ الذي هو صورة الذلة والخضوع ـ كما اتصف الظاهر بالانحاء[(٢)] الصوري، فيطابق حينئذٍ ظاهرُه باطنَه، ويستوي سرُّه وعلانيته، بخلاف من انحنى بجسمه صورةً ولم يخضع بقلبه معنًى، فكأنه ركع بنصفه وتَخلَّف عن الركوع النصف الآخر، ركع بجسمه الذي هو من عالم الشهادة، ولم يركع بقلبه الذي هو من عالم الغيب.

وليكن في السجود كذلك؛ وفي التشهد حاضراً بين يدي الله عزَّ وجلَّ، مناجياً له؛ سائلاً منه، وإذا ركع لا يُحدِّث نفسه بالاعتدال لطيبة قلبه فيه ولذته به، وكذلك السجود، فذلك من إكمال هيئات الصلاة وأسرارها وحقائقها.

وعلامة من صلى بقلبه وقالبه أن يبقى بعد السَّلام زمناً ليعود روعه إليه، لكمال استغراقه وحضوره في الصلاة.

فمن وفَّقه الله تعالى للصلوات[(٣)] الخمس على هذه الصفة: يُرجى له أن يبقى في نور كل صلاة إلى الصلاة الأخرى، فلا يزال نهاره وليله مغموراً مغموساً في لوامع الأنوار، مغمور الظاهر والباطن في حضرة الملك الجبار.

الأصل السابع: تهذيب الأخلاق ورياضة النفس ومخالفتها؛ للتمرن على مكارم الأخلاق:

وهو ركن من أركان الدين، وحسن الأخلاق يدل على تزكية النفس،

---

(١) في النسخة الخطية: بلانحناء المعنوري.

(٢) في النسخة الخطية: بلانحناء.

(٣) في النسخة الخطية: للصلاه.

وهو من صفات المفلحين، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾[1]. وذلك عبارةٌ عن تبديل الصفات المذمومة من الجبلة بأضدادها من الصفات المحمودة بعد التفطن لها.

فأول ذلك: تنقية القلب عن الكبر، ففي الحديث: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر»[2].

فيتواضع لله عزَّ وجلَّ، ويذل للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3].

فلا يرى نفسه على أحدٍ من خلق الله عزَّ وجلَّ بعلمٍ ولا حالٍ، ويرى نفسه دونهم، لأن أحوالهم مغيبة عنه عند الله عزَّ وجلَّ، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾[4]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾[5].

ثم تنقية القلب عن الحسد، فلا يحسد أحداً على ما آتاه الله من فضله؛ بحيث يحب زوال النعمة عنه، فذلك من أخلاق اليهود، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[6].

بل يُحبُّ لكل أحدٍ ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، ومتى

---

(١) سورة الشمس: الآية ٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ــ الحديث رقم (٩١) ــ (١/ ٩٣)] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ ولفظه: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٤) سورة النجم: الآية ٣٢.

(٥) سورة الحجرات: الآية ١١.

(٦) سورة النساء: الآية ٥٤.

أحسَّ من قلبه بحسد نفاه، ونقَّى قلبه منه وكرهه، ودعا للمحسود بتمام النعمة، فذلك الذي يمكنه، أما تبديل ذلك من نفسه فهو إلى الله عزَّ وجلَّ، وإنما يكون ذلك عند طهارة القلب بتحقيق التقوى والزهد، فمن حقَّق التقوى والزهد صفا قلبه من خبائث[1] الأخلاق بمشيئة الله عزَّ وجلَّ.

وبعض العلماء يَعُدُّ هذه كبائر من كبائر الذنوب، ويجعلها بإزاء الكبائر الظاهرة، بمعنى أن عقوبتها في الآخرة كعقوبتها.

ومن ذلك الخبث، وسوء الظن؛ فليجتنب كثيراً منه كما أمر الله عزَّ وجلَّ[2].

وخبائث الأخلاق قسمان:

قسم منها قام بإزاء المحارم الظاهرة، والقسم الثاني بإزاء المكروهات.

فالقسم الأول: كالكبر والعُجْب وخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والغش، وطلب العلو وطلب المنزلة، والأَنَفَة من الفقر، وحب الرئاسة، والعداوة، والبغضة لغير الله، والحميَّة للنفس، والأَنَفَة من الفقر[3]، والأشر والبطر، والتعظيم للأغنياء بالقلب من أجل غناهم، والاستهانة بالفقراء بالقلب من أجل فقرهم، والفخر والخُيلاء في الهيئة والصفات والعلم وغير ذلك، والتحبب إلى الناس بما لا يحب الله، والتنافس في الدنيا والمناصب، والرياء والسمعة، والإعراض عن الحق

---

(١) في النسخة الخطية: حبائر.

(٢) في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٢].

(٣) كذا في النسخة الخطية قد تكررت هذه العبارة.

استكباراً، والانتصار للباطل مع العلم به لنصرة النفس، والسكوت عن الحق خشية سقوط المنزلة، والتملل والاقتدار في أمر الله، والتزين للمخلوقين بالدين ليعظموه، والمداهنة، وأن يمدح بما لم يفعل، ونسيان نعمة الله تعالى؛ والعمى عن إحسانه، واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر، والأمن لسلب ما أُعطي، والاتكال على الطاعة، والمكر والخيانة والمخادعة، وسوء الخلق، واستحقار المؤمن؛ والاستخفاف بحرمته، وقلة الحياء والرحمة.

القسم الثاني: ما قام بإزاء المكروهات الظاهرة، وذلك كحب الدنيا، وحب الحياة للتنعم في الدنيا، وشهوة الخوض فيما لا يعني، وكثرة الكلام، وفضول الطعام، والصَّلِف[١]، وافتقاد الحزن من القلب، والحرص وطول الأمل، وذهاب مال النفس إذا رد عليه قوله، والفظاظة وغلظ القلب، والغفلة والأمن، والفرح بالدنيا؛ والحزن على فَوْتها، والأنس بالمخلوقين؛ والوحشة إذا عجز عن رؤيتهم، والمراء في الكلام، والجفاء، والطيش والعجلة[٢]، والحدَّة.

فإذا انتبه الإنسان من نفسه لشيءٍ من ذلك فليكرهه ويتَّقيه، ويتخلَّق بضده تكلفاً يعامل الله بذلك ليصير عادةً وطبعاً.

فيبدِّل من نفسه الكبر بالتواضع، والعُجْبَ برؤية المنة، وخوف الفقر بالوثوق بالله عزَّ وجلَّ، وسخط المقدور بالرضا[٣] عن الله عزَّ وجلَّ، والغل

---

(١) يقال: أصلف الرجل: إذا قلَّ خيره، وأصلف: إذا ثقل روحه، وفلان صلف: ثقيل الروح. كذا في «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ١٩٠ ـ ١٩١) (مادة صلف).

(٢) في النسخة الخطية: والعجلة والطيش، وقد وضع على رأس كل كلمة: حرف (م)؛ إشارة إلى أن أولى الكلمتين: متقدمة؛ وثانيهما متأخرة.

(٣) في النسخة الخطية: بارضا.

بسلامة القلب، والحقد والغش مثله، وطلب العلو بطلب الآخرة وما عند الله، والأَنَفَة من الفقر بإكراه النفس على ما يظهر منه من زي الفقراء، والعداوة بالألفة، والبغضة بالمودة، وأمثال ذلك، يبدل من نفسه كل وصف بضده، حتى يأتي الله بالمدد منه؛ فينصلح القلب بجميع أرجائه في مقام المراقبة بعد هذا الفضل، فحينئذٍ يرجى أن تفيض من قلبه مكارم الأخلاق طبعاً لا تطبعاً، وسبب ذلك اتصال الأنوار الإلـٰهية بقلبه بعد طهارته وصفائه، وبالله التوفيق.

الأصل الثامن: المراقبة وصفة أحوالها وثمراتها:

العبد إذا تاب إلى الله وتخلص من الحقوق، وأدى حق المحاسبة ورعاية الجوارح، وقام بما في هذه الكراسة واعتاده ــ بحيث يصير جميع ذلك طبيعةً راسخةً فيه؛ يتأذى إذا فاته شيء من ذلك؛ أو لم ينتظم له أمره فيه ــ: فيستقيم حينئذٍ ظاهره على أمر الله والقيام بحقه فلا يحتاج في إقامته إلى مكابدة، ففي أول الأمر لا بد من المجاهدة[1] والمكابدة.

فإذا استقام على ذلك وصار له مع ربه عزَّ وجلَّ رابطة يعرفها؛ ويعرف بها زيادته من نقصانه ومن وقوفه؛ فإنه لا يخلو من أحد هذه الأحوال الثلاثة: إما أن يكون في زيادة أو نقصان أو وقوف[2].

---

(١) في النسخة الخطية: المجاهد.

(٢) ذهب الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى إلى أن العبد في سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة ليس له وقوف ألبتة، فهو إما متقدم بالأعمال الصالحة؛ أو متأخر بالأعمال الطالحة؛ مستدلاً على ذلك بقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾ [سورة المدثر: الآية ٣٧].

انظر: «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان» (١/ ١٩٦)، «الفوائد» (ص ٢١٤)، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (١/ ٢٩٢ ــ ٢٩٣).

فعند ذلك تنتقل تقواه ومحاسبته ورعايته إلى قلبه، فيبقى يتقي الله في قلبه كما يتقيه في جوارحه، يراعي قلبه كما يراعي المحاسبُ لسانه ونظره خوفاً من الله عزَّ وجلَّ؛ وحياء من اطلاعه على قلبه ونظره إليه وعلمه به؛ فيجد فيه ما يكرهه، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهَ[1] يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[4].

فهذا أول طريق الخصوص وما قبله من طريق العموم، لأنه في الظواهر والأبدان، وهو لعموم المؤمنين، فإذا اشتغل بإصلاح القلب ومعالجته دخل في طريق الموقنين، لأن الموجب لذلك قوة يقينه باطِّلاع الله عزَّ وجلَّ على قلبه وعلمه به، فأكسبه اليقين والحياء منه في اللحظات بعد تحقيق الحياء منه في الحركات، فيحفظ قلبه عن خواطر الحرام؛ كما حفظ جوارحه عن حركات الآثام، ثم يحفظ قلبه عن خطرات المكروهات؛ كما حفظ جوارحه عن حركاتها، ثم يحفظ قلبه عن الفضول وحديث النفس؛ كما حمى ظاهره عن حركات الفضول، وهذا آخر مراتب المراقبة بعد المحاسبة.

فإذا أحكم ذلك وتوطَّن فيه، وصار ذلك له عادة ثابتة، وهيئة راسخة ــ بحيث لا يحتاج إلى تكلف وتعمُّل ــ: فحينئذٍ تستقر مراقبته في القلب كما استقرت محاسبته في الظاهر، فعند ذلك يرجى أن يصير القلب سماءً يتوقد بنجوم الذكر وصفاء الفكر؛ بعد إكمال حق التقوى، فإنه اتَّقى المحارم

---

(١) في النسخة الخطية: والله.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٥.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢٠.

(٤) سورة الملك: الآيتان ١٣ ــ ١٤.

والمكاره والفضول من ظاهره وباطنه، فصارت حركاته وخطراته حقوقاً وعبودياتٍ وعلوماً وفهوماً وأذكاراً، فتبدَّلت منه طباع البشرية، وانقلبت سجاياها وأخلاقها فتبدلت بصفات الروحانيين، فعند ذلك يشارف العبد ولوج قلبه لملكوت(١) السماء، والمكافحة بصريح الحق وعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين(٢)، بمشيئة الله تعالى وتوفيقه.

الأصل التاسع: المشاهدة وأنواعها وتقاسيمها:

اعلم أن من قام بوظيفة تَعَلُّمِ العلم الشرعي فقد كمَّل فطرته العقلية، ومن قام بالعمل بالعلم ظاهراً فقد كمَّل فطرته الجِبِلِّيَّة والنفسية، ومن قام بحق المراقبة لله عزَّ وجلَّ في قلبه فقد كَمَّل فطرته القلبية؛ ويبقى عليه تكميل فطرته الروحية، وذلك فتح يفتحه الله تعالى على عباده المحبين له، المشتاقين إليه، الطالبين قربه، المهتمين بذلك ـ ليلَهم ونهارَهم ـ كاهتمام الفقيه بالتفقه أو أشد.

فإذا سار العبد في هذه الطريقة المذكورة من تأدية حق المحاسبة

---

(١) في النسخة الخطية: لمكوت.

(٢) ذكر الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى مراتب اليقين الثلاث: علم اليقين؛ وعين اليقين؛ وحق اليقين، وبيَّن أن أولها: علم اليقين، وهو: التصديق التام به؛ بحيث لا يعرض له شك ولا شبهة تقدح في تصديقه، كعلم اليقين بالجنة مثلاً. وثانيها: عين اليقين، وهي: مرتبة الرؤية والمشاهدة، وبين هذه المرتبة والتي قبلها فرق ما بين العلم والمشاهدة، فعلم اليقين للسمع؛ وعين اليقين للبصر. وثالثها: حق اليقين، وهي: مباشرة الشيء بالإحساس به، كما إذا أدخلوا الجنة وتمتعوا بما فيها، فهم في الدنيا في مرتبة علم اليقين؛ وفي الموقف في مرتبة عين اليقين؛ وإذا دخلوها وباشروا نعيمها في مرتبة حق اليقين.

انظر: «التبيان في أقسام القرآن» (ص ٢٣٩ ـ ٢٤١)، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٢/٤١٨ ـ ٤٢١).

والمراقبة، ووصل تقواه من ظاهره إلى باطنه، واستقام الظاهر بالمحاسبة؛ والباطن بالمراقبة، وصفا القلب وسكن واطمأنَّ بالتقوى الكاملة[1] والزهد الكامل: فهنالك يرجى للعبد أن يتداركه[2] الحق عزَّ وجلَّ بجذبته، ويُطلعُ على قلبه نجومَ العلم به وأقمارَ توحيده وشموسَ معرفتِه.

ولا ينضبط ما ينادي به الحق عباده وأهل ولايته، لكن ترتيب المشاهد على مقتضى الترتيب العلمي ثلاثة أقسام: معرفةُ الله عزَّ وجلَّ في أفعاله، ومعرفته في صفاته، ومعرفته به عزَّ وجلَّ.

الأول: أن يفتح للقلب التفكر في نعم الله عزَّ وجلَّ وآلائه وصنائعه وصنعه وخلقه وأمره، فيتفكر ﴿فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[3]، من الشمس والقمر والنجوم السائرة والأفلاك الدائرة والرياح الذارية والبحار المتلاطمة، ويُفتح له علم التكوين والتوليد للأشياء[4] بعضها من بعض، فإذا استغرقت فكرته في هذا بدا على سِرِّه نور المعرفة بواسطة الفكر في الأفعال، فيسمى هذا[5] معرفة الله عزَّ وجلَّ بأفعاله، وهو فوق الإيمان به، هو شيء يباشر القلب؛ فيمتلىء منه ويتأثر به تأثُّراً لا يمكنه رفعه.

الثاني: معرفة الصفات، وذلك ينكشف أيضاً في صفاء القلب عند تأمل الشريعة، والتلاوة للوحي الإلـهي المتضمن للأمر والنهي؛ والوعد والوعيد؛ وغير ذلك، فإذا استغرق القلب في ذلك وغاب في تلك المعاني:

---

(١) في النسخة الخطية: الكامل.
(٢) في النسخة الخطية: فيتداكه.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٥.
(٤) في النسخة الخطية: للشياء.
(٥) في النسخة الخطية: هذ.

بدا على القلب مشهدُ الفوقية؛ فيوقن حينئذٍ بأن هذا الوحي[1] نزل من عند الله العلي فوق كل شيء على رسول الله ﷺ.

وسمي هذا: مشهد الإلـٰهية. وذلك الأول يسمى: مشهد الربوبية. ثم يرجى أن يكشف للقلب مشهدُ المعية، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2]، فيشهد إحاطة الرب العظيم بخلقه ـ بعلمه وسمعه وبصره ـ وقربه منهم، وهذا[3] يسمى: مشهد المعية.

الثالث: المعرفة الكلية الجامعة لجميع معاني الأسماء والصفات، وهو مشهد الجمع، يُجمع للعبد فيه المتفرقات، والمشاهد الأُوَل من مشاهد القلوب، وهذا هو مشهد الأرواح، فتكمل به الفطر الروحية، ويلتهب الباطن بأنوار محبة الله عزَّ وجلَّ الخاصة، ويرزق فيه الفناء ثم البقاء؛ ثم السكر ثم الصحو؛ لمن رزقه الله تعالى ذلك من عباده، وهو فضل الله يؤتيه من يشاء.

فمن ذاق من هذا[4] النور ذوقاً ـ نَفَساً أو نَفَسَيْن ـ: فهو الذائق المشتاق، ومن دام له ساعة أو ساعتين: فهو الشارب حقًّا، ومن توالى عليه الأمر حتى امتلأت منه عروقه ومفاصله من أنوار الله عزَّ وجلَّ المخزونة: فذلك هو الرِيُّ، وربما غاب عن المحسوس فذلك هو السكر، وربما تصرف أحياناً في الأحوال فصرَّفها في صور الأعمال فذلك هو التمكين بعد التلوين؛ والصحو بعد السكر، وفي أثناء ذلك أحوال كثيرة تتنوع لا ينضبط ابتداؤها وانتهاؤها من حال الشوق والحب والأُنس؛ والقرب والاتصال؛ والغيبة والحضور؛ والقبض والبسط؛ والتفرقة والجمع.

---

(١) في النسخة الخطية: لوحي.

(٢) سورة الحديد: الآية ٤.

(٣) في النسخة الخطية: هذ.

(٤) في النسخة الخطية: هذ.

فصاحب هذا[1] المشهد الآخر يكون له من كل حالٍ من الأحوال نصيب على قدر نصيبه من الشهود، وهنا يصير العبد عبداً لله عزَّ وجلَّ؛ يتولاه الله عزَّ وجلَّ، بمعنى أنه انتهى سيره وسلوكه؛ واتصل قلبه بالله عزَّ وجلَّ اتصالاً لا انفصام له، واتصل ظاهره بالسنَّة والمتابعة اتصالاً لا انفصام له، وذلك هو حقيقة التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها من الله ولا من رسول[2] الله ﷺ، فيرث العبد الفقيه قسطاً من حال رسول الله ﷺ الباطن؛ كما ورث قسطاً من علمه الظاهر[3]، فتكملُ بذلك فطرته بجميع أجزائها، ويتنور بجميع أرجائها، و ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[4]، وعلى ذلك: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾[5]، وهو: ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[6].

فصلٌ

فقد كملت الأصول وهي تسعة[7]؛ عليها مدار السلوك من البداية إلى النهاية.

---

(١) في النسخة الخطية: هذ.

(٢) في النسخة الخطية: سول.

(٣) تقدم بيان المراد بالفناء والبقاء؛ والسكر والصحو؛ والتمكين والتلوين؛ والقرب والاتصال؛ والغيبة والحضور؛ والقبض والبسط؛ والتفرقة والجمع؛ والحال الباطن والعلم الظاهر في خاتمة دراسة الكتاب؛ عند بيان بعض المآخذ على المؤلف رحمه الله تعالى في إيراده بعض المصطلحات المجملة المشتبهة في كتابه.

(٤) سورة الصافات: الآية ٦١.

(٥) سورة المطففين: الآية ٢٦.

(٦) سورة الحديد: الآية ٢١.

(٧) في النسخة الخطية: تسع.

قال سفيان[1]: (إنما حُرموا الوصول بتضييع الأصول)[2]. ففهمنا من ذلك أن حفظ الأصول موجبٌ للوصول.

وبقي فصل اللواحق به يتم السلوك، وهي بمثابة الهيئات والسنن من الصلاة، والأصول بمثابة الأركان والواجبات، والأركان لا تجبر بالسجود، وبالله التوفيق.

فصل

في اللواحق، وهي فصول

الفصل الأول: حفظ المزاج في جِدَّة[3] السير والسلوك:

فيراعي فيه مزاجه وحاله، فيكون بين الإفراط والتفريط، فلا يشبع الشبع المفرط؛ ولا يجوع الجوع المفرط، فيكون وسطاً بين التنعم والتقشف، والتجرد والتسبب، فبعض الناس لجِدَّة سيره وسلوكه: يقطع نفسه بالرياضات الشاقة من الجوع والسهر، وربما ترك الأسباب بالأصالة؛ فينحرف مزاجه، وينقطع سيره، وأنفع الأغذية له الدسم المتوسط بين القليل والكثير، وليجتنب أكل الأشياء المولدة للسوداء[4]،

---

(١) هو: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، الكوفي، سيد العلماء العاملين في زمانه، وُلد سنة سبع وسبعين، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وعشرين ومائة.

انظر: «مشاهير علماء الأمصار» لابن حبان (ص ٢٦٨)، «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٩/ ١٥١ ـ ١٧٤)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٧/ ٢٢٩ ـ ٢٧٩).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) الجِدَّة: نقيض البلى، وهو مصدر الجديد. كذا في «لسان العرب» لابن منظور (٣/ ١١١) (مادة جدد).

(٤) السوداء: خلطٌ مقره في الطحال، أو مرض عقلي نفساني؛ يلازم مرحلة العمر الانحدارية، ويسمى: سوداء انطوائية؛ أو ماليخولية انطوائية. =

ومن ذلك[1]: الخبز اليابس؛ فكل يضرّ بالمزاج، وينقطع به السير والسلوك.

الفصل الثاني: مجانبة صحبة الأحداث:

ومن له صورة جميلة تميل إليه النفس ـ حدثاً كان أو مختطاً[2] ـ، فإنه يشغف الباطن ويُعلق الهم ويلوثه، فيتنجس القلب به كما يتنجس الثوب بنجاسةٍ، وذلك من حيث لا يشعر العبد، فإن للنفس ميلاً وارتباطاً بالصور الجميلة ـ شاء العبد أو أبى ـ؛ خصوصاً للعزبان، فإن اجتنابهم في حقهم آكد لفاقتهم إلى النكاح، وكمون شهوته في القلب.

ولئن يصحب الإنسان سبعاً ضارياً خيرٌ له من أن يصحبَ أو يعاشرَ أمرداً جميلاً؛ وإن كان صالحاً، فضرر الصالح على الناسك أشد، لأن بينه وبينه نسبة.

فليتباعد السالك عنهم وعن مواطنهم وعن مجاورتهم مهما أمكن، فإن ابتلي بتعليم أو غيره فليكن منه على أشد الحذر[3].

وليعلم أن المقصود لا يحصل إلاَّ مع طهارة المحل، ومن افتقر إلى تطهير محله وجب عليه التباعد عن مظان التلوث.

= انظر: «المنجد في اللغة والأعلام» (١/ ٣٦٢)، «الموسوعة العربية الميسرة» (١/ ١٠٢٩).

(١) تعسَّر عليَّ قراءة كلمات هذا السطر في النسخة الخطية؛ بسبب امتزاج مداد كلماته، وظاهرها المتبادر لي: ما هو مثبت.

(٢) خطَّ وجهه واختطَّ: إذا امتد شعر لحيته على جانبيه. كذا في «أساس البلاغة» للزمخشري (ص ١٦٨) (مادة خطط).

(٣) في النسخة الخطية: الحذ.

الفصل الثالث: مطالعة سنن رسول الله ﷺ:

في أكله وشربه ونومه وأخلاقه ومعاشرته لأزواجه ولأصحابه[1]، وأذكاره عند الحوادث، وتهجده وسواكه وطهوره، ثم ليتشبه به مهما أمكنه من ذلك؛ بعد المرور على سيرته ومعجزاته وأيامه، فبذلك تقوم شواهد نبوته في قلبه، ومعرفةُ الرسالة بشواهدها كرسيٌّ ينبني عليه التوحيد، وبجميع ذلك يصح الاتباع، ويترتب على الاتباع محبة الله تعالى، قال عزَّ من قائل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[2].

وإذا قرأ القرآن المجيد يستحضر الرسول ﷺ، فيشهده في القرآن مع أصحابه، ويشهد مخاطبة الله عزَّ وجلَّ له، ثم يفهم عن الله أمره ونهيه ومراده كما تقدم في آداب الصلاة، فبذلك إن شاء الله تتفتح مسام القلب، وتسري بواسطته الأنوار القدسية إلى القلوب بمعونة الله تعالى وتوفيقه[3].

الفصل الرابع: أن لا يفوته وِرْده عند الثلث الآخر؛ عند نزول الرب عزَّ اسمه إلى سماء الدنيا:

فمن واظب على تهجده في ذلك الوقت؛ ولو بركعتين، يطيلهما ويدعو ويستغفر عَقِيبَهما، فإن أمكنه أكثر من ذلك كان: فإنه يرجى النفوذ ووصول أنوارٍ جاريةٍ إلى القلوب إن شاء الله تعالى.

وأولى الأوقات للتلاوة الليل، لأنه: ﴿أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾[4].

وفي الليل يجتمع الهم، ويصفو الذهن، ويمكن التالي أن يستحضر المتكلم سبحانه في الكلام، ثم يسمع منه ويفهم عنه.

---

(١) في النسخة الخطية: للأزواجه وللأصحابه.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٣) في النسخة الخطية: توفيقية.

(٤) سورة المزمل: الآية ٦.

ومن فاته الليل وأوراده دلَّ ذلك على برود همته وقلة نصيبه، ويقال: إن أكثر أهل النصيب إنما حصل لهم النصيب في قيام الليل، فينبغي أن لا يفوت المريد ذلك، وإن كان العبد متفقهاً فليجعل نهاره للعلم وليله للتوجه إلى الله عزَّ وجلَّ.

وكذلك يجعل يوم الجمعة لله خالصاً، فإنه محك يحك العبد به ما مضى من الأسبوع، فإذا كان الأسبوع الماضي صافياً ـ لم يدنسه العبد بشيء من المعاصي ـ: كان يوم الجمعة يوم الأنوار والمزيد، وإن كان قد خلط في الأسبوع: كان يوم الجمعة مظلماً؛ يجد فيه السآمة والملالة والفتور.

الفصل الخامس: دوام الافتقار إلى الله عزَّ وجلَّ:

واستعمال العبودية[1] له والتوكل عليه والتفويض إليه ودوام اللجأ إليه، وليكن ذلك في الأنفاس إن أمكن.

قال سهل[2]: (على قدر معرفة الابتلاء يكون الالتجاء)[3].

وهذا هو الذي تقتضيه عبودية القَيُّوم الذي أرواحنا بيده وقلوبنا؛ فهو يصرفها كيف شاء، وفي الحديث: «يا مقلب القلوب ـ أو: يا مصرف القلوب ـ صرف قلبي على طاعتك ـ أو: قَلِّب قلبي على طاعتك ـ»[4].

---

(١) في النسخة الخطية: العبودة.

(٢) هو: أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، الزاهد العابد، توفي رحمه الله تعالى في شهر الله المحرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين.
انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» للأصفهاني (١٠/ ١٨٩ ـ ٢١٢)، «طبقات الصوفية» للسلمي (ص ٢٠٦ ـ ٢١١)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ـ الحديث رقم (٢٦٥٤) ـ (٤/ ٢٠٤٥)] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ ولفظه: «اللَّـهم مصرف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك».

ومن شهد القيومية[1] تعلق بالله عزَّ وجلَّ في سائر الأحوال، فإن الحوادث كلها من خير وشر هي من نتائج فضله أو أقضيته، فيجب علينا دوام الافتقار[2] إلى الله تعالى ليحفظنا في طاعته؛ ويحرسنا عن معصيته، وهذا أصل كبير تخلف عنه قوم ففاتهم به فضل كثير.

قال بعض المشائخ: (من أدام الالتجاء إلى الله تعالى في أكله وشربه وتقلباته وحركاته: فتح الله عزَّ وجلَّ عليه باب المشاهد؛ وهو تنوير الباطن بأنوار العظمة والجلال).

فهذا طريق موصل إلى الله عزَّ وجلَّ بنفسه إذا واظب العبد عليه، وفي الحديث: كان رسول الله ﷺ يقول: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إلـٰه إلَّا أنت»[3].

وهذا آخر ما تيسَّر، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً[4].

❑ ❑ ❑

---

(١) في النسخة الخطية: القيومة.

(٢) في النسخة الخطية: الافتقرار.

(٣) أخرجه النسائي في سننه الكبرى [كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا أمسى ــ الحديث رقم (١٠٣٣٠) ــ (٩/ ٢١١ ــ ٢١٢)] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ ولفظه: قال النبي ﷺ لفاطمة: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؛ أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله؛ ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين».
وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [الحديث رقم (٥٨٢٠) ــ (٢/ ١٠١٣)].

(٤) قال محقّقه عفا الله عنه: تم الفراغ من تحقيقه والتعليق عليه في مجالس متعددة؛ آخرها ليلة الثلاثاء ٢٤/ ٢/ ١٤٢٣هـ؛ الموافق ٧/ ٥/ ٢٠٠٢م، وذلك على ثرى طابة المستطابة؛ على مطيِّبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، فللّـه الحمد أولاً وآخراً؛ وظاهراً وباطناً.

الفهارس العامة:

[١] فهرس الآيات القرآنية

❑ ❑ ❑

[٢] فهرس الأحاديث النبوية

❑ ❑ ❑

[٣] فهرس الأعلام والمصطلحات والطوائف والأماكن والكلمات الغريبة

❑ ❑ ❑

[٤] فهرس المراجع والمصادر العلمية

١ ــ **أبو الحسن الأشعري**: حماد بن محمد الأنصاري. مؤسسة النور للطباعة والتجليد (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الثالثة (١٣٩٠هـ).

٢ ــ **أحكام أهل الذمة**: محمد بن أبـي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق: الدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين (بيروت/ لبنان)، الطبعة الرابعة (١٩٩٤م).

٣ ــ **أساس البلاغة**: محمود بن عمر بن محمد الزمخشري. دار النفائس (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م).

٤ ــ **الأعلام**: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثامنة (١٩٨٩م).

٥ ــ **أعيان العصر وأعوان النصر**: خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي. تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الفكر المعاصر (بيروت/ لبنان)؛ دار الفكر (دمشق/ الجمهورية العربية السورية)، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م).

٦ ــ **إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان**: محمد بن أبـي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي (بيروت/ لبنان)؛ دار الخاني (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الثانية (١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م).

٧ ــ **الأنساب**: عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني. تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م).

٨ ــ **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: إسماعيل باشا البغدادي. دار إحياء التراث العربـي (بيروت/ لبنان).

٩ ـ **البداية والنهاية**: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر (القاهرة/ جمهورية مصر العربية)، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

١٠ـ **بدائع الفوائد**: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الخير (بيروت/ لبنان)؛ (دمشق/ الجمهورية العربية السورية)، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

١١ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. تحقيق: مجموعة من المحققين، مطبوعات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، الطبعة الأولى.

١٢ـ **تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

١٣ـ **تاريخ بغداد؛ أو مدينة السلام**: أحمد بن علي الخطيب البغدادي. دار الكتاب العربي (بيروت/ لبنان).

١٤ـ **تاريخ التراث العربي**: فؤاد سزكين. نقله إلى العربية: الدكتور محمود فهمي حجازي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٥ـ **التبيان في أقسام القرآن**: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م).

١٦ـ **تحقيق النصوص ونشرها**: عبد السلام محمد هارون. مكتبة السنة (القاهرة/ جمهورية مصر العربية)، الطبعة الخامسة (١٤١٠هـ).

١٧ـ **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي. تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر (بيروت/ لبنان)، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م).

١٨ــ **تذكرة الحفاظ**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبـي. دار الكتب العلمية (بيروت/ لبنان).

١٩ــ **التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار**: أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي الشهير بابن شيخ الحزاميين. تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار العاصمة (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، النشرة الثانية (١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م).

٢٠ــ **الترغيب والترهيب**: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري. تحقيق: مصطفى محمد عمارة، دار إحياء التراث العربـي، الطبعة الثالثة (١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م).

٢١ــ **تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة**: صالح بن عبد العزيز بن علي آل عثيمين البردي. تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، مؤسسة الرسالة (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م).

٢٢ــ **التعريفات**: علي بن محمد الجرجاني. تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربـي (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م).

٢٣ــ **تهذيب اللغة**: محمد بن أحمد الأزهري. تحقيق: مجموعة من المحققين؛ تقدمهم؛ وقدم له: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر؛ الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة/ جمهورية مصر العربية)، (١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م).

٢٤ــ **توضيح المشتبه**: محمد بن عبد الله بن محمد الدمشقي الشهير بابن ناصر الدين. تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثانية (١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م).

٢٥ــ **الجامع الكبير**: محمد بن عيسى الترمذي. تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثانية (١٩٩٨م).

٢٦ــ **الجامع لشعب الإيمان**: أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية (بومباي/ الهند)، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م).

٢٧ــ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني. دار الكتب العلمية (بيروت/ لبنان).

٢٨ـ **الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي. تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة التوبة (المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٢٩ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

٣٠ـ **درء تعارض العقل والنقل**: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٣١ـ **الدليل الشافي على المنهل الصافي**: يوسف بن تغري بردي الأتابكي. تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى (مكة المكرمة/ المملكة العربية السعودية).

٣٢ـ **ذيل العبر**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت/ لبنان).

٣٣ـ **الذيل على طبقات الحنابلة**: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي. دار المعرفة (بيروت/ لبنان).

٣٤ـ **الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر**: محمد بن عبد الله بن محمد الدمشقي الشهير بابن ناصر الدين. تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثالثة (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٣٥ـ **رفع النقاب عن تراجم الأصحاب**: إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان. تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٣٦ـ **الروح**: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير (دمشق/ الجمهورية العربية السورية)، (بيروت/ لبنان)، الطبعة الرابعة (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م).

٣٧ـ **الروض المعطار في خبر الأقطار**: محمد بن عبد المنعم الحميري. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. مكتبة لبنان (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثانية (١٩٨٤م).

٣٨ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**: محمد بن أبـي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق: شعيب الأرنؤوط؛ عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت/ لبنان)؛ مكتبة المنار الإسلامية (الكويت)، الطبعة الثانية (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

٣٩ـ **سنن ابن ماجه**: محمد بن يزيد القزويني الربعي. تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

٤٠ـ **سنن أبـي داود**: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. تحقيق: عزت عبيد الدعاس؛ عادل السيد، دار الحديث (حمص/ الجمهورية العربية السورية).

٤١ـ **السنن الكبرى**: أحمد بن الحسين البيهقي. دار المعرفة (بيروت/ لبنان)، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

٤٢ـ **سنن النسائي**: أحمد بن شعيب الخراساني النسائي. تحقيق: مكتبة تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٤٣ـ **سير أعلام النبلاء**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبـي. تحقيق: مجموعة من المحققين؛ بإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثامنة (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٤٤ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: عبد الحي بن العماد الحنبلي. دار الكتب العلمية (بيروت/ لبنان).

٤٥ـ **شرح أبيات مغني اللبيب**: عبد القادر بن عمر البغدادي. تحقيق: عبد العزيز رباح؛ أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث (دمشق/ الجمهورية العربية السورية)، الطبعة الأولى (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م).

٤٦ـ **شفاء الغليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**: محمد بن أبـي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق: عمر بن سليمان الحفيان. مكتبة العبيكان (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

٤٧ـ **صحيح البخاري**: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. المكتبة العصرية (بيروت/ لبنان)، (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٤٨ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٤٩ـ **صحيح مسلم**: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة/ جمهورية مصر العربية).

٥٠ـ **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق: الدكتور علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، النشرة الأولى (١٤١٢هـ).

٥١ـ **ضعيف الترغيب والترهيب**: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

٥٢ـ **طبقات الحنابلة**: محمد بن أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء. دار المعرفة (بيروت/ لبنان).

٥٣ـ **طبقات الصوفية**: محمد بن الحسين السلمي. تحقيق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي (القاهرة/ جمهورية مصر العربية)، الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٥٤ـ **طبقات المفسرين**: محمد بن علي الداوودي. دار الكتب العلمية (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٥٥ـ **العبر في خبر من غبر**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت/ لبنان).

٥٦ـ **عجالة الإملاء على الترغيب والترهيب**: إبراهيم بن محمد الحلبي الشهير ببرهان الدين الناجي. تحقيق: حسين بن عكاشة، مكتبة الصحابة (الشارقة/ الإمارات العربية المتحدة)؛ مكتبة التابعين (القاهرة/ جمهورية مصر العربية)، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٥٧ـ **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**: محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي. تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المؤيد (الرياض/ المملكة العربية السعودية).

٥٨ـ **علماء الحنابلة من الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٤١ إلى وفيات عام ١٤٢٠هـ رحمهم الله تعالى**: بكر بن عبد الله أبو زيد. دار ابن الجوزي (الدمام/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).

٥٩ـ **العلماء الذين تحولوا من مذهب إلى آخر وأسباب التحول**: بكر بن عبد الله أبو زيد. الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ).

٦٠ـ **الفائق في غريب الحديث**: محمود بن عمر بن محمد الزمخشري. تحقيق: علي محمد البجاوي؛ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٦١ـ **الفرق بين الفرق**: عبد القاهر بن طاهر البغدادي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة دار التراث (القاهرة/ جمهورية مصر العربية).

٦٢ـ **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**: الدكتور غالب بن علي العواجي. مكتبة لينة (القاهرة/ جمهورية مصر العربية)، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

٦٣ـ **فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التصوف)**: وضعه: محمد رياض مالح. مطبوعات مجمع اللغة العربية (دمشق/ الجمهورية العربية السورية)، (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).

٦٤ـ **الفوائد**: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية (بيروت/ لبنان)، الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٦٥ـ **القاموس المحيط**: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. مؤسسة الرسالة (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٦٦ـ **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**: محمد بن علي بن طولون الصالحي. تحقيق: محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية (دمشق/ الجمهورية العربية السورية)، الطبعة الثانية (١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م).

٦٧ـ **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق: عبد الله بن محمد العمير، دار ابن خزيمة (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

٦٨ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة. دار إحياء التراث العربي (بيروت/ لبنان).

٦٩ـ **كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء**: محمد بن أبـي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق: ربيع بن أحمد خلف، دار الجيل (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م).

٧٠ـ **الكليات**: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي. تحقيق: الدكتور عدنان درويش؛ محمد المصري، مؤسسة الرسالة (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م).

٧١ـ **اللباب في تهذيب الأنساب**: محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الشهير بابن الأثير الجزري. دار صادر (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م).

٧٢ـ **لسان العرب**: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي. دار صادر (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م).

٧٣ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: علي بن أبـي بكر الهيثمي. دار الريان للتراث (القاهرة/ جمهورية مصر العربية)، دار الكتاب العربـي (بيروت/ لبنان)، (١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م).

٧٤ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**: جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وساعده ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (المدينة المنورة/ المملكة العربية السعودية)، (١٤١٦هـ ــ ١٩٩٥م).

٧٥ـ **المحكم ومحيط الأعظم في اللغة**: علي بن إسماعيل بن سيده. تحقيق: مجموعة من المحققين، مطبوعات معهد المخطوطات العربية (القاهرة/ جمهورية مصر العربية)، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م).

٧٦ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: محمد بن أبـي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية. دار الكتب العلمية (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م).

٧٧ـ **المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل وتخريجات الأصحاب**: بكر بن عبد الله أبو زيد. دار العاصمة (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م).

٧٨ــ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**: عبد الله بن سعد بن علي اليافعي. دار الكتاب الإسلامي (القاهرة/ جمهورية مصر العربية)، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م).

٧٩ــ **المستدرك على الصحيحين**: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م).

٨٠ــ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. تحقيق: مجموعة من المحققين؛ بإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م).

٨١ــ **مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**: محمد بن حبان البستي. تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٧م).

٨٢ــ **المشتبه في أسماء الرجال وأنسابهم**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: علي بن محمد البجاوي، الدار العلمية (دلهي/ الهند)، الطبعة الثانية (١٩٨٧م).

٨٣ــ **معتقد الإمام أبي الحسن الأشعري ومنهجه**: الدكتور عمر سليمان الأشقر. دار النفائس (عمان/ المملكة الأردنية الهاشمية)، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م).

٨٤ــ **المعجم الأوسط**: سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م).

٨٥ــ **معجم البلدان**: ياقوت بن عبد الله الحموي. دار إحياء التراث العربي (بيروت/ لبنان)، (١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م).

٨٦ــ **معجم الشيوخ**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق (الطائف/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م).

٨٧ــ **المعجم الصغير**: سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م).

٨٨ــ **المعجم الكبير**: سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

٨٩ــ **معجم المؤلفين**: عمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م).

٩٠ــ **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: عبد الله بن عبد العزيز البكري. تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م).

٩١ــ **معجم مصنفات الحنابلة من وفيات ٢٤١ ــ ١٤٢٠هـ**: للأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد الطريقي. الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م).

٩٢ــ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت/ لبنان)، (١٩٩٢م).

٩٣ــ **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**: أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زاده. دار الكتب العلمية (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م).

٩٤ــ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة**: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن عفان (الخبر/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م).

٩٥ــ **مفتاح طريق الأولياء**: أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي الشهير بابن شيخ الحزاميين. تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية (بيروت/ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م).

٩٦ــ **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**: إبراهيم بن محمد بن مفلح المقدسي. تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م).

٩٧ــ **المنجد في اللغة والأعلام**: المطبعة الكاثوليكية، دار المشرق (بيروت/ لبنان)، الطبعة الثامنة والعشرون (١٩٨٦م).

٩٨ــ **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد**: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي. تحقيق: جماعة من المحققين؛ بإشراف عبد القادر الأرناؤوط، دار صادر (بيروت/ لبنان)، توزيع مكتبة الرشد (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى (١٩٩٧م).

٩٩ــ **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**: يوسف بن تغري بردي الأتابكي. تحقيق: الدكتور محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٨٤م).

١٠٠ــ **الموسوعة العربية الميسرة**: مجموعة من المؤلفين؛ برئاسة: محمد شفيق غربال. دار الشعب، (١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م).

١٠١ــ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**: إشراف وتخطيط ومراجعة: الدكتور مانع بن حماد الجهني. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ).

١٠٢ــ **النصيحة في صفات الرب جلَّ وعلا**: أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي الشهير بابن شيخ الحزاميين. تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (بيروت/ لبنان)، الطبعة الرابعة (١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م).

١٠٣ــ **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**: إسماعيل باشا البغدادي. دار إحياء التراث العربي (بيروت/ لبنان).

١٠٤ــ **الوافي بالوفيات**: خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي. تحقيق: س. ديدرينغ، دار صادر (بيروت/ لبنان).

١٠٥ــ **وسطية أهل السنَّة بين الفرق**: الدكتور محمد باكريم محمد باعبدالله. دار الراية (الرياض/ المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م).

١٠٦ــ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أحمد بن محمد بن خلكان البرمكي الإربلي. دار صادر (بيروت/ لبنان).



[٥] فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

● ● ●

لِقَاءُ ٱلعَشْرِ ٱلأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ
(٤٠)



الكفاءة في النكاح

للشَّيْخِ ٱلفَقِيهِ ٱلمُحَدِّثِ قَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا
٨٠٢ - ٨٧٩هـ
رحمه الله تعالى

تحقيق
الدكتور عبد ٱلسَّتَّار أبو غُدَّة

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الزواج له أهداف سامية جاءت بها الشريعة الإسلامية، فهو يهدف إلى إعفاف كلٍّ من الرجل والمرأة عن الوقوع في الحرام، وحفظ النوع الإنساني بالإنجاب، وبقاء نسل الزوجين واستمرار من يخلفهما، وبوجه عام شُرع الزواج لإنشاء الأسرة التي يتكون منها المجتمع، بحيث يتعاون الزوجان في تحمل أعباء الحياة، وتحصل بينهما المودّة والرابطة المقدسة التي سمَّاها الله عزَّ وجلَّ، ﴿ مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة النساء، الآية ٢١].

وقد امتنَّ الله تعالى على الناس بهذه النعمة بقوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

ولتحقيق ما للزواج من أهداف كان بين شروطه (الكفاءة بين الزوجين) فإذا كان الزوج كفئاً للزوجة وقع الزواج لازماً غير قابل للفسخ إلاَّ بسبب آخر، وشرط الكفاءة من شروط لزوم العقد، وشروط اللزوم تختلف عن شروط الصحة حيث إن الزواج بزوج غير كفء للزوجة يقع صحيحاً لكنه قابل للفسخ.

والكفاءة ليست حقًّا للشرع، بل هي من حقوق العباد، فهي حق

للمرأة، وهي كذلك حق لأوليائها كلهم القريب منهم والبعيد، فيصح التنازل عن هذا الحق كبقية الحقوق.

والأولياء إذا قاموا بتزويج المرأة من رجل غير كفء لها ولم ترضَ يحق لها طلب فسخ الزواج من القاضي، دفعاً لما يلحقها من الضرر المعنوي، وهو ضرر يؤدي لتعطيل أهم أهداف الزواج وهو المودة والألفة واستقرار وجود الأسرة.

وكذلك الحكم إذا قامت المرأة بتزويج نفسها من غير كفء فللأولياء طلب الفسخ، وهذا إذا لم يوجد ما يمنع الفسخ كما هو مبين في موطنه من كتب الفقه.

واشتراط الكفاءة للزوم الزواج يحقق ـ كما سبق ـ مقاصد الزواج، وهو انتظام التفاهم والتعاون بين الزوجين، لأنه لا يتحقق إلاَّ بين المتكافئين بحسب الأعراف والعادات والسائد في المجتمعات.

وروى ابن ماجه أن فتاة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبي زوَّجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، قال: فجعل رسول الله الأمر إليها، فقالت: قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء[١].

وقد جاءت نصوص صريحة في بيان حق المرأة بأن تزوج من كفء لها، فمن ذلك قوله ﷺ: «ألا لا يزوج النساءَ إلاَّ الأولياء، ولا يُزَوَّجْن إلاَّ من الأكْفاء»[٢].

---

(١) «نيل الأوطار» (٦/ ٧).

(٢) رواه البيهقي والدارقطني.

والكفاءة حق في صالح المرأة لا في صالح الرجل، فلا يشترط في المرأة أن تكون مساوية للرجل أو مقارنة له، في حين يشترط في الرجل أن يكون مماثلاً للمرأة أو مقارباً لها في أمور الكفاءة، لأن الرجل لا يُعيّر بزوجة أدنى منه حالاً، أما المرأة والأولياء فيعيَّرون إذا كان الزوج أقل من المرأة منزلة.

والأمور التي تراعى فيها الكفاءة:

الدين: فالفاسق ليس كفئاً للمرأة المستقيمة.

والنسب أو المنصب: إذا كان الزواج بين القبائل التي تعتني بحفظ أنسابها، والعرب بعضهم أكْفاء لبعض، قبيلة بقبيلة، ورجل برجل...

والغنى: لأن المرأة الموسرة تتضرر من إعسار زوجها.

والمهنة: فصاحب الحرفة الدنيئة ليس كفئاً لفتاة لأهلها مهنة رفيعة المستوى بحسب العرف.

والسلامة من العيوب المخلَّة بالمعاشرة أو المنفِّرة: كالجنون والجذام والبرص... إلخ.

وأمور الكفاءة تختلف باختلاف الزمان والبلدان والعادات والبيئات، فإذا كان العرف السائد أن أمراً منها لا يعتبر من متطلبات الكفاءة فإنه يرجع إلى العرف، والعرف ــ كما هو مقرر ــ معتبر في الشريعة، ففي القاعدة الفقهية الكلية:

«العادة محكَّمة»، ولذا قال بعض الفقهاء:

والعُرف في الشرع له اعتبارُ   لذا عليه الحكم قد يُدارُ[1]

فإذا تغيرت نظرة المجتمع إلى النسب مثلاً، أو الحرفة، باعتبار أن العمل بأي مهنةٍ ليست محرَّمةً هو شرفٌ للإنسان، فالعبرة بذلك العرف.

أما إذا كان المجتمع يعطي هذه الأمور ـ كما في بعض البلاد ـ دوراً أساسياً، ولو كان ذلك خلاف القيم المثالية، فإنها تعتبر من أمور الكفاءة لأنها تؤثر في تعطيل مقاصد الزواج التي هي السكَن النفسي، والالتئام، والصحبة، والعشرة بالمعروف، والألفة، والمودة، فهذه قلَّما تتحقق إلَّا بين الأكْفاء.

ولا يخفى أن المرجع في ذلك تقدير القضاء في ضوء الرصد الدقيق للعرف ونظرة المجتمع، فإذا تبين للقاضي اعتبار شيء من ذلك وتوقع حدوث الأثر السلبي على الزواج من فقدانه، فإنه يقوم بفسخ الزواج، وهذا فيما إذا أصرَّت الزوجة على طلب الفسخ.

وقد أخذت قوانين الأحوال الشخصية باعتبار الكفاءة وحق الفسخ[2].

هذا، وقد عُني المؤلف في هذا الكتاب ببيان مفهوم الكفاءة وتمييزها عن العيوب الموجبة لفسخ النكاح، سواء ما يشترك فيه الرجال

---

(١) انظر: نشر العَرف في أحكام العُرف، من رسائل ابن عابدين.

(٢) قانون الأحوال الشخصية السوري المادة ٢٦، والمادة ٣٢.

والنساء أو يختص به أحدهما، ثم شرح أهم عناصر الكفاءة، وهو النسب، والحرفة، مع تحقيق نفيس في أثر العرف على هذين العنصرين.

كما أنه اهتم كثيراً بدليل مشروعية الكفاءة من المنقول مع إيراده الأحاديث بأسانيدها وتخريجها وبيان درجتها، وكذلك تكلم عن حكمة مشروعية الكفاءة.

وقد عرض تلك البيانات في خمسة مواطن هي التي أوردت عناوينها في المقدمة التي زدتها نظراً لنقص صفحة من أول المخطوطة.



ترجمة المؤلف[1]

اسمه، ونسبه، وشهرته:

هو زين الدِّين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله الجمالي، ومعنى (قطلوبغا) الفحل الميمون. و (الجمالي) نسبة إلى جمال الدِّين سودون الشيخي الجركسي نائب السلطنة، وهو الذي أعتق قطلوبغا بعد أن كان مملوكًا له، وهو من المماليك المستقدمين للجيوش من القوقاس كما قال الكوثري رحمه الله.

قال السخاوي: وربما لُقِّب (شرف الدِّين).

وشهرته (قاسم الحنفي) وهكذا كان يعرِّف نفسه في أوائل كتبه أو خواتمها.

مولده:

وُلد في المحرم سنة (٨٠٢هـ ــ ١٣٩٩م)، ومات أبوه وهو صغير فنشأ يتيمًا.

---

(١) الضوء اللامع، للسخاوي ٦/ ١٨٤، شذرات الذهب، لابن العماد ٧/ ٣٢٦، البدر الطالع، للشوكاني ٢/ ٤٥، فهرس الفهارس، للكتاني ٢/ ٣٢١، هدية العارفين، للبغدادي ١/ ٨٣٠، وليام آلوورد ٩/ ٤٣٨، بروكلمان ٢/ ٨٢ وملحقه ٢/ ٩٣، وتقديم الكوثري لكتاب المؤلف «منية الألمعي».

نشأته العلمية وشيوخه:

سمع تجويد القرآن على الزراتيتي، وبعض التفسير على العلاء البخاري، وحفظ كتبًا عرض بعضها على العز بن جماعة.

وأخذ علوم الحديث عن التاج أحمد الفرغاني النعماني قاضي بغداد، والحافظ ابن حجر.

وأخذ الفقه عن العلاء البخاري، والسراج قارىء الهداية، والمجد الرومي، والنظام السيرامي، والعز عبد السلام البغدادي، وعبد اللطيف الكرماني.

وأخذ أصول الفقه عن العلاء البخاري، والسراج قارىء الهداية، والشرف السبكي.

وأخذ أصول الدِّين عن العلاء البخاري، والبساطي.

وقرأ سنة ٨٣٢هـ على السعد بن الديري شرحه لعقائد النسفي.

وأخذ الفرائض والميقات عن ناصر الدِّين البارنباري وغيره، واستمد فيها وفي الحساب كثيرًا بالسيد علي تلميذ ابن المجدي.

وأخذ العربية عن العلاء البخاري، والتاج الفرغاني، والمجد الرومي، والشرف السبكي. والصرف عن البساطي، والمعاني والبيان عن العلاء البخاري، والنظام السيرامي، والبساطي. وأخذ المنطق عن الشرف السبكي.

واشتدت عنايته بملازمة ابن الهمام بحيث سمع عليه غالب ما كان يقرأ عنده في هذه الفنون وغيرها، وذلك من سنة ٨٢٥هـ حتى مات.

وكان معظم انتفاعه به. ومما قرأ عليه الربع الأول من شرحه للهداية، وقطعة من «توضيح» صدر الشريعة، وجميع «المسايرة».

تـلامـيـذه:

قال السخاوي، وهو أحد تلاميذه: تصدى للإفتاء والتدريس قديمًا، وأخذ عنه الفضلاء في فنون كثيرة. وأَسْمَعَ من لفظه جامعَ مسانيد أبـي حنيفة بمجلس الناصري ابن الظاهر جقمق بروايته له عن التاج النعماني بسنده عن مؤلفه الخوارزمي، وكان الناصري ممن أخذ عنه واختص بصحبته، بل هو فقيه أخيه الملقب بعد بالمنصور.

قال السخاوي: وممن كتب عنه من نظمه ونثره البقاعيُّ وبالغ في أذيته... وعظم انتفاع الشرف المناوي به، وكذا البدر بن الصوَّاف... ثم مسه منهم غاية المكروه... وقد صحبْتُه قديمًا وسمعت منه مع ولدي...

شـمـائـلـه:

قال السخاوي في الضوء اللامع (٦/ ١٨٨): هو إمام علامة قوي المشاركة في فنون، ذاكر لكثير من الأدب ومتعلقاته واسع الباع في استحضار مذهبه وكثير من زواياه وخباياه، متقدم في هذا الفن طلق اللسان قادر على المناظرة وإفحام الخصم لكن حافظته أحسن من تحقيقه، مغرم بالانتقاد ولو لمشايخه حتى بالأشياء الواضحة، والإكثار من ذكر ما يكون من هذا القبيل بحضرة كل أحد ترويجًا لكلامه بذلك، مع شائبة دعوى ومشاحة، كثير الطرح لأمور مشكلة يمتحن بها وقد

لا يكون عنده جوابها، ولهذا كان بعضهم يقول: إن كلامه أوسع من علمه، وأما أنا فأزيد على ذلك بأن كلامه أحسن من قلمه. مع كونه غاية في التواضع وطرح التكلف وصفاء الخاطر جدًا وحسن المحاضرة لا سيما في الأشياء التي يتحفظها، وعدم اليبس والصلابة، والرغبة في المذاكرة للعلم وإثارة الفائدة، والاقتباس ممن دونه مما لعله لم يكن أتقنه. وقد انفرد عن علماء مذهبه الذين أدركناهم بالتقدم في هذا الفن وصار بينهم من أجلة فرسانه.. وقُصد بالفتاوى في النوازل والمهمات...

معيشته:

قال السخاوي: تكسب بالخياطة وقتًا، وبرع فيها، بحيث كان ــ فيما بلغني ــ يخيط بالأسود في البغدادي فلا يظهر!

وقال السخاوي أيضًا: لم يَلِ ــ مع انتشار ذكره ــ وظيفةً تناسبه، بل كان في غالب عمره أحد صوفية الأشرفية. نعم استقر في تدريس الحديث بقبّة البيبرسية عقب ابن حسان، ثم رغب عنه بعد ذلك لسبط شيخنا (ابن حجر). وقرره جانبك الجداوي في مشيخة مدرسته التي أنشأها بباب القرافة، ثم صرفه وقرر فيها غيره. ولكنه كان قبيل هذه الأزمان ربما تفقده الأعيان من الملوك والأمراء ونحوهم فلا يدبر نفسه في الارتفاق بذلك، بل يسارع إلى إنفاقه ثم يعود لحالته، وهكذا مع كثرة عياله وتكرر تزوجه. وبالجملة فهو مقصر في شأنه.. وكان مسكنه ضيقًا فعرض بعض أصحابه عليه السكنى في مكان أوسع لكنه لم يوافق. ورتب بعضهم له معاليم مالية إلاَّ أنه أدركته الوفاة قبل ذلك.

مكانته العلمية:

أثنى عليه من ترجموا له، وبخاصة السخاوي وقد رد على البقاعي الذي تكلم فيه بما لا ينبغي. وقد ذكروا أنه مهر في علوم العربية والقراءات والتفسير والحديث والفقه والأصول والمنطق والكلام وسائر العلوم.

وكان واسع الحفظ حتى قيل: إنه كان يحفظ عن ظهر قلب زوائد الدارقطني أو رجاله الزائدين عن رجال السِّتَّة، من غير مراجعة الكتب.

مؤلفاته:

ذكرنا مؤلفات الإمام ابن قطلوبغا بالتفصيل في مقدمة تحقيقنا لكتاب «تحرير الأقوال في صوم الست من شوال» من سلسلة لقاء العشر الأواخر رقم (٢٦)، فلتراجع هناك.

من نظمه:

ذكر السخاوي أنه نقل كثيرًا من نظم المؤلف. وأورد من ذلك رده على من قال:

إن كنت كاذبة الذي حدثتني	فعليك إثم أبي حنيفة أو زُفَر
الواثبين على القياس تمردًا	والراغبين عن التمسك بالأثر

وذلك بقوله:

كذب الذي نسب المآثم للذي	قاس المسائل بالكتاب وبالأثر
إن الكتاب وسنة المختار قد	دلَّا عليه فدع مقالة من فشر

وفـاتـه:

تُوُفِّي ليلة الخميس رابع ربيع الآخر سنة ٨٧٩ عن سبع وسبعين سنة. وصلي عليه من الغد تجاه جامع المارداني في مشهد حافل. ودفن على باب المشهد المنسوب إلى عقبة بن عامر رضي الله عنه عند أبويه وأولاده.

قال السخاوي: تعلل (مرض) الشيخ مدة طويلة بمرض حاد، وبحبس الإراقة (البول) والحصاة وغير ذلك. وتنقل لعدة أماكن إلى أن تحول قبيل موته بيسير بقاعة بحارة[1] الديلم فلم يلبث أن مات.



---

(١) كذا في الضوء اللامع ٦/ ١٨٩.

المخطوطة ومنهج العمل في تحقيقها

مخطوطة هذا الكتاب هي ضمن مجموع يشتمل على عدة كتب وتشغل منه تسع ورقات، وقد وقع نقص في أولها بمقدار ورقة واحدة. وهي من المخطوطات المقتناة للعم العلاَّمة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، وقد أذن بالانتفاع بها، ومسطرة الصفحة ١٩ سطراً، ومقاسها ٢٠ × ١٥ سنتمتر، وهي بخط أحمد بن الملا الشافعي، وتاريخ نسخه لها عام ٩٧٧هـ بقرية (كفر جالس)، وهي من توابع بلدة (سرمين) بقرب حلب في سورية، وهي حالياً تتبع محافظة إدلب.

والمخطوطة متقنة من حيث النص لكن خطها فيه ربط بعض الحروف أو اختزال صورتها، فضلاً عن خلو معظم الكلمات عن النقط.

وقد بذلت في تحقيقها الوسع باستكمال ما هو معهود في التحقيق مما لا داعي لسرده.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.



والبرص ويخص الرجال منهما شيئان وهما الجب والخصاء وفي
مقابلتهما من النساء القرن والرتق واما العيوب التي لا
توجب الرد ولكن يثبت منها الفسخ كالعمى والقطع والزمانة وتشويه
الصورة ففي اعتبارها وجهان ايضا احدهما نعم لعدم ما يرجع
في عموم المناكح وما بينهما لتنفير النفوس منها وزاد في مغني
الحنابلة النسب واستدلوا على اشتراطها بالمنقول
والمعقول اما المنقول فقوله صلى الله عليه وسلم الا لا
تزوج النساء الا الاولياء ولا يزوجن الا من الاكفاء رواه الدارقطني
والبيهقي في سننهما عن مبشر بن عبيد عن الحجاج بن ارطاة ثم
قال الدارقطني مبشر بن عبيد متروك الاحاديث احاديثه لا
يتابع عليها وقال البيهقي هذا حديث ضعيف وفي اعتبار
الكفاءة احاديث لا يقوم باكثرها الحجة وذكر ابن حبان في الضعفاء
وقال مبشر بن عبيد يروي عن الثقات الموضوعات لا تحل كتابة
حديثه الا على جهة التعجب وقال ابن القطان في كتابه الوهم
قال لكن يعني علته الحجاج بن ارطاة وهو ضعيف ومدلس على
الضعفاء واستدلوا ايضا بحديث قريش بعضهم اكفاء لبعض
بطن ببطن والعرب بعضهم اكفاء لبعض قبيلة بقبيلة والموالي
بعضهم اكفاء لبعض رجل برجل الا حائك او حجام قلت
هذا الحديث رواه الحاكم من الاصم من الصنعاني من شجاع

صورة الورقة الثانية من المخطوطة

اذا تعارض ضربان ترجح فالترجيح الراجع الى الذات اولى فعلى هذا
الفقيه العجمي كفو للقرشية الشريفة العلوية وان كان العجمي
لا يكون كفوا للعربي لما حاز الفضيلة وكذا الفقيه الفقير
كفو للغني الجاهل وقال اصحابنا الحسب كفو للنسب
فعلى هذا العالم وغيره ان شرف الحسب فوق شرف النسب حتى
ان الفقيه العجمي كفو للعلوية ذكره قاضي خان والعتابي في جوامع
الفقه وفي المحيط عن ابي يوسف اذا كان الفاسق ذا
مروة فهو كفو والمشايخ قالوا اراد به اعوان السلطان فاذا
كان هذا في الاعوان فكيف بالخاصكية الذين هم اعضاد الدولة
واركانها وعن محمد اذا كان الفاسق محترما معظما عند الناس
كاعوان السلطان وغيرهم يكون كفوا وهؤلاء الامراء واعيان
الدولة يعظمهم الناس ويترددون الى ابوابهم لقضاء حوائجهم
ويقبلون ايديهم فهم احق بكونهم اكفاء وفي شرح الطحاوي
للامام الاسبيجابي عن محمد رحمه الله انه اذا كان الفاسق يسخر
منه لا يكون كفوا واذا كان فاسقا يهاب منه ولا يعدونه عيبا
كما لو كان فاسقا سفاكا للدماء فهذا يكون كفوا والله اعلم
تحرر ذلك كتابة في مجلس واحد على يد اضعف العباد احمد [illegible]
ال[illegible] في [illegible] شهر [illegible] عام ستة وستين
وتسعمائة

صورة الورقة الأخيرة من المخطوطة

لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٤٠)



الكفاءة في النكاح

للشَّيخِ الفقيهِ المحدِّثِ قاسمِ بنِ قُطلُوبغا

٨٠٢ - ٨٧٩هـ

رحمه الله تعالى

تحقيق

الدكتور عبد السَّتَّار أبو غُدَّة



بسم الله الرحمن الرحيم

[(١)الحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

وبعد، فإن أحكام الكفاءة ـ مع أنها وقع تفصيلها في كتاب النكاح من كتب الفقه في المذاهب المختلفة ـ تشتمل على مسائل تحتاج إلى تحقيق المراد منها، وقد اقتصرت عليها وجعلتها على خمسة مواطن، هي:

الموطن الأول: الأشياء المعتبرة في الكفاءة، وعيوب النكاح.

الموطن الثاني: الكفاءة حق للأولياء، وللزوجة، دون الشرع.

الموطن الثالث: اشتراط الكفاءة معقول المعنى.

---

(١) هذه المقدمة مزيدة لاستكمال المتبع في المؤلفات بالقدر الضروري، ويليها جزء يسير من الكلام في الموطن الأول إلى كلمة «الجذام» ص ٢٢، تم استخلاصه من كتب الفقه في ضوء السياق الذي جرى عليه المؤلف.
وقد يكون فيما نقص من أول المخطوطة، وهو صفحة واحدة، بيان سبب التأليف، كما هو المعهود، وهو ما لم يمكن التعرف إليه.

الموطن الرابع: اختلاف الكفاءة باختلاف الزمان والبلدان والعادات.

الموطن الخامس: اكتساب الفضائل يقابل النسب والحرية.

ونشرع في الكلام على هذه المسائل.



الموطن الأول

الأشياء المعتبرة في الكفاءة، وعيوب النكاح

أما الأشياء التي تعتبر في الكفاءة، فهي:

١ ــ النسب، فقريش بعضهم أكْفاء لبعض، والعرب بعضهم أكْفاء لبعض. وأما الموالي فمن كان له أبوان في الإسلام فصاعداً فهو من الأكْفاء، ومن أسلم بنفسه، أو له أب واحد في الإسلام لا يكون كفئاً لمن له أبوان، ومن أسلم بنفسه لا يكون كفئاً لمن له أب واحد في الإسلام.

٢ ــ الدين، فالمسلم الفاسق ليس كفئاً للمرأة التقية الصالحة.

٣ ــ المال، وذلك بأن يكون مالكاً للمهر والنفقة.

٤ ــ الصنائع، فالحجَّام ليس كفئاً لابنة التاجر.

٥ ــ الحرية.

وأما الأشياء التي هي عيب في النكاح، فمنها ما يوجب الرد، ومنها ما لا يوجب الرد.

[العيوب التي توجب الرد]:

أما العيوب التي توجب الرد: فيشمل منها الرجال والنساء ثلاثة أشياء هي:

- الجنون،
- والجذام،][1].
- والبرص[2].

ويختص الرجال منها بشيئين، وهما: الجَبُّ، والخصاء[3].

وفي مقابلتهما من النساء: القَرْن والرتَق.

---

(١) انتهت البيانات المستمدة من كتب الفقه، وبخاصة «فتح القدير» (٢/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤)، واخترته لأن ابن الهمام شيخ المؤلف، وبذلك يتم استدراك النقص الذي وقع في أول المخطوطة، وهو صفحة واحدة. وقد أوردت تلك البيانات مجملة لمراعاة الغرض الأساسي من الكتاب، وهو المسائل المهمة من موضوع الكفاءة، وليس تفصيل ما عنيت به المدوَّنات الفقهية.

(٢) قال ابن الهمام: «ولا تعتبر الكفاءة عندنا في السلامة من العيوب التي يفسخ بها البيع، كالجذام والجنون والبرص والبخَر والدفَر إلاَّ عند محمد في الثلاثة الأول، أعني الجنون والجذام والبرص إذا كان بحال لا تطيق المقام معه.
فالحق اعتبار الكفاءة في العقل على قول محمد، إلاَّ أن الذي له التفريق والفسخ الزوجة لا الولي، وكذا في أخويه عنده». «فتح القدير» (٢/ ٤١٩)، ويقصد ابن الهمام بأخوي الجنون: الجذام والبرص.

(٣) أورد المرغيناني في الهداية أدلة أبـي حنيفة وأبـي يوسف وأدلة محمد. ثم قال: وإنما يثبت في الجب والعنة لأنهما يخلان بالمقصود المشروع له النكاح، وهذه العيوب غير مخلة به، فافترقا. «الهداية وشرحها فتح القدير» (٣/ ٢٦٨).

[العيوب التي لا توجب الرد]:

وأما العيوب التي لا توجب الرد ولكن تنفر منها النفس: كالعمى، والقطع، والزمانة، وتشويه الصورة، ففي اعتبارها وجهان أيضاً:

أحدهما: لا تعتبر، لعدم تأثيرها في عقود المناكح.

وثانيهما: تعتبر، لنفور النفوس منها.

* * *

* وزاد في مغني الحنابلة: المنصب(١).



(١) «المغني» مع «الشرح الكبير على متن المقنع» لابن قدامة (٧/ ٣٧٤)، والمراد أنهم زادوا على الأشياء المعتبرة في الكفاءة: الجاه والحسب.

[أدلة اشتراط الكفاءة]

واستدلوا على اشتراطها بالمنقول والمعقول:

[أدلة اشتراط الكفاءة من المنقول]:

أما المنقول فقوله ﷺ: «ألا لا يُزوِّجُ النساءَ إلاَّ الأولياءُ، ولا يُزَوَّجْنَ إلاَّ من الأكْفاء». رواه الدارقطني والبيهقي في سننيهما، عن مبشِّر بن عُبيد، عن الحجاج بن أرطاة. ثم قال الدارقطني: مبشِّر بن عُبيد متروك الأحاديث، أحاديثه لا يُتابع عليها.

وقال البيهقي: هذا حديث ضعيف، وفي اعتبار الكفاءة أحاديث لا تقوم بأكثرها الحجة، وذكره ابن حبان في الضعفاء وقال: مبشِّر بن عُبيد يروي عن الثقاتِ الموضوعاتِ، لا يحل كَتْبُ حديثه إلاَّ على جهة التعجب.

وقال ابن القطان في كتابه: هو كما قال، لكن بقي عليه الحجاج بن أرطاة، وهو ضعيف ويُدلّس عليه الضعفاء[1].

* * *

---

(١) قال ابن الهمام (شيخ المؤلف) في «فتح القدير» (٢/٤١٧) عن هذا الحديث: لكنه حجة بالتضافر والشواهد. ثم أورد أثر عمر: «لأمنعن فروج ذوات =

واستدلوا أيضاً بحديث: «قريش بعضهم أكْفاء لبعض، بطن ببطن، والعرب بعضهم أكْفاء لبعض، قبيلة بقبيلة، والموالي بعضهم أكْفاء لبعض، رجل برجل إلاَّ حائكاً وحجَّاماً».

قلت: هذا الحديث رواه الحاكم: حدثنا الأصم، حدثنا الصَنعاني، حدثنا شجاع بن الوليد، حدثنا بعض إخواننا، عن ابن جريج، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «العرب بعضهم أكْفاء لبعض...»، الحديث إلى آخره. قال صاحب التنقيح: هذا حديث منقطع، إذ لم يسمِّ شجاعُ بن الوليد بعضَ أصحابه.

ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، من حديث بَقيَّة بن الوليد،

= الأحساب إلاَّ من الأكْفاء»، وحديث: «يا علي ثلاث لا تؤخرها».
وعن عائشة عن النبي ﷺ: «تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكْفاء»، روي ذلك من حديث عائشة وأنس وعمر، من طرق عديدة، فوجب ارتفاعه إلى الحجية بالحسن، لحصول الظن بصحة المعنى وثبوته عنه ﷺ، وفي هذا كفاية.
ثم وجدنا في شرح البخاري للشيخ برهان الدين الحلبي ذكر أن البغوي قال: إنه حسن، وقال فيه: رواه ابن أبي حاتم، من حديث جابر عن عمرو بن عبد الله الأودي بسنده. ثم أوجدنا بعض أصحابنا السند عن الحافظ قاضي القضاة العسقلاني الشهير بابن حجر، قال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا وكيع عن عباد بن منصور، قال: حدثنا القاسم بن محمد قال: سمعت جابراً رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ولا مهر أقل من عشرة».. من الحديث الطويل. قال الحافظ إنه بهذا الإِسناد حسن ولا أقل منه.

عن زرعة بن عبد الله، عن عمران[1] بن أبي الفضل الأيلي، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً، نحوه سواء. قال ابن عبد البر: هذا حديث منكر موضوع، وقد روى ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عمر مرفوعاً مثله، ولا يصح عن ابن جريج.

ورواه ابن حبان في كتاب الضعفاء[2]، وأعله بعمران بن أبي الفضل، وقال: إنه يروي الموضوعات عن الأثبات، لا يحل كَتْبُ حديثه.

ورواه ابن عدي في «الكامل»، وأعلَّه[3] بعمران وأسنده[4] عن النسائي وابن معين ووافقهما، وقال: الضعف على حديثه بيّن.

وقال ابن القطان: قال أبو حاتم: هو منكر الحديث ضعيف جدًّا، وبقيةٌ أحاديثه غير نقيّة، وهو مغموز بالتدليس.

وأخرجه الدارقطني عن محمد بن الفضل، عن عبد الله، عن ابن عمر مرفوعاً، ومحمد بن الفضل مطعون فيه.

ورُوي هذا الحديث من وجه آخر عن عائشة، وهو ضعيف بمَرَّة.

* * *

(١) في الأصل: «عمر»، والصواب: «عمران» كما جاء في «فتح القدير» (٢/ ٤٢٠)، وكما سيأتي بعد بضعة أسطر.

(٢) جاء في الأصل في المتن: «الموضوعات»، وكتب بالهامش كلمة «الضعفاء»، وهو الصواب.

(٣) في الأصل: «وعله».

(٤) في الأصل: «واستدل».

وحديثٌ آخر رواه البزار في مسنده: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا سليمان بن أبـي الجون، [حدثنا][1] ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العربُ بعضُهم أكْفاءٌ لبعض، والموالي بعضُهم أكْفاءٌ لبعض»، انتهى. وسكت عنه. وذكره عبد الحق في أحكامه من جهة البزار، وقال: إنه منقطع، فإن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ. وقال ابن القطان في كتابه: هو كما قال، وسليمان بن أبـي الجون لم أجد له ذكراً[2].

وأمثل ما يُستدلّ به حديثُ علي رضي الله عنه: «ثلاثة لا تؤخر: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيِّم إذا وجدت كفئاً».

قلت: هذا الحديث رواه الترمذي في الصلاة: حدثنا قتيبة حدثنا عبد الله ابن وهب، عـن سعيد بـن عبد الله الجهني، عـن محمد بـن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال له: «يا علي، ثلاثة لا تؤخرها: الصلاة إذا أتت. . .» إلى آخره.

وقال الترمذي في الجنائز: حديث غريب، وما أرى إسناده متصلاً».

---

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة، ولعلها «حدثنا» أو «عن».

(٢) أورد ابن الهمام نحو هذا الكلام عن سند الحديث، ثم قال: وبالجملة فللحديث أصل، فإذا ثبت اعتبار الكفاءة بما قدمناه فيمكن إثبات تفصيلها أيضاً بالنظر إلى عرف الناس فيما يحقرونه ويعيرون به، فيستأنس بالحديث الضعيف في ذلك، خصوصاً وبعض طرقه ـ كحديث بقية ـ ليس من الضعف بذاك، فقد كان شعبة معظماً لبقية، وناهيك باحتياط شعبة، وأيضاً تعدد طرق الحديث الضعيف يرفعه إلى الحسن. «فتح القدير» (٢/ ٤٢٠).

وصححه الحاكم في المستدرك، وقد عرفت مساهلته في باب التصحيح[1].

* * *

وقال البيهقي في «المعرفة»: «قال الشافعي: وأصل الكفاءة مستنبط من حديث بريرة، لأنه عليه الصلاة والسلام خيَّرها لأن زوجَها لم يكن كفئاً لها».

فهذا دليل على أن الشافعي لم تصحَّ عنده الأحاديثُ الصريحة في اعتبار الكفاءة حين استنبطها من هذا الحديث. لكن أصحابنا قالوا: قد اختلفت الرواية في أن بريرة أُعتقت وزوجها حرٌّ أو عبدٌ[2]؛ فإذا كان حرًّا فهو كفءٌ لها، لأنه كان من الموالي يقال له: مُغيث، وهي أيضاً من الموالي، فإن النبي عليه الصلاة والسلام، قال لها: «ملكتِ بُضعَك فاختاري». فرتّب الاختيار على مِلكها البُضع، فيكون ذلك عِلَّةً له دون عدم الكفاءة، ولأن الطلاق عندنا يعتبر بالرجال فيزداد الملك عليها عند العتق، فيملك الزوج بعده ثلاث تطليقات، فتملك رفعَ أصل العقد، دفعاً لزيادة الملك عليها.

وعلى تقدير صحة أحاديث الكفاءة، تُحمل على الاستحباب دون الوجوب، جمعاً بين الدلائل من الطريقين.

[أدلة اشتراط الكفاءة من المعقول]:

وأما المعقول، وهو العمدة في الباب، فلأن المقصود من النكاح

---

(١) قال ابن الهمام: وقول الترمذي فيه: لا أرى إسناده متصلاً، منتفٍ بما ذكرناه من تصحيح الحاكم، «فتح القدير» (٢/ ٤١٧).

(٢) في الأصل المخطوط: وزوجت حرّاً وعبد،!! والسياق يقتضي ما ذكرنا. ويحتمل أن تكون: وزُوِّجت حرّاً أو عبداً.

انتظام المصالح، وهو إنما يتحقق بين المتكافئين عادة، إذ الشريفة تأبى أن تكون تحت الخسيس مستفرشةً له، فلا بدَّ من اعتبار الكفاءة، ولهذا لا تعتبر الكفاءة في حق النساء، حتى جاز للشريف أن يتزوج بالوضيعة، لأن الزَّوج حينئذ مستفرِش، فلا تضرُّه دناءةُ الفراش[١].

ولكنْ ذكر فخر الإسلام وشمس الأئمة ومن تابعهما من المشايخ أنه لا يجوز إثبات العلل والأسباب والشرائط بالقياس والمعقول، وإنما يثبت ذلك بالنصوص. فلا يصلح ما ذكروه من المعقول دليلاً على اشتراط الكفاءة[٢].



(١) قال صاحب «الهداية»: «لأن انتظام المصالح بين المتكافئين عادة»، وقال ابن الهمام في شرح ذلك: يعني أن المقصود من شرعية النكاح انتظام مصالح كل من الزوجين بالآخر في مدة العمر، لأنه وضع لتأسيس القرابات الصهرية، ليصير البعيد قريباً عضداً وساعداً، يسرّه ما يسرّك، ويسؤوه ما يسوؤك، وذلك لا يكون إلاّ بالموافقة والتقارب، ولا مقاربة للنفوس عند مباعدة الأنساب «فتح القدير» (٢/ ٤١٨).

وقد أشار ابن الهمام (٢/ ٤١٧) إلى دليل من المعقول استدل به بعضهم، وهو اعتبار الكفاءة في الحرب للمبارزة كما وقع في غزوة بدر واستبعده لأن الكفاءة فيها بالقوة.

(٢) قال ابن الهمام: وفي اعتبار الكفاءة خلاف مالك، والثوري، والكرخي من مشايخنا، لما روي عنه ﷺ: «الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، إنما الفضل بالتقوى». قلنا: ما رويناه (أي من الأحاديث المثبتة لاعتبار الكفاءة) يوجب حمل ما رووه على حال الآخرة، جمعاً بين الأدلة.

[الموطن الثاني
الكفاءة حق الأولياء والزوجة
دون الشرع]

والكلام في الموطن الثاني، وهو: أن الكفاءة حق الأولياء والزوجة دون الشرع.

لأن الأولياء لو زوَّجوها بغير كفء برضاها، أو الأب والجد زوج الصغيرة بغير كفء جاز بالاتفاق.

ولو كانت الكفاءة حق الشرع لما سقطت بإسقاط غيره، كحرمة الربا فإنها لما كانت حقّ الشرع لم تسقط برضا المتبايعين.

ومما يؤيد ذلك أن النبي ﷺ، وهو سيد الأولين والآخرين، قد زوّج بنتيه من خديجة ــ وهي سيدة نساء العالمين في زمانها ــ من عثمان رضي الله عنه، وهو أسلم بنفسه، وقال: «لو أن لنا ثالثة لزوجناكها يا عثمان»، وهو ليس بهاشمي، بل من بني عبد شمس.

وكذا زوّج عليٌّ رضي الله عنه ابنته الصغيرة ــ وهي أم كلثوم ــ من فاطمة الزهراء رضي الله عنها من عمر رضي الله عنه، وهو أسلم

بنفسه، وهو غير هاشمي، بل هو عدوي[1].



(١) قال صاحب «الهداية»: إذا زوجت المرأة نفسها من غير كفء فللأولياء أن يفرقوا بينهما دفعاً للعار عن أنفسهم. ثم قال ابن الهمام في شرح ذلك: ما لم يجيء من الولي دلالة الرضا كقبضه المهر أو النفقة أو المخاصمة في أحدهما وإن لم يقبض، وكالتجهيز ونحوه، كما لو زوجها على السَّكْت فظهر عدمها... ولا يكون سكوت الولي رضاً إلاَّ إن سكت إلى أن ولدت فليس له حينئذ التفريق... وهذه الفرقة فسخ لا ينقص عدد الطلاق ولا يجب عندها شيء من المهر إن وقعت قبل الدخول، وبعده لها المسمى، وكذا بعد الخلوة الصحيحة، وعليها العدة ولها نفقة العدة لأنها كانت واجبة.

ولا تثبت هذه الفرقة إلاَّ بالقضاء، لأنه مجتهد فيه، وكل من الخصمين يتشبث بدليل، فلا ينقطع النزاع إلاَّ بفصل القاضي.

ثم قال ابن الهمام: ورضا بعض الأولياء المستوين في درجة كرضا كلهم ــ خلافاً لأبي يوسف وزفر لأنه حق الكل فلا يسقط إلاَّ برضا الكل، كالدَّين المشترك ــ قلنا: هو حق لهم لكن لا يتجزَّأ فيثبت لكل منهم على الكمال، كولاية الأمان، فإذا أبطله أحدهم لا يبقى، كحق القصاص. أما لو رضي الأبعد كان للأقرب الاعتراض. «فتح القدير» (٢/ ٤١٩).

[الموطن الثالث
اشتراط الكفاءة معقول المعنى]

والكلام في الموطن الثالث، وهو اشتراط الكفاءة معقول المعنى، وهو دفع العار عن الزوجة والآباء.

قال في «المحيط»: إن مقاصد النكاح، وهي[1] السكن والازدواج والصحبة والعشرة والألفة والمودة، قلما[2] تتحقق إلاَّ من الأكْفاء، لأن المرأة تأنف عن استفراش من لا يكافئها في النسب والمال، ويلحقُها التعييرُ من جهة الناس بذلك، فلا تمكّنه من نفسها، فتفوت مقاصد النكاح.

وفي «الذخيرة» أن المرأة إذا زُوِّجَت من غير كفء فللولي أن يرفع الأمر إلى القاضي حتى يفسخ، وإن لم يكن الولي ذا رحم محرم منها، لأن حق الفسخ إنما يثبت لدفع العار، والولي يلحقه العار وإن لم يكن ذا رحم محرم منها.

(١) في الأصل: «وهو».

(٢) في الأصل: «وقلما»، وبذلك تصبح الجملة خالية من الخبر، لقطع (الواو) الكلام.

وقال الماوردي في «الحاوي»: «إن في النكاح بغير الكفء عاراً يدخل على الزوجة والأولياء، وغضاضةً تدخل على الأولاد يتعدى إليهم بعضها، فكان لها وللأولياء دفعه[1] عنهم وعنها.

فدلَّ تعليلهم بهذا على أن الحكم في الكفاءة دائر مع لحوق العار وجوداً وعدماً، وكل موضع يلحق به العار يثبت لهم الفسخ، وإلاَّ فلا. فينظر أن العار هل يلحق بالتزويج من ملوك الترك أم لا؟.

قلت: فكيف يلحق وغالب الناس يدخلون عليهم بالوسائط حتى يتزوجوا بناتهم، ويتفاخرون بالمصاهرة مع الترك، ولا سيَّما الأمراء منهم أو الخاصكية. فمن الناس في هذا الزمان من يتوسّط[2] أصحاب الجاه وحواشي الإمام حتى يتصل إلى كثير من هؤلاء بالمصاهرة.



(١) أي: العار.

(٢) في الأصل: «يشترط».

[الموطن الرابع
اختلاف الكفاءة باختلاف الزمان والبلدان والعادات]

أما الكلام في الموطن الرابع، وهو الاختلاف باختلاف الزمان والبلدان والعادات، فقد ذكر[1] في «الهداية» و «المحيط» و «الذخيرة» وغيرها، أن من أسلم بنفسه لا يكون كفئاً لمن أسلم أبوه. وفي «الغاية» و «شرح الطحاوي» للإمام الاسبيجابي: قيل: هذا في موضع طال عهد الإسلام وامتدَّ فيه. أما إذا كان في مكان عهد الإسلام فيه قريب بحيث لا يعيّر به ولا يعدّ عيباً وعاراً ولا يلحق الشينُ والنقيصة فيه بذلك فلا يضر بالكفاءة.

فحينئذ لا يقع العار بالتزويج من ملوك الترك والأمراء وإن أسلموا بأنفسهم، خصوصاً إذا كانوا خاصكية السلطان ولهم عنده جاهٌ ومكانةٌ وتقدّمٌ في الوظائف الكبيرة وتقدِمة الألوف[2] ورئاسة النُوَب وغيرها من المراتب، وفيهم من هو مشتغل بالقرآن والفقه وفضائل نفسانية، بل يقع

(١) في الأصل: «وذكر».

(٢) يقصد من يدعى من قادة الجيوش (المقدم) أو (مقدم ألف)، وهو من يترأس على ألف مقاتل.

التفاخر [به]، فهذا دليل على أن العار بذلك يختلف باختلاف الزمان والبلدان والأشخاص.

والدليل على اعتبار هذا أيضاً ما ذكره أصحابنا أن النسب لا يعتبر في الموالي والترك والعجم [لأنهم لا يفتخرون بها][1]، وإنهم ضيّعوا أنسابهم، بخلاف العرب فإن الافتخار بينهم بالأنساب، ويأنفون من تزويج بناتهم بالموالي وغيرهم ممن لا يكافئهم في النسب.

ومما يدل على أن الكفاءة تختلف باختلاف العادات والعصر والزمان ما ذكره أصحابنا أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى لم يعتبر الكفاءة في الصنائع، لأنه بَنَى الأمر على عادة العرب في زمانه، فإنهم كانوا يعملون هذه الصنائع ولا يتعيّرون بها، بل كانوا يرون الأكل من صنائعهم أفضل، فإنه رحمه الله كان يتّجر في البَزّ، وكانت الصحابة رضي الله عنهم يتّجرون، والنبي ﷺ خرج إلى الشام تاجراً.

وتغير ذلك في زمن الصاحبين فأجابا عن عادة زمانهما، فإنهم كانوا [لا] يتخذون تلك الصنائع حرفة ويتعيّرون بالدنيء منها.

وكذا الشافعية قالوا بأن التاجر لا يكون كفئاً لبنت القاضي والفقيه.

فلا يكون بينهم في الحقيقة خلاف.

وفي «الغاية»: هو اختلاف عصر وزمان، وكأنّ في زمن أبي حنيفة لم يعدّوا الدناءة في الحرفة منقصةً، لأنهم لم يكونوا ينظرون إلاّ إلى التقوى.

---

(١) سقطت من متن المخطوط، واستدركها المؤلف في الهامش.

وفي «التحفة» هما أجابا عن عادة العجم، لأنهم يتخذون هذه الصنائع حرفة ويتعيّرون بالدنيء منها، فلم يكن بينهم خلاف، ففي بلد تكون عادتهم التعيير والتفاخر بالحِرَف تُعتبر فيه الكفاءة، وما لا فلا.

ومما يدل على هذا أيضاً ما ذكره المشايخ بما وراء النهر ـ على عادة بلادهم ـ أنه لا ينبغي لحنفي المذهب أن يزوج بنته لمن يخالف في المذهب، لوقوع العار بذلك في عرف بلادهم! لعدم وجود غيرهم، لا لنقص فيهم، بل للعرف. ولا يعتبر[1] ذلك في غيرها من البلاد التي اختلط فيها أرباب المذاهب.

فعلى هذا، في مصر استمرت العادة فيها بتزويج [المماليك][2] وإخوانهم من الأمراء المقدَّمين[3] أرباب الوظائف الكبيرة، ولم يسأل أحد عن نسبهم، ولم يقع بذلك عار بينهم في عادتهم من [ذلك][4]، والسبب في هذا أن ملوك الترك حين ملكوا البلاد وتسلطوا صار لهذا الجنس ميزة، ولا يستنكفون بذلك، وجرى العرف فيما بينهم بذلك، لكونهم في الأصل من جنس واحد.



(١) في الأصل: «وقد يعتبر»، والسياق يدل على أنه سهو.
(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمة، ولعلها «المماليك».
(٣) في الأصل: «المتقدمين».
(٤) بياض في الأصل بمقدار كلمة، ولعلها «ذلك».

[الموطن الخامس
اكتساب الفضائل يقابل النسب والحرية]

وأما الموطن الخامس: فإنَّ قاضيخان وغيره من أصحابنا ذكروا عن أبي يوسف: أن من أسلم بنفسه أو أعتق واكتسب من الفضائل ما يقابل به نسب الآخر وحرية آبائه كان كفئاً، لأن اعتبار ما في ذات الإنسان من الفضائل، كالدين، والعفة، والعلم، والشجاعة، وغير ذلك أولى من اعتبار غيره من الآباء والأجداد، لأن اعتبار ما بالذات أولى من اعتبار ما بالغير.

قال عليه الصلاة والسلام: «من أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه»[1]، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾[2].

ولهذا قال أهل العلم: إن الشريف الرافضي أو المعتزلي أو الجبري أو القدري لا يكون كفئاً لغير الشريف السني، لوقوع العار في بلاد أهل السنَّة بذلك. فدلَّ على أن النظر فيما قام في ذاته من الفضائل والرذائل دون ما في آبائه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢/ ٢٥٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٠١.

وقد بنى أصحابنا على هذا الأصل مسائل:

منها: إذا تعارض ضَرْبا ترجيحٍ، فالترجيح الراجع إلى الذات أولى.

فعلى هذا: الفقيه العجمي كفء للقرشية الشريفة العلوية، وإن كان العجمي لا يكون كفئاً للعربي، لِما حاز من الفضيلة.

وكذا الفقيه الفقير كفء للغني الجاهل.

وقال أصحابنا: الحسيب كفء للنسيب. نقله في «الغاية» وغيره، لأن شرف الحسب فوق شرف النسب، حتى إن الفقيه العجمي كفء للعلوية، ذكره قاضيخان والعتابي في جوامع الفقه[1].

وفي المحيط عن أبي يوسف: إذا كان الفاسق ذا ثروة فهو كفء.

والمشايخ قالوا: إنما يريد به أعوان السلطان. فإذا كان هذا في الأعوان فكيف الخاصكية الذين هم أعضاء الدولة وأركانها؟ وعن محمد: إذا كان الفاسق محترماً معظماً عند الناس[2]، كأعوان السلطان وغيرهم، يكون كفئاً، وهؤلاء الأمراء وأعيان الدولة يعظمهم الناس ويترددون إلى أبوابهم لقضاء حوائجهم، ويقبِّلون أيديهم، فهم أحق بكونهم أكْفاء.

---

(١) أورد ذلك ابن الهمام، ونقل عن المحيط: الحسيب هو الذي له جاه وحشمة ومنصب. ثم قال: ولا يعتبر بالبلاد. في تتمة الفتاوى: إن القروي كفء للمدني. «فتح القدير» (٢/ ٤٢١).

(٢) هذا وصف للواقع غير المرضي شرعاً، حيث يعظم بعض الناس ذا الجاه والمال ولو كان فاسقاً، مع أن الفاسق لا يستحق التعظيم شرعاً.

وفي «شرح الطحاوي» للإمام الإسبيجابي؛ عن محمد رحمه الله: أنه إذا كان الفاسق يحتقر به لا يكون كفئاً، وإذا كان فاسقاً يهاب منه ولا يعدونه عيباً، كما لو كان قتّالاً سفّاكاً للدماء، فهذا يكون كفئاً، والله أعلم[1].

❑ ❑ ❑

---

(١) جاء بعد هذا في المخطوطة ما يلي: «نجز ذلك كتابة في مجلس واحد، على يد أضعف العباد أحمد بن الملا الشافعي، بقرية كفر جالس، من غربيات سرمين، عام سبع وسبعين وتسعمائة»، وقد جاءت بعد «والله أعلم» كلمة غير مفهومة وصورتها هكذا «محمد»!!!

* تمت المقابلة بقراءة كاتب هذه السطور على فضيلة الشيخ المحقق العلامة تفاحة الكويت ودُرَّتُها النفيسة محمد بن ناصر العجمي وبحضور الأخ الشيخ المربي مساعد العبد الجادر والأخ الشيخ المتفنن رمزي دمشقية وولدي عبد الرحمن، وهو الآن قد دخل في الثامنة حفظه الله ونفع به.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وذلك قبيل أذان المغرب ليلة السبت ٢٣ رمضان المبارك ١٤٢٢هـ بصحن المسجد الحرام تجاه الركن اليماني من الكعبة المشرفة. وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

نظام محمد صالح يعقوبي

الفهرس

• • •

لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٤١)

اسْتِيفَاءُ الاسْتِدْلَالِ

في تَحْرِيمِ الأَسْبَالِ عَلَى الرِّجَالِ

لِلْعَلَّامَةِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الأَمِيرِ الصَّنْعَانِي
(١١٠٧ - ١١٨٢هـ)

تَحقِيق
عبد الرَّؤوف بن محمَّد الكمالي

أَسْهَمَ بِطَبْعِهِ بَعْضُ أَهْلِ الخَيْرِ مِنَ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَمُحِبِّيهِم

دَارُ البَشَائِرِ الإِسْلَامِيَّة

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يَهده اللَّـهُ فلا مضل له، ومن يُضْلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن دِين الإسلام دين عظيم، فيه السعادة الكبرى والراحة العظمى، في الدنيا والآخرة؛ وذلك لأنه من عند الله العزيز الحكيم؛ فهو دين كامل وشامل لجميع مناحي الحياة وما يحتاجه الإنسان فيها، من عقيدة وأخلاق، وعبادةٍ وآداب، حتى علّمنا كيف نستنجي ونتطهّر.

ومن هذه الأمور المهمة التي نظَّمها لنا الإسلام، أمر اللباس والهيئة، فَحَرَّمَ علينا أشياء وَأَحَلَّ أخرى، وبيَّن لنا ما يُستحب في ذلك وما يُكره.

قال الله عز وجل: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ﴾[1].

التزيُّن في اللِّباس:

وأَمرنا سبحانه بالتزين ولا سيما عند مناجاته فقال: ﴿ ۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ

(1) سورة الأعراف، الآية ٢٦.

﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[1].

قال ابن عباس: «. . . الزينة: اللباس، وهو ما يواري السوءة. . .»[2].

وفي «صحيح مسلم»[3] عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يَدخلُ الجنةَ من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كِبر. قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعلُه حسنةً. قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بَطَرُ الحق[4]، وغَمْطُ الناس»[5].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «فإن قال قائل: تجويد اللباس هوًى للنفس وقد أُمِرنا بمعاهدتها، وتَزَيُّنٌ للخلق وقد أُمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق؟

فالجواب: أنه ليس كل ما تهواه النفس يُذَمُّ، ولا كلُّ التزين للناس يكره، وإنما يُنهى عن ذلك:

١ ـ إذا كان الشرع قد نهى عنه.

٢ ـ أو كان على وجه الرِّياء في باب الدين.

فإن الإنسان يحب أن يُرى جميلاً، وذلك حظ النفس ولا يلام فيه، ولهذا: يُسَرِّحُ شعره، وينظر في المرآة، ويسوِّي عمامته، ويَلبس بِطانة الثوب الخشن إلى داخل، وظِهارتَه الحسنةَ إلى خارج، وليس في شيء من هذا ما

(١) سورة الأعراف، الآية ٣١.

(٢) أخرجه ابن جرير (٨/ ١٦٠)، وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في «فتح القدير» للشوكاني (٢/ ١٩٢) ــ ط البابي الحلبي ــ ١٣٤٩هـ.

(٣) (١/ ٩٣).

(٤) أي دَفْعه وعدمُ قَبوله تكبّراً. انظر: «النهاية» لابن الأثير (١/ ١٣٥).

(٥) أي الاستهانة بهم واستحقارهم. انظر: «النهاية» (١/ ٣٨٧).

يُكرَه ولا يذم»[1]. اهـ.

وبيَّن ابن القيم رحمه الله أن هَدْيَ النبـي ﷺ أن يَلبَس ما تيسَّر له من الثياب، فلَبِس ﷺ من وضيع الثياب ورفيعه[2].

والحاصل في أمر اللباس هو ما يلي:

١ ــ أن الحال المعتادة التي ينبغي أن يكون عليها المسلم في اللباس: هي القصد والتوسط بما يَقْدر عليه، فعن أبـي الأحوص عن أبيه، قال: «أتيت النبـي ﷺ في ثوب دُونٍ[3]، فقال: ألك مال؟ قال: نعم. قال: من أي المال؟ قال: قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: فإذا آتاك الله مالاً، فلْيُرَ أثرُ نعمة الله عليكَ وكرامته»، أخرجه أبو داود والنسائي[4].

قال الفقيه ابن حجر الهيتمي رحمه الله: «ويُسن لكل أحد ــ بل يتأكد على من يُقتدى به ــ تحسينُ الهيئة، والمبالغة في التجمل والنظافة والملبوس بسائر أنواعه، **لكن المتوسط نوعاً من ذلك بقصد التواضع لله أفضل من الأرفع**»[5]. اهـ.

٢ ــ ويستحب أن يترك غالباً لبسَ ما فيه جمال زائد (الغالي من الثياب)؛ لأنه قد يؤدي به إلى الزَّهو والكِبْر.

وقد روى معاذ بن أنس عن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظه وهو يقدر على أن ينتصر، دعاه الله تبارك وتعالى على رؤوس الخلائق حتى يُخيِّره في حور

---

(١) «تلبيس إبليس» (ص ١٩٥) ــ مكتبة المتنبـي بمصر.

(٢) انظر: «زاد المعاد» (١/ ١٤٣).

(٣) أي: خسيس. «حاشية السندي على النسائي» (٨/ ١٨١).

(٤) «سنن أبـي داود» (٤٠٦٣)، و«سنن النسائي» (٥٢٢٣) (٥٢٢٤)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح أبـي داود» (٣٤٢٨).

(٥) «تحفة المحتاج» (٣/ ٣٤) ــ مع حاشيتي الشرواني والعبادي ــ ط دار الفكر.

العين أيتهن شاء. ومن ترك أن يَلبس صالح الثياب وهو يقدر عليه ــ تواضعاً لله تبارك وتعالى ــ دعاه الله تبارك وتعالى على رؤوس الخلائق حتى يُخيِّره الله تعالى في حُلَل الإيمان[1] أيتهن شاء»، أخرجه أحمد والترمذي وحسَّنه[2].

لكن يُستثنى من ذلك ما قاله الشوكاني رحمه الله: «ولُبس الغالي من الثياب عند الأمن على النفس من التسامي المشوب بنوع من التكبر؛ لقصد التوصل بذلك إلى تمام المطالب الدينية ــ مِن أَمرٍ بمعروف أو نهي عن منكر ــ عند مَن لا يلتفت إلَّا إلى ذوي الهيئات، كما هو الغالب على عوامِّ زماننا وبعضِ خواصِّه، لا شك أنه من الموجبات للأجر، لكنه لا بد من تقييد ذلك بما يَحِلُّ لبسُه شرعاً»[3]. اهـ.

٣ ــ ويستحب أن يَلبس ــ أحياناً ــ من وضيعِ الثياب، دون أن يَجعل ذلك عادةً له؛ فعن أبـي أمامة [وهو ابن ثعلبة الأنصاري كما قال أبو داود] قال: «ذَكَرَ أصحابُ رسول الله ﷺ يوماً عنده الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: ألا تسمعون؟ ألا تسمعون؟ إنَّ البَذَاذَةَ[4] من الإيمان، إن البذاذة من الإيمان»، يعني التَّقَحُّل. أخرجه أبو داود ــ واللفظ له ــ وابن ماجه[5].

---

(١) الحُلَل: جمع حُلّة، وهي برود اليمن، ولا تُسمّى حُلَّةً إلَّا أن تكون ثوبين [إزار ورداء] من جنس واحد. «النهاية» (١/ ٤٣٢). وقال الترمذي بعد إخراجه للحديث: «ومعنى قولِه: «حُلَل الإيمان»: يعني ما يُعطى أهل الإيمان من حُلل الجنّة». اهـ (٤/ ٥٦١).

(٢) «مسند أحمد» (٣/ ٤٣٨، ٤٣٩)، و«سنن الترمذي» (٢٤٨١). وحسَّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧١٨).

(٣) «نيل الأوطار» (٢/ ١١٠، ١١١).

(٤) البَذاذة: رثاثة الهيئة... أراد التواضعَ في اللباس وتركَ التبجُّح به. «النهاية» لابن الأثير (١/ ١١٠).

(٥) «سنن أبـي داود» (٤١٦١)، و«سنن ابن ماجه» (٤١١٨)، أخرجاه من وجهين =

إسبال الإزار:

ألاَ وإن من الأمور التي حرَّمها علينا الشرع الكريم: إسبال الإزار، أي تطويله إلى ما تحت الكعبين.

ويكفيك لِتَعْرِفَ أهميةَ هذه المسألة، كثرةُ الأحاديث الواردة فيها، واعتناءُ العلماء بها.

وفي «صحيح البخاري»[1] في قصة مقتل عمر رضي الله عنه، من رواية عمرو بن ميمون، وفيها: «وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببُشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقِدَمٍ في الإسلام ما قد علمتَ، ثم وليتَ فعدَلت، ثم شهادةٌ. قال: ودِدت أن ذلك كَفافٌ لا عَلَيَّ ولا لي. فلما أدبر إذا إزاره يمَس الأرض، قال: ردوا عَلَيَّ الغلام، قال: يا ابن أخي، ارفعْ ثوبك؛ فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك».

وذكر ابن عبد البر هذه الرواية في «التمهيد»[2]، وفي آخرها: «قال: فما منعه ما هو فيه أن أمره بطاعة الله».

ومن هنا، جاءت رسالة الإمام الصنعاني رحمه الله في هذه المسألة المهمة، وهي بعنوان: «**استيفاء الاستدلال في تحريم الإسبال على الرجال**».

مواضع الاتفاق في المسألة:

١ ــ اتفق العلماء على تحريم إسبال الثوب إلى ما دون الكعبين إن كان بقصد الخُيلاء والكِبْر.

= ضعيفين، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩١) من وجه ثالث حسن لذاته. وانظر: «السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني رحمه الله (٣٤١).

(١) (٧/ ٦٠) مع «فتح الباري».

(٢) (١٧/ ١١٧)، ولم يَعْزها إلى من أخرجها، لكن ذكرها من طريق سفيان بن عيينة عن حصين، عن عمرو بن ميمون.

٢ ـ واتفقوا على أنه إن كان لغير الخيلاء فهو مكروه، وإن كانوا اختلفوا: هل الكراهة للتنزيه أو للتحريم[١]؟ وهذا هو موضوع الرسالة، وبيانُ إن كان التحريم مختصّاً بالخيلاء أوْ لا، في الصلاة وخارجها.

٣ ـ وأجمعوا على جواز الإسبال للنساء بما لا يزيد على ذراع[٢].

ونبَّه بعض العلماء على جواز إسبال الرجل للضرورة، كمن يكون بكعبيه جرحٌ مثلاً يؤذيه الذباب مثلاً إن لم يستره بإزاره حيث لا يَجد غيرَه.

قال الحافظ ابن حجر: «نبّه على ذلك شيخنا[٣] في «شرح الترمذي»، واستدلّ على ذلك بإذنه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف في لُبس القميص الحرير من أجل الحِكّة[٤]. والجامعُ بينهما: جواز تعاطي ما نُهي عنه من أجل الضرورة، كما يجوز كشفُ العورة للتداوي»[٥]. اهـ.

القدر المستحب للتقصير، والمبالغة في ذلك:

ذكر النووي رحمه الله أنَّ القدر المستحب فيما ينزل إليه طرف القميص والإزار هو نصف الساقين، والجائز بلا كراهة: ما تحته إلى الكعبين، فما نزل عن الكعبين فهو ممنوع[٦]، على تفصيل العلماء واختلافهم في ذلك.

وعلى هذا تدلُّ جميعُ الأحاديث الواردة في الإسبال، ومنها: حديث أبـي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه سئل عن الإزار فقال: على الخبير

---

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٤/ ٦٢)، و «فتح الباري» (١٠/ ٢٥٥).

(٢) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٤/ ٦٢)، و «فتح الباري» (١٠/ ٢٥٩).

(٣) يقصد به الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ).

(٤) الحديث أخرجه البخاري (٦/ ١٠٠)، ومسلم (٣/١٦٤٦) من حديث أنس، وفيه الترخيص لعبد الرحمن والزبير.

(٥) «فتح الباري» (١٠/ ٢٥٧).

(٦) «شرح مسلم» للنووي (١٤/ ٦٢).

سقطتَ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إزرة المؤمن إلى أنصاف الساقين، لا جناح ـ أو لا حرج ـ عليه فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من ذلك فهو في النار، لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطراً»، أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان[1].

قال الحافظ ابن حجر: «والحاصل: أن للرجال حالين:

حال استحباب: وهو أن يقتصر بالإزار على نصف الساق.

وحال جواز: وهو إلى الكعبين»[2]. اهـ.

فعلى هذا، فإن المراد بعَضَلة الساق ـ كما جاء في حديث حذيفة[3] ـ هو نصف الساق.

وقوله في حديث حذيفة ـ أيضاً ـ: «ولا حَقَّ للكعبين في الإزار»: كأن المراد إذا غطى الإزارُ الكعبين؛ لأنه حينئذٍ سينزلُ عنهما ولا بُدَّ، والله تعالى أعلم.

ثم وجدت السندي قد صرَّح بهذا التفسير فقال: «أي: لا تَستر

(١) «مسند أحمد» (٣/ ٥، ٦، ٣١، ٤٤، ٥٢، ٩٧)، و «سنن أبي داود» (٤٠٩٣)، و «سنن ابن ماجه» (٣٥٧٣)، و «صحيح ابن حبان» (٥٤٤٦) (٥٤٤٧) (٥٤٥٠)، وهو في «صحيح الجامع الصغير» للشيخ الألباني رحمه الله (٩٢١).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٢٥٩).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٠ ـ ٤٠١)، والترمذي (١٧٨٣)، والنسائي (٨/ ٢٠٦، ٢٠٧)، وابن ماجه (٣٥٧٢)، كلهم من طرق عن أبي إسحاق ـ وهو السَّبيعي ـ عن مسلم بن نُذير عن حذيفة به. وصرَّح أبو إسحاق بالسماع عند أحمد (٥/ ٣٩٦)، ومسلم بن نذير قد تابعه الأغرّ أبو مسلم عند ابن حبان (٥٤٤٨)، فالإسناد حسن.

الكعبين بالإزار»[1]. اهـ.

وبناءً على ما تقدَّم مِن معرفة السنَّة في موضع الإزار، وأنه إلى نصف الساق، فإن رَفعه أكثرَ من ذلك غَلَطٌ واضح، وتشدُّدٌ مذموم.

قال ابن الجوزي رحمه الله في «تلبيس إبليس»[2]: «وفي الصوفية من يبالغ في تقصير ثوبه، وذلك شهرةٌ أيضاً».

ثم ساق حديث أبـي سعيد في الإزار.

ثم أخرج بسنده من طريق الحافظ أبـي نُعَيْمٍ... عن مَعْمَرٍ قال: «كان في قميص أيوبَ[3] بعضُ التذييل[4]، فقيل له، فقال: الشهرة اليوم في التشمير»[5].

قال ابن الجوزي: «وقد رَوَى إسحاق بن إبراهيم بن هانىء، قال: دخلت يوماً على أبـي عبد الله أحمدَ بنِ حنبل، وعَلَيَّ قميصٌ أسفلُ من الركبة وفوق الساق، فقال: أيُّ شيءٍ هذا؟ وأنكره وقال: هذه بالمرة، لا ينبغي». اهـ.



(١) «حاشية السندي على النسائي» (٨/ ٢٠٧).
(٢) (ص ١٩٩).
(٣) هو أيوب بن أبـي تَميمة ــ كَيْسانَ ــ السَّخْتِياني، ثقة ثبت حجة، من كبار الفقهاء العباد. مات سنة إحدى وثلاثين ومائة. انظر: «تقريب التهذيب» (ص ١١٧).
(٤) أي بعض التطويل، ولكن ليس دون الكعب كما لا يخفى.
(٥) أي في الرفع والمبالغة فيه. فكأنَّ أيوب رحمه الله لم يكن قميصه إلى نصف الساق، وإنما أنزل قليلاً، ليتضح أنه ليس من جماعة وأتباع المشمِّرين.

ترجَمة المؤلف[1]

نسبه ومولده:

هو: أبو إبراهيم: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحَسَني (يرجع نسبُه إلى الحسن بن علي بن أبـي طالب) الكحلاني ثم الصنعاني، المعروف بالأمير.

«ووالده من الفضلاء الزاهدين في الدنيا، الراغبين في العمل، وله عرفان تام، وشعر جيد»[2].

وُلِـدَ ليلـةَ الجمعـة، نصـفَ جمـادى الآخـرة، سنـة (١٠٩٩هـ) بمـدينـة كحلان، ثم انتقل مع والده إلى مدينة صنعاء سنة (١١٠٧هـ).

---

(١) انظر ترجمته في: «البدر الطالع» للشوكاني (٢/ ١٣٣ ــ ١٣٩)، و «إيضاح المكنون» (١/ ٥١، ٦٩، ١٥٩، ٢٩٤، ٤٠٠)(٢/ ٤، ٤٤٥، ٥٧٨، ٥٧٩)، و «هـديـة العـارفيـن» (٢/ ٣٣٨)، و «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣٨)، و «معجم المؤلفين» لكحالة (٣/ ١٣٢).
وقد أفرد له بعض المعاصرين ترجمة مستقلة:
١ ــ «الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار، حياته ونهجه وموارده»، تأليف الدكتور/ أحمد محمد العليمي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ١٤٠٨هـ.
٢ ــ «مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، دراسة حياته وآثاره»، تأليف عبد الرحمن طيب بعكر ــ مكتبة أسامة باليمن ــ ١٤٠٨هـ.

(٢) «البدر الطالع» (٢/ ١٣٩).

عِلْمُه ومنزلتُه وشيوخُه:

قال عنه الشوكاني: «الإمام الكبير، المجتهد المطلق، صاحب التصانيف»[1]. اهـ.

وقال ـ أيضاً ـ: «وبرع في جميع العلوم، وفاق الأقران، وتفرَّد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهّر بالاجتهاد، وعَمِلَ بالأدلة، ونَفَرَ عن التقليد، وزيّف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية، وجرت له مع أهل عصره خطوبٌ ومحن»[2]. اهـ.

أخذ العلم عن علماء صنعاء، ومنهم: السيد العلامة زيد بن محمد بن الحسن، والسيد العلاَّمة صلاح بن الحسين الأخفش، والسيد العلامة عبد الله بن علي الوزير، والقاضي العلامة علي بن محمد العنسي.

ورحل إلى مكة، وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلى علماء المدينة.

تلاميذه:

للإمام الصنعاني رحمه الله تلامذة نبلاء، وهم علماء مجتهدون، منهم: السيد العلامة عبد القادر بن أحمد (شيخ الشوكاني)، والقاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن، والقاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، والسيد العلامة الحسن بن إسحاق بن المهدي، والسيد العلامة محمد بن إسحاق بن المهدي.

المِحَن التي تعرَّض لها:

جرت له مع أهل عصره خطوب ومحن، منها: في أيام المتوكل على

---

(١) «البدر الطالع» (٢/ ١٣٣).

(٢) المصدر السابق.

الله، القاسم بن الحسين، ثم في أيام ولده الإمام المنصور بالله، الحسين بن القاسم، ثم في أيام ولده الإمام المهدي، العباس بن الحسين.

وتجمّع العوام لقتله مرةً بعد أخرى، وحفظه الله من كيدهم ومكرهم، وكفاه شرَّهم، وولاه الإمام المنصور بالله الخطابةَ بجامع صنعاء، فاستمر كذلك إلى أيام ولده الإمام المهدي.

مصنفاته:

قال الزِّرِكْلِيُّ: «له نحو مائة مؤلَّف، وذكر صِدّيق حسن خان، أن أكثرها عنده (في الهند)»[١]. اهـ.

وهذا ذكر أهمها، مرتبةً على حروف الهجاء:

١ ـ إجابة السائل في شرح بغية الآمل.

٢ ـ الإدراك لضعف أدلة التنباك.

٣ ـ إرشاد النّقاد إلى تيسير الاجتهاد (مطبوع بتحقيق شيخنا صلاح الدين مقبول حفظه الله).

٤ ـ إسبال المطر على قصب السكر.

٥ ـ استيفاء الاستدلال في تحريم الإسبال على الرجال (وهو رسالتنا هذه).

٦ ـ إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة.

٧ ـ تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (مطبوع).

٨ ـ تفسير القرآن.

٩ ـ التنوير في شرح الجامع الصغير[٢] (للسيوطي) (مطبوع).

---

(١) «الأعلام» (٦/٣٨).

(٢) قال الشوكاني: «في أربعة مجلدات، شرحه قبل أن يقف على شرح المُنَاوي». اهـ. «البدر الطالع» (٢/١٣٧، ١٣٨).

١٠ـ توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار (مطبوع. والتنقيح في علوم الحديث، للسيد الإمام محمد بن إبراهيم الوزير).

١١ـ ثمرات النظر في علم الأثر.

١٢ـ جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت.

١٣ـ الحراسة عن مخالفة المشروع من السياسة.

١٤ـ ديوان شعر[١].

١٥ـ الرد على من قال بوحدة الوجود.

١٦ـ رسالة في حالة الأولياء.

١٧ـ الروض النضير (في الخُطَب).

١٨ـ سبل السلام شرح بلوغ المرام (مطبوع مرات كثيرة، وقد اختصره من «البدر التمام» للمغربي).

١٩ـ شرح التحفة العلوية.

٢٠ـ العُدَّة في شرح العمدة (مطبوع. والعمدة لابن دقيق العيد).

٢١ـ فتح المخالق والدقائق.

٢٢ـ محو الحوبة في شرح أبيات التوبة.

٢٣ـ المسائل المرضيّة في بيان اتفاق أهل السنَّة والزيدية[٢].

٢٤ـ منحة الغفار على ضوء النهار (ضوء النهار للجلال حسن بن أحمد).

---

(١) قال الشوكاني: «وله شعر فصيح منسجم، جمعه ولده العلامة عبد الله في أربع مجلدات، وغالبه في المباحث العلمية، والتوجع من أبناء عصره والردود عليهم». اهـ. «البدر الطالع» (٢/ ١٣٨).

(٢) قال الزركلي: «مخطوط في مكتبة عبيد بدمشق، مع رد عليه باسم: السيوف المنضية على زخارف المسائل المرضية». اهـ. «الأعلام» (٦/ ٣٨).

٢٥ـ منظومة الكافل لابن مهران في الأصول، وشرحها شرحاً مفيداً.

٢٦ـ اليواقيت في المواقيت[١].

وفـاتـه:

توفي الإمام الصنعاني رحمه الله سنة (١١٨٢هـ)، في يوم الثلاثاء، ثالث شهر شعبان. وقد رثاه شعراء العصر وتأسفوا عليه، رحمه الله رحمةً واسعةً، وأسكنه فسيح جناته.



(١) قال الزركلي: «مخطوط في مكتبة عمر سميط بتريم». اهـ. «الأعلام» (٦/ ٣٨).

وصف النسخة المعتمدة للمخطوط

اعتمدت في تحقيقي لهذه الرسالة اللطيفة، على نسخة من المكتبة المحمودية بالمدينة النبوية، ضمن مجموعة رسائل للصنعاني برقم (٢٨٣).

وهي منقولة من خط مصنفها، ومقابلة على أصله.

وتقع المخطوطة في (٧) ورقات، عدد الأسطر فيها (٣٢) سطراً.

وقد أحضر لي هذه المخطوطة الأخ الكريم، الشيخ المفضال، محمد بن ناصر العجمي، جزاه الله خير ما يجازي به عباده الصالحين.



استيفا الاقوال في بيان تحريم
اسبال الثياب على الرجال تأليف
العلامة البدر محمد بن اسمعيل
الامير رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اسبل على الانام ستره، وعرفهم على لسان رسوله المختار صلى الله عليه وآله وسلم نهيه وامره، والصلوة والسلام على الشفيع في يوم يكشف عن ساق، وعلى آله الذين ليس بينهم وبين القران حتى يردا الحوض افتراق. وبعد فانه ورد سوال عن احاديث الاسبال والاسبال اي اسبال الازار، وما ورد فيه من الوعيد بالنار وكيف امر صلى الله عليه وآله وسلم من صلى مسبلاً باعادة وضوئه مرتين بالتكرار، فاجبت بجواب فيه كفاية واختصار، من غير مراجعة لما في بطون الاسفار لما قاله في ذلك الائمة الكبار. ثم رايت بسط الجواب واستيفا الاقوال وسميته استيفا الاقوال في تحريم الاسبال على الرجال. فاقول

اخرج مسلم في الصحيح والبيهقي في السنن الكبرى من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال مررت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي ازاري استرخا فقال يا عبد الله ارفع ازارك فرفعته ثم قال زد فزدت فما زلت اتحراها بعد فقال بعض القوم الى اين قال انصاف الساقين. واخرج البيهقي منها ايضا عن العلا بن عبد الرحمن عن ابيه قال سالت ابا سعيد عن الازار فقال اخبرك بعلم سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ازرة المومن الى نصف الساقين ولا جناح فيما بينه وبين الكعبين

صورة الصفحة الأولى من المخطوط ويظهر فيها العنوان

في الفضائل ولا يتأسى به صلى الله عليه وآله وسلم في ترك المحرمات ما ذكر إلا
أنه ارتضى أن أراه غير عالم بالتحريم فيفعلها وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
إياكم والإسبال فإن الإسبال من المخيلة ولو جاز لغير المخيلة لما جاز
أن يطلق صلى الله عليه وآله وسلم النهي فإن المقام مقام بيان ولا
يجوز تأخيره عن وقت الحاجة وأي حاجة أشد من
مقام النهي والله أعلم وإلى هنا انتهى بنا ما أردنا
تحريره وإبانة المقام وإيضاحه والله
يرزقنا اتباع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
تمّ الرسالة

بلغ مقابلة على أصله

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

لِقَاءُ ٱلعَشْرِ ٱلأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ
(٤١)

اسْتِيفَاءُ الاسْتِدْلَالِ

فِي تَحْرِيمِ الأَسْبَالِ عَلَى الرِّجَالِ

لِلْعَلَّامَةِ ٱلإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ٱلأَمِيرِ ٱلصَّنْعَانِيِّ
(١١٠٧ - ١١٨٢هـ)

تَحقِيق
عبد الرؤوف بن محمَّد الكمالي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسبل على الأنام سترَه، وعرَّفهم على لسان رسوله المختار صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهيَه وأمرَه، والصلاة والسلام على الشفيع في يومٍ يُكشَف عن ساق، وعلى آله الذين ليس بينهم وبين القرآن ــ حتى يرد الحوضَ ــ افتراق.

وبعد:

فقد ورد سؤال عن حديث السدل والإسبال، أي إسبال الإزار، وما ورد فيه من الوعيد بالنار، وكيف أَمر صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَن صلى مُسْبِلاً بإعادة وضوئه مرتين بالتكرار[1].

فأَجبتُ بجوابٍ فيه كفايةٌ واختصار، مِن غير مراجعةٍ لِمَا في بطون الأسفار، لِمَا قاله في ذلك الأئمةُ الكبار. ثم رأيت بسط الجواب واستيفاء الأقوال، وسمَّيته: **«استيفاء الاستدلال، في تحريم الإسبال على الرجال»**.

فأقول:

أخرج مسلم في «الصحيح» والبيهقي في «السنن الكبرى»[2]، من

(١) سيأتي الحديث وتخريجه، وأنه ضعيف لا يثبت، في (ص ٢٤، ٢٥).

(٢) «صحيح مسلم» (٣/ ١٦٥٣)، و «سنن البيهقي» (٢/ ٢٤٤)، واللفظ له.

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: «مررت على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفي إزاري استرخاء، فقال: يا عبد الله، ارفع إزارك. فرفعته، فقال: زِدْ، فزدت، فما زلت أتحرَّى بعدُ، فقال بعض القوم: أين؟ قال: نصف الساقين»[1].

وأخرج البيهقي ـ فيها أيضاً[2] ـ عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه قال: سألت أبا سعيد[3] عن الإزار، فقال: أُخْبِرُكَ بعِلْمٍ؟ سمعت من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «إزرة المؤمن إلى نصف الساقين، ولا جناح فيما بينه وبين الكعبين، فما أسفل من ذلك ففي النار، لا ينظر الله إلى مَن جَرَّ إزاره بَطَراً».

وقد دلَّت الأحاديث على أنَّ ما تحت الكعبين في النار، وهو يفيد التحريم. ودلَّ على أنَّ من جَرَّ إزاره خُيَلاءَ لا ينظر الله إليه، وهو دالٌّ على التحريم، وعلى أن عقوبةَ الخُيَلاء عقوبةٌ خاصة في عدم نظر الله إليه، وهو مما يبطل القول بأنه لا يحرم إلَّا إذا كان للخيلاء، كما يأتي بسطُه وردُّه.

وأخرج البيهقي في «السنن»[4] ـ أيضاً ـ من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ما كان أسفل

---

(١) هذا لفظ البيهقي، غير أنه قال: «أنصاف الساقين». وأما لفظ مسلم: «إلى أين؟ فقال: أنصاف الساقين».

(٢) «سنن البيهقي» (٢/ ٢٤٤). وقد سبق تخريجه في (ص ٩).

(٣) أي: الخدري، كما هو في «البيهقي».

(٤) (٢/ ٢٤٤).

من الكعبين من الإزار ففي النار»(1).

وفي لفظ: «ما تحت الكعبين من الإزار ففي النار»، رواه البخاري في الصحيح(2).

وأخرج ـ أيضاً(3) ـ من حديث يزيد بن أبي سُمَيَّة، قال: سمعت ابن عمر يقول: «ما قاله رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الإزار فهو في القميص»(4).

---

(1) ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١٠/ ٢٥٧) أنه لا مانع من حمل الحديث على ظاهره، وأنه كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وأن الذي يتعاطى المعصيةَ [أي: المسبل نفسُه] أحقُّ بذلك.

(2) ليس هذا اللفظ في البخاري، وإنما هو عنده بنحو لفظ البيهقي. وأما لفظ: «ما تحت الكعبين» فهو عند النسائي (٨/ ٢٠٧) (٥٣٣٠)، وقد اختُلِف في إسناده على محمد بن إبراهيم، كما في «تهذيب التهذيب» (٩/ ١٩) لابن حجر.

(3) أي البيهقي في «سننه» (٢/ ٢٤٤) من طريق أبي داود الذي أخرجه ـ أيضاً ـ في «سننه» (٤٠٩٥)، وإسناده حسن. وقد ثبت مرفوعاً بأشمل منه، كما سيأتي في (ص ٣٠).

(4) قال النووي رحمه الله: «وذكر إسبال الإزار وحده؛ لأنه كان عامَّةَ لباسهم، وحكمُ غيره من القميص وغيرِه حكمُه». وانظر: «طرح التثريب» لولي الدين العراقي (٨/ ١٧٢)، و «فتح الباري» (١٠/ ٢٦٢)، ونقله عن الطبري.
قال النووي: «قلت: وقد جاء ذلك مبيَّناً منصوصاً عليه من كلام رسول الله ﷺ...». اهـ. وذكر حديث ابن عمر: «الإسبال في الإزار والقميص والعمامة». وسيأتي تخريجه إن شاء الله في (ص ٣٠).

قلت: سيأتي رفعه بزيادة.

وأخرج أبو داود والبيهقي[1] ــ أيضاً ــ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما رجل يصلِّي مسبلاً إزاره، فقال له النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «اذهب فتوضأ»، ثم جاء فقال له: «اذهب فتوضأ»، فقال له رجل: يا رسول الله، أمرته أن يتوضأ، ثم سكتَّ عنه؟ فقال: «إنه كان يصلي وهو مسبلٌ إزاره، وإن الله لا يقبل صلاةَ رجلٍ

= قال ابن بطال: «هذا قياس صحيح لو لم يأت النَّص بالثوب؛ فإنه يشمل جميع ذلك». اهـ. «فتح الباري» (١٠/ ٢٦٢).

ويعني النَّص بالثوب: ما سيذكره المصنف (في ص ٣١) من حديث ابن عمر عند الشيخين بلفظ: «من جرَّ ثوبه خيلاء...».

قال ولي الدين العراقي في «طرح التثريب» (٨/ ١٧١): «يدخل في قوله: «ثوبَه» الإزارُ والرداء والقميص، والسراويل، والجُبَّةُ والقَبَاءُ [وهو ثوب يُلبس فوق الثياب، أو القميص ويُتمنطق عليه. «المعجم الوسيط» (٢/ ٧١٣)]، ونحوُ ذلك مما يسمى ثوباً». وكذا ذكر العيني في «عمدة القاري» (١٨/ ٤)، والزرقاني في «شرح الموطإ» (٤/ ٢٧٢).

وفي «صحيح البخاري» (١٠/ ٢٥٨) ــ بعد ذكر رواية الثوب ــ: «عن شعبة، قلت لمحارب: أَذَكَرَ الإزار؟ قال: ما خَصَّ إزاراً ولا قميصاً».

فعلى مقتضى فقه هؤلاء العلماء الأعلام، يكون معنى قوله ﷺ: «الإسبال في الإزار والقميص والعمامة»: أي الإسبال يتحقق في جميع هذه الأشياء، كما قال السندي في «حاشيته على النسائي» (٨/ ٢٠٨)، أي: كأنه أراد دفعَ توهم حصر الإسبال في الإزار، ولم يُرِدْ حصرَ الإسبال في هذه الثلاثة، فيدخل إذاً في الإسبال العباءة ونحوُها، والله تعالى أعلم.

(١) «سنن أبي داود» (٦٣٨) (٤٠٨٦)، و «سنن البيهقي» (٢/ ٢٤١، ٢٤٢).

مسبلٍ إزارَه». قال النووي: إنه على شرط مسلم[١].

قلت: وقال الحافظ المنذري في «مختصر سنن أبـي داود»[٢]: «في إسناده: أبو جعفر، رجل من أهل المدينة لا يُعرَف اسمُه»، انتهى.

قلت: وقال ابن رِسْلان في «شرح السنن»: «اسم أبـي جعفر هذا: كثير بن جُمْهان السلمي[٣]، أو: راشد بن كَيْسان»، انتهى.

وفـي «التقـريـب»[٤] مـا لفظـه: «كثيـر بـن جُمْهـان السُّلَمـي، أبو جعفر، مقبول». وفيه[٥]: «راشد بن كَيْسان العَبْسي، بالموحّدة، أبو فَزارةَ الكوفي، ثقة، من الخامسة»، انتهى.

وبه يُعْرَفُ عدمُ صحة كلام الحافظ المنذري، في أنَّ أبا جعفر مجهول، بل قد تردد بين ثقتين[٦]، ولكنِ الذي أخرج له مسلم هو راشد بن كَيْسان، ولم يخرج مسلم لكثير بن جُمْهان، إنما أخرج له أصحاب السنن الأربع.

فقـول النـووي: إنَّ الحـديـث علـى شـرط مسلـم، دالٌّ علـى أنـه

---

(١) «المجموع» (٣/ ١٨٣) ــ ط مكتبة الإرشاد ــ جُدَّة.

(٢) (١/ ٣٢٤).

(٣) في الأصل: «جُهْمان»، والتصويب من «تقريب التهذيب» (ص ٤٥٩)، و «الكاشف» للذهبـي (٣/ ٣).

(٤) (ص ٤٥٩).

(٥) «تقريب التهذيب» (ص ٢٠٤).

(٦) ليس هذا بصواب؛ فإن كثير بن جُمْهان، قال عنه في «التقريب»: «مقبول»، أي إذا توبع، وإلاَّ فهو ليِّن الحديث، فهذا ليس بتوثيق، بل هو تضعيف.
ثم إنه لم يتابع على هذا الحديث، فهو ضعيف. وقد ضعَّف الحديث الشيخ الألباني رحمه الله في «ضعيف أبـي داود» (١٢٤).

راشد بن كَيْسان، لكن كنيته أبو فَزارةَ لا أبو جعفر. فالمتعين أنه كثير بن جُمْهان، ولا وجه لقول ابن رِسْلان: «أو: راشد بن كَيْسان»؛ إذ ذلك كنيته أبو فزارة، والمروي عنه في السنن: أبو جعفر.

وأخرج أبو داود[1] وغيره، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «مَن أسبل إزاره في صلاته خُيلاءَ، فليس من الله في حِلٍّ ولا حرام».

قال النووي: «معناه: قد برىء من الله وفارق دينه»[2].

وأخرج أبو داود والبيهقي[3] ــ أيضاً ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه:

---

(١) «سنن أبي داود» (٦٣٧). وقد أخرجه من طريق الطيالسي الذي أخرجه ــ أيضاً ــ في «مسنده» (٣٥١). وقال أبو داود ــ بعد إخراجه ــ: «روى هذا جماعة عن عاصم موقوفاً على ابن مسعود، منهم: حماد بن سلمة وحماد بن زيد وأبو الأحوص وأبو معاوية». قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تحقيقه «للمحلى» (٤/ ٧٤): «وهذا إسناد صحيح، ولا يضره وَقْفُ مَن وقَفه؛ فرفعه زيادة ثقة وهي مقبولة». اهـ. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٥٩٥).
وقال الحافظ في «فتح الباري» (١٠/ ٢٥٧) ــ بعد أن عزاه للطبراني بسند حسن موقوفاً على ابن مسعود ــ: «ومثل هذا لا يقال بالرأي». اهـ.

(٢) إنما ذكر النووي رحمه الله تعالى ما قيل في تفسير هذه الجملة، فقال في «المجموع» (٣/ ١٨٢): «قيل: معناه: لا يؤمن بحلال الله تعالى وحرامه. وقيل: معناه ليس من الله في شيء، أي ليس من دين الله في شيء، ومعناه: قد برىء من الله تعالى وفارق دينه». اهـ. فكأنه فسَّر القول الثاني في معنى هذه الجملة.
والذي يظهر: أن الحديث خرج مخرج الوعيد ولا يراد به ظاهرُه مِن أنه ليس من الدين في شيء كما فُسِّر، بل فاعل ذلك بعيدٌ عن رحمة الله وكرمه، متعرِّض لعذابه وسخطه، والله أعلم.

(٣) «سنن أبي داود» (٦٤٣)، و «سنن البيهقي» (٢/ ٢٤٢)، كما أخرجه الحاكم =

«أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن السَّدْل في الصلاة»[1].

وأخرج البيهقي[2] ـ أيضاً ـ عن أبي عطية الوادعي: «أنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرّ برجل قد سدل ثوبه [في الصلاة][3]، فأخذ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثوبه فعطفه في الصلاة عليه». وهو وإن كان منقطعاً[4]، فقد أخرجه البيهقي[5] من حديث أبي جُحَيْفَةَ موصولاً، قال: «مرّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برجل قد سدل ثوبه في الصلاة[6]، فعطفه»، وهو وإن كان فيه حفص بن أبي داود[7] ـ وقد ضُعِّفَ[8] ـ فإنه يَعْضُدُه ما سلف[9].

= في «المستدرك» (١/٣٥٣) وصححه.

(١) سيأتي بيانُ معنى السدل في كلام المصنف رحمه الله مفصَّلاً، في (ص ٣٤).

(٢) «سنن البيهقي» (٢/٢٤٣).

(٣) الزيادة ما بين المعقوفين من البيهقي.

(٤) كما قاله البيهقي رحمه الله بعد إخراجه للحديث؛ وذلك لأن أبا عطيةَ الوادعي تابعي، فروايته مرسلة. كما أن في الإسناد رجلاً لم يُسَمّ.

(٥) «سنن البيهقي» (٢/٢٤٣).

(٦) الذي في البيهقي: «برجل يصلي قد سدل ثوبه، فعطفه عليه».

(٧) في الأصل: «حفص بن أبي رواد»، وهو خطأ، والتصويب من «سنن البيهقي» (٢/٢٤٣)، و «ميزان الاعتدال» (١/٥٥٨)، و «تقريب التهذيب» (ص ١٧٢). وهو حفص بن سليمان الأسدي القارىء.

(٨) بل قال عنه في «تقريب التهذيب» (ص ١٧٢): «متروك الحديث مع إمامته في القراءة». اهـ.

(٩) وقال البيهقي بعد تضعيفه لحفص: «وقد كتبناه من حديث إبراهيم بن طَهْمان عن الهيثم، فإنْ كان محفوظاً فهو أحسن من رواية حفصٍ القاري». اهـ. =

وأخرج البخاري[1] وغيره، من حديث ابن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «بينما رجلٌ ممَّن كان قبلكم[2] يجرّ إزاره مِن الخيلاء، خُسِفَ به، فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرض إلى يوم القيامة».

الجَلْجَلَةُ: بالجيمين واللاَّمَين، صَوْتٌ مع حركة. والمراد: أنه يسوخ في الأرض، أي: يغوص فيها.

وفي لفظ الترمذي[3] ـ مِن حديث ابن عَمروِ بنِ العاص ـ: «يَتَلَجْلَجُ»، وهو من التَّلَجْلُج: التردُّد، فكأنه قال: يَتَرَدَّدُ في تُخوم[4] الأرض.

= «سنن البيهقي» (٢/ ٢٤٣). وإبراهيم بن طَهْمان، قال عنه في «تقريب التهذيب» (ص ٩٠): «ثقةٌ يُغرب». اهـ.

فالحاصل أن للحديث ثلاثةَ طرق: أحدها: مرسل وفيه مبهَم. والثاني: ضعيف جدّاً، وهو الذي فيه حفص بن أبـي داود؛ لأنه متروك الحديث. والثالث: مشكوك في صحة وجهه. فيبقى الحديث ضعيفاً، والله أعلم.

(١) «صحيح البخاري» (٦/ ٥١٥) (١٠/ ٢٥٨).

(٢) ليس في رواية البخاري عن ابن عمر، قولُه: «ممن كان قبلكم»، وإنما ثبت من حديث أبـي هريرة رضي الله عنه، عند مسلم في رواية (٣/ ١٦٥٤).

(٣) «سنن الترمذي» (٢٤٩١)، والرواية فيه على الشك: «فهو يتجلجل فيها» أو قال: «يتلجلج فيها». وفي إسناده عطاء بن السائب، صدوق اختلط، كما في «تقريب التهذيب» (ص ٣٩١)، فالإسناد ضعيف.

(٤) التخوم: جمع «تَخْم»، وهو حدّ الأرض. أي ما يَفصل بين الأرَضينَ من المعالم والحدود. انظر: «المصباح المنير» (١/ ٧٣)، و «القاموس المحيط» (ص ١٣٩٩). وكأن المصنف رحمه الله أراد بقوله: «في تخوم الأرض»، أي: في بطونها، وهو لا يتطابق مع معنى «تخوم»، والله أعلم.

ولمسلم[1]: أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه رأى رجلاً يَجُرُّ إزاره، فجعل يضرب برجله الأرض[2] وهو يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إن الله لا ينظر إلى مَن جَرَّ[3] إزاره بَطَراً».

وأخرج الشيخان وأبو داود والترمذي[4]، من حديث ابن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَن جَرَّ ثوبه خُيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة»، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن إزاري يسترخي إلاَّ أن أتعاهده. فقال له رسول الله: «إنك لست ممن يفعله خيلاء».

وأخرج مسلم[5]، عن ابن عمر رضي الله عنه، أنه رأى رجلاً يجرّ إزاره، فقال له: مِمّن أنت؟ فانتسب له. فإذا رجلٌ من بني ليث يَعْرفه ابن عمر، فقال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ــ بِأُذُنَيَّ

(١) «صحيح مسلم» (٣/ ١٦٥٣). كما أخرجه البخاري (١٠/ ٢٥٨).

(٢) تتمة الرواية ــ كما هي في مسلم ــ : «وهو [أي الرجل] أمير على البحرين، وهو يقول: جاء الأمير، جاء الأمير، [في «جامع الأصول» لابن الأثير (١٠/ ٢٤٧) زيادة: فقال له:] قال رسول الله ﷺ: . . .».

(٣) في مسلم: «يجرّ» بالمضارع.

(٤) «صحيح البخاري» (٧/ ١٩) (١٠/ ٢٥٤)، و «صحيح مسلم» (٣/ ١٦٥٢)، و «سنن أبي داود» (٤٠٨٥)، و «سنن الترمذي» (١٧٣١)، وليس عند مسلم والترمذي سؤال أبي بكر رضي الله عنه.

كما أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٤٧)، والنسائي في «سننه» (٨/ ٢٠٨) (٥٣٣٥)، وفيهما سؤال أبي بكر.

(٥) «صحيح مسلم» (٣/ ١٦٥٢).

هاتَيْنِ ـ يقول: «من جَرَّ إزاره لا يريد بذلك إلاَّ المخِيلة[1]، فإن الله لا ينظر إليه يوم القيامة».

وفي رواية لأبي داود والنسائي[2]، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «الإسبال في الإزار والقميص والعِمامة. مَن جرّ شيئاً منها خيلاءَ، لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

وقد قدَّمْناه بأقلَّ مِن هذا موقوفاً على ابن عُمر، والذي رفعه: عبد العزيز ابن أبي رَوّاد[3]، مختلَفٌ فيه، قال فيه ابن حجر: «إنه عابد صدوق، ربما وهم، ورُمِيَ بالإرجاء»[4].

قلت: بعد الحكم بكونه صدوقاً، لا يضرنا ما رُمِيَ به.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «المخِيلة: بوزن عَظيمة، وهي بمعنى الخيلاء، وهو التكبر». «فتح الباري» (١٠/ ٢٥٣). وكذا ضبطه العيني في «عمدة القاري» (١٨/ ٩). وقال ابن التين: هي بوزن مَفْعَلَة، مِن: اختال، إذا تكبر». اهـ. «فتح الباري» (١٠/ ٢٥٣)، وكذا ضبطه ابن الأثير في «جامع الأصول» (١١/ ٢٥٩).

(٢) «سنن أبي داود» (٤٠٩٤)، و «سنن النسائي» (٨/ ٢٠٨) (٥٣٣٤). كما أخرجه ابن ماجه (٣٥٧٦)، والطبراني (١٣٢٠٩)، وصححه النووي في «المجموع» (٣/ ١٨٤)، و «شرح مسلم» (١٤/ ٦٢)، وأقرَّه ولي الدين العراقي (وَلد الحافظ العراقي) في «طرح التثريب» (٨/ ١٧٢)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٣٤٥٠).

(٣) يرويه عبد العزيز هذا، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه [ابن عمر]، عن النبي ﷺ به.

(٤) «تقريب التهذيب» (ص ٣٥٧). وقال عنه الذهبي في الكاشف: «ثقة». اهـ. وانظر: «ميزان الاعتدال» (٢/ ٦٢٨، ٦٢٩).

قال السيد محمد بن إبراهيم[1] رحمه الله: «الظاهر أنَّ نافعاً وَقَفَه[2]، ولا يضرّ؛ لأن الصحابـي قد كان يفتي بالحديث غيرَ مرفوع، خصوصاً وقد رفعه الأكثرون»، انتهى.

وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي[3]، من حديث ابن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَن جَرَّ ثوبه خُيلاءَ، لم يَنْظُرِ اللَّهُ إليه يوم القيامة»، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: فكيف تصنع النساء بذُيولِهِنَّ؟ قال: «يرْخِين شِبْراً»، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: إذاً تنكشف أقدامُهن، قال: «فَيُرْخِين ذراعاً لا يَزِدْنَ عليه»[4].

---

(1) هو عز الدين ابن الوزير، أبو عبد الله محمد ابن السيد إبراهيم الوزير، الحسني الفاسي الصنعاني، (ت ٨٤٠هـ). وهو من أئمة الزيدية المتقيدين بنصوص الكتاب والسنَّة، قال الشوكاني رحمه الله بعد أن ذكر ترجمته ومؤلفاته: «وهو إذا تكلم في مسألة، لا يحتاج الناظر بعده إلى النظر في غيره، من أي علمٍ كانت... وكلامه لا يشبه كلام أهل عصره ولا كلام مَن بعده، بل هو من نمط كلام ابن حزم وابن تيمية...». اهـ. «البدر الطالع» (٢/ ٩١).

(2) لعله يعني مطلق حديث الوعيد في الإسبال، وإلاَّ فإن حديث: «الإسبال في الإزار والقميص والعِمامة» لم يروه نافعٌ مطلقاً، وإنما رواه سالم عن أبيه مرفوعاً.

(3) «سنن الترمذي» (١٧٣١)، و «سنن النسائي» (٨/ ٢٠٩) (٥٣٣٦)، من طريق نافع عن ابن عمر به. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». اهـ. ولم أجده في «سنن أبـي داود» بهذه الرواية.

(4) وللعلماء أقوال في الحدِّ الذي يُبدَأُ منه الذراعُ المرخَّصُ للمرأة: فقيل: من =

وفي رواية لأبـي داود[1]، قال: «رخَّص رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأمهات المؤمنين في الذَّيْل شبراً، فاسْتَزَدْنَه، فزادهن شبراً، فكُنَّ يُرْسِلْنَ إلينا نذرع لهن ذراعاً».

وأخرج مالك وأبو داود والنسائي[2]، عن أم سلمة رضي الله عنها،

= أول ما يمس الأرض. وهو قول الحافظ العراقي. انظر: «طرح التثريب» (٨/ ١٧٥). وقيل: مِن الحدِّ الممنوع منه الرجال، وهو الكعبان. وهذا قول الحافظ ابن حجر، كما في «فتح الباري» (١٠/ ٢٥٩).
وقيل: من الحد المستحب للرجال، وهو أنصاف الساقين. وهو قول المباركفوري، كما في «تحفة الأحوذي» (٥/ ٤٠٦).
والقولان الأخيران قويّان وظاهران دون الأول؛ لأن سؤال أم سلمة رضي الله عنها كان لمّا سمعت النهي عن جر الإزار، وهو للرجال يمنع من الكعبين، فهذا يقوي قول الحافظ ابن حجر، والتعليل بأن الشبر تنكشف به أقدام النساء يقوي قول المباركفوري، والله تعالى أعلم.

(١) «سنن أبـي داود» (٤١١٩) من طريق زيد العَمّي، عن أبـي الصديق الناجي، عن ابن عمر به. وهذا إسناد ضعيف؛ زيد العَمّي هو زيد الحَوَاري، ضعيف كما في «تقريب التهذيب» (ص ٢٢٣).

(٢) «موطأ مالك» (٢/ ٩١٥)، و «سنن أبـي داود» (٤١١٧)، و «سنن النسائي» (٥٣٣٨) من طريق أبـي بكر بن نافع، عن أبيه، عن صفية بنت أبـي عبيد، عن أم سلمة زوج النبـي ﷺ به. وهذا إسناد حسن، أبو بكر: هو ابن نافع مولى ابن عمر، صدوق كما في «التقريب» (ص ٦٢٤)، ونافع مولى ابن عمر ثقة ثبت كما في «التقريب» (ص ٥٥٩)، وصفية بنت أبـي عبيد: هي زوج ابن عمر، قيل: لها إدراك، وقال العجلي: ثقة، كما في «التقريب» (ص ٧٤٩).

فقالت ــ حين ذكر الإزار ــ : فالمرأة يا رسول الله؟ قال: «تُرْخيه شبراً»، قلت: إذاً ينكشف عنها، قال: «ذراعاً، لا تَزيدُ عليه».

وأخرج البخاري والنسائي[1]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار».

قال ابن الأثير: «معناه: إن ما دون الكعبين مِن قَدَمِ صاحب الإزار المسبل ففي النار؛ عقوبةً له على فعله»[2]. وذكر معنًى آخَر غير ظاهر[3].

وأخرج أحمد ومسلم وأهل السنن الأربع[4]، مِن حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، مرفوعاً: «ثلاثة لا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنَّان الذي لا يعطي شيئاً إلَّا مَنَّهُ[5]،

---

(١) «صحيح البخاري» (١٠/ ٢٥٦)، و «سنن النسائي» (٨/ ٢٠٧) (٥٣٣١).

(٢) «جامع الأصول» (١١/ ٣٣٢).

(٣) حيث قال: «وقيل معناه: أن صنيعَه ذلك وفعلَه الذي فعله في النار، مع أنه معدود ومحسوب من أفعال أهل النار». اهـ. «المصدر السابق».

(٤) «مسند أحمد» (٥/ ١٤٨، ١٥٨، ١٦٢، ١٧٧ ــ ١٧٨)، و «صحيح مسلم» (١/ ١٠٢)، و «سنن أبي داود» (٤٠٨٧)، و «سنن الترمذي» (١٢١١)، و «سنن النسائي» (٥/ ٨١) (٢٥٦٣)، (٧/ ٢٤٥) (٤٤٥٨)، و «سنن ابن ماجه» (٢٢٠٨)، كلهم من طريق أبي زُرْعةَ بن عمرو بن جرير، عن خَرَشَةَ بن الحُرِّ، عن أبي ذرٍّ به.

(٥) هو بهذا اللفظ من رواية سليمان بن مُسْهِر، عن خَرَشَةَ بن الحُرِّ، =

والمنَفِّق سلعته[1] بالحَلِف الكاذب».

وأخرج الطبراني[2] عن ابن عمر رضي الله عنه، مرفوعاً: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: المنَّان عطاءَه، والمسبل إزاره خيلاء، ومدمن الخمر».

إذا عرفت هذا، فههنا لفظان: الإِسْبال والسَّدْل. قال في «النهاية»[3]: «المسبل إزاره: هو الذي يُطَوِّل ثوبه ويرسله إلى الأرض إذا مشى، وإنما يفعل ذلك كِبْراً واختيالاً».

قال: «والسدل: هو أن يلتحفَ بثوبه، ويدخلَ يديه من داخل، فيركعَ ويسجدَ وهو كذلك. وكانت اليهود تفعله، فنُهُوا عن ذلك. وهذا مطَّرِدٌ في القميص وغيره من الثياب.

وقيل: هو أن يضعَ وسط الإزار على رأسه، ويرسلَ طرفيه عن

= عن أبي ذرٍّ به. أخرجه أبو داود (٤٠٨٨).
وفي رواية من طريق سليمان أيضاً: «المنان بما أعطى»، أخرجها أحمد (١٦٨/٥)، والنسائي (٨١/٥) (٢٥٦٤)، (٢٠٨/٨) (٣٥٣٣).
وسليمان بن مُسْهِر: ثقة، كما في «تقريب التهذيب» (ص ٢٥٤)، فالإسناد صحيح.

(١) المنَفِّق: بالتشديد، مِنَ النَّفاق، وهو ضد الكساد. ويقال: نَفَقَتِ السلعةُ فهي نافقة، وأنْفَقْتُها ونفَّقْتُها: إذا جعلتَها نافِقةً. «النهاية» لابن الأثير (٩٨/٥).

(٢) «المعجم الكبير» (١٣٤٤٢). وقد ضعَّفه الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع الصغير» (٢٦٠٤).

(٣) (٣٣٩/٢).

يمينه وشماله، مِن غير أن يجعلهما على كتفيه. ومنه حديث عليّ رضي الله عنه: أنه رأى قوماً وهم يصلّون وقد سدلوا ثيابهم، فقال: كأنهم اليهود»[1]، انتهى.

وبهذا يُعرَف أن تفسير ابن رِسْلان في شرحه للسنن للسدل والإسبال: بأنه إرسال طرفي الرداء ـ وما في معناه من الطَّيْلَسان[2] ونحوه ـ حتى تصيب الأرضَ بذيلها، غير صحيح؛ لأنه بُنِيَ على أنهما مترادفان، وكلام «النهاية» يقضي بتغايرهما، وهو الذي دلَّ عليه صنيعُ البيهقي في «السنن الكبرى»؛ فإنه عقد لكل واحدٍ باباً مستقلاً[3].

ويدلّ له ما في «سنن الترمذي»[4]؛ فإنه قال: «باب ما جاء في كراهية السدل في الصلاة». ثم ذكر بسنده إلى عِسْلِ بنِ سفيان، عن عطاء، عن أبـي هريرة رضي الله عنه: «نهى النبـي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن السدل في الصلاة». قال: «وفي الباب عن أبـي جُحَيْفة». قال

---

(١) «النهاية» (٢/ ٣٥٥).
وأثر علي موقوف، أخرجه عبد الرزاق (١٤٢٣)، والبيهقي (٢/ ٢٤٣)، وإسناده صحيح.

(٢) الطَّيْلَسان والطالسان واحد، وهو فارسي معرب، والجمع: طيالس وطيالسة. وهو ضرب من الأوشحة يُلبَس على الكتف، أو يحيط بالبدن، خالٍ عن التفصيل والخياطة. أو هو ما يعرف في العامية المصرية بالشّال. انظر: «القاموس المحيط» (ص ٧١٤) ـ في: طلس، و «المعجم الوسيط» (١/ ٥٦١، ٥٦٢).

(٣) بوّب البيهقي رحمه الله في «سننه» (٢/ ٢٤١): «باب كراهية إسبال الإزار في الصلاة»، ثم بوَّب (٢/ ٢٤٢): «باب كراهية السدل في الصلاة وتغطية الفم».

(٤) (٢/ ٢١٧).

أبو عيسى: «حديث أبي هريرة لا نعرفه من حديث عطاء [عن أبي هريرة مرفوعاً][1] إلاَّ من حديث عِسْلِ بن سفيان» انتهى.

قلت: عِسْل، بالمهملتين، الأولى مكسورة، والثانية ساكنة، وقيل: مفتوحة. هو أبو قُرَّةَ البصري، ضعيف. قاله في «التقريب»[2].

ثم قال الترمذي: «قال بعضهم: إنما كُرِه السدل إذا لم يكن عليه إلاَّ ثوب واحد، فأما إذا كان عليه قميص فلا بأس. وهو قول أحمد. وكره ابن المبارك السدل في الصلاة»، انتهى[3].

ثم ذكر الترمذي باباً آخَرَ في جرّ الإزار، وذكر فيه حديث ابن عمر[4].

وهكذا أبو داود، جعل لكلٍّ باباً[5].

قال البيهقي[6]: «والسدل: إرسال الرجل ثوبه مِن غير أن يضم جانبيه بين يديه، فإن ضَمّه فليس بسدل».

قال: «ورُوي عن ابن عمر ــ في إحدى الروايتين ــ أنه كرهه. وكرهه مجاهد وإبراهيم النخَعي. ويُذْكر عن جابر بن عبد الله، ثم عن

---

(١) ما بين المعقوفين من «سنن الترمذي» (٢/ ٢١٧).

(٢) (ص ٣٩٠).

(٣) «سنن الترمذي» (٢/ ٢١٨).

(٤) بوَّب الترمذي في «سننه» (٤/ ١٩٥): «باب ما جاء في كراهية جَرِّ الإزار».

(٥) بوَّب أبو داود في «سننه» (١/ ١٧٢): «باب الإسبال في الصلاة»، وبوَّب (١/ ١٧٤): «باب ما جاء في السدل في الصلاة».

(٦) نَقْلاً عن أبي عبيد، وليس هو من كلام البيهقي نفسه.

الحسن وابن سيرين، أنهم لم يَرَوْا به بأساً. وكأنهم إنما رخصوا فيه لمن فعله لغير مخِيلة، وأما من يفعله بطراً فهو منهي عنه»، انتهى[1].

والخُيلاء والمخِيلة، فسَّرهما ابن الأثير بالعُجب والكِبْر[2].

ولْنَعُدْ إلى تحرير المقال في الإسبال، فنقول: ههنا أربع صور: إسبال مع مخِيلة، وبغيرها، في الصلاة، وفي غيرها.

الأول: الإسبال في الصلاة:

قال النووي: «إنه في الصلاة وفي غيرها سواء، فإن كان للخيلاء فهو حرام، وإن كان لغير الخيلاء فهو مكروه»، انتهى[3].

ثم قال: «فأما السدل لغير الخيلاء في الصلاة، فهو خفيف؛ لقوله[4] صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأبـي بكر رضي الله عنه ـ وقد قال: إن إزاري يسترخي، أي: يسقط مِن أحد شِقَّيَّ ـ : «إنك لست منهم» انتهى[5].

---

(١) «سنن البيهقي» (٢/ ٢٤٣).

(٢) انظر: «جامع الأصول» (١١/ ٢٥٩).

(٣) انظر: «المجموع» (٣/ ١٨٢)، ونسب هذا التفصيل لنص الشافعي وللمذهب. وانظر: «شرح مسلم» (٢/ ١١٦) (١٤/ ٦٢، ٦٣). وأكثر العلماء على هذا التفصيل. انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٣/ ٢٤٤)، و «الإنصاف» للمرداوي (١/ ٤٧١، ٤٧٢)، و «طرح التثريب» (٨/ ١٧٣، ١٧٤).

(٤) في الأصل: «فأما السدل في غير الصلاة، فهو حقيق بقوله. . .»، والتصويب من «المجموع».

(٥) «المجموع» (٣/ ١٨٢).

قلت: وكلامه مبنيٌّ على تسليم مقدمتين: الأُولى: حمل المطلق على المقيَّد. والثانية: القول بمفهوم الصفة. وفي المقدمتين نزاع طويل بين أئمة الأصول تأتي الإشارة إليه. ولم يذكر النووي: هل الصلاة صحيحةٌ أوْ لا إذا أسبله فيها خُيلاء؟ وكأنه يقول بصحتها، وغايته أنه صلَّى وهو فاعلٌ محرَّماً، فيكون كالصلاة في الدار المغصوبة، وهي عنده صحيحةٌ وإن كان آثماً[1].

وقال أبو محمد ابن حزم: « (مسألة): ولا تجزىء صلاةُ مَن جرّ ثوبه خُيلاء من الرجال، وأما المرأة فلها أن تسبل ذَيْلَ ما تَلْبَسه ذراعاً، فإن زادت على ذلك عالمةً بالنهي بطلت صلاتُها[2]. وحَقُّ كل ثوب يَلْبَسُهُ الرجل أن يكون إلى الكعبين لا أسفل البتة، فإن أسبله فَزَعاً

(١) جمهور العلماء ــ من الفقهاء وأصحاب الأصول ــ على أن الصلاة في الدار المغصوبة صحيحةٌ لكن مع الإثم؛ لأن النهي لا يعود إلى ذات الفعل ــ الذي هو الصلاة هنا ــ وإنما إلى أمرٍ خارجٍ عنه؛ فهو عاصٍ مِن وجهٍ، متقرِّبٌ مِن وجهٍ آخَر. وهذا قول أبـي حنيفة ومالك والشافعية، وروايةٌ عن أحمد. وفي قولٍ لبعض الشافعية وروايةٍ عن أحمد ــ هي المذهب عند الحنابلة كما في «الإنصاف» (١/ ٤٩١) ــ : أنه لا تصح الصلاة فيها؛ لأن النهي عن الفعل يقتضي فساده مطلقاً؛ لاستحالة اجتماع القربة والمعصية في نظرهم.
انظر: «المغني» لابن قدامة (٢/ ٤٧٦، ٤٧٧)، و «المجموع» للنووي (٣/ ١٦٩)، و «فتح الباري» (١/ ٤٨٤) (٤/ ٣٧٤) وذكر فيه: أن المحققين على ما ذهب إليه الجمهور.

(٢) القول بالبطلان فيه نظر؛ بل هو مرجوح؛ إذ النهي هنا لا يرجع إلى ذات الفعل، وإنما إلى أمر خارجٍ عنه، وهو لا يقتضي الفساد كما هو قول الجمهور والمحققين، وتقدَّم قريباً.

أو نسياناً فلا شيء عليه»[1].

ثم ساق حديث مسلم[2] عن ابن عمر، أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى مَن جرّ ثوبه خُيلاء». قال: «فهذا عمومٌ للسراويل [والإزار] والقميص وسائرِ ما يُلْبَسُ»[3].

ثم ذكر حديث ابن مسعود[4]: «المسبل في الصلاة ليس من الله في حِلٍّ ولا حرام».

وعن ابن عباس رضي الله عنه: «لا ينظر الله إلى مسبل».

وعن مجاهد[5]: «كان يقال: مَن مَسّ إزارُه كعبَه، لم يَقْبَلِ اللَّهُ له صلاةً».

قال: «فهذا مجاهد يحكي ذلك عمّن قبله وليسوا إلاَّ الصحابة؛ لأنه ليس مِن صغار التابعين، بل مِن أوساطهم».

وعن ذَرِّ بن عبد الله الْمُرْهِبي[6] ــ وهو من كبار التابعين[7]ــ

---

(١) «المحلى» (٤/ ٧٣).

(٢) سبق تخريجه في (ص ٢٩).

(٣) «المحلى» (٤/ ٧٣).

(٤) سبق تخريجه في (ص ٢٦)، وهو حديث صحيح.

(٥) هو مجاهد بن جَبْر المكّي، أبو الحجاج المخزومي، مولاهم، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى ــ أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ــ ومائة، وله ثلاث وثمانون. «تقريب التهذيب» (ص ٥٢٠).

(٦) في الأصل: «الموهبـي» بالواو، وهو خطأ، والتصويب من «المحلى» (٤/ ٧٤)، و «تقريب التهذيب» (ص ٢٠٣).

(٧) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تحقيقه «للمحلى» (٤/ ٧٤): «ولم أجد =

قال: «كان يقال: مَن جرّ ثوبه لم يَقْبَلِ اللَّهُ له صلاةً».

قال: «ولا نعلم لمن ذكرنا مخالفاً من الصحابة».

ثم قال: «قال عليٌّ ـ يعني ابن حزم نفسه المؤلف ـ: فمن فعل في صلاته ما حرم عليه فعلُه فلَمْ يُصَلِّ كما أمره الله، فلا صلاة له».

ثم ساق بعض ما قدَّمناه من أحاديث الوعيد على مَن جرَّ ثوبه وأسبله[1].

قلت: وقوله: «فإن أسبله فزَعاً أو نسياناً فلا شيء عليه»، هو إشارةٌ إلى ما أخرجه البخاري والنسائي[2]، من حديث أبي بَكْرَةَ

= ما يؤيد أنّ «ذَرًّا» هذا من التابعين، فلم يَذكر أحدٌ روايته عن صحابي، وإنما روايته عن التابعين، كعبد الله بن شداد، وابن المسيب، وابن أَبْزَى، فما أدري كيف يكون مِن كبارهم؟!». ولهذا فقد ذكر الحافظ في «التقريب» (ص ٢٠٣) أنه من الطبقة السادسة، وهي الطبقة التي عاصرت صغار التابعين، ولم يثبت لهم لقاءُ أحد من الصحابة.

(١) انظر: «المحلى» (٤/ ٧٤، ٧٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٢/ ٥٤٧)، و «سنن النسائي» (٣/ ١٢٧، ١٤٦، ١٥٢) (١٤٦٤) (١٤٩١) (١٥٠٢). وقوله: «فَزِعاً» ليس في حديث أبي بكرة، وإنما جاء في حديث أبي بكرة في رواية للبخاري (١٠/ ٢٥٥): «مستعجلاً»، وللنسائي (١٥٠٢): «من العجلة»، وثبت قوله: «فزِعاً» في عدة أحاديث، منها: حديث أبي موسى عند البخاري (٢/ ٥٤٥)، وحديث أسماء عند مسلم (٢/ ٦٢٥، ٦٢٦): «كَسَفَتِ الشمس على عهد رسول الله ﷺ ففزِع، فأخطأ بدرع حتى أُدرك بردائه بعد ذلك»، قال الحافظ ابن حجر: «يعني أنه أراد لبس ردائه فلبس الدرع من شغل خاطره بذلك. واستُدل به على أن جرّ الثوب لا يذم إلاَّ ممن قصد به الخيلاء». اهـ. «فتح الباري» (٢/ ٥٢٧).

رضي الله عنه: «أنها لمّا كُسفت الشمس، خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فزِعاً يجرّ إزاره».

وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي[1]، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، في قصة سجود السهو، وأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خرج غضبانَ[2] يجرّ إزاره[3].

فدَلّ على أنه عند الفزع ــ ومثله الغضب والنسيان ــ لا يأثم بجرّ إزاره، وذلك لأنه لا بُدَّ مِن قصد الفعل، والفَزِعُ والغضبان والناسي لا قصد لهم أصلاً، بل لا يخطر ببالهم الإسبال، فلا يقال: إن فعله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذلك دليلٌ على أن النهي عن الإسبال للتنزيه، وأنه فَعَلَه لبيان الجواز؛ لأنه لم يكن منه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فعلاً مقصوداً، ولأنه تَقَدَّمَ في أحاديث الوعيدِ: الوعيدُ بالنار، الذي لا يكون إلاَّ على فعلٍ محرَّم.

ثم قال أبو محمد ابن حزم: «وأما المرأة، فلها أن تُسْبِلَ ذيل ما تَلْبَسُ ذراعاً»[4]. واستدل بما قدَّمْناه مِن أحاديث الترخيص لها.

قلت: إلاَّ أنه لا يتم الاستثناءُ الذي قاله إلاَّ إذا صلَّت مع الرجال؛

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ٤٠٥)، و «سنن أبي داود» (١٠١٨)، و «سنن الترمذي» (٣٩٥)، لكن ليس عنده محل الشاهد من جرِّ الرداء.

(٢) في الأصل: «غضباناً»، وهو خطأ؛ لأنه لا ينصرف.

(٣) هو في الرواية ــ عند مسلم وأبي داود ــ : «يجر ردائه». وأما الترمذي فليس عنده هذه الجملة أصلاً.

(٤) «المحلى» (٤/ ٧٣).

للعلة، وهي انكشاف القدم، فيراه مَن يَحْرُمُ عليه رؤيتها، وأما إذا صلت خاليةً في منزلها أو مع نساء مثلها، فالواجب تغطية القدم بلا زيادة، وذلك يتمُّ من دون إسبال[1]؛ كما يدل له قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ لمّا سئل عن المرأة تصلي بدرعٍ وخمارٍ مِن غير إزار ـ قال: «لا بأس إذا كان الدرع سابغاً يغطي ظهور قدميها»، انتهى[2].

فإن قلتَ: إذا كان الثوب طويلاً ولفّه بحزام أو نحوه وصلَّى فيه: أيذهب التحريم؟

قلتُ: نعم؛ لأنه يَصْدُقُ عليه أنه لم يُصَلِّ مسبلاً. ويدل له ما تقدم من حديث ابن عمر رضي الله عنه، وقولِه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم له: «ارفع إزارك» فرفعتُه، فقال: «زِدْ»، فزدته[3]؛ فإنه دليلٌ أنه لفّه عليه، وحديثِ عطفه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الثوبَ الذي صلَّى عليه صاحبه مسبلاً[4].

إنْ قلتَ: قد ذكر الشافعية كراهةَ شَدِّ المصلي وسطه.

---

(١) لا يخلو كلام المصنف هنا ـ رحمه الله ـ مِن نَظَرٍ؛ فإن النبي ﷺ أجاز للمرأة أن تسبل ذراعاً مطلقاً في جميع الأوقات؛ لأنها تَخرج فيراها الرجال، فاحتاجت إلى ستر عورتها. فإذا كان هذا لباسَها طويلاً أصلاً، فكيف تصنع به في الصلاة؟ والرسول ﷺ لم يأمرها بتخصيص ثيابٍ للصلاةِ غيرِ طويلة، فلو كان واجباً لنبَّه عليه، فلمّا لم يحصل، دلّ على أن الترخيص للمرأة مطلق، وهذا واضح إن شاء الله.

(٢) الحديث يدل على أدنى الواجب، وليس فيه المنعُ من الإسبال بالذراع.

(٣) الحديث أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص ٢٢).

(٤) وهو حديث ضعيف، كما سبق تخريجه في (ص ٢٧).

قلتُ: إن تَمَّ لهم دليل ذلك، فهذا الشّدُّ لدفع الإسبال المحرّم فلا تَبْقَى كراهة، بل هو واجب[1]. على أنَّ دليلهم على ذلك، هو حديث: «ولا نكفِتَ ثوباً»[2]، والمراد: لا نكفت ما أُبيح له عدمُ كَفْتِه، لا ما وجب عليه كَفْتُه.

فإنْ قلتَ: إذا صلَّى مَن يرى تحريم الإسبال مطلقاً خلف مسبلٍ جاهلاً[3] للتحريم، أو شافعيٍّ المذهب يَرى أنه لا يَحرم إلاَّ للخيلاء، وأنه معها لا تبطل به الصلاة: هل يصح صلاةُ القائلِ بتحريمِهِ مطلقاً خلفه؟

قلتُ: أما في الصورة الأولى، فالجاهل غير آثمٍ، فتصح الصلاة، ويجب تعريفُه بأنه منهيٌّ عنه. وأما في الصورة الثانية، **فالمسائل الخلافية: الإمامُ**[4] فيها حاكم، فيصح الصلاة. والدليل: حديث: «تُصَلّون، فما صَلُحَ فلكم ولهم، وما فسد فعليهم دونكم»[5]. وفي

---

(١) في حاشية المخطوطة: «قوله: (بل هو واجب)... إلخ؛ بناه على مذهبه من حرمة الإسبال مطلقاً، وهو خلاف مذهب الشافعي».

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٩)، ومسلم (١/ ٣٥٤، ٣٥٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) «جاهلاً»: حالٌ من «مسبل»، فالمسبل الذي هو الإمام هنا، هو الجاهل للتحريم.

(٤) أي: إمامُ الصلاة.

(٥) لفظ الحديث كما رواه البخاري (٢/ ١٨٧) عن أبـي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم، وإن أخطؤوا فلكم وعليهم». وفي رواية لأحمد ـ كما في «فتح الباري» (٢/ ١٨٧) ـ : «فإن =

معناه أحاديثُ الصلاةِ خلف الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، والأمرِ بالصلاة معهم[١].

واعلم أنه لم يُصَرِّحْ ببطلان صلاة المسبِل خُيلاء، إلاَّ ابن حزم رحمه الله[٢]، ودليله نفي القَبول في الأحاديث عن صلاة المسبل[٣].

وقد طرد ابن حزمٍ قاعدة نفي القَبول في جعله دليلاً على عدم

= صَلُّوُا الصلاة لوقتها، وأتِموا الركوع والسجود، فهي لكم ولهم».
قال الحافظ في «الفتح» (٢/١٨٧، ١٨٨): «فهذا يبين أن المراد ما هو أعم من ترك إصابة الوقت. قال ابن المنذر: هذا الحديث يرد على من زعم أن صلاة الإمام إذا فسدت، فسدت صلاة من خلفه». قال: «قوله: (وإن أخطؤوا)، أي: ارتكبوا الخطيئة [أي متعمدين]، ولم يُرِدْ به الخطأ المقابل للعمد؛ لأنه لا إثم فيه». قال: «قوله: (يصلون): أي الأئمة، واللام في قوله: «لكم» للتعليل [أي لأجلكم]. قوله: (فإن أصابوا فلكم)، أي: ثواب صلاتكم». اهـ.

(١) مِن هذه الأحاديث: ما أخرجه مسلم (١/٤٤٨) عن أبـي ذرٍّ رضي الله عنه قال: «قال لي رسول الله ﷺ: كيف أنت إذا كانت عليك أمراءُ يؤخرون الصلاة عن وقتها، أو يميتون الصلاة عن وقتها؟ قال: قلت: فما تأمرني؟ قال: صَلِّ الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل؛ فإنها لك نافلة».

(٢) وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «الاختيارات الفقهية» للبعلي (ص ٧٨): أنه ينبغي أن يكون الذي يجر ثوبه خيلاء في الصلاة، على الخلاف في حكم الصلاة في الثوب المغصوب والمكان المغصوب وفي الحرير؛ وأصح الروايتين عن أحمد عدم الصحة في هذه الثلاثة.

(٣) رُوِيَ لفظ عدم القبول في حديث أبـي هريرة، وهو حديث ضعيف كما تقدم تخريجه في (ص ٢٤).

الصحة، فجزم بعدم صحة صلاة العبد الآبق، فقال: « (مسألة): أيما عبد أبق عن مولاه، فإنها لا تُقْبَلُ له صلاةٌ حتى يرجع، إلاَّ أن يكون أَبَقَ لضرر محرَّم ولا يجد من ينصره عليه، فليس آبقاً حينئذٍ إذا نوى البعد عنه فقط»[1].

ثم استدل بحديث جرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه، أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «إذا أبق العبدُ لا يَقبلُ الله له صلاةً»[2]. قال: «وبهذا يقول أبو هريرة». ثمَّ ساق بإسناده إليه[3] أنه قال: «إذا أبق العبدُ لا تُقبل له صلاة». قال: «وهذا صاحبٌ لا يُعْرَفُ له من الصحابة مخالف»، انتهى.

قلت: قد ذكر ابن دقيق العيد في «شرح العمدة»[4]، في حديث: «لا يقبل الله صلاةَ أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»[5]: «إنه قد استدل جماعةٌ من المتقدمين بانتفاء القَبول على انتفاء الصحة، كما

(١) «المحلى» (٢/ ٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٨٣) بلفظ: «... لَمْ تُقْبَل له صلاة».

(٣) لم يَسُقْهُ ابنُ حزمٍ بإسناده، وإنما نَقَلَهُ نَقْلاً؛ فإنه قال: «رُوِّينا عن محمد ابن المثنى، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، ثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت، قال: سمعت وأنا صبي عن أبي هريرة...». قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في حاشية «المحلى» (٢/ ٦٩): «هذا منقطع كما هو ظاهر؛ ولأن حبيب بن أبي ثابت لم يدرك أبا هريرة». اهـ.

(٤) أي «عمدة الأحكام» للإمام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٠٠هـ)، واسم الشرح: «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» (١/ ١٢).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٢٣٤) (١٢/ ٣٢٩)، ومسلم (١/ ٢٠٤).

فعلوه[1] في قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا يقبل الله صلاة حائض إلاَّ بخمار». قال: «ولا يتم ذلك إلاَّ بأن يكون انتفاء القَبول دليلاً على انتفاء الصحة»[2].

---

(١) في الأصل: «كما نقلوه»، وما أثبتُّه هو الموجود في «شرح العمدة»، ولعله الأصح.

(٢) الذي يجب أن يُتأمَّلَ هنا: أنه لا يَلزم من نَفْيِ القبول نَفْيُ الصحة؛ وذلك لأن **القبول** لغة معناه: الرضى، فيجب أن يُحمل الكلامُ الشرعي ــ في الكتاب والسنَّة ــ عليه، فقبولُ اللَّهِ تعالى للعمل، معناه ــ إذاً ــ رضاه به، وثوابه عليه.

وأما الصحة: فهي مصطلح فقهي، ويُعنى به: تحقق الشروط والأركان في العمل، بحيث يجزىء عن المكلف، أي: لا يُطالَب بأدائه مَرَّةً أخرى، وإن كان قد يكون غير مقبولٍ عند الله تعالى، أي غيرَ مرضِيٍّ عنه ولا مثاب عليه؛ وذلك بسبب اقتران العمل بمعصيةٍ، كصلاة العبد الآبِق وشارب الخمر وآتي العرّاف. وقد يكون العمل غير مقبول ولا صحيح في الوقت نفسه؛ وذلك لفقد شرطٍ أو ركنٍ فيه، كصلاة المحْدِث والمرأةِ مكشوفةَ الرأس، ولا يستلزم ذلك الإثمَ؛ لاحتمال وقوعه بسبب نسيانٍ أو إكراه ونحوهما، وما دام أن العمل غير صحيح، فإنه لا يجزىء صاحبَه، فيطالَب بأدائه مرةً أخرى.

والحاصل: أن عدم الصحة يقتضي عدم الثواب، ولزومَ الإعادة، وأما عدم القبول فيقتضي عدم الثواب، لكن قد يقتضي عدم الصحة وقد لا يقتضيها.

وينظر في هذا كلام الحافظ العراقي في «طرح التثريب» (٢/ ٢١٤، ٢١٥)، فقد أفاد هذا الذي ذكرته، وكلامُهُ في هذا غايةٌ في النَّفاسة والتحقيق، قال رحمه الله في آخره: «فاعتبر ما ذكرتُه تجدْ جميع الأحاديث ماشيةً عليه مِن غير خللٍ ولا اضطراب، والله أعلم». اهـ.

قلتُ: وهذا هو الذي ذهب إليه أبو محمد ابن حزم.

ثم قال ابن دقيق العيد: «وقد حرَّر المتأخرون في هذا بحثاً؛ لأن انتفاء القَبول قد ورد في مواضعَ مع ثبوت الصحة، كالعبد إذا أبق لا يقبل الله له صلاةً، وكما ورد فيمن أتى عرّافاً، وكشارب الخمر».

ثم قال: «إنه إذا قيل: قد دلّ الدليل على أن القَبول من لوازم الصحة، فإذا انتفى انتفت، فيصح الاستدلال بنفي القَبول على نفي الصحة، وتحتاج تلك الأحاديث التي نُفِيَ فيها القَبول مع بقاء الصحة إلى تأويل أو تخريج جواب»، انتهى[1].

قلت: معلومٌ أنَّ حديث أبـي هريرة ــ وهو: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ» ــ لم يُسَقْ إلاَّ لبيان أنه لا صحة لصلاةٍ بلا وضوء، والقول بأنه قد عُلِمَ عدمُ صحة الصلاة إلاَّ بوضوءٍ من أدلة أُخَرَ، لا تدفع الاستدلال بالحديث على نفي الصحة بنفي القَبول؛ فإن الأدلة على الحكم الواحد قد تكون متعددةً من الكتاب والسنَّة والإجماع، وقد تكون متكرِّرةً مِن نوعٍ من هذه الأنواع.

ثم إنا لا نُسَلِّمُ صحة صلاة الآبق ومن ذُكِرَ معه، وأين الدليل على صحتها؟ وقولُهم: الدليل عليه الإجماع بعدم أمر الآبقِ ونحوِه بإعادة الصلاة، ممنوعٌ وقوعُ الإجماع، وهذا ابن حزم وأبو هريرة مخالفان[2]،

(١) «إحكام الأحكام»، لابن دقيق العيد (١/ ١٢، ١٣).

(٢) الأثر عن أبـي هريرة رضي الله عنه، إسناده ضعيف كما تقدم قريباً في (ص ٤٥).

على أنّ الإجماعَ نفسَه ممنوعٌ تَحَقُّقُهُ كما قرَّره الأئمة المحققون في الأصول وغيرها[1].

---

(1) الإجماع نوعان:
١ ــ قطعيٌّ لا ينكر أحدٌ ثبوتَه وكونَه حجةً، وهو ما عُلِمَ مِن الدِّين بالضرورة، كالإجماع على وجوب الصلوات الخمس وتحريم الزنى.
٢ ــ ظنيٌّ الخلافُ في إمكانِ ثبوته وكونِهِ حجةً مشهور، وهو ما لا يُعْلَمُ إلاَّ بالتتبُّع والاستقراء، كالإجماع على حرمة الأكل والشرب في إناء الذهب والفضة، وعدم صحة بيع المعدوم.
وقد أثبت هذا النوع من الإجماع عامَّةُ العلماء، ولم ينكره إلاَّ الشيعةُ والخوارج والنَّظَّام من المعتزلة (وهو إبراهيم بن سيّار النظام). انظر: «العدة في أصول الفقه» للقاضي أبي يعلى (٤/١٠٥٨ ــ ١٠٩٤) ــ بتحقيق الدكتور أحمد بن علي سير المباركي ــ و «الإحكام» للآمدي (١/١٩٦ ــ ٢٢٥) ــ بتحقيق الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله ــ ، و «إرشاد الفحول» (ص ٧٢ ــ ٧٨)، و «الأصول من علم الأصول» للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين (ص ٥٨) ــ ط ١ ــ مكتبة المعارف ــ الرياض.
وذهب ابن حزم ــ كما في كتابه «الإحكام» (ص ٤٩٤ ــ ٥١١) ــ إلى إمكان وحجية إجماع الصحابة فقط، وذلك فيما اشتهر فيهم ولم يقع منهم نكير له؛ لحصر عددهم وقلة الاختلاف، وذلك قبل تفرقهم في الأمصار، ولا يكون إجماعهم إلاَّ عن نَصٍّ، لا عن رأي وقياس.
وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية» (ص ١٧١) مع شرح العلامة محمد خليل هراس ــ مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ــ إلى أن الإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح. وحمل ــ في «المسودة» (ص ٣١٦) ــ إنكار ما ورد عن الإمام أحمد للإجماع على إجماع مَن بعد الصحابة، أو مَن بعد القرون الثلاثة المفضلة. =

فالملازمة بين نفي الصحة ونفي القَبول هي الأصل، والدليل على من ادّعى خلافها. [ولا شيءَ][1] أدل على ذلك مِن أمره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للمسبل بإعادة وضوئه[2]، ثم قولِه معلِّلاً له ذلك: «إن الله لا يقبل صلاةَ مسبلٍ إزاره»، فالأمر بالإعادة دليلٌ على ملازمة عدم القَبول لعدم الصحة، ومن ادعى عدمَ تلازمهما طولب بالدليل على دعواه، على أن الحديث دلَّ على عدم صحة وضوء من صلَّى مسبلاً ولا عذر عن ذلك.

هذا، وقد ذكر ابن العربي المالكي فرقاً بين ما نُفِيَ عنه القَبول مع بقاء الصحة، وما نُفِيَ عنه مع عدمها. وهي فروق مذهبية قد سقناها في حاشيتنا على «شرح العمدة»، وذكرها صاحب «طرح

= **وينبغي أن يقال ــ والله أعلم ــ** : أنه إن اتفق رأي العلماء في مسألة على حكمٍ ــ وذلك بعد البحث والتحري والاستقراء ــ دون معرفة أحدٍ يخالف فيها، فإنه لا يجوز لأحد بعد ذلك خلافُهم، لكن لا يُقال: أجمع العلماء، وإنما يقال: لا يُعلم في المسألة خلاف، حتى تكون العبارة مطابقةً للحقيقة تماماً. وما أحسن ما نقل المرّوذي عن أحمد رحمه الله: «كيف يجوز للرجل أن يقول: أجمعوا؟! إذا سمعتَهم يقولون: أجمَعوا، فاتَّهِمْهُمْ، **لو قال: إني لم أعلم لهم مخالفاً، جاز**». ونقل أبو طالب عنه أنه قال: هذا كذب، ما أَعلَمه أن الناس مُجمِعون؟! ولكن يقول: لا أعلم فيه اختلافاً، فهو أحسن مِن قوله: إجماع الناس». ذكر هذا النقلَ عن أحمد: القاضي أبو يعلى في «العدة في أصول الفقه» (٤/ ١٠٦٠).

(١) ما بين المعقوفين غير واضح في الأصل، والظاهر ما أثبتُّه.

(٢) لكن الحديث ضعيف، كما سبق تخريجه في (ص ٢٤).

التثريب»[1]، وهي مبنيةٌ على تسليم القول بالصحة مع عدم القَبول[2]، وهو محل النزاع.

وأخرج الترمذي[3] من حديث أبي أمامة مرفوعاً: «ثلاثةٌ لا تجاوز صلاتُهم آذانَهم: العبد الآبق حتى يرجع، وامرأةٌ باتت وزوجُها عليها ساخط، وإمامٌ أَمَّ قوماً وهم له كارهون». قال الترمذي: «حسن غريب من هذا الوجه»[4]. وهو مشعرٌ بأنه لا صحة لهذه الصلاة[5]؛ لأنها لا تُرفَع، بل هي باقية في ذمته.

وأخرج ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي[6]، من حديث جابر

---

(١) وهو الإمام الحافظ، زين الدين، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، وانظر: «طرح التثريب» (٢/ ٢١٤، ٢١٥).

(٢) وهذا هو التحقيق الذي يجب أن يُصار إليه، لتجتمعَ الأحاديثُ ويستقيمَ معناها، كما حقَّقه الإمام الحافظ العراقي في «طرح التثريب» (٢/ ٢١٤، ٢١٥).

(٣) «سنن الترمذي» (٣٦٠).

(٤) وصححه النووي في «الخلاصة» كما في «تحفة الأحوذي» (٢/ ٣٤٨).

(٥) بل يقال: لا قبول لهذه الصلاة، أي لا رضى عنها ولا ثوابَ فيها، وإن كانت صحيحةً مجزئةً، بحيث لا تجب إعادتها، والله تعالى أعلم. وانظر: «تحفة الأحوذي» (٢/ ٣٤٧، ٣٤٨).

(٦) «صحيح ابن خزيمة» (٩٤٠)، و «صحيح ابن حبان» (٥٣٥٥) ـ «الإحسان» ـ و «سنن البيهقي» (١/ ٣٨٩).
وإسناده ضعيف، لأن فيه زهير بن محمد، وهو التميمي، رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضُعِّف بسببها، كما في «التقريب» (ص ٢١٧)، وهذا من رواية الشاميين عنه؛ فإن الذي يروي عنه هنا: الوليد بن مسلم الدمشقي. وقد =

رضي الله عنه مرفوعاً: «ثلاثةٌ لا يقبل الله لهم صلاةً، ولا تُرفع لهم إلى السماء حسنةٌ: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه»، الحديث[1].

فهذا الكلام في الطرفين الأَوَّلَيْن: الإسبال في الصلاة لخيلاءَ ولغيرها. وقد عرفتَ أنه عند النووي لا يضر بالصلاة إنْ كان للخيلاء، بل يكون فاعِلَ محرَّمٍ فيها، وأنه يُكْرَه فيها إذا كان لغير خُيلاء، وأنه يُبْطِلها عند ابن حزم إذا كان للخيلاء.

وأما في غير الصلاة:

فقال الإمام المهدي[2] ــ عليه السلام ــ في «البحر»[3]: «ويُكْرَه تطويلُ الثيابِ حتى يُغطيَ الكعبين».

= قال البيهقي بعد إخراجه: «تفرد به زهير هكذا». اهـ. وقال الذهبي في «المهذب»: «هذا من مناكير زهير». اهـ. والحديث قد ضعَّفه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة» (١٠٧٥).

(١) وتَتِمَّته: «فيضعَ يده في أيديهم، والمرأةُ الساخطُ عليها زوجها حتى يرضى، والسكرانُ حتى يَصْحوَ».

(٢) من أئمة الزيدية، وهو: أحمد بن يحيى بن المرتضى، يرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب. قال الشوكاني في «البدر الطالع» (١/ ١٢٢): «الإمام الكبير، المصنف في جميع العلوم». اهـ. وُلد بمدينة ذمار باليمن سنة (٧٧٥هـ). من تصانيفه في الفقه: «الأزهار في فقه الأئمة الأطهار» وشرحه «الغيث المدرار»، وهو عمدة زيدية اليمن. مات بصنعاء سنة (٨٤٠هـ) بالطاعون الكبير الذي مات منه أكثر الأعيان. انظر: «البدر الطالع» (١/ ١٢٢ ــ ١٢٦)، و «معجم المؤلفين» (١/ ٣٢٥).

(٣) (٥/ ٣٦٠، ٣٦١) ــ دار الكتاب الإسلامي ــ القاهرة.

قال عليه المحقِّقُ المقبلي[1] ما لفظه: «هذه المسألة في السُّنَّة نارٌ على عَلَمٍ في منع ما تحت الكعبين، وأنه في النار، وأنَّ الحدَّ وسط الساقين، فإن أَبَيْتَ فإلى الكعبين.

والعَجَبُ من الفقهاء في تهوين أمرها، وكان الواجب أن يُهَوِّلوا ما هوَّلت السُّنَّةُ، ويُهَوِّنوا ما هوَّنته، وهم إنما يلتفتون إلى هذه المسألة أدنى التفات فيما طوَّلوا من المصنفات، وقَلَّ من يَزيدُها على لفظ الكراهة الذي غلب استعمالهم لها في التنزيه دون الحظر، وإنْ زعم زاعمون أنّ إطلاقها أصل في الحظر، فإن المعروف من استقراء كلامهم ما ذكرنا.

وتقييدُ كثيرٍ من الرّوايات بالخيلاء، بيانٌ للحامل على ذلك في الأغلب. وكذلك قولُه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأبي بكر رضي الله عنه ـ وقد قال حين سمع النهي: إني إذا لم أتعاهد إزاري يسترخي ـ: «لستَ مِمّن يفعل ذلك خُيلاء»[2]، أي: لستَ مِمّن يتعمد

(١) من علماء الزيدية باليمن. وهو: صالح بن مهدي بن علي المقبلي (قرية المقبل من أعمال بلاد كوكبان) ثم الصنعاني ثم المكي. وأخذ العلم عن جماعة من أكابر علماء اليمن منهم السيد العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل. من مؤلفاته الفائقة: حاشية «البحر الزخار» في الفقه، و «نجاح الطالب على مختصر ابن الحاجب» في الأصول. توفي بمكة سنة (١١٠٨هـ). انظر: «البدر الطالع» (١/ ٢٨٨ ـ ٢٩٢)، و «معجم المؤلفين» (١/ ٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري، وقد سبق تخريجه في (ص ٢٩).

ذلك. وهذا ما نختاره من العملِ بالمطلق وحَمْلِ المقيد على زيادة في موجِب الحكم، فيكون التحريم عامّاً»، انتهى.

قلت: نِعْمَ ما قال، أي: عامّاً في حال الخيلاء وغيرها[1]. وهو يشير إلى ما نختاره، مِن أنه لا يُحمل المطلق على المقيد، كما يقول بحمله عليه الجمهور، وهو مذهب الشافعي، وإليه يشير كلام النووي، وخالفهم الحنفية[2]، ووافقهم صاحب «المنار»[3].

وقال في «نجاح الطالب»[4]: «المقيَّد إنما هو أحد الأفراد التي

---

(١) القول بتحريم جر الإزار مطلقاً، سواء أكان للخيلاء أم لا، هو روايةٌ عن أحمد، كما في «الإنصاف» للمرداوي (١/ ٤٧٢)، وقول ابن العربي المالكي كما سيذكره المصنف في (ص ٥٦)، واستوجهه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٢٦٤)، واستظهره السندي في «حاشيته على النسائي» (٨/ ٢٠٧).

(٢) لم يختلف العلماء في عدم حمل المطلق على المقيد إن اختلفا في السبب والحكم، أو في الحكم فقط نحو: اُكس يتيماً، وأطعم يتيماً عالماً.
وإن اتفقا في السبب والحكم، فعامة العلماء على الحمل.
وأما إن اختلفا في السبب دون الحكم ـ كإطلاق الرقبة في كفارة الظهار وتقييدها بالإيمان في كفارة القتل ـ فالجمهور على الحمل خلافاً للحنفية وأكثر المالكية. ورجَّح الشوكاني القول بالحمل. انظر: «إرشاد الفحول» (ص ١٦٤ ـ ١٦٦).

(٣) هو العلامة المقبلي الذي سبقت ترجمته قريباً، وكتابه «المنار» هو اسم حاشيته على «البحر الزخار»، واسمه كاملاً: «المنار في المختار من جواهر البحر الزخار»، كما في «معجم المؤلفين» (١/ ٨٣٥).

(٤) أي العلامة المقبلي، وكتابه: «نجاح الطالب على مختصر ابن الحاجب» في الأصول، كما سبق في ترجمته قريباً.

يَصْدُقُ عليها المطلق، والنَّصُّ على فردٍ مِن أفراد العام ليس بتخصيصٍ مع اتفاق الحكمين[1]، فكذا هنا»، انتهى.

وقد بَحَثَ مع أئمة الأصول القائلين بالحمل، بما يظهر به قوةُ ما جَنَحَ إليه، مع أنه قد أشار هنا ــ بقوله: بيان الحامل على ذلك في الأغلب ــ إلى أن قيد الخيلاء خرج مخرج الأغلب، والمقيَّد إذا خرج مخرج الأغلب لم يُعتبر له مفهومٌ عند جمهور أهل الأصول[2]، كما قاله الجمهور في قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ

(١) لكن يجب أن يُنتبه إلى أن الفرد من أفراد العام لا يُعَدُّ تخصيصاً، إن كان هذا الفرد لقباً (والمراد باللقب عند الأصوليين: الاسم الجامد ــ أي غير المشتق ــ من أسماء الذوات ــ سواء أكان علماً كزيد، أم جنساً كغنم ــ أو من أسماء المعاني كالعِلْم، انظر: «إرشاد الفحول» (ص ١٨٢)، و «مذكرة في أصول الفقه» للشنقيطي (ص ٢٣٩)، و «الواضح في أصول الفقه» للدكتور محمد الأشقر (ص ٢٢٦، ٢٢٧)؛ لأن اللقب لا مفهوم له باتفاق عامة الأصوليين، فقولك: «محمد رسول الله»، لا يعني أن عيسى ليس برسول الله، وعليه فلا يُخَصَّصُ بهذا القول قولُك ــ مثلاً ــ : «الأنبياء رسل الله».
فأما إن كان الفرد من أفراد العام صفةً (والمراد بها عند الأصوليين الصفة المعنوية لا النحوية التي هي النعت، فتشمل الحال ونحوه، انظر: «إرشاد الفحول» (ص ١٨٠))، فإن الجمهور على أن له مفهوماً، فيُخَصَّصُ به العام، كما لو قلتَ مثلاً: «أكرم الطلبة». ثم قلت: «أكرم المجتهد من الطلبة»؛ فإن مفهومَه عدمُ إكرامِ غيرِ المجتهد. وانظر: «روضة الناظر» لابن قدامة (٢/ ٧٩٣) ــ بتحقيق الدكتور عبد الكريم النملة ــ مكتبة الرشد.

(٢) انظر: «مختصر ابن الحاجب» (٢/ ١٧٤) ــ مع شرح العلامة العضد ــ و «الفروق» للقرافي (٢/ ٣٨)، و «إرشاد الفحول» (ص ١٨٠).

ٱلَّتِي فِي حُجُورِكُم . . . ﴾[1] الآيـة؛ لأنَّ قيـد ﴿ فِي حُجُورِكُم ﴾ أغلبـيٌّ، فلا يُعملُ بمفهومه، فلا تَحِلُّ الربيبةُ في غير الحجر، فكذلك الإِسبال هنا، لا يَحِلُّ مع عدم الخيلاء.

وفي كلام ابن الأثير ما يشعر بذلك؛ حيث قال: «وإنما يفعل ذلك للخيلاء». ويؤيده: أنَّ في بعض الأحاديث: «وإياك والإسبال؛ فإنه من المخِيلة»[2]، فجعل نفس الإِسبال بعضاً من المخيلة[3].

---

(١) سورة النساء، الآية ٢٣.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٨٤) من حديث أبـي جُرَي: جابر بن سليم، وتتمته: «وإن الله لا يحب المخِيلة». وإسناده حسن؛ فيه أبو غِفار؛ وهو المثنّى بن سعد أو سعيد الطائي، قال عنه في «تقريب التهذيب» (ص ٥١٩): «ليس به بأس». اهـ.
كما أخرجه أحمد (٥/ ٦٤) من طريق أبـي تميمة، عن رجل من قومه. وفي إسناده الحكم بن فضيل، ضعَّفه أبو زرعة والأزدي. ووثَّقه أبو داود وابن حبان، وقال أبو حاتم: ليس به بأس. انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبـي حاتم (٣/ ١٢٧)، و «ذيل الكاشف» لأبـي زُرعة أحمد العراقي (ص ٨٠).
وأخرجه أحمد (٥/ ٦٤) من طريق أبـي تميمة: «أتيت رسول الله . . .». وفيه عبيدة الهجيمي، وهو مجهول، كما في «تقريب التهذيب» (ص ٣٧٩).

(٣) فإن قلت: كيف يكون الإِسبال نفسُه من المخيلة؟
فالجواب: أنه يكون كذلك في أحوال:
١ ــ أن يكون الجارُّ لثوبه غير قابلٍ للنصيحة النبوية ولا مكترثٍ بالتأديب الإلـٰهي.
٢ ــ أن يحتقر المسبلُ ــ ولو بشيء يسير ــ من لا يكون على صفته من =

ثم وجدت ــ بعد ثلاث سنين من تأليف هذه الرسالة ــ في «فتح الباري شرح صحيح البخاري»[1]، ما لفظه: «قال ابن العربي[2]: لا يجوز للرجل مجاوزةُ ثوبِه كعبيه ويقولَ: لا أجرّه خُيلاء؛ لأن النهي قد تناوله لفظاً، ولا يجوز لمن تناوله اللفظ حكماً أن يقول: لا أمتثله لأن تلك العلة ليستْ فِيّ؛ فإنها دعوى غيرُ مسلّمة؛ بل إطالتُه ذيلَه دالٌّ على تكبره» انتهى ملخصاً.

ثم قال ابن حجر: «وحاصله: أن الإسبال يستلزم جَرَّ الثوب، وجرُّ الثوب يستلزم الخيلاءَ ولو لم يقصد اللابسُ الخيلاء. ويؤيده: ما أخرجه أحمد بن مَنِيع[3]، مِن وجهٍ آخرَ عن ابن عمرَ ــ في أثناء حديث رفعه ــ : «وإياكَ وجرّ الإزار؛ فإن جرّ الإزار من المخِيلة. . .».

= الإسبال؛ حيث يراها أحسن وأفضل، هذا كله مع أن العقل الحكيم، والذوق السليم، يقضيان بعدم الإسبال، لأنه أنقى للثوب، وأتقى للربِّ سبحانه، فَدَلَّ ذلك على أنه إنما يُسبل ــ في الغالب ــ للعُجْب والزَّهْوِ اللّذَيْن يختالانِه، ولذا فهو ينتقص من ليس على حاله. وانظر: «طرح التثريب» لولي الدين العراقي (٨/ ١٧٤، ١٧٥).

(١) (١٠/ ٢٦٤).

(٢) انظر: «عارضة الأحوذي» (٧/ ٢٣٨).

(٣) هو: أبو جعفر، أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي، الأصم الحافظ، نزيل بغداد، (ت ٢٤٤هـ). له «المسند». انظر: «تهذيب التهذيب» (١/ ٨٤). وكتابه «المسند» مفقود، وقد جمع ابن حجر أحاديثه الزائدة على الكتب الستة في كتابه «المطالب العالية»، وهو مطبوع. انظر: «معجم المصنفات الواردة في فتح الباري» لمشهور حسن ورائد بن صبري (ص ٣٧٢، ٣٧٣).

وأخرج النسائي وابن ماجه ــ وصحَّحه ابن حبان[1] ــ من حديث المغيرة: «رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آخذاً برداء سفيانَ بنِ سهل[2] وهو يقول: «يا سفيان: لا تسبل؛ إنَّ الله لا يحب المسبلين» انتهى.

وأما حديث أبي بكر رضي الله عنه، فالذي يظهر لي: أنه مِن باب نَفْيِ القيد والمقيَّدِ[3] معاً، وأن مراده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في جوابه عليه: أنك لا تسبل ولا تفعله مَخِيلَةً؛ وذلك أنه قال: إن إزاري يسترخي، وهذا ليس بإسبال؛ فإنه[4] لا بد أن يكون من فعل المسبل نفسه، وهنا نَسَبَ الاسترخاءَ إلى الإزار مِن غير إرادته.

فالجواب منه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من باب نَفْيِ القيد

(١) «السنن الكبرى» للنسائي ــ كما في «تحفة الأشراف» (٨/ ٤٧٣)، و «سنن ابن ماجه» (٣٥٧٤)، وابن حبان (٥٤٤٢) ــ «الإحسان». كما أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥٣)، وفي إسناده شَريك، وهو ابن عبد الله القاضي، وهو يخطىء كثيراً، كما في «تقريب التهذيب» (ص ٢٦٦)، لكن يَشهد له حديث أبي ذرٍّ عند مسلم وغيره في الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم. . .، وذكر منهم: المسبل إزاره، فيكون حديث المغيرة بهذا حسناً لغيره.

(٢) الثقفي، وهو في أكثر مصادر التخريج السابقة: سفيان بن أبي سهيل، وعند النسائي وأحمد (٤/ ٢٥٣): ابن سهل. وقد ذكره في «الإصابة» (٢/ ٥٢) على الاحتمالين.

(٣) القيد: هو الخيلاء، والمقيَّد: هو الإسبال. فنَفَى هنا الأمرين معاً، فلا خيلاء ولا إسبال أصلاً.

(٤) أي الإسبال.

والمقيَّد، وهو نظير ما قاله صاحب «الكشاف» ــ رحمه الله ــ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾[1]: «إنه نَفْيٌ للتوبة والقَبول، أي: لا توبة لهم ولا قبول»[2]. وأنشد البيت المعروف:

ولا يرى الضب بها ينجحر

ويؤيد أنه لا بد من القصد في الإسبال، أنه لا يحرم جرُّه حالَ الفزع والغضب والنسيان كما قدَّمْناه[3]. ولعل هذا الذي أراده صاحب «المنار»، وأشار إليه بقوله في حديث أبـي بكر: إنك[4] لست ممن يتعمد ذلك[5]، وحينئذٍ فحديث أبـي بكر ليس من محل النزاع في وِرْدٍ ولا صدر، إنما تَوَهَّمَ أبو بكر فسأل، فأجيب بأنه ليس من ذلك.

ثم وجدت في «التمهيد»[6] لابن عبد البر ــ بعد أيامٍ مِن كَتْبِ هذه الرسالة ــ ما لفظه: «إنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لأبـي بكر: «إنك لستَ ممن يرضى ذلك ولا يتعمده، ولا يُظَنُّ بك ذلك»، انتهى. وهو بحمد الله صريح فيما قلناه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٠.

(٢) لم أجد هذا النقل في «الكشاف» عند الآية المذكورة، فالله تعالى أعلم. لكن ذكر هذا المعنى أبو حيان في تفسيره «البحر المحيط» (٢/ ٥١٩).

(٣) انظر: (ص ٤٠).

(٤) في الأصل: «إني».

(٥) انظر: (ص ٢٩) من هذه الرسالة.

(٦) (٣/ ٢٤٩).

ويدلّ له: أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أذن لأمهات المؤمنين في إسبال ذيولهن ذراعاً، ولم يقل لأم سلمة رضي الله عنها ــ وقد سألته ــ: إنه ليس من المخِيلة؛ لأنهن قاصدات لذلك، فهو مخيلة أو مظنة لها[1]، لكن عارض مفسدةَ الإسبال مفسدةٌ أعظمُ منها، وهي انكشاف أقدام النساء وهي عورة، فأذن لهن وإن حصلت المخِيلة دفعاً لأعظم المفسدتين بأخفهما، وحينئذٍ يتوجه الوعيد على الإسبال لغير النساء، ولكن تُخَصُّ الإباحةُ بذيولهن لا بقميصهن وثيابِ البِذْلة التي تَلبسُها في منزلها خاليةً عن الأجانب[2].

واعلم أن هذا الذي أشار إليه المنار في خروج المفهوم على الأغلب، تَنَزُّلٌ منه على القول بالمفهوم، وإلاَّ فهو يَنْفيه كما يأتي.

ثم قال في «حاشية المنار»: «ومما وقع لي من اللطف: أنه كان لي عباةٌ، وما يكون من هذا النوع في زماننا عاليةُ الطُّول، فكنت في اليمن ــ لأنه يغلب على المتفقهة لُبْسُ ذلك ــ أشتغل بطولها، فقلت

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ويستفاد من هذا الفهم التعقُّبُ على من قال: إن الأحاديث المطلقة في الزجر عن الإسبال مقيدةٌ بالأحاديث الأخرى المصرحة بمن فعله خيلاء... ووجه التعقب: أنه لو كان كذلك، لما كان في استفسار أم سلمة عن حكم النساء في جر ذيولهن معنى، بل فهمت الزجر عن الإسبال مطلقاً، سواء كان عن مخِيلة أم لا، فسألت عن حكم النساء في ذلك؛ لاحتياجهن إلى الإسبال من أجل ستر العورة؛ لأن جميع قدمها عورة، فبين لها أن حكمهن في ذلك خارج عن حكم الرجال في هذا المعنى فقط». اهـ. «فتح الباري» (١٠/ ٢٥٩).

(٢) وفي هذا التخصيص نظر، بيَّنتُ وجهه في (ص ٤١ ــ ٤٤) من هذه الرسالة.

مرةً: إني لستُ ممن يفعل ذلك خُيلاء، مشيراً إلى حديث أبـي بكر رضي الله عنـه، فقـالـت لـيَ امـرأة: أوَ مـا يكفيـك أن يـراك الله متخلِّقـاً بأخلاقهم؟ فكأنها كشفت عن قلبـي غشاوةً، واستغرَبْتُ ذلك منها، ورأيت أنها مُلَقَّنة» انتهى.

هذا، وقد سبقت بنا الإشارةُ إلى أنه لا يتم حمل المطلق على المقيد كما قاله النووي والبيهقي إلاَّ مع القول بمفهوم الصفة[1]، والقولِ بحمل المطلق على المقيد، وفيهما نزاع كما أشرنا إليه.

فأما الحمل فقدَّمنا الكلام عليه[2].

وأما القول بمفهوم الصفة، فلنذكر كلام الثقات والمتثبِّتين[3] ومَن له ذوقٌ سليمٌ يَعْرِف الصحيحَ من السقيم:

فقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «خيلاء» في حديث: «لا ينظرُ الله إلى من جرّ ثوبه خيلاء»[4]، مفهومه من مفهوم الصفة؛ لاتفاقهم بأنه ليس المرادُ بها النحويةَ، بل كل ما تُقَيَّدُ بها من حال وعلة ونحوهما.

فـذهـب إلـى القـول بمفهـوم الصفـة: الشـافعـيُّ وجمـاعـةٌ مـن

---

(١) مفهوم الصفة: تعليق الحكم على الذات، بأحد الأوصاف، نحو: «في سائمة الغنم زكاة». والمراد بالصفة عند الأصوليين: تقييد لفظ مشترك المعنى بلفظ آخر يختص ببعض معانيه ليس بشرط ولا غاية، ولا يريدون به النعت فقط. «إرشاد الفحول» (ص ١٨٠).

(٢) انظر: (ص ٥٣).

(٣) ما بين المعقوفين غير واضح في الأصل، ولعله ما أثبتُّه.

(٤) سبق تخريجه في (ص ٣٩).

الأئمة[1]، وذهب إلى نَفْيِهِ: الحنفيةُ وأئِمَّة من الشافعية كالقاضي[2] والغزالي، ونفاه المعتزلة والمهدي في «البحر»[3].

واستدل المثبتون بدليلين، كما في «مختصر ابن الحاجب»[4] وغيرِه من كتب الأصول:

الأول: أنه نُقِلَ عن أبـي عُبيدة[5] ـ وهو من أئمة اللغة ـ أنه قال في قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لَيُّ الواجِد يحل عقوبتَه وعِرْضَه»[6]، أنه يدل أنَّ لَيَّ غيرِ الواجد لا يُحِلُّ عرضَه وعقوبته. قال: وفي قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَطْلُ الغني ظُلْمٌ»[7] مثل هذا.

---

(١) كالإمام أحمد والأشعري. انظر: «مختصر ابن الحاجب» (٢/ ١٧٤) ـ مع شرح العضد ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ و «مسلّم الثبوت» لابن عبد الشكور (١/ ٤١٤). وهو قول الجمهور. انظر: «إرشاد الفحول» (ص ١٨٠).

(٢) هو القاضي أبو بكر الباقلاني: محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ).

(٣) انظر: «مختصر ابن الحاجب» (٢/ ١٧٤) ـ مع شرح العضد ـ و «فواتح الرحموت بشرح مسلّم الثبوت» لعبد العلي الأنصاري (١/ ٤١٤)، و «إرشاد الفحول» (ص ١٨٠).

(٤) (٢/ ١٧٤).

(٥) وهو معمر بن المثنى البصري، النحوي العلامة (ت ٢٠٩هـ).

(٦) أخرجه البخاري (٥/ ٦٢) معلَّقاً، بقوله: «ويُذكر عن النبـي ﷺ...». ووصله أحمد (٤/ ٢٢٢، ٣٨٨، ٣٨٩)، وأبو داود (٣٦٢٨)، والنسائي (٧/ ٣١٦) (٤٦٨٩) (٤٦٩٠)، من حديث عمرو بن الشريد الثقفي عن أبيه، قال الحافظ: «وإسناده حسن». اهـ. «فتح الباري» (٥/ ٦٢).

(٧) أخرجه البخاري (٤/ ٤٦٤، ٤٦٦) (٥/ ٦١)، ومسلم (٣/ ١١٩٧) من حديث أبـي هريرة رضي الله عنه.

وأنه قيل له في قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لأَنْ يمتلىء بطنُ أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شِعْراً»[١]، المراد بالشِّعْرِ هنا: الهجاء مطلقاً، أو هجاء النبـي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: لو كان كذلك لم يكن لذكر الامتلاء معنًى؛ لأن قليله وكثيره سواء، فَجَعَلَ الامتلاء من الشِّعْر في قوة الشِّعْر الكثير، ففُهِم منه أن القليل ليس كذلك، فاحتَجَّ به. وقد أَلْزَمَ من تقدير الصفة المفهومَ، فكيف مع التصريح بها؟

قالوا: ولأنه قال بمفهوم الصفةِ الشافعيُّ، وهو وأبو عُبيدة من أئمة اللغة، فظهر إفادتُها لغةً»، انتهى[٢].

وأُجيب عنه: بأن اللغة إنما تثبت بالنقل لا بالفهم، والنقل يختص بالموضوعات للشخص أو للنوع، وليس ذلك أحدَهما، إلاَّ إذا قامت قرينةٌ على أنه من التعريض بغير المذكور، فمدلول القرينة منطوق؛ لِمَا عُرِف مِن أنّ التعريض من الكناية، وهي موضوعة بالنوع، ولا نزاع في ذلك.

والحاصل: أنهما لم يوردا ذلك عن اللغة، وإنما أَخبَرا عن فهمهما ورأيهما[٣]، وهو كآرائهما الشرعية والنقلية. يُوَضِّحه: أنه إذا

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٤٨)، ومسلم (٤/ ١٧٦٩، ١٧٧٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «مختصر ابن الحاجب» (٢/ ١٧٤).

(٣) لكنه فَهْمٌ ظاهر متبادِرٌ (يَسبق إلى الذهن)، فوجب الأخذُ به. قال الشوكاني رحمه الله بعد أن رجّح القولَ بمفهوم الصفة: «واستعمال أهل اللغة والشرع =

اختلف عَرَبِيّانِ سَليقِيّانِ في معنًى، جعلنا كَلامهما لغتين، وإذا اختلف إمامان لم نجعل كلامهما نَصّين، بل يجب الترجيحُ بين قوليهما، ولو كان قولُ الأئمة مقبولاً مطلقاً، لساوى قولَ السَّليقِيَّيْن.

وأجيب ــ أيضاً ــ بجوابٍ آخَرَ، وهو: أنهما إنما حكما بذلك؛ لموافقة الأصل لا بالمفهوم[1]، والعقلُ من المخصِّصات كما عُلِم.

أمّا في مطل الواجد فظاهر؛ إذ لا عذر له، بخلاف المعدوم؛ إذ التكليف إنما هو بالموجود.

وأما الشِّعْرُ؛ فلأنه قد عُلِم في الجاهلية والإسلام أن الاشتغال به مَفْخَرَةُ الناقص، ومَنْقَصَةُ الكامل، وأنه يَشْغَلُ عن الكمالات، ويستلزم الكذبَ والتَّخَيُّلاتِ التي لا أصل لها، ومَلأُ الجوف منه لا يخلو عن ذلك.

نَعَم، وما خلا القليلُ منه[2] فلا كراهة فيه، كيف وقد تمثل به النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ فهذه قرينةٌ تعيد المفهوم منطوقاً؛ لما عرفتَ من أنَّ ما قامت القرينةُ على اعتباره من مفهوم المخالفة فهو منطوق[3].

وثاني أدلة من قال بإثبات مفهوم الصفة: أنه لو لم يَدُلَّ على

= لمفهوم الصفة وعملهم به، معلوم لكل من له عِلْمٌ بذلك». اهـ. «إرشاد الفحول» (ص ١٨١).

(١) بل الظاهر أنهما حكما بذلك أخذاً مِن المفهوم.

(٢) أي: والذي فَرَغَ فيه القليلُ من الشِّعْرِ مما ذُكِرَ قريباً من الكذب.

(٣) بل الأمر ظاهر بدون هذه القرينة؛ عَمَلاً بالمفهوم، والله أعلم.

المخالفة، لم يكن لتخصيص مَحَلِّ الذكر بالمنطوق به فائدة. وتخصيص آحاد البلغاء بغير فائدة ممتنع، فالشارع أجدر.

وأجيب: بأنَّ فائدته تشخيص مناط الحكم، فهو لتحصيل أصل المعنى، كاللقب؛ فإنك إذا قلتَ: أكرِمْ زيداً التميمي، فقد أمرتَ أن يوقَع الإكرامُ على زيدٍ المقيَّدِ بكونه تميمياً، ففائدة ذكر الصفة تعيين من أَمَرْتَ بإكرامه وأردتَه، فكيف يقال: لم يكن لتخصيص محلِّ النطق بالذكر فائدة؟! وكيف يُطْلَبُ فائدةٌ زائدةٌ على فائدة الوضع؟[١]

فعرفتَ من هذا التحرير مساواتِه لمفهوم اللقب[٢]، وأنه يختل

(١) يقال ـ ردّاً على هذا ـ : في المثال المذكور، إما أن يكون زيداً هذا معيَّناً معروفاً بذاته، أوْ لا، فإن كان معيَّناً، فما فائدة تخصيصه بالتميمي وفائدةُ التعيينِ المدَّعاةِ حاصلةٌ أصلاً؟! وإن كان غير معيَّنٍ، والوصف ـ وهو التميمي ـ هو الذي عيَّنه، فإنَّ التعيين يعني تخصيصَ هذه الذاتِ دون سواها بالإكرام، وهذا ما يدل عليه مفهوم الكلام، فحصل المطلوب من الاستدلال بالمفهوم، والله أعلم.

(٢) يَفْرُقُ مفهوم الصفة عن مفهوم اللقب؛ فإن اللقب (وهو عند الأصوليين: الاسم الجامد، أي غير المشتق)، ليس فيه معنى التعليل حتى يُخرِجَ غيرَه من المراد، بخلاف الصفة؛ فإن فيها معنى التعليل الذي يدل على إرادة المتكلم معنًى معيَّناً يختص الحكمُ به ويُخرِجِ من لم يتحقَّقْ فيه. ولهذا، فإن الحنفية الذين يرون أن المفهوم ليس بحجة، وافقوا الجمهور في مفاهيم الكُتُبِ وكلام الناس ـ لا الشرع ـ على أنها حجة، كما ذكره السرخسي في كتاب «السير»، كما في «إرشاد الفحول» (ص ١٧٩). ثم وجدت الإمام القرافي رحمه الله قد ذكر هذا المعنى في الفرق، في كتابه النفيس «الفروق» (٢/ ٣٦). =

الكلامُ عند إسقاط الصفة؛ لأن الكلام الذي اعتُبِر فيه زيدٌ التميميُّ، مِن شرط إفادة المراد وجودُ هذه الصفة.

وكذلك قولك: جاءني زيد الطويل، ليس مسمى زيد فقط، بل الموصوف بالصفة، فهي داخلة في مفهوم المسنَد إليه ليحصل معناه، ولا تدل العبارة أن زيداً القصيرَ لم يجيءْ، الذي هو معنى اعتبار مفهوم الصفة، بل حكمه مسكوتٌ عنه[1]، بحيث لو قلت: جاءني زيدٌ القصيرُ بعد قولك: جاءني زيدٌ الطويل، لم يكن كلاماً متناقضاً ظاهراً.

هذا قُصارى ما عند الفريقين استدلالاً وردّاً، فتأمَّلْ؛ فإنه لا يخفى عليك الأقوى دليلاً، والأحسنُ قيلاً.

وإذا عرفتَ ما قرَّرْناه، وأحطتَ علماً بما سقناه، عرفتَ قوةَ التحريمِ مطلقاً للإسبال في كل حال[2].

= وقال ابن قدامة في «روضة الناظر» (٢/ ٧٨٤): «ثم الفرق بينهما ظاهر، وهو أن تخصيص اللقب يحتمل حمله على أنه لم يحضره ذكر المسكوت عنه. وهذا يبعد فيما إذا ذُكِرَ أحدُ الوصفين المتضادين؛ لأن ذكر الصفة يذكّر ضدها، وهو منتفٍ بالكلية فيما إذا ذكر الوصف العام، ثم وصْفه الخاص، فظهر احتمال المفهوم». اهـ.

(١) هذا غير مسلَّم، بل هو محل الخلاف.

(٢) ليس تحريم الإسبال مطلقاً في كل حال ــ للخيلاء ولغيره ــ متوقفاً على عدمِ حجية مفهوم الصفة، وعدمِ حمل المطلق على المقيَّد؛ بل إثبات هاتين القاعدتين ــ كما هو قول الجمهور ــ هو الصواب، ولكن تطبيقهما في مسألة الإسبال التي هي موضوع الرسالة محل نظرٍ؛ وذلك بسبب أن الحكم الواردَ في شأن من يُسبل خيلاءَ أكبرُ وأعظم ممن يسبل لغير هذا القصد، فالأول =

وأمَّا ما نُقِلَ عن ابن حَجَر الهيتمي[1]، أن الإسبال صار الآن شعاراً للعلماء، وكأنه يريد علماءَ الحرمين لا غيرَهم، قال: فلا يَحْرُمُ عليهم، بل يباح لهم، فهو كلام يكاد يَضحك منه الحِبْرُ والورَق، وكأنه يريد: إذا صار شعاراً لهم لم يَبق فيه للخيلاء مجال[2].

ولكنه يقال: وهل يُجعل ما نَهَى عنه رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

= لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم، والثاني تُوُعِّدَ بأن يكون ما تحت كعبيه في النار، ولا شك أنه عذابٌ عظيم، ولكنه دون الأول.

ومما يقوي هذا: ما سيشير إليه المصنف رحمه الله في (ص ٦٩) مِن أمر النبي ﷺ لابن عمر برَفْع إزاره، ولا يُتصور أنه يفعله للخيلاء.

وكذلك أمره ﷺ لعَمْرو بن زرارة الأنصاري مع كونه اعتذر له بأنه حَمْشُ الساقين (أي دقيقهما)، وقد لحقه لمّا رآه يمشي مسبلاً، الحديث، أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٠)، والطبراني ـ كما في «فتح الباري» (١٠/ ٢٦٤) ـ قال الحافظ: «رجاله ثقات. وظاهره أن عَمْراً المذكور لم يقصد بإسباله الخيلاء، وقد منعه من ذلك لكونه مظنةً». اهـ.

وكذلك أخذه ﷺ برداء سفيان بن سهيل، وقد ذكره المصنف في (ص ٥٧).

(١) الفقيه الشافعي، (ت ٩٧٣ أو ٩٧٤هـ)، واسمه: أحمد بن محمد بن علي بن حجر، شهاب الدين، أبو العباس.

(٢) نَصُّ كلام الهيتمي رحمه الله في «تحفة المحتاج» (٣/ ٣٥) ـ مع حاشيتي الشرواني والعبادي ـ: «فإن زاد على ذلك بقصد الخيلاء حَرُم، بل فسق، وإلاَّ كُره، إلاَّ لعذر، كأن تميّز العلماء بشعار يخالف ذلك، فلَبِسه ليُعْرفَ فيُسأل، أو ليُمتثل كلامُه، بل لو توقفت إزالةُ محرم أو فعلُ واجب على ذلك، وجب». اهـ.

حلالاً إذا صار شعاراً معتاداً لطائفة، لا سِيَّما أشرفِ الطوائف، وهم هداة الناس وقدوتهم وأعيانهم، فيصير حلالاً وينتفي عنه النهي؟ وهل قدوةُ العلماءِ والعُبّادِ، وإمامُ المبدإ والمعاد، سوى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، الذي أرسله معلِّماً للعباد لكل ما يقربهم إلى ربهم ويبعدهم عن معصيته؟ حتى قال بعض الصحابة: «لقد علَّمَنا نبيُّنا كلَّ شيء حتى الخِراءة»[1]، أي: آداب التخلي.

فالشعار للعلماء هو شعاره وشعار أصحابه رضي الله عنهم، فهم القدوة، لا ما جَعَلَهُ مَن ارتكب ما نُهِيَ عنه شعاراً؛ فإن أول من خالف النهي واتخذه له لباساً قبل أن يسبقه إليه أحد مبتدعٌ قطعاً، آتياً بما نُهِيَ عنه، لا تتم فيه هذه المعذرة القبيحة؛ لأنه لم يكن شعاراً إلاَّ مِن بَعْدِه، ممَّن تبعه على الابتداع وارتكاب المنهي عنه، ثم اعتذر لنفسه بأنه صار له شعاراً.

وسبحان الله! ما أقبح بالعالم أنه يُرَوِّجُ فعلَه لما نُهِيَ عنه نَهْيَ تحريمٍ أو كراهةٍ، ويجعلَه شعاراً مأذوناً فيه. وكان خيراً منه الاعترافُ بأنه خطيئةٌ، أقلُّ الأحوال: مكروهةٌ ومحل رِيبة؛ فإنَّ هذه الأحاديث التي سمعتَها من أول الرسالة تثير رِيبةً إذا لم يحصل التحريم، وقد ثبت حديث: «دَعْ ما يَريبك إلى ما لا يَريبك»[2].

وإذا لَمْ تُثِرْ هذه الأحاديث رِيبةً توجب التركَ للمنهي عنه وعدمَ

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» (١/ ٢٢٣) عن سَلْمَانَ رضي الله عنه، أنه «قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء، حتى الخِراءة. فقال: أَجَلْ. . .»، الحديث.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٨) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، وقال: «حديث حسن صحيح».

حِلِّـهِ حـلالاً خـالصـاً، فليـس عنـد مَـن سمعهـا أهليـةٌ لفهـم التكـاليـف الشرعية، فكيف وقد قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الحديث الذي أخبرت فيه امرأةٌ بإرضاعِها امرأةَ رجل، فأَمَره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بفراقها، وقال له: «كيف وقد قيل؟!»[1].

وهذا كله منا تنزُّلٌ، وإلاَّ فما قدَّمناه مِن الأدلةِ وبيانِ دلالتها، ما ينادي على التحريم أعظمَ نداء، والاعتذارُ بكون النهي للخيلاء عَرَفْتَ بطلانه، وهل أوضحُ مِن قولِ الشارع: «ما زاد على الكعبين ففي النار»[2]، دلالةً على إطلاق التحريمِ وشدةِ الوعيد؟ وهو كقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ويلٌ للعراقيب من النار»[3] في حديث الوضوء، ولم يَستفصـل صلَّـى الله عليـه وآلـه وسلَّـم [مـن المسبـل][4] ولا الـذي أمـره بإعادة الوضوء ولا غيرِهما ممَّن نهاه: هل كان إسباله للخيلاء أو لغيرها في حديث واحد[5]، وقد عرَفتَ القاعدة الأصولية، وهي أنَّ تَرْكَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٩٢) (٩/ ١٥٢) من حديث عقبة بن الحارث رضي الله عنه.

(٢) سبـق تخـريجـه فـي (ص ٢٢، ٢٣)، وهـو قـد ورد بلفـظ: «مـا أسفـل مـن الكعبين...» و «ما تحت الكعبين...».

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٦٧)، ومسلم (١/ ٢١٥) ـ واللفظ له ـ من حديث أبـي هريرة رضي الله عنه.
والعراقيب: جمع عُرْقوب، وهو: الوَتَرُ الذي خَلْفَ الكعبين، وهو فُوَيْقَ العقب. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٢٢١).

(٤) الظاهر أنّ ههنا سقطاً، تقديره ما ذكرتُه.

(٥) أي لم يَرِدِ الاستفصالُ ولا في حديثٍ واحد.

الاستفصال في موضع الاحتمال، يُنَزَّلُ منزلةَ العموم في المقال.

ولا يُرَوِّجُ جواز الإسبال إلاَّ مَن جَعَلَ الشرعَ تبعاً لهواه، ذلك ليس من شأن المؤمن، وقد قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تَبَعاً لما جئتُ به»[1].

ومما يدل على عدم النظر إلى الخيلاء، أمره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لابن عُمر رضي الله عنه[2]، وهل يُظَنُّ بابن عمر أنه يَفعل ذلك للخيلاء، مع شدة تأسِّيه به؟ وكيف يتأسى به في الفضائل، ولا يتأسى به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ترك المحرمات؟! ما ذاك إلاَّ أنه أرخى إزاره غيرَ عالِمٍ بالتحريم قطعاً، وقد قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إياك والإسبال؛ فإن الإسبال من المَخِيلَة».

ولو جاز لغير المخِيلة، لَمَا جاز أن يطلق صلَّى الله عليه وآله وسلَّم النهي، فإنَّ المقامَ مقامُ بيان، ولا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة، وأيُّ حاجةٍ أشدُّ مِن مقام النهي[3]؟ والله أعلم.

---

(١) الحديث أخرجه الحسن بن سفيان في «الأربعين» له ــ كما في تحقيق «مشكاة المصابيح» للشيخ الألباني رحمه الله (١/ ٥٩) ــ والطبراني، كما في «جامع العلوم» لابن رجب (ص ٣٦٤)، وقد ضعَّفه رحمه الله. وللحديث علتان:
١ ــ أن فيه نعيم بن حماد، وهو المروزي. وهو يخطىء كثيراً كما في «تقريب التهذيب» (ص ٥٦٤).
٢ ــ أنه قد اختُلف فيه على نعيم.

(٢) سبق تخريج حديثه في (ص ٢٢).

(٣) ومما يقوي ــ أيضاً ــ القول بالتحريم مطلقاً، للخيلاء ولغير الخيلاء، لكن =

وإلى هنا انتهى بنا ما أردنا تحريرَه، وإبانةُ المقام وإيضاحُه، والله يَرْزُقُنا اتّباعَ رسوله في كل حال، صلَّى الله عليه وعلى آلِه خيرِ آل[1].

❑ ❑ ❑

= مع كون إثم ووعيد من يفعله للخيلاء أعظم: حديث أبـي سعيد رضي الله عنه، أنه سئل عن الإزار فقال: على الخبير سقطت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إزرة المؤمن إلى أنصاف الساقين، لا جناح ــ أو لا حرج ــ عليه فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من ذلك فهو في النار، لا ينظر الله إلى من جر إزاره بَطَراً». أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان، وقد سبق تخريجه في (ص ٩).

فهذا الحديث واضح وجامع لخلاصة حكم الإسبال، والله تعالى أعلم.

(١) انتهيت ــ بحمد الله تعالى ــ من مقابلة ما نسخته على أصله المخطوط، مع الشيخ الفاضل نظام محمد صالح يعقوبـي حفظه الله، وذلك قبل صلاة العصر وبعده، في صحن الحرم المكي شرَّفه الله، تُجاهَ الركن اليماني، في الحادي والعشرين من رمضان، سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. (عبد الرؤوف الكمالي).

المحتوى

الموضوع	الصفحة

• • •

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٤٢-٤٣)

قصيدة في
مدح السنة واتباع عقيدة السلف

للإمام الحافظ الرحلة أبي طاهر السلفي
المتوفى سنة ٥٧٦ هـ رحمه الله تعالى

ويليه

رسالة في
بر الوالدين

للإمام القاضي تقي الدين السبكي
المتوفى سنة ٥٧٦ هـ رحمه الله تعالى

اعتنى به
نظام محمد صالح يعقوبي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣/ ٠٠٩٦١١
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٤٢)

قصيدة في
مدح السنة واتباع عقيدة السلف

للإمام الحافظ الرحلة أبي طاهر السِّلَفي

المتوفى سنة ٥٧٦ هـ رحمه الله تعالى

اعتنى به
نظام محمد صالح يعقوبي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه قصيدة لحافظ الإسلام وأعلى أهل الأرض في زمانه إسناداً في الحديث والقراءات، مع الدين والثقة والعلم، أعني به الإمام الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السِّلَفي الأصبهاني (٤٧٥ ـ ٥٧٦هـ).

وليس مثله في حاجة إلى ترجمة مثلي، فشهرته قد طبّقت الآفاق، ومؤلفاته المخطوطة والمطبوعة مشهورة معروفة لدى طلبة العلم والباحثين.

وأوفى ما رأيت من ترجمة له هي بقلم الدكتور حسن عبد الحميد صالح رحمه الله[1] في أطروحته المطبوعة بعنوان «الحافظ أبو طاهر السلفي» (طبع المكتب الإسلامي ـ بيروت (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م). والجزء المطبوع مقدمة لرسالته التي نال بها درجة الدكتوراه من كلية الدراسات الشرقية بجامعة كامبردج بإنجلترا في أيار (مايو) ١٩٧٢م. رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) توفي رحمه الله في حادث تصادم أثناء قيامه بالعمرة في مكة المكرمة في ٢٨ رمضان ١٣٩٦هـ الموافق ٢٢/٩/١٩٧٦م.

وصف النُّسخة المعتمدة:

اعتمدت على نسخة ضمن مجموع رقم (We 409) في مكتبة الدولة ببرلين (من ورقة ٧٣ أ ــ ٧٤ أ)[١].

والمجموع كله بخط: عبد الله بن زين الدين بن أحمد الشهير بالبصروي.

وجاء على طرة المجموع:

(سفينة فريدة مشتملة على تراجم، وتواريخ، وأشْعَار للأندلسيين وغيرهم، ولطائف، وفوائد، ولامية ابن الوردي، وحكايات[٢] شتى ومسائل، وأبواب، وفصول، وفروع، وقصائد، وعجائب، وأنواع، ما شاء الله).

هذا، وأسأل الله المزيد من فضله وتوفيقه، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه

نظام محمد صالح يعقوبي

البحرين

---

(١) ورقمها في فهرس آلورد المطبوع لمخطوطات برلين 7697/1.

(٢) في الأصل: حكاية.

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٤٢)

قصيدة في
مدح السنة واتباع عقيدة السلف

للإمام الحافظ الرحلة أبي طاهر السِّلَفي
المتوفى سنة ٥٧٦ هـ رحمه الله تعالى

اعتنى به
نظام محمد صالح يعقوبي



بسم الله الرحمن الرحيم

نقلتُ[1] من خطِّ الشيخ عبد القادر النُّعيمي ما صُورَتُه:

يقـولُ كاتبـهُ ـ الفقيـرُ إلى اللَّـهِ سُبحانـه ـ عبـد القادر بـن محمـد بـن عمر بن محمد النُّعيمي الشافعيُّ، عفا اللَّـه عنه:

أنبأنا من الأشياخ الأَجِلاَّءِ المسندون: الشيخُ الإمامُ العالمُ شمسُ الدِّين الأريحيُّ، والشيخُ الإمامُ والخطيبُ بجامعِ دمشق زين الدِّين عبد الرَّحمن المشهور بابنِ الشيخ خليل الأذرعيُّ، والشيخُ الرُّحَلَةُ شمس الدِّين اللولي وغيرهم، قالوا:

أنبأنا الإمامُ المسْنِدُ عمر بن محمد البالسي، قال:

أخبرتنا زينبُ بنت الكمال السَّعْدِيَّةُ، قالت:

أخبرنا أبو القاسم عبد الرَّحمن بن مكي بن عبد الرَّحمن، ابن الحاسب، ـ سبط السِّلَفي، بسماعهِ مِن جَدِّه الحافظ المذكور ـ قال:

أَنْشَدَ الحافِظُ أبو طاهرٍ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، الحافظ الكبير الشهيرُ، أبو طاهرٍ بن أبـي أحمد بن سِلَفه الأصبهاني السِّلَفيُّ لِنَفْسِهِ:

---

(١) القائل هو البصروي الناسخ.

١ ـ ضَلَّ المجسِّمُ والمُعَطِّلُ مِثْلُهُ عن منهج الحقِّ المُبينِ ضلالا

٢ ـ وأتىٰ أماثلهم بنكر لا رعوا مِنْ مَعْشَرٍ قد حاولوا الإشكالا

٣ ـ وغَدوا يقيسون الأمور برأيهم ويُدَلِّسُونَ على الورىٰ الأقوالا

٤ ـ فالأَوَّلُون تعدّوا الحدَّ الذي قد حد في وَصْفِ الإلٰه تعالىٰ

٥ ـ وتَصَوَّروهُ صُورةً من جنسنا جسماً وليس اللّٰهَ عَزَّ مثالاً

٦ ـ والآخرون تعطلوا ما جاء في القُرآن أَقْبِحْ بالمقالِ مَقالاً

٧ ـ وأَبَوْا حديثَ المصطفىٰ أن يقبلوا ورأوه حَشْواً لا يُفيد منالاً

٨ ـ وتظاهروا بالمحدثَات لنا ولَمْ يخشوا من اللّٰهِ العظيمِ وبالاً

٩ ـ فعليكَ يا مَنْ رامَ دينَ مُحَمَّدٍ بالشافعيِّ وما أتاهُ وقالا

١٠ـ أعني محمَّداً بْنَ إدريس الذي فاقَ البَرِيَّةَ رُتبةً وكمالا

١١ـ وعلا على النُّظَراءِ [طرّاً] واغتدى شمسَ الهُدىٰ والغير كان هلالاً

١٢ـ وابحث كذا عن صَحْبِهِ وأَحِبَّهُم وأَجِلَّهُمْ للّٰهِ جَلَّ جلالا

١٣ـ وَتَجَمَّلَنَّ بهم وكُن من حزبهم فهم الجمال لئن[1] أَرَدْتَ رجالا

١٤ـ واعلم بأَنَّ أَعَزَّهم وَأَجَلَّهُم شيخُ الأنام سَجِيَّةً وفعالا

١٥ـ مَن لم يَخَفْ في اللّٰهِ لومةَ لائمٍ وبما رآه من الأذىٰ ما بالىٰ

١٦ـ ذاك ابنَ حنبلٍ الإمامَ المُقْتدىٰ مَنْ فاقَ بينَ العالمين خِصالا

١٧ـ وابنُ المديني الذي قد جابَ في طلب الشريعةِ للإلٰه وجالا

١٨ـ / ثم الربيعان اللذان تَعَنَّيا في فقهه وتحمَّلا الأثقالا

١٩ـ والأعينيُّ ويونس الصدفيُّ و المزنيْ أخو يُمْن إليهم مالا

٢٠ـ وكذك حرملةُ بن يحيىٰ و البويطيُّ الذي قد أَعْجَزَ الإشكالا

---

(١) كذا الأصل واستحسن شيخنا العلامة عبد الله العقيل أن تكون: إذا.

٢١ــ واذكر أبا ثَوْرٍ فقيهَ عراقِه وفريدَها والحارثَ النَّقالا

٢٢ــ وكذا حميديَّ الحجاز وبعدَه عبدَ العزيز ولا تكن مثَّالا

٢٣ــ والزعفراني الصدوق ورهطه من كل قُطر واعرف الأبطالا

٢٤ــ وتمسكنَّ بهم على طبقاتهم وبما رَوَوْا من سُنَّةٍ تتَلالا

٢٥ــ وَتَفَاخَرَنَّ بِكُلِّ ما حَصَّلْتَهُ من عِلْمهم، وأَجِلَّهُ إجْلالا

٢٦ــ فالشَّافعيُّ أتىٰ به عن مالكٍ وذويهِ لا عن رايه وتغالىٰ

٢٧ــ وهمُو عن الأتباع والأتباعُ عن صحبِ الرَّسُولِ روايةً وسُؤالا

٢٨ــ والأصلُ ما كان الرسولُ وصحبُه قدماً عليه، وما سواه فلا لا!

قال الناظم رحمه اللَّه تعالىٰ:

الأعيني: عنيت به محمد بن الحكم بن أعين المصري.

والحمد للَّه وحده، وصلَّى اللَّه على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم.

• نقلتُ ذلك من خط الشيخ عبد القادر النعيمي، وكتب بعد ذلك: وسِلَفَه لقبٌ لجدِّه أحمد. مولده تقريباً سنة خمس وسبعين وأربع مئة. أخذ ببغداد عن الكيا الهرَّاسي، وأبي بكر الشاشي، وغيرهما. وطاف البلاد، وجابَ الآفاق، ودخل الإسكندرية واستوطنها، وكانَ إماماً في علومٍ شتَّى، وانتهى إليه عُلُوُّ الإسناد. مَكَثَ نَيِّفاً وثمانينَ سنةً يُسمَعُ عليه.

قال الذهبيُّ: ولا أعلمُ أحداً مِثْلَهُ في هذا.

وقال ابنُ عساكر: سَمِعَ السِّلَفيُّ ممَّن لا يُحْصىٰ، واستوطن الإسكندريةَ، وتَزَوَّجَ امرأةً ذاتَ يَسَارٍ، وحصَلَتْ له ثَرْوَةٌ بعد فقره، وتَصَرُّف، وصارت له بالإسكندرية وجاهةٌ، وبنى له العادلُ عليُّ بن إسحاقَ بن السِّلَّار، أميرُ مصر، مَدْرَسَةً بالإسكندرية.

وقال السمعاني: هو ثقةٌ، وَرِعٌ، مُتْقِنٌ، ثَبْتٌ، حافِظٌ، فَهِمٌ؛ له حَظٌّ مِنَ العربيةِ، كثيرُ الحديث، حَسَنُ الفهمِ والبصيرةِ فيه. انتهى.

جمع معجم شيوخ بغداد[1]، ومعجم مشايخ أصبهان، وجمع معجماً ثالثاً لباقي البلدان التي سمع بها.

وقال الحافظُ عمرُ، ابنُ الحاجبِ:

إنَّ معجم الشعر[2] / للسلفي يشتمل على ألفي شيخ، وقد أثنى عليه غيرُ واحد.

توفي في ربيعِ الآخر سنة ست وسبعين وخمسمئة.

ومن شعره أيضاً، كما ذكره ابنُ حبيبٍ في «تاريخه»:

يـا دهـرُ كـم لهـذا الشتـات تعنُّتـاً	وإلـىٰ متـىٰ التعـذيـب بـالهُجـران
سُقيـاً لأيـام مضـت لـي وانقضـتْ	فـي خـدمـة الأصحـاب والخِـلَّان
أهـل الفصـاحـة والبـراعـةِ معشـرٌ	فـاقُـوا الشيـوخ وهُـم مـن الفتيـان
ومذاكرات[3] في الحديث وعلمه	والفقـه والتفسيـرِ والقـرآن
ومنـاشـدات بعـدُ فيمـا بَيْنَنَـا	أزكـىٰ مـن الأزهـار والـرَّيحـان
يـا ليتهـا دامـت ولـم أُفجـعْ بهـا	فعلـىٰ الحقيقـةِ كنـت فـي بُستـانِ

(١) وهي «المشيخة البغدادية»، وقفت عليها في مكتبة الإسكوريال، وصورتها.

(٢) قلت: و «معجم الشعر» هذا يختلط في كثير من المصادر بـ «معجم السفر»، و «معجم السفر» هذا مطبوع غير مرة.

(٣) بالأصل مهملة، وعلم عليه بالهامش بقوله: كذا. فلعل الأصل المنقول منه لم يكن واضحاً. ثم استصوب الدكتور عبد الله المحارب أنها: ومُذاكرات؛ فجزاه الله خيراً.

انتهى ما نقلته[1].

❑ ❑ ❑

(1) قائله البصروي الناسخ.

* * *

● فرغتُ من نَسْخهِ مِنْ نُسْخَةِ الأصل في مجلس واحدٍ، بمكتبة الدولة ببرلين (وهي المكتبة الملكية البروسية سابقاً)، في غرفة مطالعة المخطوطات الشرقية بها، يوم الجمعة محرم الحرام ١٤٢٢هـ، الموافق ٢٠ إبريل/ نيسان ٢٠٠١م.

والحمد للّٰه الذي بنعمته تتم الصالحات.

● تمَّت المقابلة في المجلس ذاته، فصَحَّ وثبت، والحمد للّٰه.

● فرغت من نقله وتبييضه في منزلي بأم الحصم من البحرين حرسها اللّٰه تعالى من الشرور والفتن، ما ظهر منها وما بطن، بعد صلاة العصر يوم الثلاثاء ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ، الموافق ١٤/٨/٢٠٠١م، والحمد للّٰه كثيراً.

كتبه فقير رحمة ربه خادم العلم والعلماء، نظام بن محمد صالح يعقوبي العبَّاسي، أحسن اللّٰهُ ختامه، في طول عمر وصلاح عمل وعافية، آمين.

وصلَّى اللّٰه على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

● ثمَّ قابلتها مع الأستاذ المحقق الأديب الدكتور عبد اللّٰه المحارب الكويتي حفظه اللّٰه تعالى ونفع به مع تصحيح بعض ألفاظها، فجزاه اللّٰه خير الجزاء ونفع به. آمين، وذلك ليلة الجمعة ٢٢ رمضان ١٤٢٢هـ.

● وقرأتها على شيخنا العلاَّمة عبد اللّٰه العقيل شيخ الحنابلة حفظه اللّٰه تعالى ونفع به، بالمسجد الحرام يوم الأحد ٢٤ رمضان ١٤٢٢هـ، وصحَّح لي بعض ألفاظها جزاه اللّٰه تعالى خيراً وأطال عمره في طاعته آمين.



لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٤٣)

رسالة في
بر الوالدين

للإمام القاضي تقي الدين السبكي

المتوفى سنة ٧٥٦ هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى به
نظام محمد صالح يعقوبي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذه رسالة قيِّمة في مسألة «بر الوالدين» وحدود طاعتهما، دَبَّجَتْها يراعة الإمام العلامة تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السُّبكي، المولود بسبك العبيد أول يوم من صفر سنة ٦٨٣هـ، المتوفى بالقاهرة في ثالث جمادى الآخرة سنة ٧٥٦هـ.

ترجم له ابنه تاج الدين في «طبقات الشافعية» فكفى ووفى. وترجم له الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في «الدرر الكامنة» (٣/ ١٣٤ ـ ١٤٢ رقم ٢٧٧٨)[1].

وجاء فيها:

وكان لا يقع له مسألة مستغربة أو مشكلة إلاَّ ويعمل فيها تصنيفاً، يجمع فيه شتاتها، طال أو قصر، وذلك يَبين في تصانيفه. وقد جمع ولده فتاويه ورتبها في أربع مجلدات.

---

(١) طبعة محمد سيد جاد الحق (وهي رديئة جدًّا!).

وجاء فيها أيضاً:

قال الإسنوي في «الطبقات»: كان أنظرَ من رأيناه من أهل العلم ومن أجمعهم للعلوم وأحسنهم كلاماً في الأشياء الدقيقة وأجلهم على ذلك، وكان في غاية الإنصاف والرجوع إلى الحق في المباحث ولو على لسان آحاد الطلبة، مواظباً على وظائف العبادات، مراعياً لأرباب الفنون، محافظاً على ترتيب الأيتام في وظائف آبائهم. اهـ.

قلت: وترجمته بحاجة إلى مجلدات، ومعظم مؤلفاته لا تزال مخطوطة لم تطبع، ومنها رسالتنا هذه(١).

وصف النسخة المعتمدة:

هي نسخة فريدة ـ فيما رأيت ـ من محفوظات مكتبة الدولة ببرلين ورقمها القديم (Landberg 829)، ورقمها في فهرس آلورد لمخطوطات برلين (5599).

وعليها تملُّك في سنة ١٢٨٠هـ هذا نصه:

(في ملك الفقير إلى رب العباد: محمد صالح ابن المرحوم إبراهيم حماد، غفر لهما، آمين).

والحمد لله وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه

خادم العلم بالبحرين

نظام محمد صالح يعقوبي

---

(١) راجع تفاصيل أسرة آل السُّبكي الكرام في كتاب: «البيت السبكي»، لمؤلفه محمد الصادق حسين، ط. دار الكاتب المصري، ١٩٤٨م.

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٤٣)

رسالة في
بر الوالدين

للإمام القاضي تقي الدين السبكي
المتوفى سنة ٧٥٦ هـ
رحمه الله تعالى

اعتنى به
نظام محمد صالح يعقوبي



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلَّى اللّٰه على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم

[قال شيخ الإسلام، مجتهد الزمان، قاضي القضاة، تقيُّ الدِّين السُّبكي:

مسألةٌ: الذي أَراهُ في بِرِّ الوالدين، وتحريم عُقُوقِهما؛ أنه تجبُ طاعتُهما في كُلِّ ما ليس بمعصيةٍ، ويشتركان في هذا هُما والإمامُ، أعني: الخليفةَ][1] ووليَّ الأمر؛ لقوله ﷺ: «إسمع وأَطِع ما لم تُؤْمَرْ بمعصيةٍ».

ويزيد الوالدان على الإمام بشيء آخر، وهما أَنَّهما قد يتأذَّيان مِنْ فِعْلٍ أو قَوْلٍ يَصْدُرُ مِنَ الوَلَدِ وإِنْ لم ينهياهُ عنه؛ فيحرم عليه ذلك؛ لِأَنَّهُ يحرم عليه كُلُّ ما يُؤْذيهما، بخلافِ الإمامِ.

وكذلك إذا تأذَّيا بتركِ قَوْلٍ أو تَرْكِ فِعْلٍ مِنْهُ، وجَبَ عليه فِعْلُهُ لرضاهما، وإِنْ لم يأمُراه به.

وإذا أَمَرَاهُ بتركِ سُنَّةٍ أو مُباحٍ أو بفعلِ مَكْرُوهٍ؛ فالذي أراه

(١) كتب بخط مغاير وبقلم أعرض وحبر غامق غليظ.

تفصيل[1]: وهو أنهما إنْ أَمَرَاهُ بترك سُنَّةٍ دائماً؛ فلا يَسْمَعُ منهما؛ لِأَنَّ في ذلك تَغْييرَ الشَّرْعِ، وتغييرُ الشَّرْعِ حرامٌ، وليس لهما فيهِ غَرَضٌ صحيحٌ؛ فهما المؤذيانِ أَنْفُسَهُما بأمْرهما بذلك.

وإنْ أَمَرَاهُ بِتَـرْكِ سُنَّـةٍ في بَعْضِ الأَوْقَاتِ؛ فـإنْ كانـتْ غيـرَ راتبـةٍ وَجَبَ طاعتُهما وإن كانت راتبـةٍ؛ فإنْ كانـت لمصلحـةٍ لهمـا، وَجَبَـتْ طاعتُهما، وإنْ كانَتْ شَفَقَةً عليه ولم يَحْصُل لهما أَذًى بِفِعْلِها؛ فالأَمْرُ منهمـا فـي ذلـك محمـولٌ علـى النَّـدبِ، لا علـىٰ الإيجـاب؛ فـلا تجـبُ طاعتُهما؛ فإنْ عَلِمَ من حالهما أَنَّهُ أَمْرُ إيجابٍ، وَجَبَتْ طاعتُهما.

وما في البُخاريِّ[2] مِنْ أَنَّ أُمَّهُ نَهَتْهُ عَنْ حُضُورِ العشاءِ في جماعةٍ شَفَقَةً لم يُطِعْهَا = إمَّا أن يُحْمَلَ على عدم الإيجاب لقوله: شفقةً، وإمَّا أَنْ يُحْمَلَ على أَنَّ المُرادَ /علىٰ الدوامِ، لما قُلْناهُ مِن تغيير الشَّرْعِ، وتغييرُ الشَّرْعِ حرامٌ.

وإذا كانَ مالُهُ أَوْ سَكَنُهُ حلالاً صافياً عَنِ الشُّبْهَةِ، وأَمَرَاهُ أَن يأْكُلَ أَو يَسْكُنَ مَعَهُما وفيما يأكلانه أو يَسْكُنانِه شُبهةٌ، وجبت طاعَتُهما كما قالَهُ الطرطوشيُّ؛ لِأَنَّ مخالَفَتَهُما حرام، والورع ليس بواجب.

---

(١) كذا بالأصل، ولعل الصواب: التفصيل.

(٢) كذا، والذي في البخاري: كتاب الأذان /٢٩/ باب وجوب صلاة الجماعة: وقال الحسن: إن مَنَعَتْهُ أُمُّه عن العشاء في الجماعة شفقةً لم يُطعها. وقال الحافظ ابنُ حجر رحمه الله في الفتح (٢/ ١٢٥ ط. السلفية): «ولم ينبه أحد من الشراح على من وصل أثر الحسن، وقد وجدته بمعناه وأتم منه وأصرح في كتاب الصيام للحسين بن الحسن المروزي بإسناد صحيح...» إلخ.

وإنْ نهياهُ عَنِ الصَّلاةِ في أَوَّل الوَقْتِ؛ فَإِنْ كانَ على الدوام، لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُما، لِأَنَّ فيه تغييرَ الشَّرْعِ. وإنْ كانَ في وَقْتٍ[1]، وَجَبَتْ طاعتُهما كما قالَهُ الطرطوشيُّ، وهو دونَ حضور الجماعةِ والسنن الراتبةِ؛ لِأَنَّه صفة لا مستقل[2].

وحاصِلُهُ أَنَّهُ يجبُ امتثالُ أَمْرِهما والانتهاءُ عن مَنْهِيِّهِمَا، ما لَمْ تَكُنْ معصيةً على الإطلاقِ. وإنَّما يكونُ معصيةً إذا كانَ فيه مخالفةٌ لِأَمْرِ اللّٰهِ الواجبِ أَوْ لِشَرْعِهِ المُقَرَّرِ.

وفي هذا هُما والإمامُ سواءٌ. ويزيد فيهما تحريمُ ما يُؤْذيهما بأَيِّ شيءٍ كانَ وإنْ كانَ مُباحاً، وبوجوبِ طاعتهما وإنْ كانَ ما يَأْمُرَانِ بهِ لحظِّ أَنْفُسِهما، بخلافِ الإمامِ؛ فإنَّهُ لا يَأْمُرُ[3] إلَّا ما فيه مصلحةُ المسلمين، ولا تجبُ طاعتُهُ في حَقِّ نَفْسِهِ، ولا يَحْرُمُ أذاهُ بِمُباحٍ.

والوالدان يحرمُ إيذاؤهما هيِّناً كانَ الأذىٰ أَوْ ليسَ بِهَيِّنٍ، خلافاً لِمَنْ شَرَطَ فِي تحريمِ الأذىٰ أَنْ يكونَ ليسَ بالهيِّن؛ فأقولُ:

يحرمُ إيذاؤُهما مُطْلقاً، إلَّا أَنْ يكونَ إيذاؤُهما بما هو حَقٌّ واجبٌ للّٰهِ، فحقُّ اللّٰهِ أولىٰ.

---

(١) أي دون وقت، ولم يكن دائماً.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) أي هذا هو الأصل الواجبُ عليه.

فعلىٰ ما قُلْتُهُ: لو أَمَرَاهُ بطلاقِ امرأتِهِ ونحوه، وجَبَتْ عليه طاعَتُهما[1].

هذا الذي أَعْتَقِدُهُ وأرجو أَنَّهُ حَقٌّ إن شاءَ اللَّهُ، واللَّهُ أعلم.

ومِنْ مَحَاسِنِ ما يُروىٰ في بِرِّ الوالدينِ، وكُنتُ أَسْمَعُ أبي كثيراً ينشدُهُ، ما ذَكَرَهُ أبو بكرٍ الطرطوشي، في كتاب «برّ الوالدين»[2] / لَهُ، أَنَّ رَجُلاً أتىٰ النبيَّ ﷺ؛ فقال: يا رسول اللَّهِ! إِنَّ أبي ينقص مالي وينفقه على عيالِهِ؛ فبكىٰ الشيخُ وقال:

وأيُّ عيالٍ يا رسول اللَّهِ!؟ ما هُنَّ إلاَّ أُمُّهُ وأُخْتاهُ!

وَأَنْشَأَ يَقُول:

غذوتُكَ مَوْلوداً ومُنْتُكَ يافعاً ... تُعَلُّ بما أُجْرِي عليك وتُنْهَلُ

إذا ليلةٌ ضَامَتْكَ بالسُّقمِ لم أَبِتْ ... لِسُقْمِكَ إلاَّ سَاهِراً أَتَمَلْمَلُ

كأنِّي أنا المطروق دونَك بالذي ... طُرِقْتَ به دوني فعيناي تُهْملُ

تخاف الرَّدى نفسي عليك وإنَّني ... لأعلمُ أَنَّ المَوْتَ دَيْنٌ مُؤَجَّلُ

فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَ والغايةَ التي ... إليها رجا ما كُنْتُ فيكَ أُؤَمِّلُ

جعلتَ جزائي غِلْظَةً وفَظَاظةً ... كأنَّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ

وسمَّيْتَنِي باسمِ المُفَنَّدِ رَأْيُهُ ... وفي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لو كُنْتَ تَعْقِلُ

تراهُ مُعَدّاً للخلافِ كأَنَّهُ ... بِرَدٍّ علىٰ أَهْلِ الصوابِ مُوَكَّلُ

---

(١) هذا في رأي المؤلف رحمه الله، ولغيره في المسألة تفصيل، يراجع في المطولات الفقهية.

(٢) وهو مطبوع ولكنه ليس تحت يدي الساعة حال كتابة هذه الأسطر.

فَلَيْتَـكَ إِذْ لـم تَـرْعَ حَـقَّ أُبُـوَّتـي فَعَلْتَ كما الجارُ المجاورُ يَفْعَلُ!

فأوليتني حَقَّ الجوارِ ولم تكن عليَّ بمالي دونَ مالِكَ تبخَلُ!

فَلَوْلاَ رسولُ اللَّـهِ أَعْظَمْتُ جَاهَهُ لأصبحتَ مسخوطاً لديَّ تُنَكَّلُ

ولكـنَّ حلمـيَ والحيـاء يَصُـدُّنـي وجاهُ رسولِ اللَّـه أسنىٰ وأجملُ

حيـاتُـكَ هَـمٌّ ثـم مَـوْتُـكَ فجعـةٌ وخيـرُك مَـزْوِيٌّ وشـرُّك مُقْبِـلُ

فَرَقَّ لَهُ رسولُ اللَّـهِ ﷺ وقال: «أنتَ ومالُكَ لِأَبِيك». انتهى[1].

❑ ❑ ❑

---

(١) بهامش الأصل بخط مغاير:
(قال الحافظ السيوطي في «تاريخ الخلفاء» في ترجمة الإمام أبـي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ما نَصُّهُ:
أخرج البيهقيُّ عن قيس بن حازم قال: جاء رجلٌ إلى أبـي بكر الصدِّيق؛ فقال: إنَّ أبـي يريد أخذ مالي كله، يجتاحه ـ أي يستأصله ـ، فقال لأبيه: إنما لك من ماله ما يكفيك؛ فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ، أليس قد قال رسول الله ﷺ: «أنت ومالُكَ لِأَبيك»؟، فقال: نعم! وإنما يعني بذلك النفقـ[ـة]).

* * *

● فرغتُ من نسخ هذه الرسالة من الأصل المخطوط نفسه، وهي «بر الوالدين» للإمام تقي الدين السُّبكي رحمه اللَّـه تعالى، صباح يوم الاثنين ٨/٧/١٩٩٦م في غرفة مطالعة المخطوطات الشرقية بالمكتبة الملكية البروسية المعروفة الآن بمكتبة الدولة ببرلين ـ ألمانيا. والحمد للَّـه الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلَّى اللَّـه وسلَّم وبارك على عبده ورسوله سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين. =

= ● وقابلته بأصله في المكتبة ذاتها في زيارة أُخرى يوم الثلاثاء ٢٧/٥/١٩٩٨م، وأصلحت ما زاغ عنه البصر في المرة السابقة.

والحمد للّٰه كثيراً، وصلَّى اللّٰه على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه خويدم العلم نظام يعقوبي، غفر اللّٰه ذنوبي وستر عيوبي، بمنِّه وكرمه، آمين.

● فرغت من تبييضه بمنزلي في أم الحصم من البحرين حرسها اللّٰه تعالى، قبيل صلاة العصر يوم الأحد ٢٣ جمادىٰ الأولى ١٤٢٢هـ، الموافق ١٢ أغسطس ٢٠٠١م، والحمد للّٰه.

● فرغت من قراءته على الأخ المتفنن المفضال الشيخ رمزي دمشقية ليلة الاثنين ٢٥ رمضان المبارك ١٤٢٢هـ بصحن المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرَّفة.

فالحمد للّٰه الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى اللّٰه على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

المحتوى

• • •

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٤٤-٤٥)

جزء في عدم صحة ما نقل عن

بلال بن رباح

رضي الله عنه

من إبداله الشين في الأذان سينا

تأليف
أبي الخير محمد بن محمد الخيضري الدمشقي الشافعي
(٨٢١ - ٨٩٤ هـ)

ويذيله

وصية

الشيخ القاضي أبي عبد الله ناصر الدين محمد بن الملق الشافعي
(٧٣١ - ٧٩٧ هـ)

قرأها وعلق عليها
جمال عزون

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٠٩٦١١
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

لِقَاءُ ٱلعَشْرِ ٱلأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ
(٤٤)

جُزْءٌ فِي عَدَمِ صِحَّةِ مَا نُقِلَ عَنْ

بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ

رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ

مِنْ إِبْدَالِهِ ٱلشِّيْنَ فِي ٱلآذَانِ سِيْنًا

تأليف
أَبِي ٱلخَيْرِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ٱلخَيْضَرِيِّ ٱلدِّمَشْقِيِّ ٱلشَّافِعِيِّ
(٨٢١ - ٨٩٤ هـ)

قرأها وعلق عليها
جمال عزون



مقــدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ للَّـه، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللَّـهِ مِن شُرورِ أنفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالنا، مَن يهدِه اللَّـه فلا مضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلَّا اللَّـه وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه.

أمَّا بعد:

فهذا جزءٌ لطيف حوى فتوى في عدم صحَّة ما نُقِل عن الصَّحابيّ الجليل، مؤذِّن رسول اللَّـه ﷺ بلال بن رباح رضي اللَّـه عنه، من إبداله الشِّين في الأذان سيناً، كتبها أبو الخير محمَّد بن محمَّد بن الخَيْضِرِيّ الدِّمشقيّ الشَّافعيّ (٨٢١ ــ ٨٩٤هـ)؛ إثر سؤال تقدَّم به إليه الحافظ إبراهيم بن محمَّد بن محمود النَّاجيّ[1] (٨١٠ ــ ٩٠٠هـ)، يسأله:

هل صحَّ أنَّ بلالاً كان يُبْدِلُ حرف الشِّين سِيناً من كلمة: «أَشْهَدُ»

(١) انظر ترجمته في: الضَّوء اللَّامع ١/١٦٦، ومقدّمة تحقيق كتابه: عجالة الإملاء ــ ط دار مكتبة المعارف بالرِّياض.

حال الأذان والإقامة فينطقها: «أَسْهَدُ» بالسِّين المهملة بدل الشِّين المعجمة؟

فأجابه العلاَّمةُ الخيضريُّ بعدم صحَّة ذلك، وبنى فتواه على أمرين هامَّين:

الأول: أنَّ الحديث الوارد في: «سينُ بلال عند اللَّه شينٌ»، لا أصل له في شيء من كتب السُّنَّة: الصّحاح، والمسانيد، والسُّنن، والتَّواريخ، والأجزاء.

الثاني: أنَّ الأذان رتبةٌ سنِيَّةٌ انتخب رسولُ اللَّه ﷺ لها بلالاً لنداوة صوته، ولم يُنقل إلينا عن أحدٍ من الصَّحابة ممَّن سمعه يؤذِّن تلك المدَّة المتطاولة في زمن النَّبيِّ ﷺ ولا بعده أنَّه حكى عنه هذه اللّثغة في حرف الشِّين، ولو كانت فيه لتوفَّرت الدَّواعي على نقلها، فإنَّ مثلها لا يُسكت عنه.

ولم يكن رسولُ اللَّه ﷺ الصَّادِقُ الأَمينُ المبيِّنُ الحلالَ والحرامَ يُقرّه على ذلك ولا يَرتضي أن يجهر بهذا الشِّعار الذي امتاز به أهلُ الإسلام على كيفيَّةٍ ناقصةٍ، لا سيما مع وجود أعداء الدِّين من مشركي العرب وكفَّار قريش واليهود والنَّصارى ونحوهم من المنافقين وأهل الضَّلال، ولو سمع أحدٌ منهم هذه اللَّفظةَ المشارَ إليها لعابوها وتناقلوها في مجالسهم، فإنَّهم كانوا في غاية الاجتهاد على تحصيل ناقصةٍ يَثْلِمُون بها كمالَ هذا الدِّين القويم، وينتقصون بها أحدَ المسلمين، لا سيما مثل بلال الذي لم يفعل ذلك إلاَّ بأمر رسول اللَّه ﷺ، ويُعلن بذلك جهرةً على الأمكنة العالية ليُظهر به شعارَ المسلمين ويغيظ به الكافرين،

وأعظمُ ذلك أذانٌ على ظهر الكعبة في أظهر الأيَّام وأفخرها واجتماع الخلائق من كلِّ فريقٍ.

وهما أمران كافيان للدَّلالة على عدم ثبوت قصَّة إبدال بلال شين «أشهد» سيناً في الأذان والإقامة.

إنَّ مِن أوائل مَن أثار قصَّة بلال ـ حسَب ما وقفتُ عليه ـ هو الشَّيخُ الإمام العلاَّمة المجتهد الفقيه موفَّق الدِّين أبو محمَّد عبد اللَّه بن أحمد بن محمَّد بنُ قدامة المقدسيّ الحنبليّ (٥٤١ ـ ٦٢٠هـ) في كتابه: «المغني»[1]، حيث ذكر كراهةَ اللَّحن في الأذان، واستثنى من هذه الكراهة ما إذا كان المؤذِّنُ ألثغ لُثْغَةً لا تتفاحش فيجوز حينئذ أذانُه، استناداً إلى ما رُوي أنَّ بلالاً كان يقول في أذانه: «أَسْهَدُ»، يجعل الشِّينَ سيناً.

وتبعَ ابنَ قدامة على ذلك ابنُ أخيه العلاَّمةُ الفقيهُ شمس الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن أبـي عمر محمَّد بن أحمد بن قدامة المقدسيّ (٥٩٧ ـ ٦٨٢هـ).

ويلاحظ النَّاظرُ هنا أنَّ ابن قدامة ذكر القصة بصيغة: «رُوِيَ»، وهي صيغةُ تمريضٍ يستعملها العلماءُ فيما كان له أصلٌ وإسنادٌ لكنَّه ضعيفٌ لا تقوم به حجَّة، أمَّا الخبرُ الذي لا إسناد له فإنَّهم يقولون في مثله: «لا أصل له».

ومن هنا توجَّه الانتقادُ على ابن قدامة رحمه اللَّه في استعماله

(١) المغني ٢/ ٩٠.

صيغة: «رُوِيَ» المشعرة بأمرين، أوَّلهما: وجود إسناد للقصَّة، وثانيهما: ضعفها، ولا يتحقَّق الأوَّل في هذه القصَّة إذ لا يعرف العلماءُ أصلاً لها في شيء من كتب السُّنَّة[1]، وترى أقوالهم بعد ابن قدامة تترى في بيان عدم وجود أصل لهذا الإبدال المنسوب إلى أحد أصحاب رسول اللّٰه ﷺ.

ويجدر التَّنبيهُ إلى أنَّ العلماء انصبَّ كلامُهم حول حديث وأثر؛ فالحديث هو: «سينُ بلال عند اللّٰه شينٌ»، والأثر: «إنَّ بلالاً يبدل الشِّين سيناً في الأذان»، وكلاهما حكم العلماءُ بعدم وجود أصل له.

وهذا ما تيسَّر من أقوالهم في ذلك:

١ ــ يوسف بن عبد الرَّحمن المزِّيّ (٦٥٤ ــ ٧٤٢هـ): حيث نقل عنه الزّركشيُّ في كتابه: «التذكرة في الأحاديث المشتهرة» قولَه:

«اشتهر على ألسنة العوامّ أنَّ بلالاً رضي اللّٰه عنه كان يُبدل الشِّين في الأذان سيناً، ولم نره في شيءٍ من الكتب. وكذا وجدته عنه بخطّ الشَّيخ برهان الدِّين السَّفاقسيّ[2]»[3].

٢ ــ إسماعيل بن عمر بن كثير الدِّمشقيّ (٧٠١ ــ ٧٧٤هـ): حيث قال: «ليس له أصلٌ ولا يصحّ»[4]، وقال: «لا أصل له وإن قال

(١) انظر: سلسلة الأحاديث التي لا أصل لها، رقم ٣٤، لسليم الهلاليّ.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد السّفاقسيّ، فقيه مالكيّ له مؤلَّفات عديدة. تُوُفِّي سنة ٧٤٢هـ. انظر: الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة ١/ ٥٥.

(٣) التَّذكرة، رقم ٢٠٩.

(٤) الجدّ الحثيث في بيان ما ليس بحديث، رقم ٧٠.

الموفَّق ابن قدامة: رُوِي أنَّ بلالاً كان يقول: «أَسْهَدُ»، فيجعل الشِّين سيناً فقد ردُّوه»[1].

٣ ـ محمَّد بن محمَّد الخيضريّ الدِّمشقيِّ الشَّافعيِّ (٨٢١ ـ ٨٩٤هـ) صاحب هذه الفتوى التي ننشرها في هذا الجزء.

٤ ـ إبراهيم بن محمَّد بن محمود النَّاجيّ[2] (٨١٠ ـ ٩٠٠هـ): حيث قال في «مولده»: «وأشهد باللَّه للَّه أنَّ سيِّدي بلالاً ما قال: «أَسْهَدُ» بالسِّين المهملة قطّ كما وقع لموفَّق الدِّين ابن قدامة في «مغنيه» وقلَّده ابنُ أخيه الشَّيخ أبو عمر شمس الدِّين في شرح كتابه «المقنع»، وردَّ عليه الحفَّاظُ كما بسطتُه في «ذِكْر مؤذِّنيه»[3]، بل كان بلالٌ من أفصح النَّاس وأنداهم صوتاً»[4].

٥ ـ محمَّد بن عبد الرَّحمن السَّخاويّ (٨٣١ ـ ٩٠٢هـ): حيث قال في كتابه «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة»:

(حديث: «سينُ بلال عند اللَّه شينٌ»، قال ابنُ كثير: إنَّه ليس له أصلٌ ولا يصحُّ. وكذا سلف عن المزِّيّ في: «إنَّ بلالاً يبدل الشِّين سيناً في الأذان». ولكن قد أورده ابنُ قدامة في المغني بقوله: رُوِي أنَّ بلالاً كان يقول: «أَسْهَدُ» يجعل الشِّين سيناً، والمعتمدُ الأوَّل، وقد ترجمه

---

(١) الجدّ الحثيث في بيان ما ليس بحديث، رقم ٧١.

(٢) وهو صاحبُ السُّؤال الذي بموجبه كتب الخيضريُّ جزءَه هذا.

(٣) من مؤلَّفات النَّاجي، وقد ذكره في كتابه: عجالة الإملاء ٢/ ٦٣١.

(٤) نقله عن النَّاجيّ العجلونيُّ في كشف الخفاء ١/ ٥٦٤.

غيرُ واحدٍ بأنَّه كان نديَّ الصَّوت حسنَه فصيحَه. وقال النَّبيُّ ﷺ لعبد اللَّه بن زيدٍ صاحب الرُّؤيا: «أَلْقِ عليه ـ أي على بلالٍ ـ الأَذانَ فإنَّه أَنْدَى صوتاً منك»[1]، ولو كانت فيه لثغةٌ لتوفَّرت الدَّواعي على نَقْلِها ولَعابَها أهلُ النّفاق والضَّلال المجتهدون في التَّنَقُّصِ لأهلِ الإسلام، نسأل اللَّهَ التوفيق)[2].

وتبعهم في كون الحديث لا أصل له جمعٌ من أهل العلم، منهم:

٦ ـ عليّ بن عبد اللَّه السّمهوديّ (٨٤٤ ـ ٩١١هـ) في «الغمَّاز على اللّمَّاز في الأحاديث المشتهرة» رقم ١٢٨.

٧ ـ عبد الرَّحمن بن أبي بكر السُّيوطيّ (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) في «الدُّرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» رقم ٤٩٨.

٨ ـ عبد الرَّحمن بن عليّ بن محمَّد الشَّيبانيّ الزّبيديّ الشَّافعيّ، المعروف بابن الدّيبع (٨٦٦ ـ ٩٤٤هـ) في «تمييز الطَّيِّب من الخبيث فيما يدور على ألسنة النَّاس من الحديث» ٤٠، ٩٢.

٩ ـ محمَّد بن طولون الصَّالحي (٨٨٠ ـ ٩٥٣هـ) في «الشّذرة في الأحاديث المشتهرة» رقم ٥٠٨.

١٠ ـ محمَّد طاهر الصِّدِّيقيّ الفتَّنيّ الهنديّ (٩١٠ ـ ٩٨٦هـ) في «تذكرة الموضوعات» رقم ١٠١.

١١ ـ علي بن سلطان الهرويّ القاريُّ (١٠١٤هـ) في «الأسرار

---

(١) يأتي تخريجه في نصّ الفتوى.

(٢) المقاصد الحسنة، رقم ٥٨٢.

المرفوعة في الأخبار الموضوعة» ـ وهو الموضوعات الكبرى ـ رقم ٧٦، ٢٣٩، و «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» ـ وهو الموضوعات الصُّغرى ـ رقم ١٥٩.

١٢ ـ مرعي بن يوسف الكَرْمِيّ المقدسيّ الحنبليّ (١٠٣٣هـ) في «الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة» رقم ٢٣٤.

١٣ ـ محمَّد بن محمَّد بن محمَّد نجم الدِّين الغزِّيّ العامريّ القرشيّ الدِّمشقي (٩٧٧ ـ ١٠٦١هـ) في «إتقان ما يحسن من الأخبار الدَّائرة على الألسن» رقم ٤٠١.

١٤ ـ محمَّد بن عبد الباقي الزّرقانيّ الأزهريّ المالكيّ (ت ١١٢٢هـ) في «مختصر المقاصد الحسنة» رقم ٥٤٧.

١٥ ـ أحمد بن عبد الكريم العامريّ الغزِّيّ[1] (ت ١١٤٣هـ) في «الجدّ الحثيث في بيان ما ليس بحديث»[2] رقم ٧٠، ٧١، ٢٠٥.

١٦ ـ إسماعيل بن محمَّد العجلونيّ الدِّمشقيّ (١٠٨٧ ـ ١١٦٢هـ) في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمَّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة النَّاس» ١/ ٢٦٣، ٥٦٤.

١٧ ـ محمَّد بن محمَّد الحسينيّ الطَّرابلسيّ السّندروسيّ

---

(١) وقد علَّق الحوت على قول المزِّيّ: «لم نره في شيء من الكتب» قائلاً: «أي فهو موضوع كذب».

(٢) كتابه هذا هو اختصارٌ لكتاب جدّه نجم الدِّين الغزِّي العامري: «إتقان ما يحسن من الأخبار الدَّائرة على الألسن»، المتقدّم برقم ١٣.

(ت ١١٧٧هـ) في «الكشف الإلـٰهي عن شديد الضّعف والموضوع والواهي» رقم ٤٤٩.

١٨ ــ محمَّد بن محمَّد بن أحمد السّنباويّ المالكيّ، المعروف بالأمير (١١٥٤ ــ ١٢٣٢هـ) في «النُّخبة البهيَّة في الأحاديث المكذوبة على خير البريَّة» رقم ١٤٩.

١٩ ــ محمَّد بن محمَّد درويش الحوت[1] (١٢٠٣ ــ ١٢٧٧هـ) في «أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب» رقم ٣٤٥.

٢٠ ــ محمَّد بن خليل القاوُقْجيّ الطَّرابُلُسيّ (١٢٢٤ ــ ١٣٠٥هـ) في «اللُّؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع» رقم ٢٦٢.

٢١ ــ محمَّد بن البشير بن محمَّد حسن ظافر المدنيّ الأزهريّ المالكي (ت بعد ١٣٢٩هـ) في «تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيِّد المرسلين» رقم ٤٨٩.

٢٢ ــ محمَّد بن أحمد بن جار اللّـه الصَّعْدِيّ اليمنيّ في «النَّوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة» رقم ٨٩٢.

٢٣ ــ سليم بن عيد أبو أسامة الهلالي (معاصر) في «سلسلة الأحاديث التي لا أصل لها» رقم ٣٤.

* * *

(١) وقد علَّق الحوت على قول المزِّيّ: «لم نره في شيء من الكتب» قائلاً: «أي فهو موضوع كذب».

فهؤلاء الأعلام ـ وهم القوم لا يشقى بهم جليسُهم ـ اتَّفقت كلمتُهم على عدم وجود أصل لحديث: «سينُ بلال عند اللّٰه شينٌ»، ولا لأثر: «إنَّ بلالاً يبدل الشين سيناً في الأذان»، فالقصَّة مختلَقةٌ لا يجوز نسبتُها لهذا الصَّحابيّ الجليل.

أمَّا صاحب الفتوى فهو أبو الخير محمَّد بن محمَّد بن عبد اللّٰه بن خَيْضِر ـ بكسر الضَّاد ـ بن سليمان بن داود بن فلاح بن حميدة الخيضريّ الدِّمشقيّ الشَّافعيّ الحافظ، وُلِد عام ٨٢١هـ ببيت «لهيا» بدمشق، ونشأ يتيماً في كفالة أمّه، فقرأ القرآن وحفظ: «التَّنبيه»، و «ألفية الحديث»، و «ألفية النَّحو»، و «الملحة»، و «مختصر ابن الحاجب الأصلي»، واشتغل بالنَّحو، وطلب الحديث بنفسه فسمعه من شيوخ بلده والقادمين إليها، وتدرَّب في ذلك بحافظ بلده ابن ناصر الدِّين الدِّمشقيّ وتخرَّج على يديه، وانتفع بمرافقة النَّجم ابن فهد كثيراً، ولازم الحافظ ابنَ حجر العسقلانيّ أتمَّ ملازمةٍ وأخذ عنه جملةً من تصانيفه، وزاد شيوخُه على المائتين.

له مصنَّفاتٌ عديدة، منها: «اللَّفظ المكرَّم بخصائص النَّبيّ ﷺ»[1]، و «زهر الرِّياض في ردِّ ما شنَّعه القاضي عياض على الإمام الشَّافعيّ حيث أوجب الصَّلاة على البشير النذير في التَّشهُّد الأخير»[2]، وغير ذلك، وقد نُقمت عليه أشياء ذكرها الحافظ السَّخاويّ لكنَّه ختم الترجمة قائلاً:

---

(١) وهو مطبوع بتحقيق د. محمد الأمين الجكني.

(٢) حققه الزميل الأستاذ أحمد حاج الصومالي، وهو قيد الطَّبع.

«وبالجملة فهو ممَّن فيه رائحةُ الفنّ، بل هو من قدماء الأصحاب وأحد العَشَرَة الذين ذكرهم شيخُنا ـ أي ابن حجر ـ في وصيَّته».

تُوُفِّي عَلَمُنَا الخيضريُّ عام ٨٩٤هـ بالقاهرة رحمة اللّٰه عليه[(١)].

وأمَّا مخطوطة هذا الجزء فهو من محفوظات الخزانة التَّيموريَّة بالقاهرة تحت رقم ٣٩٣، وقد جاء في فهرس الخزانة ما يلي:

«رسالةٌ في الحديث الوارد في أذان سيِّدنا بلال وإبداله الشِّين سيناً وأنَّه لا أصل له، تأليف الحافظ محمَّد بن محمَّد الخيضريّ الشَّافعيّ المتوفَّى سنة ٨٩٤هـ، وهو جوابُ سؤالٍ سأله الحافظ إبراهيم بن محمد بن محمود النَّاجيّ»[(٢)].

ولها نسخة ورقيَّة في قسم المخطوطات بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينة النَّبويَّة ضمن مجموع رقمه رقم ٣٢٣٧ [١٢٥ ـ ١٢٦]، وفي قسم المخطوطات بمكتبة المسجد النَّبويّ ضمن مجموع أيضاً رقمه ٨٧/ ٨٠، وقد جاء في فهرس المكتبة أنَّ نسخته الأصليَّة موجودة في مكتبة المسجد، وليس كذلك، فإنَّ النسخة الأصليَّة لهذه الرِّسالة موجودةٌ في الخزانة التَّيموريَّة بالقاهرة كما تقدَّم بيانُه.

وهي بخطّ المؤلِّف حيث جاء في آخرها: «قاله ورقَمه الفقير إلى

---

(١) تراجع ترجمته مفصَّلة في: الضَّوء اللَّامع ٩/ ١١٦ ـ ١٢٤، ومقدّمة تحقيق كتابه: اللَّفظ المكرَّم بخصائص النَّبيّ ﷺ ١/ ٣١ ـ ٤٠.

(٢) فهرس الخزانة التَّيموريَّة ٢/ ٢٨٨.

عفو ربِّه محمَّد بن محمَّد الخيضريّ الشَّافعيّ غفر اللَّه ذنوبه بمنِّه وكرمه».

وهي قرينةٌ كافية ــ إن شاء اللَّه ــ على صحَّة نسبة هذا الأثر إليه، ويؤكِّد ذلك أمران:

الأول: أنَّه جاء في المخطوط نسبتُه إلى العلاَّمة الخيضريّ.

الثاني: تشابُه نَفَسِه هنا مع كتابه الآخر: «اللفظ المكرَّم بخصائص النَّبِيِّ ﷺ».



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعد فهذه رسالة للعلامة الحافظ ابراهيم بن محمد بن محمود الناجي [illegible] الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين في سيدنا بلال الحبشي المؤذن لرسول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان يقول من الشهادتين إذا أذن أو أقام أسهد بالسين المهملة
بدل الشين المعجمة ونقرة الشارع ولا تستبدل غيره من الفصحاء لا سيما يوم فتح مكة إذ أمره
أن يؤذن للظهر فوق ظهر الكعبة بحضرة أهل مكة والصحابة ولم يعبه أحد من المشركين
ولا المسلمين قديما ولا حديثا بلكونته اللثغ إنما عيره أبو ذر الغفاري لما شاتمه بأمه السوداء
واسمها حمامة والقصة مشهورة في الصحيحين وكذا قال له عبد الرحمن بن عوف يوم بدر لما
أراد أن يقتل أمية بن خلف وابنه أتسمع يا ابن السوداء كما في السيرة وهل
قال المصطفى إن سين بلال عند الله شين أو معنى هذا اللفظ كما يحكيه كثير من الدين للأنام [illegible]
بهذا المعنى ويجزمون بنقله كأنه صحيح متواتر والغرض أن الأئمة لم يذكروه ما الكلية
[illegible] الموضوعات والواهيات [illegible] نعم ذكر شيئا منه الشيخ موفق
الدين بن قدامة في الأذان من كتابه المغني بصيغة التمريض من غير عزو ولا مستند ثم
أخذه عنه تقليدا ابن أخيه شمس الدين ابن أبي عمر في شرح كتابه المقنع ولا أدري من
تبعهما وقد نبه الإمام العلامة الحافظ المحقق عماد الدين ابن كثير على ذلك فقال في ترجمة
سيدنا بلال من تاريخه وكان يذكر أن الصوت خشنة فصيحة قال وما يرويه بعض [illegible] أن سين
بلال عند الله شين فليس له أصل ولا يصح وقال قبله هذا من كلام سيد الأنام ومنهم بلال
وكان من أفصح الناس لا كما يعتقده بعض الناس أن سينه عند الله شينا حتى إن بعض
يروون في ذلك حديثا لا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سين بلال عند الله شين اسمع فقل
ما قاله هذا الجهبذ الناقد [illegible] وابن أصل هذا [illegible] وإن كان
في بعض [illegible] الزوايا بسند أو مستند نعتمد أن من الأحكام لا سيما في مثل سيد
المؤذنين بحضرة سيد الأولين والآخرين من الموافقين والمخالفين [illegible]
[illegible] والسلوا الجواب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

صورة الصفحة الأولى

على كلامه فيما ينقله ويتبين لانه خدم هذا العلم بفكره ولسانه وطالع كثيرا من كتبه بتحريره
واتقانه وقد كفى من سنواته المشرفة اعلاه عن الحوليين فانه ابو محمد [illegible] غاية الايضاح وسيدنا
بلال بن رباح رضي الله عنه كان فصيحا بليغا حسن الصوت انتخبه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بين جماعة من الصحابة لهذه الرتبة السنية وقال لعبد الله بن زيد صاحب الرؤيا التي هي
الاذان فانه اندى صوتا منك ولم ينقل البلاغ لاحد من الصحابة ممن سمعه يؤذن تلك المدة
المتطاولة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا بعده انه لحن عند هذه اللفظة المشار اليها ولو كانت منه
لتوفرت الدواعي على نقلها فان مثلها لا يسكت عنه ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق
الامين المبين للحق والحق لم يقره على ذلك ولا يرتضي ان يجهر بهذا الشعار الذي امتاز به اهل
الاسلام على كيفية ناقصة وخصوصا مع وجود اعداء الدين من مشركي العرب وكفار قريش
واليهود والنصارى وعموم من المنافقين واهل الضلال ولو سمع احد منهم هذه اللفظة المشار
اليها لعابوها وتناقلوها في مجالسهم فانهم كانوا في غاية الاجتهاد على تحصيل ناقصة
يثلمون بها كمال هذا الدين القويم وينتقصون بها احد المسلمين وخصوصا مثل سيدنا
بلال الذي لم يعتد لذلك الا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلن بذلك جهرة على الامكنة العالية
ليظهر به شعار المسلمين ويغيظ به الكافرين ولعظم ذلك الاذان على طهر الكعبة من اشرف
الايام وافخرها واجتماع الخلايق من كل فج عميق معاذ الله ان يرتضي هذه النقيصة لسيدنا بلال فانها
ليست مخصوصة به بل متعلقة بدين الاسلام ممن اعتقدها اثم اثما عظيما واما استناده الى ما ذكره
الشيخ موفق الدين ابن قدامة الحنبلي من كتابه المغني ومتابعة ابن اخيه الشيخ شمس الدين ابن ابي
عمر في شرح المقنع ومن نحا نحوهما فليس ذلك بمستند ولا معتمد فانه قال في كتابه المغني في فصل
يكره اللحن في الاذان فاما ما ذكره الشيخ لتغيير لا لنفي حتى جاز اذانه فقد روي ان بلالا كان يقول
[illegible] بجعل الشين سينا انتهى فيقال له الشيخ موفق الدين لا ننكر علمه وفضله ودينه وجمعه
[illegible] بعلم الحديث وهو معدود من الحفاظ المتقنين وكتابه المذكور من اعظم الكتب وانفعها
لكنه تساهل فيه بايراد احاديث واخبار ضعيفة بل موضوعة لا يعرف لها اصل ولم ينبه عليها
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

صورة الصفحة الثانية

أنس رضي الله عنه فإنه في البلاغ والمرسل ومما نص عليه الإمام الشافعي رضي الله عنه منها الضعيف
ومثل مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وغيره من كتب الذي هو من أجل الحديثية واعظمها فيه
الضعيف بل والواهي وكذلك مصنف الشيخ عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة ومسند الطيالسي
ومسند الدارمي ومسند أبي يعلى ومسند البزار ومعاجم الطبراني وكتب الدارقطني وأبي
نعيم كالحلية وكتب ابن منده وكتب الخطيب وغيرهم من الأئمة أصحاب الكتب المشهورة التي هي
مصنفة في فن الحديث وأما كتب الفقه على كثرتها من سائر المذاهب وأصحابها أئمة
كبار فهي مشحونة بمثل ذلك فلا نقتصر بالحظ للشيخ موفق الدين ومن تبعه لكن كان الأكمل
لهم التنبيه على مثل ذلك كما فعل أستاذ المتأخرين الشيخ محيي الدين النووي رضي الله عنه وأرضاه
وجزاه عن دين الإسلام أفضل الجزاء وقد تابعه جماعة من المتأخرين بعده على ذلك رضي الله
عنهم ولكل امرئ ما نوى فإن استند قائل ذلك إلى ما أشار إليه ابن حجر العسقلاني [illegible] فهو
إسناد إلى غير مستند فإن هذا الكلام يتناقله الجهال بعلم الحديث على ألسنتهم ويزعمونه حديثا
ينسبونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وليس هو بحديث فقد تتبعته من غالب كتب الحديث والأجزاء
والمرويات والتواريخ فما رأيته ولا علمت لأحد أخرجه بإسناده حتى ولا من الكتب الواهيات
والموضوعات وقد صرح السيد العلامة الحافظ القدوة المتقن المحقق عماد الدين ابن كثير
في قوله ليس له أصل والعجب ممن زعم أن له أصلا بإسناد ينقله أو حكاية معتمدة فليظهره
لنا لنتبين له هذا الفساد ونرشده إلى المراد ومن يضلل الله فما له من هاد قاله ورقمه الفقير إلى
عفو ربه [illegible] غفر الله ذنوبه بمنه وكرمه آمين والحمد لله وحده وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل

صورة الصفحة الأخيرة

لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٤٤)

جُزْءٌ فِي عَدَمِ صِحَّةِ مَا نُقِلَ عَن بِلالِ بنِ رَباحٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ مِنْ إِبْدالِهِ الشِّيْنَ فِي الأَذانِ سِيْنًا

تأليف
أَبِي الخَيْرِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الخَيْضَرِيِّ الدِّمَشْقِيِّ الشَّافِعِيِّ
(٨٢١ - ٨٩٤ هـ)

قرأها وعلّق عليها
جمال عزّون



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّٰه ربّ العالمين، وصلَّى اللّٰه وسلَّم على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

سؤالٌ سأله الإمامُ الحافظ إبراهيم بن محمَّد بن محمود النَّاجيّ صورتُه:

الحمدُ للّٰه الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات:

ما قولُ السَّادةِ العلماءِ أئمَّةِ الدِّين رضي اللّٰه عنهم أجمعين عن سيِّدنا بلال الحبشيّ المؤذِّن الرَّاتب لرسول اللّٰه ﷺ، هل كان يقول في الشَّهادتين إذا أذَّن أو أقام: «أَسْهَدُ» بالسِّين المهملة بدل الشِّين المعجمة، ويُقرّه الشَّارعُ ولا يَستبدل غيرَه من الفصحاء، لا سيَّما يومَ فتح مكَّة إذ أمره أن يُؤَذِّن الظُّهْرَ فوق ظهر الكعبة بحضرة أهل مكَّة والصَّحابة[1]، ولم يعبه أحدٌ من المشركين ولا المسلمين قديماً ولا

(١) أخرج الفاكهيُّ في أخبار مكَّة ٥/٢٢١ رقم ١٨٥، من طريق عبيد اللّٰه بن موسى، حدَّثنا موسى بن عبيدة، عن عبد اللّٰه بن دينار، عن ابن عمر قال: «أمر رسول اللّٰه ﷺ بلالاً فرقى على ظهر الكعبة فأذَّن بالصَّلاة». وموسى بن عبيدة ضعيفٌ لا سيَّما في عبد اللّٰه بن دينار كما قال الحافظ ابن حجر. لكنَّ =

حديثاً بكونه ألثغَ، إنَّما عيَّره أبو ذرٍّ الغفاريُّ لمَّا سابَّه بأمِّه السوداء[1] واسمُها حَمامَة[2]، والقصَّةُ مشهورةٌ في «الصحيحين»[3]، وكذا قال له عبدُ الرَّحمن بن عوف يوم بدر لمَّا أراد أن يَبْطِشَ بأسيريه أُمَيَّة بن خلف

= الحديث له شواهد عن ابن عبَّاس عند الفاكهيّ في أخبار مكة ٥/ ٢٢٢ رقم ١٨٦، وعبد اللّٰه بن أبـي عبيدة وأبـي سلمة ويحيـى بن عبد الرحمن بن حاطب عند ابن أبـي شيبة في المصنّف ٧/ ٣٩٨، ٤٠٦، وابن أبـي مليكة عند ابن سعد في الطَّبقات ٣/ ٢٣٤، وابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة ٢/ ٧٤٧.

(١) أخرج ذلك البيهقيُّ في شعب الإيمان ٩/ ٣٦١ رقم ٤٧٧٢، تحقيق النَّدويّ، من طريق أبـي عبد الملك، عن القاسم، عن أبـي أمامة رضي اللّٰه عنه قال: «عيّـر أبـو ذرٍّ بلالاً بأمِّـه فقال: يـا ابن السَّوداء...» الحديث، وفـي إسنـاده أبو عبد الملك وهو عليّ بن يزيد بن أبـي زياد الألهانيّ، قال عنه البخاري: منكر الحديث. وقال النَّسائيّ: ليس بثقة. وقال الدَّارقطنيّ: متروك.

(٢) في الأصل: حمارة، والتَّصويب من كتب التَّراجم كطبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٢، ومعرفة الصَّحابة لأبـي نعيم ١/ ٣٧٣، والإصابة لابن حجر ١/ ١٧١، ٤/ ٥٣، وغيرها.

(٣) الذي في الصَّحيحين ليس فيه التَّصريح باسم بلال رضي اللّٰه عنه، فعن المعرور بن سويد قال: «لقيتُ أبا ذرٍّ بالرَّبَذَة وعليه حُلَّةٌ وعلى غلامه حُلَّةٌ، فسألتُه عن ذلك فقال: إنِّي ساببتُ رجلاً فعيَّرتُه بأمِّه...» الحديث. أخرجه البخاريّ ــ مع الفتح ١/ ٨٤ رقم ٣٠، ومسلم ٣/ ١٢٨٣ رقم ٤٠. قال ابن حجر: «قيل: إنَّ الرَّجل المذكور هو بلال المؤذِّن مولى أبـي بكر، وروى ذلك الوليدُ بن مسلم منقطعاً». وانظر رواية الوليد التي ذكرها ابنُ حجر في شرح البخاري ١/ ٨٧ لابن بطَّال.

وابنه: «أتسمعُ يابن السَّوداء؟» كما في «السِّيرة»[1].

وهل قال المصطفى: «إنَّ سينَ بلالٍ عند اللّٰه شينٌ» أو معنى هذا اللَّفظ، كما يَلْهَجُ به كثيرٌ من الذين لا إلمام لهم بهذا الفنِّ أو يجزمون بنقله كأنه صحيحٌ متواترٌ، والغرضُ أنَّ أكثر الأئمَّة لم يذكروه بالكلِّيَّة حتَّى ولا في الموضوعات والواهيات لكونه من المُوَلَّدات.

نَعَمْ ذَكَرَ شيئاً منه الشَّيخُ موفَّق الدِّين بن قُدامة في الأذان من كتابه «المغني» بصيغة التَّمريض من غير عزو ولا مُستند[2]، ثم أخذه عنه تقليداً ابنُ أخيه شمس الدِّين ابن أبي عمر[3] في شرح كتابه: «المقنع»[4]، ولا أدري من تبعهما.

وقد نبَّه الإمام العلاَّمة الحافظ المحقِّق عماد الدِّين ابن كثير على

---

(١) أخرجه ابنُ إسحاق في السِّيرة ـ كما تهذيب ابن هشام ٢/ ٦٣٢ ـ، ومن طريقه الطَّبريُّ في تاريخه ٢/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣، عن عبد الواحد بن أبي عون، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن عوف، عن أبيه، عن عبد الرَّحمن بن عوف قال: فذكر قصَّة وفيها قول عبد الرَّحمن بن عوف لبلال: أتسمع يا ابن السَّوداء. ورجاله ثقاتٌ وابن إسحاق قد صرَّح بالتَّحديث.

(٢) المغني ٢/ ٩٠ في فصل كراهة اللَّحن في الأذان، حيث قال: «فأمَّا إن كان ألثغ لُثْغَةً لا تتفاحش جاز أذانُه، فقد رُوِيَ أَنَّ بلالاً كان يقول: أَسْهَدُ، يجعل الشِّينَ سِيناً».

(٣) شمس الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن أبي عمر محمَّد بن أحمد بن قدامة المقدسيّ الحنبليّ (ت ٦٨٢هـ).

(٤) الشَّرح الكبير على متن المقنع ١/ ٤١٦.

ذلك، فقال في ترجمة سيِّدنا بلال من «تاريخه»[1]: «وكان نديَّ الصَّوت حسنَه فصيحَه ــ قال ــ: وما يُروى: إنَّ سين بلالٍ عند اللّٰه شينٌ، فليس له أصلٌ ولا يصحُّ».

وقال قبل هذا في خُدَّام سيِّد الأنام:

«ومنهم بلالٌ وكان من أفصح النَّاس لا كما يعتقدُه بعضُ النَّاس أنَّ سينه عند اللّٰه شينٌ، حتَّى أنَّ بعضهم يروون في ذلك حديثاً لا أصل له عن رسول اللّٰه ﷺ: إنَّ سين بلالٍ عند اللّٰه شينٌ»[2]، انتهى.

فهل ما قاله هذا الجهبذُ النَّاقدُ الحجَّةُ صحيحٌ أم لا؟

وأين أصلُ هذا في الكتب أو الأجزاء؟

وإن كان في بعض خبايا الزَّوايا بسند أو مُستند يُعتمدان في الأحكام لا سيَّما في مثل سيِّد المؤذِّنين بحضرة سيِّد الأوَّلين والآخرين والموافقين والمخالفين، وإلاَّ فليُنبَّه عليه ويُحَرَّر أمرُه إذ ليس بالهيِّن.

أفتونا مأجورين، وابسطوا لنا الجواب محرَّراً من مظانِّه، معزوًّا بميزان الإنصاف والتَّرجيح، فإنَّ الضَّرورةَ داعيةٌ إلى ذلك، وهذا العلمُ دينٌ، والزَّمانُ قد كثُر فيه الكلامُ بلا علم، أبقاكم اللّٰه البقاءَ الجميل، وأحياكم للمسلمين.



(١) البداية والنِّهاية ــ تحقيق التّركي ١٠/ ١٠٣ ــ وَفَيات سنة ٢٠هـ.

(٢) البداية والنِّهاية ٨/ ٣٠٤ ــ ٣٠٥.

الجواب

الحمدُ للّٰه، اللّٰهُمَّ اهدني لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنك، وصلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّد عبدك ورسولك ونبيّك.

هذه المسألةُ ليس المسؤولُ عنها بأعلم من السَّائل فيها؛ فإنَّ السَّائل عالمٌ فاضلٌ محدِّثٌ مُحَرِّرٌ مُتْقِنٌ مُعْتَمَدٌ على كلامه فيما ينقلُه ويسندُه، لأنَّه خدم هذا العلمَ بقلمه ولسانه، وطالع كثيراً من كتبه بتحرير وإتقانٍ، وقد كفى في سؤاله المشروح أعلاه عن الجواب فإنَّه أوضح ذلك غايةَ الإيضاح.

وسيِّدُنا بلال بن رباح رضي اللّٰه عنه كان فصيحاً بليغاً حسنَ الصَّوت، انتخبه سيِّدُنا رسولُ اللّٰه ﷺ من بين جماعةٍ من الصَّحابة لهذه الرُّتبة السَّنِيَّة، وقال لعبد اللّٰه بن زيد صاحب الرُّؤيا: «أَلْقِ عليه الأذانَ فإنَّه أَنْدَى صوتاً منك»[1]، ولم يُنقل إلينا عن أحدٍ من الصَّحابة ممَّن

---

(١) أخرجه أبو داود ١/ ٣٨٧ ــ ٣٨٨ رقم ٥٠٠، والتِّرمذيّ ١/ ٢٣١ ــ ٢٣٢ رقم ١٨٩، وابن ماجه ٢/ ٣٣ ــ ٣٥ رقم ٧٠٦، وغيرهم من طرق عن محمَّد بن إسحاق، حدَّثني محمَّد بن إبراهيم بن الحارث التَّيميّ، عن محمَّد بن عبد اللّٰه بن زيد بن عبد ربّه، حدَّثني أبـي عبد اللّٰه بن زيد به. قال التِّرمذيّ: «حديث حسن صحيح».

سمعه يُؤَذِّن تلك المُدَد المتطاولةَ في زمن النَّبِـيِّ ﷺ ولا بعده أنَّه حكى عنه هذه اللّثغة المشار إليها، ولو كانت فيه لتوفَّرت الدَّواعي على نقلها فإنَّ مثلَها لا يُسكت عنه.

ولم يكن رسولُ اللّٰه ﷺ الصَّادِقُ الأَمِينُ المبيِّنُ الحلالَ والحرامَ يُقرّه على ذلك ولا يَرتضي أن يجهر بهذا الشِّعار الذي امتاز به أهلُ الإسلام على كيفيَّةٍ ناقصةٍ، وخصوصاً مع وجود أعداء الدِّين من مشركي العرب وكفَّار قريش واليهود والنَّصارى ونحوهم من المنافقين وأهل الضَّلال، ولو سمع أحدٌ منهم هذه اللَّفظةَ المشارَ إليها لعابوها وتناقلوها في مجالسهم، فإنَّهم كانوا في غاية الاجتهاد على تحصيل ناقصةٍ يَثْلِمُون بها كمالَ هذا الدِّين القويم، وينتقصون بها أحدَ المسلمين وخصوصاً مثل سيِّدنا بلال الذي لم يفعل ذلك إلَّا بأمر رسول اللّٰه ﷺ، ويُعلن بذلك جهرةً على الأمكنة العالية ليُظهر به شعارَ المسلمين ويغيظ به الكافرين، وأعظمُ ذلك أذانُه على ظهر الكعبة في أشرف الأيَّام وأفخرها واجتماع الخلائق من كلِّ فريقٍ، معاذَ اللّٰه أن تُرتضى هذه النَّاقصةُ لسيِّدنا بلالٍ، فإنَّها ليست مخصوصةً به بل متعلِّقةً بدين الإسلام، فمن اعتقدها أَثِم إثماً عظيماً.

وإن استند إلى ما ذكره الشَّيخُ موفَّق الدِّين ابن قدامة الحنبلي في كتابه «المغنيَ» ومتابعة ابن أخيه الشَّيخ شمس الدِّين ابن أبـي عمر في «شرح المقنع»[1] ومن نحا نحوَهما، فليس ذلك بمُستند ولا مُعتمد، فإنَّه قال في كتابه «المغني» في فصل: «يكره اللَّحن في الأذان، فأمَّا إذا

(١) المغني ٢/ ٩٠.

كان ألثغَ لثغةً لا تتفاحش جاز أذانُه، فقد رُوي أنَّ بلالاً كان يقول: «أَسْهَدُ» بجعل الشِّين سيناً»، انتهى[1].

فيُقال له: الشَّيخ موفَّق الدِّين لا يُنْكَر علمُه ولا فضلُه ودينُه وخَيْرُه وخبرتُه بعلم الحديث، وهو معدودٌ من الحفَّاظ المتقنين، وكتابُه المذكور من أعظم الكتب وأنفعها، لكنَّه تساهل فيه بإيراد أحاديثَ وأخبارٍ ضعيفةٍ بل موضوعةٍ لا يُعرف لها أصلٌ ولم يُنَبِّه عليها، وهو تابعٌ في هذا الصَّنيع لغالب العلماء المتقدِّمين، فإنَّهم يستدلُّون بأحاديثَ ضعيفةٍ بل واهيةٍ بل موضوعةٍ، ويُوردونها في مصنَّفاتهم ويسكتون عليها، ويتركون التَّنبيهَ عليها لأصحاب هذه الصِّناعة وهم أئمَّةُ الجرح والتَّعديل، الذين أقامهم اللّٰه تعالى صَيارفةً لدينه ينقدون جيِّدَه من مغشوشه، وصحيحَه من سقيمه، ويبيِّنوه بأوضح بيان.

وهذا الفعلُ لم يَنْقُصْ به فاعلُه عن رتبة العلم، فقد وقع ذلك في مصنَّفات الكبار مثل «موطأ الإمام مالك بن أنس رضي اللّٰه عنه»، فإنَّ فيه البلاغَ والمُرسَلَ، ومثلُ «تصانيف الإمام الشَّافعيّ رضي اللّٰه عنه» فيها الضَّعيفُ، ومثلُ «مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي اللّٰه عنه» ــ وغيره من كتبه ــ الذي هو من أجلّ الكتب الحديثيّة وأعظمها فيه الضَّعيفُ بل والواهي، وكذلك «مصنَّف شيخه عبد الرزَّاق»، و «مصنَّف ابن أبي شيبة»، و «مسند الطَّيالسيّ»، و «مسند الدَّارميّ»، و «مسند

(١) الشرح الكبير على متن المقنع ١/ ٤١٦.

أبـي يعلـى»، و «مسنـد البـزَّار»، و «معـاجـم الطَّبـرانـيّ»، و «كتـب الدَّارقطنيّ»؛ وأبـي نعيم كـ: «الحلية»، و «كتب ابن منده»، و «كتب الخطيب»، وغيرهم من الأئمَّة أصحاب الكتب المشهورة التي هي مصنَّفَةٌ في هذا الفنِّ الحديثيّ.

وأمَّا كتبُ الفقه على كثرتها من سائر المذاهب وأصحابُها أئمَّةٌ فهي مشحونةٌ بمثل ذلك، فلا نقصَ يَلْحَقُ الشَّيخَ موفَّق الدِّين ومَن تبعه، لكن كان الأكملُ لهم التَّنبيهَ على مثل ذلك كما فعل أستاذُ المتأخِّرين الشَّيخ محيـي الدِّين النَّوويّ رضي اللّٰه عنه وأرضاه، وجزاه عن دين الإسلام أفضل الجزاء، وقد تابعه جماعةٌ من المتأخِّرين بعده على ذلك رضي اللّٰه عنهم، ولكلِّ امرىءٍ ما نوى.

فإن استند قائلُ ذلك إلى ما أشار إليه: «إنَّ سين بلالٍ عند اللّٰه شينٌ»، فهو استنادٌ إلى غير مُستند، فإنَّ هذا كلامٌ يتناقله الجهَّالُ بعلم الحديث على ألسنتهم، ويزعموه حديثاً وينسبوه إلى النبـي ﷺ، وليس هو بحديث، فقد تتبعته في غالب كتب الحديث والأجزاء والمرويات والتواريخ فما رأيته، ولا علمت أحداً صرَّح بإسناده حتى ولا في الكتب الواهيات والموضوعات.

وقد صدق الشيخ العلاَّمة الحافظ القدوة المتقن المحقق عماد الدين ابن كثير في قوله: «ليس له أصل ولا يصح»؛ فمن زعم أنَّ له أصلاً بإسناد ينقل أو في كتاب معتمد فليظهره لنا لنبيِّن له فيه الفساد، ونرشده إلى المراد، ومن يضلل اللّٰه فما له من هاد.

قالـه ورقمـه الفقيـر إلـى عفـو ربّـه محمَّـد بـن محمَّـد الخيضـري الشافعيّ، غفر اللّٰه ذنوبه بمنّه وكرمه، آمين.

والحمد للّٰه وحده، وصلَّى اللّٰه على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم، وحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل(١).



(١) تمَّت قراءةُ هذا الجزء المتضمِّن فتوى في عدم صحَّة ما نُقِل عن بلال بن رباح رضي اللّٰه عنه في إبداله الشِّين في الأذان سيناً، تأليف أبـي الخير محمَّد بن محمَّد الخيضريّ الدِّمشقيّ الشّافعيّ (ت ٨٩٤هـ) رحمه اللّٰه تعالى، وذلك فـي صحـن المسجـد الحـرام تجـاه الكعبـة المعظَّمـة بعـد أذان عصـر الاثنيـن ٢٥ رمضان المبارك عام ١٤٢٢هـ، بقراءة الفقير إلى عفو اللّٰه وكرمه جَمال عَزُّون، والشَّيخُ نظام محمَّد صالح يعقوبـيّ ممسكٌ بالأصل، وسمعه معنا الشَّيخُ محمَّد بن ناصر العجميّ ــ على فوت ــ، والشَّيخُ رمزي سعد الدِّين دمشقية، والأخُ الفاضل العربـي الدّائز الفرياطي، والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات.



لِقَاءُ ٱلعَشْرِ ٱلأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ
(٤٥)



قرأها وعلّق عليها

جمال عزّون



مقـدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحمدَ للَّـه، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللَّـهِ مِن شُرورِ أنفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالنا، مَن يهدِه اللَّـه فلا مضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إِلـهَ إِلَّا اللَّـه وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه.

أمَّا بعد:

فهذه وصيَّةٌ مختصرةٌ كتبها أحدُ الأعلام الذين باشروا مهنةَ القضاء وأدركوا عظمةَ المسؤوليَّة المَنُوطة بالقاضي الذي يفصل بين الخصوم بالعدل والإِنصاف، ويقضي بينهم بميزان الشَّرع، أسداها إِلى كلّ مَن في دائرته وتحت نظره مِن نوَّابه القُضاة ونُوَّابهم، وأهل العُقود والشُّهود، وأُمَناء الحكم والأَوصياء، ومباشري الأوقاف الحُكْمِيَّة، وأرباب الوظائف وغيرهم، يوصيهم بتقوى اللَّـه عزَّ وجلّ ومراقبته ومحاسبة النَّفس على كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، وغير ذلك من دُرر وعظيَّة وحِكَمٍ أُخْرَوِيَّة ذكَّر بها هذا القاضي الصَّالح نُوَّابَه القضاة وأشكالَهم ممَّن ضمَّتهم دائرتُه.

أمَّـا صاحبُ هـذه الوصيَّـة فهو أبو المعالي ناصر الدِّين محمَّد بن عبد الدَّائم بـن محمَّد بن سلامـة المصريّ الشَّافعيّ، المعروف بابن بنت المَيْلَق ويختصر إِلى ابن الميلق.

وُلِد سنة ٧٣١هـ، سَمِعَ من أحمد بن عُبيد الإسعرديّ وأحمد بن كشتغديّ وغيرهما، وأجاز له المزّيّ والذّهبيّ وأحمد بن عليّ الجزريّ وغيرهم.

اشتغل وحصَّل وتكلَّم على النَّاس دهراً، وقال الشِّعر، وأنشأ الخطب البليغة، وصنَّف كتباً في الوعظ والرّقائق. ثم ولي القضاء عام ٧٩٠هـ، فباشره بعزَّةٍ ونزاهة وحرمة ومهابة، ثم صُرف ولزم بيته إلى أن مات عام ٧٩٧هـ[1].

وأمَّا مخطوطة هذه الوصيَّة فهي محفوظة في خزانة المخطوطات الأصليَّة بمكتبة المسجد النَّبويّ، ضمن مجموع ١٩٤/ ٣٨٠ق [٣٧ب ـ ٣٩أ]، كما في فهرسة المكتبة ٣٧٠، رقم ٤١٣٩. وقد نسخ هذه الوصيَّة عَلَمٌ اسمُه محمَّد الخطيب، ففي آخرها: «كتبها لنفسه محمَّد الخطيب في يوم تاريخُه أعلاه»، والتَّاريخُ المشار إليه هو ٨٨٠هـ.

وقد نُسِبَت الوصيَّةُ لناصرِ الدِّين أبي عبد اللّٰه[2] محمَّد ابن المَيْلَق الشَّافِعِيّ، وهي نسبةٌ نستأنس بها في توثيق هذا الأثر لابن المَيْلَق، خاصَّةً وأنَّها من جملة الفنِّ الذي اشتهر به؛ وهو الزُّهد والوعظ والرَّقائق والخطب، وقد أنشأ فيها مؤلَّفات مفردة.

❑ ❑ ❑

(١) تراجع ترجمته في: المجمع المؤسّس ٣/٣٢٦، وغيره.

(٢) هكذا جاءت الكنية: «أبو عبد اللّٰه»، والمعروف في مصادر ترجمة ابن المَيْلَق أنَّها «أبو المعالي»، فلعلَّه من باب تعدُّد الكنى للعَلَم الواحد.

الاستجابة، وأنت عند ظن عبدك بك، فلك الحمد ولك الشكر، ولك الثناء الحسن الجميل،
سبحانك وبحمدك، تباركت وتعاليت، وتقدست عن أن تنفعك طاعة، أو تضرك
معصية، ربنا أسألك بما أوجب لك من وصف المعنى أن تجود بجودك علينا،
لقد حققتنا بصفة العفو، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم، وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، تم الكتاب بحمد الله الملك الوهاب، على
يد معلقه لنفسه ثم لمن شاء الله من بعده أبو الفتح محمد بن إبراهيم بن محمد
ابن معتد بن عبد الوهاب البهائي نسبا، الشافعي مذهبا، البلبيسي
مولدا، الوفائي مسلكا ومعتقدا، نزيل القاهرة المحروسة، عمرها الله ربوعها
المأنوسة، بكرمه وأمنه، ويمنه ومنه، بتاريخ يوم الاثنين المبارك،
ثاني عشر ذي الحجة الحرام عام ثمانين،
وثمانمائة، وحسبنا الله ونعم

وصية لسيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العلامة،
القدوة ناصر الدين أبي عبد الله محمد ابن الميلق الشافعي، نفع الله تعالى بعلومه،
وبركته، آمين، والحمد لله رب العالمين،
تم

صورة الصفحة الأولى وفيها العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ابتداءً، وبهدايته اهتدى، وهو المستعان وعليه التكلان

هذه وصية إلى كل من في دائرتنا ونحن نظرنا من نواب القضاة
ونوابهم، وأهل العقود والشهود، وأمناء الحكم، والأوصياء، ومباشري
الأوقاف الحكمية، وأرباب الوظائف وغيرهم. أما بعد حمد الله تعالى
والصلاة والسلام على سيد المختار رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله
وصحبه، فإنا نوصيكم بما وصانا الله تعالى وإياكم به، كما وصى به الأمم قبلنا
من التقوى المطلقة الشاملة لسائر أنواع تقوى القلوب والأبدان في
جميع حالات الأسرار والإعلان، قال الله تعالى: ولقد وصينا الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله، وإنما مدار على التقوى وأسند الهنا
مراقبة جلال الله، والعلم بأنه سبحانه يسمع ويرى، ويعلم السر وأخفى،
على أن كل مسلم يعلم ذلك، ولكن المراد العلم اليقيني الراسخ في الذهن
الحاضر في البال السليم من طوارق النسيان، والغفلة والسهو في
الحالات الغالبة، فمن كان كذلك غلب عليه الحياء من الله والخوف منه،
ولا سيما مع استحضار الوقوف بين يديه يوم القيامة والمحاسبة على النقير
والقطمير، وما يكون في ذلك اليوم من الغضب والأهوال والسعير،
فمن استحضر ذلك كله في ذهنه تحرز من كل ما يسخط الله وتعاطى كل ما
يحبه الله وسعى في كل ما يرضي الله، فليستحضر القوم قوله تعالى

وما تكون

صورة الصفحة الثانية

وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا
اذ تفيضون فيه، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السما،
ولا اصغر من ذلك، ولا اكبر الا في كتاب مبين، وليحذر القوم ان يراهم مولاهم،
عند شي مما عنه نهاهم، وليتلقوا وصيتنا بالقبول والامتثال، وليتمسكوا
بالعروة الوثقى من التقوى على التفصيل والاجمال، وليعتمدوا ما نفصله
لهم من الوصايا المهمه، وليجتهدوا في الوفا بها باعلى همه، فمن ذلك
تحصيل العلم بطريقه، ونشره بالافادة مع تحقيقه، ومجانبة الريا والمرا،
والفخر والمخاصمه، وحفظ الادب، والصدق في كل مخاطبه، ومكالمه،
ورعاية الاخلاص، في كل علم وعمل، والتوصل الى الخلاص، من كل نقص وزلل،
وبسط العدل في كل الاحكام، وضبط النفس عن اتباع الهوى، بازم زمام،
واعتماد ما به الفتوى، من الايمة المعتبرين في المذهب، ومجانبة النقل
الموجوه الضعيفه، الا لغرض يعرض او بطلب، وتدقيق النظر في
كل ما يعرض من الامور، وتحقيق الحق عند كل ورود وصدور، والورع
الكامل عن كل المحرمات والشبهات، وسد باب الطمع عن الفانيات،
وملازمة العفه والديانه والصيانه في المجالس والخلوات، وتحاسن
الاخلاق، وطهارة النفس، وتجويد الصفات، والاحسان الى الرعيه،
بكل ما يتنوع من الاحسان، والاجتهاد في مصالحهم، بكل ما يدخل تحت الامكان

صورة الصفحة الثالثة

ونتفقد مصالح الايتام في اباتهم واموالهم، واقامة من يوثق به في صيانتهم وتأديبهم،
وتعليمهم، ومراعاة احوالهم، فان كان لهم من آبائهم وصيا من يكفي لذلك فهو
معتمد، والا اقيم من يتولى ذلك ممن يعتمد عليه، ونتفقد مع مشاهدة الحاكم
الحال تارة بعد تارة، والسؤال عن كل يتيم ليسمع اخبارهم، وليحتفظ على
اموالهم بكل ممكن، وليحسن التصرف عليهم في المعاملات بالوجه الشرعي
بما يمكنه ان يحسن، وليحترز من ان يبيع بنسيئة وتاجيل ومن ان يسلم
المبيع قبل قبض الثمن الكثير والقليل، ونضبط اصول كل تركة ومصارفها
ضبطا جيدا، ويكتب بذلك اوراق المحاسبة، مشتملة بخطوط مباشري
ذلك كله، وليعلم القوم ان بيتنا بحمد الله تعالى مؤسس على العفة والتقوى،
موضع استغنا بنيله الهدى، مستند برجحان الحظوظ والهوى، فليبن
القوم بيتهم كما بيننا، وليبيضوا بنياتهم ووجوههم الينا، وليحذر كل منهم
ان ياتينا في طلب ولاية برسالة، او يتشفع عندنا في محاكمة او اثبات
عدالة، فان الشفاعة عندنا لا تبطل حقا، ولا تحق باطلا، والرسالة لا ترفع
عندنا من كان عن رتبة الاهلية نازلا، ومن ظن انه يتقدم عندنا بالدنيا
فظنونه كاذبة، وادراكاته قاصرة، نعوذ بالله وعزته، وكلماته التامات
من ان نوثر الدنيا على الآخرة، انما نقدم بحمد الله تعالى بالدين ونحب من احبه
الله من المتقين، والمقسطين والمحسنين، والتوابين والمتطهرين،
فمن ظهرت لنا طهارته قربناه من مصلانا، ومن علمنا حدثه ابعدناه
الى ان يرفع حدثه سرا واعلانا، ومن ثبتت عندنا توبته بشروطها قبلناه،

نسخة لدنياهم

ومن

صورة الصفحة الرابعة

معا

ومن بدت لنا معصيته مع الاصرار قابلناها وخزيناه عليها بما يليق

باعلاها وادناها ونحن نوكد على الجماعة في محاسبتهم انفسهم وتدارك

ما فسد من امورهم بالاصلاح والمبادرة الى ما يستر سوات سياتهم

ويظهر عليهم كمال تزيينهم بحسناتهم ولا يكون ذلك الا بلباس التقوى

وناهيك به من لباس يمنع ضرر الهوى ويوصل لابسه الى دخول جنة المأوى

والتنعم بنعيمها الدائم الذي لا يفنى والفوز بالرضوان الاكبر ومنشأ هذه وجه

المولى حقق الله تعالى ذلك وسلك بنا الله احسن المسالك وسلمنا

من امراض الهوى واسباب المهالك وصلى الله على سيدنا محمد

واله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين كتبها لنفسه محمد الخطيب في يوم تاريخ اعلاه

كتاب الحدود لسيدنا وقدوتنا الى الله تعالى الامام العلامة

الشيخ شهاب الدين ابي العباس احمد الابذي رحمة الله عليه ونفع

بعلومه في الدنيا والاخرة امين

والحمد لله رب العالمين

وحسبنا الله

ونعم

[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة



لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٤٥)



(للقضاة وأصحاب المناصب والوظائف)

قرأها وعلّق عليها
جمال عزّون

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبّيهم

دار البشائر الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم (١)

بحمد اللّٰه أبتدي، وبهدايته أهتدي، وهو المستعان، وعليه التُّكلان.

هذه وصيَّتُنا إلى كلِّ مَنْ في دائرتنا وتحت نظرنا من نوَّابنا القُضاة ونُوَّابهم، وأهل العقود والشُّهود، وأُمَناء الحكم والأوصياء، ومباشري الأوقاف الحُكْميَّة، وأرباب الوظائف وغيرهم.

أمَّا بعد حَمْدِ اللّٰهِ تعالى والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ رسول اللّٰه ﷺ وعلى آله وصحبه.

فإنَّا نُوصيكم بما وصَّانا اللّٰه تعالى وإيَّاكم به كما وصَّى به الأُمم قبلنا، من التَّقوى المطلقة الشَّاملة لسائر أنواع تقوى القلوب والأبدان، في جميع حالات الإسرار والإعلان، قال اللّٰه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ

---

(١) جاء في المخطوطة قبل البسملة هذه الجملة: «وصيَّةٌ لسيِّدنا العبد الفقير إلى اللّٰه تعالى الشيخ الإمام العلاَّمة القدوة ناصر الدِّين أبي عبد اللّٰه محمَّد بن المَيْلَق الشَّافعيّ، نفع اللّٰه تعالى بعلومه وبركته آمين، والحمدُ للّٰه ربِّ العالمين».

﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[1].

وإنَّما يحملُ على التَّقوى واستدامتها مراقبةُ جلال اللّٰه، والعلمُ بأنَّه سبحانه يسمعُ ويَرى، ويعلمُ السِّرَّ وأخفى، على أنَّ كلَّ مسلمٍ يعلمُ ذلك، ولكنَّ المرادَ العلمُ اليقينيُّ الرَّاسخُ في الذِّهنِ الحاضر، في البال السَّليم من طوارق النِّسيان، والغفلة والسَّهو في الحالات الغالبة، فمن كان كذلك غلبَ عليه الحياءُ من اللّٰه والخوفُ منه، ولا سيَّما مع استحضار الوقوفِ بين يديه يومَ القيامة، والمحاسبةِ على النَّقير والفَتيل والقِطْمير، وما يكونُ في ذلك اليوم من الغضب والأهوال والسَّعير.

فمن استحضر ذلك كلَّه في ذهنه تحرَّز من كلِّ ما يُسخط اللّٰه، وتعاطى كلَّ ما يحبُّه اللّٰه، وسعى في كلِّ ما يُرضي اللّٰه؛ فليستحضر القومُ قولَه تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[2]، وليحذر القومُ أن يراهُم مولاهُم، عند شيءٍ ممَّا عنه نهاهُم، وليتلقَّوا وصيَّتَنا بالقَبولِ والامتثال، وليتمسَّكوا بالعُروة الوثقى من التَّقوى على التَّفصيل والإجمال، وليعتمدُوا ما يُفَصِّله لهم من الوصايا المهمَّة، وليجتهدوا في الوفاء بها بأعلى همَّة؛ فمن ذلك:

تحصيلُ العلم بطريقِه، ونشرُه بالإفادة مع تحقيقِه، ومجانبةُ الرِّياء

---

(١) سورة النساء: الآية ١٣١.

(٢) سورة يونس: الآية ٦١.

والمراء والفخر والمخاصَمَة، وحفظُ الأَدَب والصِّدقُ في كلِّ مخاطبة ومكالَمة، ورعايةُ الإخلاص في كلِّ علمٍ وعَمَل، والتَّوصُّلُ إلى الخَلاص من كلِّ نَقْصٍ وزَلَل، وبسطُ العدل في كلِّ الأحكام، وضبطُ النَّفس عن اتِّباع الهوى بأزمِّ زمَام، واعتمادِ ما به الفتوى[1] من الأئمَّة المعتبرين في المذهب، ومجانبة التَّمَحُّل للوجوه الضَّعيفة، لأجل غرضٍ[2] يَعْرِض أو بطلب[3].

وتدقيق النَّظر في كلِّ ما يعرضُ من الأمور، وتحقيق الحقّ عند كلِّ وُرودٍ وصُدور، والورع الكامل عن كلِّ المحرَّمات والشُّبهات، وسدّ باب الطَّمع عن الفانيات، وملازمة العفَّة والدِّيانة والصِّيانة في المجالس والخلوات، ومحاسن الأخلاق، وطهارة النَّفس، وتجويد الصِّفات، والإحسان إلى الرَّعيَّة بكلِّ ما يتنوَّع من الإحسان، والاجتهاد في مصالحهم بكلِّ ما يدخلُ تحت الإمكان.

وتفقُّد مصالح الأيتام في أبدانهم وأموالهم، وإقامة من يوثق به في صيانتهم وتأديبهم وتعلُّمهم، ومراعاة أحوالهم، فإن كان لهم من الأوصياء من يكفي كذلك فهو معتمد وإلاَّ أُقيم من يتولَّى ذلك ممَّن يعتمدُ عليه، ويتعهَّد[4] مع معاهدة الحاكم الحالَ تارةً بعد تارة،

---

(١) في الأصل: «التقوى»، ولعلَّ المثبت أولى.

(٢) وتحتمل قراءته: «عرض»، كما في هامش الأصل.

(٣) يعني أنَّ المستفتي يتقصَّد طلب الفتوى من المفتي اعتماداً على وجه ضعيف في أحد المذاهب يلائم هوى المستفتي رغم كونه خلاف المُفتى به.

(٤) في الأصل: «يعتقد»، ولعلَّ المثبت أولى.

والسُّؤال عن كلِّ يتيم؛ ليسمع أخبارَه، وليحتفظ على أموالهم بكلِّ ممكن، وليُحسن التَّصَرُّفَ عليهم في المعاملات بالوجه الشَّرعيّ بما يمكنُه أن يحسن، وليَحْتَرِزْ مِن أن يبيع تنسئةً وتأجيلاً، ومن أن يُسَلِّمَ المبيعَ قبل قبض الثَّمن الكثير والقليل، ويضبط أصولَ كلِّ تَرِكَةٍ ومصارفَها ضبطاً جيِّداً، ويكتب بذلك أوراقَ المحاسبة مشمولةً بخطوط مباشري ذلك كلّه.

وليعلم القومُ أنَّ بيتنا بحمد اللّٰه تعالى مُؤَسَّسٌ على العِفَّةِ والتَّقوى، موضوعٌ لاستقبال قبلة الهُدى، مستدبرٌ لجهات الحظوظ والهوى، فَلْيَبْنِ القومُ بنيانَهم كما بنينا، وليبيِّضُوا بنيانهم[1] ووجوههم إلينا[2]، وليحذر كلٌّ منهم أن يأتينا في طلب ولايةٍ برسالَة، أو يتشفَّع عندنا في محاكمةٍ أو إنشاء عدالَة، فالشَّفاعةُ عندنا لا تبطلُ حقّاً ولا تحقّ باطلاً، والرِّسالةُ لا تَرفع عندنا مَنْ كان عن رتبة الأهليَّة نازلاً، ومن ظنَّ أنَّه يتقدَّمُ عندنا بالدُّنيا فظنونُه كاذبةٌ، وإدراكاتُه قاصرةٌ.

نعوذُ باللّٰهِ وعزَّته وكلماته التَّامَّات من أن نُؤثر الدُّنيا على الآخرة، إنَّما نُقَدِّمُ ـ بحمد اللّٰه تعالى ـ بالدِّين، ونُحِبُّ مَنْ أَحَبَّهُ اللّٰه مِنَ المُتَّقِين والمقسطين والمحسنين والتَّوَّابين والمتطهِّرين.

فمن ظهرتْ لنا طهارتُه قرَّبناه من مصلَّانا، ومَن عَلِمْنَا حَدَثَهُ أبعدناهُ إلى أن يرفع حَدَثَهُ سِرًّا وإعلاناً، ومَن ثبتت عندنا توبتُه بشروطها

---

(١) كذا في الأصل، ولعلَّها: «نيَّاتهم».

(٢) في نسخة: «لدينا»، كما في هامش الأصل.

قبلناها، ومَن بدتْ لنا معصيتُه مع الإصرار قابلناها، وجزيناه[1] عليها بما يليقُ بأعلاها وأدناها.

ونحن نؤكِّدُ على الجماعة في محاسبتهم أنفسَهُم، وتدارك ما فسد من أمورهم بالإصلاح، والمبادرة إلى ما يستُر سوءات سيِّئاتهم، ويُظْهِرُ عليهم كمالَ تزيينهم بحسناتهم، ولا يكونُ ذلك إلَّا بلباس التَّقوى، وناهيكم به من لباسٍ يمنعُ ضررَ الهوى، ويؤهِّلُ لابسَه إلى دخول جنَّة المأوى، والتَّنَعُّم بنعيمها الدَّائم الذي لا يفنى، والفوز بالرّضوان الأكبر، ومشاهدة وجه المولى.

حقَّق اللّٰه تعالى ذلك، وسلك بنا اللّٰه أحسنَ المسالك، وسلَّمنا من أمراض الهوى وأسباب المهالك.

وصلَّى اللّٰه على سيِّدنا محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين، والحمدُ للّٰه ربِّ العالمين. كتبها لنفسه محمَّد الخطيب في يومٍ تاريخه أعلاه[2].

❏ ❏ ❏

---

(١) وتحتمل قراءتُه: «خزيناه»، كما في هامش الأصل.

(٢) نجزت قراءتُه في صحن المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرَّفة قُبالة الرُّكن اليمانيِّ، قبل مغرب الاثنين ٢٥ رمضان المبارك من عام ١٤٢٢هـ، بقراءة الفقير إلى عفو اللّٰه وكرمه جمال عَزُّون، والشَّيخ نظام محمَّد صالح يعقوبيّ ممسك بالأصل للمقابلة، وسمعه معنا الشَّيخُ رمزي سعد الدِّين دمشقيَّة، والأخُ الفاضل العربي الدّائز الفرياطي، والحمد للّٰه الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات.

المحتوى

● ● ●

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٤٦)



تأليف

المُحَدِّثِ العلَّامةِ الشَّيخِ عبدِ اللهِ بنِ سالمٍ البصريِّ
(١٠٤٨ - ١١٣٤ هـ)

قَدَّمَ لَهُ وَحَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
العربي الدائز الفرياطي

أَسْهَمَ بِطَبْعِهِ بَعْضُ أَهْلِ الخَيْرِ مِنَ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَمُحِبِّيهِم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb



قالوا في البصري

* قال عنه شمس الدين محمد بن أحمد الجُوهري :

«محدِّث العصر وإمامه، وجهبذه وهُمامه، أمير المؤمنين في الحديث».

* قال الشيخ أبو العباس بن ناصر الدرعي في رحلته :

«زعم طلبة الحرم أنه فاق أهل الحرمين في الحديث وغيره من سائر العلوم».

* وقال عنه الحافظ المرتضى الزبيدي :

«قد اتفقوا على أنه حافظ البلاد الحجازية».

* وقال عنه الشيخ إسماعيل ابن الشيخ سعيد سكر :

«أميرُ المؤمنين في الحديث».

* وقال الوجيه الأهدل (ت ١٢٥٠هـ) :

«ومن مناقبه تصحيحه للكتب الستة حتى صارت نسخته يُرجع إليها من جميع الأقطار... ومن أعظمها صحيحُ البخاري الذي وُجد فيه ما في اليونينية وزيادة، أخَذَ في تصحيحه وكتابته نحواً من عشرين سنة، وجمع مسند أحمد بعد أن تفرق أيادي سُبا، وصححه، وصارت نسختُه أمة».


بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، أحمده على ما خص به من النعم وأولى، وله الحمد في الآخرة والأولى، ثم الصلاة والسلام على أشرف الخلق نسباً، وأصدقهم قولاً، وعلى آله وصحابته الذين منحهم الله بذلك شرفاً وفضلاً، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم جعله الله للخلائق قضاءً وفصلاً.

وبعد، فلقد سَعِدْتُ بالتعرف على مشايخ أجلة، وإخوة أحبة في أيام مباركة، وليال طيبة من شهر رمضان المبارك ــ في العشر الأواخر ــ، في جو إيماني معطر بالعلم ومدارسته، مؤرَّج بالقرآن وتلاوته، عبق بالفوائد العلمية، والنكت الأدبية، ثم وجدتني أكثر اغتباطاً، وأشد سعادة لما لَمَسته في إخوتنا ومشايخنا من تواضع جم، وأدب رفيع، وودّ سائد، بارك الله في مجالسهم هذه، وبارك في علمهم، وأجزل ثوابهم.

وهذه الرسالة كانت من ضمن الرسائل التي قرأتها مع الإخوة، وظني إذ ذاك أني منجزها، ومتمُّها في أيام يسيرة، ثم عرضت لي عوارض، وصرفتني صوارف كادت أن تصرفني عنها لولا أن الله يسَّر لي مَن قوَّى عزمي، وحثني على المُضي في تحقيقها حتى منَّ الله عليَّ بإكمالها، فله الحمد والثناء.

أما مضمون الرسالة فهو ختم على جامع الإمام الترمذي، من جملة ختوم الكتب الستة التي ألَّفها محدث الحجاز، وخادم الحديث النبوي في عصره المحدث العلامة الشيخ عبد الله بن سالم البصري (ت ١١٣٤هـ)، وقد ضمَّن البصري هذه الرسالة: شرح الحديث الأخير من الترمذي، ثم شرع في الختم، وذكر فضل كتاب الترمذي، وشروحه، ومنزلته بين الكتب الستة، وشرطه، ورواته، وسنده المتصل به، وترجمة الترمذي نفسه، وأشياء أخرى، وختم كل ذلك بحديثين مناسبين لأن يختم بهما المجلس.

وكان مراعياً لأمانة التصنيف، ناسباً الأقوال إلى أصحابها، والفوائد إلى مصادرها، وكان يسير في ذلك كله على خطه مرسومة، ومنهج سوي، مما دل على تمرسه القوي بهذا الفن.

وأما عملي في الرسالة فقد عُنيت أولاً بالتعريف بالبصري: اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، وشيخه، وتلاميذه، وعقيدته ومذهبه، وآثاره، ثم وفاته وثناء العلماء عليه، وقد أغفلت بعض النقاط المهمة في حياته خوف الإطالة، ثم ألفيتني مضطراً إلى الحديث ــ من غير عُدة ــ عن كتب الختم وتعريفها، ونشأتها، ومراحلها التاريخية، وجهود البصري في كتب الختم، وذكر بعض ختوم الترمذي، ثم وصف النسختين اللتين اعتمدتهما في تحقيق الرسالة.

ثم يلي ذلك نص الكتاب، وقد علقت عليه بما يناسب من غير إفراط، وخرَّجت نقولاته من مصادرها، وعرَّفت ببعض الأعلام، وقابلت بين النسختين لتصويب بعض الأخطاء.

هذا، ولست أنسى أن أشكر أخي الكريم، الرجل الكامل، النجيب الفاضل، الأستاذ الحاج عبد الحق أوزين الذي كنتُ ولا زلت

ألقى منه كل دعم وتشجيع، فبارك الله فيه، وفي أبنائه، ووالديه.

كما أشكر أخي وأستاذي الشيخ عبد اللطيف الجيلاني الذي منحني ثقته، وشجعني على هذا العمل الذي أنا مُسْتَقِلُّه، ومُليم نفسي على التقصير فيه، بيد أني أسأل الله أن يثيبني على ما كتبت، وأن يعصمني من الزلل، وحسبي أني لم آل جهداً، ولم أدخر وسعاً، وصلَّى الله على محمد بن عبد الله وآله وصحبه.

كتبه

العربي الدّائز الفرياطي

في المدينة النبوية ١٧/ ٣/ ١٤٢٣هـ



ترجمة المؤلف[1]

الاسم والنسب:

هو الإمام محدث مكة والحجاز جمال الدين عبد الله ابن الشيخ سالم بن محمد بن سالم بن عيسى البصري أصلاً ومنشأً، المكي ولادة، الشافعي مذهباً.

مولده:

هناك اختلاف بين كتب التراجم في تحديد السنة التي وُلد فيها العلامة البصري، وهو اختلاف ليس من السهل الفصل فيه، بَيْد أنه من الممكن أن نقدم قولاً على غيره إذا ما ظهر لنا ما يوجب ذلك.

---

(١) المصادر التي ترجمت للبصري: لعله من المتعذر أن يحصي الباحث كل الكتب التي اعتنت بالتعريف أو الترجمة للعلامة البصري نظراً لمكانته وشهرته وكثرة تلاميذه الذين ترجموه في فهارسهم، ولذلك فإني أقتصر على المصادر التي اقتبست منها ترجمته، وهي: «الإمداد بمعرفة علو الإسناد» للبصري نفسه، و «مختصر نشر النور والزهر» لعبد الله ميرداد (٣/ ٢٤٧)، و «فهرس الفهارس والأثبات» للكتاني (١/ ١٩٣)، و «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ٣٤ ــ ٣٨)، و «تحفة الإخوان» (ص ٣٧)، و «الدر الفريد» (ص ١٣١)، و «إيضاح المكنون» (٢/ ٧٥)، و «هدية العارفين بأسماء المؤلفين» (١/ ٤٨٠)، و «الأعلام» للزركلي (٤/ ٨٨)، وبروكلمان «التكملة» (٢/ ٥٢١)، و «معجم المؤلفين» (١/ ٧٤٩)، و «معجم المطبوعات» (ص ١٢٩٥)، و «فهرس تيمورية» (٣/ ٢٣)، و «فهرس الأزهرية» (١/ ٢٩٥).

ـ تذكر بعض الكتب أنه ولد سنة (١٠٥٠هـ).

ـ ويذكر بعضها الآخر، وهو ما نقله الشيخ عابد السندي أنه وُلد في رابع شعبان عند طلوع الشمس فجر يوم الأربعاء سنة (١٠٤٩هـ)[1].

ـ ويذكر بعضها الآخر أن ولادته كانت سنة (١٠٤٨هـ).

وأنت ترى أن هذه الأقوال الثلاثة متقاربة جدًّا، فليس الفارق بين القول والآخر إلاَّ سنة واحدة، إلاَّ أن القول الثاني ترى فيه مزيد دقة، علاوة على أن الشيخ عابد من تلامذة تلاميذ البصري، مما يجعلنا نميل إليه أكثر، ونقدمه على غيره، وإن كان القول الأخير أكثر وروداً واعتماداً في كتب التراجم.

نشأته:

ينص المؤرخون على أن البصري وُلد بمكة، وأن نشأته كانت بالبصرة بلدة أهله وأسرته، ثم يتركون لنا الباب مفتوحاً على مصراعَيْه للاحتمالات والتخرسات، وجيش من الأسئلة ينتظر منا ردًّا مقنعاً: تُرى هل كان البصري في مبدأ نشأته، ومقتبل حياته، منصرفاً إلى طلب العلم منقطعاً إليه، أو كان مشتغلاً بحرفة، أو تجارة، بالإضافة إلى طلب العلم، أم لم يكن من ذلك في شيء؟

وأين تعلّم البصري مبادىء التعليم، ولُقّن الكتابة والقراءة، والهجاء، وأين حذَق القرآن الكريم؟

على يد مَن تعلم ذلك، هل على أبيه؛ لأن بعض المصادر تذكر والد البصري وتَسِمُه (بالشيخ سالم)، ولا شك أن هذا الوصف يجعلنا نطمئن إلى أنه كان من أهل العلم والفقه، وأن له حظًّا وافراً من علوم الشريعة من فقه وأصول وحديث، وله إلمام بالعربية وفنونها من نحو وبلاغة وبيان و. . . إلخ، أو أنه نُشِّىء على أيدي بعض مُعَلِّمِي كتاتيب البصرة؟

---

(١) «مختصر نشر النور والزهر» (٣/ ٢٤٧).

أما البصري نفسه فلم يحدثنا بشيء في كتابه (الإمداد)، وقد كنا ننتظر منه أن يشير إلى شيء من بدايته، وكيف بدأ طلب العلم، ومَن له عليه فضل التوجيه والتربية، وما هي أول الكتب التي درسها؟ وهل كان متجهاً إلى الحديث من أول الأمر؟

وبالجملة، ما نستطيع الجزم به هو أن البصري نشأ بالبصرة ولُقِّن فيها مبادىء العلوم وحفظ فيها القرآن الكريم، ودرس بعض المختصرات والمنظومات في الفقه والنحو وسائر الفنون، وأن البصري لم يطأ تراب الحرم إلاَّ وهو ملمٌّ بذلك كله، فلما استقر مع أسرته في مكة وجاور بالحرم، وشاهد المسجد الحرام يعج بحلقات الدرس، ومجالس التحديث، وتوافر بعض المحدثين الكبار من الغرباء المجاورين، أو من أهل مكة، ورأى عكوفهم على دراسة بعض المصنفات الحديثية، وما تغُص به مجالسهم من طلاب العلم، وما تحظى به من رعاية واهتمام، كل ذلك جعل همة البصري تتوق إلى طلب الحديث، وجعل عزيمته حذَّاء قوية في لزوم بعض المحدثين والانقطاع التام إليهم، والاستئثار بهم، سواء كانوا من المجاورين أو غيرهم، حتى أشبع نهمته، وأروى ظمأه من هذا العلم، ووجد نفسه أنه قد أربى على الغاية، واستولى على الأمد.

شيوخه:

تتلمذ البصري على مشايخ عدة، وأخذ عن جم غفير من المحدثين على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم، ومكانتهم العلمية، وكلهم من أهل الرواية، وحمَلة رايتها في عصره.

وقد أورد البصري في (الإمداد) ما يربو على عشرين شيخاً من شيوخه، مع العلم بأن المذكورين في الإمداد ليسوا هم كلّ شيوخه، ولا كلّ الذين أخذ

عنهم، ولكنه اقتصر في الإمداد على أهم مشايخه، فالإمداد ثَبَت مختصر[1]، وأغلب الذين ذكرهم هم ممن لازم دروسهم ومجالسهم حتى ماتوا، ونحن نذكر جملة من الذين لازمهم وتأثر بهم، ومنهم:

١ ــ شمس الدين وشهاب الدين محمد بن علاء الدين البابلي الشافعي القاهري (١٠٠٠ ــ ١٠٧٧هـ)، سمع منه بعضاً من الكتب الستة والموطأ وأجازه بالباقي، وكان ذلك سنة (١٠٧٠هـ) عام مجاورته بمكة. وسمع عنه المصنفات الحديثية الأخرى، والمسلسلات وغيرها[2].

٢ ــ المحدث الفقيه الأخباري محمد بن سعد الدين بن رجب بن علوان المعروف بالمكتبي الدمشقي (١٠٢٠ ــ ١٠٩٦هـ)[3]، أخذ عنه بالإجازة.

٣ ــ الشيخ العلامة يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن عيسى بن أبي البركات المالكي الشهير بالشاوي (١٠٣٠ ــ ١٠٩٦هـ)[4]. سمع منه المسلسل بالأولية لما حج سنة (١٠٨٥هـ).

٤ ــ الشيخ عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد المغربي الثعالبي

---

(١) لم يستوعب الإمداد شيوخ البصري، وهناك شيوخ آخرون ذكرهم تلاميذ البصري ولم يذكرهم هو في الإمداد، منهم الشيخة مباركة بنت الإمام عبد القادر الحسينية المكية (ت ١٠٧٥هـ)، وزين الشرف الطبريتان ذكرهما في مشيخته الحافظ الزبيدي في العقد المكلل. انظر: «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٣٤٩ ــ ٣٥٠)، و «فهرس الفهارس» (١/ ١٩٥).

(٢) «فهرس الفهارس» (١/ ٢١٢).

(٣) «خلاصة الأثر» (٤/ ٧٣)، و «فهرس الفهارس» (٢/ ٥٥٧)، و «معجم المؤلفين» (٣/ ٥١٣).

(٤) «خلاصة الأثر» (٤/ ٤٨٦)، و «فهرس الفهارس» (٢/ ٤٤٦)، و «الأعلام» للزركلي (٨/ ١٦٩)، و «معجم المؤلفين» (٤/ ١١٤).

الجعفري المكي المالكي (١٠٢٠ ـ ١٠٨٠هـ)[1]، يقول البصري عنه: «حضرت درسه في مجاورته بمكة المشرفة، وقد جاور فيها سنين كثيرة، ولازمت درسه إلى أن مات ودفن بالمعلاة، وأجازني بجميع مروياته ومسموعاته ومؤلفاته»[2].

٥ ـ العلامة شيخ المحققين وسند المدققين عبد الملك بن محمد المغربي، هكذا اقتصر البصري على نسبه، قلت: وهو يعني به ـ بلا شك ـ أبا الوليد عبد الملك بن محمد التاجْمُوعتي السجلماسي المتوفى (١١١٨هـ)؛ لأن البصري ذكر أنه يروي عن ابن سعيد المرغتي السوسي، والتاجموعتي كذلك، ثم إن عبد الملك التاجموعتي ـ كما هو معلوم ـ كان قد جاور بمكة والمدينة سنوات، وألَّف بها، ودرَّس، وأجاز واستجاز من بعض الحفاظ[3]، وبالتالي فأخذ البصري عنه وارد، ثم علاوة على ذلك فقد ذكره الكتاني في شيوخه[4].

٦ ـ الشيخ عبد الله بن سعيد باقشير المكي الشافعي (ت ١٠٧٦هـ)[5].

٧ ـ الشيخ نور الدين أبي الضياء علي بن علي الشبراملِّسِي المصري الشافعي القاهري (١٠٨٧هـ)[6].

٨ ـ الشيخ منصور بن عبد الرزاق بن صالح الطوخي المصري الشافعي،

---

(١) «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٦).
(٢) «الإمداد» (ص ١٥).
(٣) انظر: «فهرس الفهارس» (١/ ٢٥٥).
(٤) «فهرس الفهارس» (١/ ١٦٤).
(٥) «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٢٤٥).
(٦) «معجم المؤلفين» (٢/ ٤٧٨).

إمام الجامع الأزهر (١٠٩٠هـ)[١]، يقول عنه البصري: «حضرت درسه بالمسجد الحرام، في مجاورته بمكة المشرفة، ولازمته مدة مديدة في أيام متكررة عديدة»[٢].

٩ ـ العالم العلامة والبحر الفهامة الشيخ أحمد بن عبد اللطيف البشيشي المصري الشافعي (١٠٤١ ـ ١٠٩٦هـ)[٣]، قال عنه البصري: «حضرت درسه بالمسجد الحرام عام مجاورته بمكة المشرفة سنة (١٠٨٧هـ) مدة مديدة في أيام متكررة عديدة في إقرائه للحديث والفقه والآلات وسمعت منه مشافهة»[٤].

١٠ـ العالم الإمام البحر الهمام الشيخ نور الدين علي ابن الشيخ أبي بكر ابن الشيخ العالم الأوحد علي بن أبي بكر بن الجمال الأنصاري الخزرجي المكي الشافعي، قال عنه: «حضرت درسه بمكة المشرفة مدة مديدة ولازمته إلى أن مات بها في ربيع الآخر سنة (١٠٧٢هـ) »[٥].

١١ـ العلَم العامل الجهبذ الكامل شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد البنا المصري الشافعي الدمياطي الشهير بابن عبد الغني (ت ١١١٧هـ)[٦].

١٢ـ العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن سليمان القرشي الضبلي المصري المالكي الشهير بأبي طاقة.

---

(١) «خلاصة الأثر» (٤/ ٤٢٣)، وذكر في «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٣٩٤).

(٢) «الإمداد» (ص ١٧).

(٣) «هدية العارفين» (١/ ١٦٤)، و «معجم المؤلفين» (١/ ١٧٥).

(٤) «الإمداد» (ص ١٨).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ٨٩)، و «معجم المؤلفين» (١/ ٢٤٤).

١٣ــ الشيخ أبو الفضائل عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الزمزمي المكي الشافعي (٩٧٥ ــ ١٠٧٢هـ)[١]. قال عنه: «حضرت درسه بمكة المشرفة مدة مديدة في الفقه وسمعت منه مشافهة»[٢].

١٤ــ ١٥ ــ الإمام زين العابدين، وأخوه علي، ابنا عبد القادر الطبري الحسيني المكي الشافعي، المتوفى سنة (١٠٧٣هـ)، قال عنهما: «حضرت درسهما وسمعت منهما مشافهة، وأجازاني بسائر مروياتهما ومسموعاتهما، ومؤلفاتهما، وجميع ما لهما فيه رواية»[٣].

١٦ــ الشيخ الفقيه النحوي محمد بن محمد الشرنبلالي المصري الشافعي، نزيل الحرم المكي (ت ١١٠٢هـ)[٤]، قال عنه: «حضرت درسه بمكة المشرفة ولازمته مدة مديدة، إلى أن مات ودفن بالمعلاة في شعبان سنة (١٠٧٢هـ) وسمعت منه مشافهة»[٥].

١٧ــ الشيخ برهان الدين أبو الفضائل إبراهيم بن حسن الكردي الكُوراني الشافعي الصوفي، نزيل المدينة المشرفة وعالمها (ت ١١٠١هـ) »[٦].

١٨ــ الإمام العلامة النابغة الجهبذ الشيخ محمد بن محمد بن سليمان الرُّوداني المغربي المالكي المكي نزيل الحرمين، قال عنه: «أخذتُ عنه سائر الفنون العقلية والنقلية والفرعية والأصلية، خصوصاً علمَ الحديث بما يحق له روايته»[٧].

---

(١) «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٢١٥).

(٢) «الإمداد» (ص ١٨).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٣٩٤).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) «الإمداد» (ص ١٩)، و «فهرس الفهارس» (١/ ١٦٦).

(٧) «الإمداد» (ص ٢٥).

١٩ ــ ٢٢ ــ الشيخ علي بن محمد بن عبد القادر الواطي المالكي[١] الشيخ القاضي عصام الدين بن علي زاده العصامي بن صدر الدين المُلا عصام المكي العالم (ت ١٠٦٩هـ)[٢]، والشيخ القاضي تاج الدين بن عبد المحسن القلعي (١١٤٩هـ)، والشيخ أحمد الأحمسي، يقول البصري عن هؤلاء الأربعة: «حضرت دروس كل منهم ولازمتهم مدة مديدة وقرأت عليهم وأخذت عنهم في العلوم النقلية والفنون العقلية، وكلهم أجازوني بجميع مروياتهم»[٣].

ونجتزىء من شيوخه بهذا العدد؛ فالذين ذكرنا هم صفوة ذلك العصر، وغرة جبينه، ويحق للبصري أن يفتخر بهم وبالنسبة إليهم قائلاً: «وقد منَّ الله لهذا الفقير بالأخذ والسماع من المشايخ النقاد، والقراءة والإجازة من الأكابر الأفراد، والأعيان الأمجاد، كان والله وجودهم نفعاً للعباد، ورحمة لسائر البلاد، ونرجو من كرم الله أن لا ينقطع عنا وعن جميع المسلمين ذلك الإمداد إلى يوم الحشر والتناد»[٤].

تلاميذه:

تلاميذ البصري كثر لا يَفُوقُهُمْ عَدٌّ، ولا يبلغهم حصر؛ فقد أخذ عنه أجيال من أهل المشرق والمغرب واليمن، ومن أهل مكة، والواردين عليها، والمجاورين بها، ويعتبر البصري ثاني ثلاثة حفاظ محدثين عليهم مدار أسانيد من بعدهم من أهل الحجاز وغيرهم، وهم العلامة السيد حسن العُجَيمي (١١١٣هـ)، والبصري، والنِخْلي (١١٣٠هـ).

---

(١) «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٣٢٥ ــ ٣٢٦).

(٢) «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٢٩١).

(٣) «الإمداد» للبصري (ص ٢٧).

(٤) «الإمداد» (ص ٢).

ويقول الشيخ عبد الله مرداد عن تلاميذ البصري: «وأخذ عنه من أهل الحرمين والشام، والمشرق، واليمن، ما لا يحصى عددهم»[١].

ونذكر بعضاً من تلاميذه البارزين مع إيثار الاختصار، فمنهم:

١ ــ ابنه الشيخ سالم بن عبد الله بن سالم البصري (ت ١١٦٠هـ)[٢].

٢ ــ الشيخ محمد بن عقيلة المكي الحنفي المتوفى سنة (١١٥٠هـ)[٣].

٣ ــ الشيخ تاج الدين أبو الفضل ابن القاضي عبد المحسن بن سالم القلعي الحنفي المكي (ت ١١٤٩هـ)[٤].

٤ ــ العلامة السيد أمين ابن السيد حسن بن محمد أمين بن علي المرْغِيني المكي الحنفي المتوفى بها في شعبان عام (١١٦١هـ)[٥].

والعلامة أمين مرغيني يبدو أنه كان من الملازمين للشيخ البصري، وله به اختصاص، وكان ينسخ بخطه كثيراً من تقاييد البصري وحواشيه، وبعض رسائله، والله أعلم.

٥ ــ محمد بن عبد الله المغربي الفاسي المالكي (ت ١١٤١هـ)، وهو من الذين قرأوا المسند على البصري في الروضة النبوية الشريفة[٦].

---

(١) «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٢٤٧).

(٢) «مختصر نشر النور والزهر» (١/ ١٦١ ــ ١٦٢).

(٣) «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٤٠٩).

(٤) «مختصر نشر النور والزهر» (١/ ١١١)، وفيه أن القلعي نسبةً إلى إحدى قلاع الروم انتقل أحد أجداده منها إلى مكة وجاور بها.

(٥) «مختصر نشر النور والزهر» (١/ ٩٨ ــ ٩٩).

(٦) راجع: «فهرس الفهارس» (٢/ ٨٥٠).

٦ ــ الشيخ محدث الشام العلامة إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني العجلوني الدمشقي (١٠٨٧ ــ ١١٦٢هـ)[١].

٧ ــ والعلامة محمد بن حسن بن همات الدمشقي الحنفي القسطنطيني (ت ١١٧٥هـ)[٢].

٨ ــ المحدث المسند أبو حفص عمر بن عقيل بن أبـي بكر بن محمد ابن السيد عبد الرحمن آل عقيل الحسيني العلوي المكي الشافعي (١١٠٢ ــ ١١٧٤هـ)[٣].

٩ ــ العـلامـة محمـد حيـاة بـن إبـراهيـم السنـدي الأصـل المـدنـي (ت ١١٦٣هـ)[٤].

١٠ــ المحدث المعمر المسند محمد بن محمد بن عبد الله المغربـي المـدنـي المكـي (ت ١٢٠١هـ)، وهـو ولَـد الـذي تقـدم قبـلُ، وقـد سمـع مـن

---

(١) راجع: «فهرس الفهارس» (١/ ٩٨ ــ ١٠٠).

(٢) «سلك الدرر» (٤/ ٣٧ ــ ٣٨).

(٣) ها هنا قضية شائكة: يحسن التنبيه عليها؛ إذ لم يسفعنا الوقت هنا لبسطها: وهي ما علاقة عمر بن عقيل بالعلامة البصري؟ هل هو ابن أخته، أو حفيده؟ ونحن لا نضِن عليك بما ترجح لدينا وهو الصواب الذي نراه أن السيد عمر حفيدٌ للبصري، لا ابن أخته، وهذا ما رجحه العلامة الكتاني وحسبك بتحريه ودقته وتتبعه؛ فإنه نقل عن السيد عمر بن عقيل في إجازته للجبرتي قوله عن البصري: «أجلُّهم سيدي، وجدي لأمي». وما زلت متردداً في الجزم بما قال الكتاني «فهرس الفهارس» (٢/ ٧٩٣ ــ ٧٩٦) حتى قرأت إجازة للسيد عمر بن عقيل مكتوبة على غلاف نسختي من «الإمداد» وفيها ما نصه: «وبعد فقد أجزت العلامة المحقق والفهامة المدقق مولانا الشيخ محمد بن همات (أظن) ما تضمنه هذا الفِهْرِستُ، أعني: فهرست جدي وأستاذي مولاي الشيخ عبد الله البصري».

(٤) راجع: «فهرس الفهارس» (١/ ٣٥٦).

البصري، وقرأ عليه[1].

١١ـ الإمام المجدد المحدث محمد بن إسماعيل بن صلاح المعروف بابن الأمير (١٠٩٩ ـ ١١٨٢هـ)[2].

١٢ـ أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي التمَكْروتي (ت ١٠٥٧ ـ ١١٢٩هـ)[3].

١٣ـ أحمد بن الحسن بن عبد الكريم بن يوسف الكريمي الجُوهري الشافعي (ت ١٠٩٦ ـ ١١٨١هـ)[4].

١٤ـ الفقيه العلامة الأصولي الأديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين الشبراوي الشافعي الأزهري (١٠٩٢ ـ ١١٧١هـ)[5].

١٥ـ عيد بن علي النمرسي الشافعي الأزهري (ت ١١٤٠هـ)[6].

١٦ـ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وقد استبعد الكتاني كونَ شيخ الإسلام يروي عن البصري لأن المعروف أن محمد بن عبد الوهاب وُلد سنة (١١١٥هـ)، ومات سنة (١٢٠٧هـ، . . . فإذاً إنما عاصر البصري بنحو العشرين سنة؛ لأن وفاة البصري كانت سنة (١١٣٤هـ)، ومحمد بن

---

(١) «فهرس الفهارس» (٢/ ٨٥٠ ـ ٨٥١).

(٢) انظر: «البدر الطالع» للشوكاني (٢/ ١٣٣ ـ ١٣٩)، و «فهرس الفهارس» (١/ ٥١٣ ـ ٥١٤).

(٣) «شجرة النور الزكية» (١/ ٣٣٢)، و «صفوة من انتشر» (١/ ٢٢١)، و «فهرس الفهارس» (٢/ ٦٧٧).

(٤) «فهرس الفهارس» (١/ ٣٠٢).

(٥) «فهرس الفهارس» (٢/ ١٠٦٦).

(٦) «سلك الدرر» (٣/ ٢٧٣)، و «فهرس الفهارس» (٢/ ٨٠٥)، و «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٢٤٧).

عبد الوهاب وُلد سنة (١١١٠هـ)، فعلى هذا يُستبعد أخذه عنه وهو بمكة، وابن عبد الوهاب في نَجْدٍ[١]، بينما نرى الدكتور صالح العبود يفند هذا الرأي، ويقول في سياق رده على الكتاني: «والدليل على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن هذا الشيخ المترجم هنا ما ذكره في فهرس الفهارس. . . : «وروَى (عابدُ السندي) «كتاب القرى لقاصد أم القرى» عن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدي عن أبيه إمام الطائفة الوهابية النجدية عن البصري»؛ لأن الكتاني لم يذكر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حج وزار المدينة وأقام بها شهرين وهو في الثالثة عشر من عمره أي في سنة (١١٢٧هـ)، تقريباً، وهذه المدة كان الشيخ البصري فيها حيًّا يرزق يقوم بالتدريس؛ فقد كانت وفاته عام (١١٣٤هـ) ويكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب آخر تلاميذ البصري موتاً؛ لأنه توفي سنة (١٢٠٦هـ)[٢].

هذه ثلة مباركة، وكوكبة جليلة من العلماء الأجلة من تلاميذ البصري، وهم أقل من القليل بالنسبة للذين قرأوا عليه أو أجازهم، وقد ذكر القاضي عبد الله مرداد جماعة آخرين صدفنا عن ذكرهم اكتفاء بما سبق[٣].

آثاره ومصنفاته:

ومن الآثار التي صنفها البصري:

١ ــ أوائل الكتب الحديثية:

وهي مشتملة على أوائل (٢٨) مصنفاً حديثياً وهي: الكتب الستة، ومسند

---

(١) «فهرس الفهارس» (١/ ٣٦٤ ــ ٣٦٥).

(٢) راجع: «كتاب عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية»، للشيخ صالح العبود (ص ٨٩، ٩٢).

(٣) «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٢٤٨ ــ ٢٤٩).

الدارمي، وموطأ مالك، وسنن الدارقطني، ومسند الشافعي، ومسند أحمد، وسنن أبي مسلم الكشي، وسعيد بن منصور، ومسند ابن أبي شيبة، وشرح السنَّة للبغوي، ومسند الطيالسي، والحارث بن أبي أسامة، والبزار، وأبي يعلى، وابن المبارك، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، ومعاجم الطبراني، وكتاب اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي، وتاريخ ابن معين، ومصنف عبد الرزاق، وسنن البيهقي(١).

وفي حديث الشيخ عبد الله مرداد عن تآليف البصري ذكر هذه الرسالة وقال: «ورسالة الأوائل المتداولة بين الناس بالحجاز وغيره»(٢).

ويرجح الكتاني أن (الأوائل البصرية) مقتبسة من فهرس البرهان الكوراني المسمى بـ (الأمم) حيث قال: «ويظهر لي أن الأوائل البصرية مقتبسة من الأمم للبرهان الكوراني شيخ البصري؛ فإنه اعتنى بذكر أوائل المصنفات الحديثية التي يَذكر فيها مع إسنادها»(٣).

ومن هذا الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية رقم (١٦٣٢) تقع في ١٧ ق، وهي مقابلة ومصححة سنة (١١٩٦هـ)(٤).

وقد طُبعت في مطبعة كردستان العلمية سنة (١٣٢٦هـ)(٥).

٢ ــ ضياء الساري على صحيح البخاري:

---

(١) انظر: «فهرس الفهارس» (١/ ٩٦) ووقع فيه بعض الأخطاء، منها: قوله: (ومعجم الطبراني)، والصواب: ومعاجم الطبراني، وقوله: (ومصنفات عبد الرزاق): والصواب: مصنف عبد الرزاق.

(٢) «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٢٤٧).

(٣) «فهرس الفهارس» (١/ ٩٦).

(٤) انظر: «فهرس دار الكتب المصرية» (١/ ٥٧ و ٤٣).

(٥) «المعجم الشامل التراث العربي المطبوع» (١/ ١٨١).

وهو شرح على صحيح البخاري، وقد أثنى العلماء على هذا الشرح، وذكروا مزاياه. قال الشمس ابن عقيلة ــ وهو من تلاميذ البصري ــ : «. . . وشرَح البخاري وذكر فيه عيون ما في فتح الباري والكرماني وغيرهما، ووصل إلى الثلث ونحوه».

ويذكر الوجيه الأهدل في «النفس اليماني» أن شرْح البصري على الصحيح عزَّ أن يُلفى له مثال سمَّاه «ضياء الساري»، وهذا الاسم كاد أن يكون من قبيل المعمَّى فإنه موافق لعام الشروع في تأليفه».

وفي الحطة نقلاً عن السيد البلجرامي الهندي قوله: «. . . وله شرح على البخاري، سار في الأنفس والآفاق سيرَ الروح، ولعمري لقد عز أن يلفى له مَثَل في سائر الشروح؛ لكن ضاق الوقت عن إكماله، وضنَّ الزمان بإفاضة نَواله»[١].

وقال الشيخ عبد الله مرداد: «وله من التآليف شرح على صحيح البخاري لم يكمله وهو موجود بكتبخانه المسجد الحرام»[٢].

ولهذا الشرح نسخة خطية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة في خمس مجلدات رقم (٤١٠ ــ ٤١٥) وهي مكتوبة في حياة البصري سنة (١١٢٩هـ).

وله أيضاً عدة نسخ في تركيا، منها: نسخة بمكتبة نور عثمانية رقم (٨٥١) و (٨٥٣).

ونسخة أخرى بمكتبة ولي الدين تحت رقم (٥٩٦) و (٥٩٧) و (٥٩٨)[٣].

---

(١) انظر: «الحطة» لصديق حسن خان (ص ١٩٧)، ونقله في «فهرس الفهارس» (١/١٩٧، ١٩٨).

(٢) «مختصر نشر النور والزهر» (٢/٢٤٧).

(٣) «إتحاف القاري بجهود وأعمال العلماء على صحيح البخاري»، للحسيني (ص ١٨٠).

وله عدة نسخ أخرى خطية في مكتبات تركيا وغيرها[1].

ويفيد الدكتور نجم عبد الرحمن الخلف بأن الكتاب طبع في خمسة أجزاء مع تكملته للشيخ كنون[2].

٣ ـ الإمداد بمعرفة علو الإسناد:

وهو فهرس جمع فيه أهم شيوخه، وذكر فيه أسانيده إلى الكتب الستة وغيرها من كتب الحديث والفقه والأصول والتصوف والنحو واللغة والبلاغة، ثم ختمه بذكر مشايخه في الطرق والأوراد والأحزاب وبعض المسلسلات.

ومما يحسن التنبيه عليه أن هذا الثبت يعزوه بعض العلماء إلى الشيخ سالم ابن الشيخ عبد الله البصري، وممن ذهب إلى هذا الكتاني في كلامه على الإمداد، قال: «وهو من جمع ولده الشيخ سالم».

ذكر في أوله أن والده قد انتهى إليه في هذا الزمان علو الإسناد، وألحق الأبناء والأحفاد بالأجداد، وورد له طلب الإجازة من كل مكان سحيق، وكثر الارتحال إليه من كل فج عميق، وكانت أسانيده مفرقة يخشى اندراسها فجمعها في كتاب سمَّاه: «الإمداد»[3].

ثم يقول الكتاني: «وفي إجازة صاحبنا الشهاب العطار للشمس محمد أمين رضوان حين ذكر الإمداد لسالم البصري هذا، قال: وهو المتداول بين المشايخ، وقد اختصره من ثبت والده المسمى أيضاً بالإمداد، قاله الشيخ عمر عبد الرسول. كما رأيته بخطه، قلت: وقد رأيت الكبير أيضاً». اهـ.

---

(١) «المعجم الشامل للتراث العربي المخطوط»: الحديث وعلومه (٢/ ١٠٥٩).

(٢) «استدراكات على فؤاد سزكين في علم الحديث» (ص ٢٣٢) رقم (٤٠٥).

(٣) «فهرس الفهارس» للكتاني (١/ ١٩٤)، ومما يدل على أن الكتاني يجزم بأن الإمداد من جمع الابن سالم أنه ترجم لسالم البصري (٢/ ٩٧٩)، ثم قال فيه: «جامعُ ثبت والده المعروف بثبت عبد الله بن سالم البصري».

ثم عقب الكتاني على هذا الكلام قائلاً: «وهذا ما لم نسمع به قط»[1].

والنسخة التي عندي ــ وهي مصورة من المكتبة الظاهرية ــ من الإمداد عليها ختمُ البصري نفسه وخطه، وإجازته بها للسيد غانم ابن السيد علي أفندي، ووقَّع عليها هكذا: «كتبه الفقير إلى رحمة ربه عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم، البصري منشأً، المكي مولداً، الشافعي مذهباً، لطف الله به وبسائر المسلمين، حرِّر في غرة ذي الحجة سنة (١١٣٠هـ)»[2].

وليس فيها شيء مما ذكر الكتاني، بل فيها مقدمة البصري نفسه.

والإمداد طبع قديماً في الهند[3]، ونسخه الخطية كثيرة جدًّا.

٤ ــ رسالة في الأحاديث التي يكتفى بتلقيها عن رواية أصولها عن الأشياخ:

ولها عدة نسخ خطية منها نسخة عليها تعليقات للمؤلف وتصحيحات في جامعة الإمام بالرياض في (٥) أورق[4].

٥ ــ ختم البخاري.

٦ ــ ختم مسلم.

٧ ــ ختم الموطأ.

٨ ــ ختم أبي داود.

٩ ــ ختم الترمذي، وهو الذي نحن بصدد تحقيقه والكلام عليه.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) «الإمداد»، الورقة الأولى.

(٣) «معجم المطبوعات العربية والمعربة»، لسركيس (ص ١٢٩٥).

(٤) وفيها أيضاً نسخة أخرى كتبت سنة (١٣١٣هـ). انظر: «فهرس مخطوطات (الحديث الشريف) جامعة الإمام بالرياض» (١/ ٣٩٩، و ١/ ٣٩٧)، و «المعجم الشامل» (٢/ ٨١٤).

١٠ــ ختم سنن النسائي[١].

١١ــ ختم سنن ابن ماجه[٢].

ولم أرَ من ذكر هذه الختوم في مصنفات البصري لا من الذين ترجموا له كالكتاني، والزركلي، ولا من الذين ذكروا مصنفاته كالبغدادي، وعمر رضا كحالة وغيرهم، إلاَّ الشيخ عبد الله مرداد في «نشر النور والزهر» عندما ذكر مؤلفاته عد من بينها هذه الختوم، فقال: «... ورسائل في ختم البخاري ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وموطأ مالك...»[٣].

وهذه الختوم سوى ختم النسائي لها نسخ خطية في كل من مكتبة الحرم المكي رقم (٣٨٠٨) ميكروفيلم ٢٦٠ ــ ٢٦٤ ولها نسخة أخرى في مجموع ــ وهي ستة ختوم ــ بخزانة المحمودية رقم (٢٦٠٠)[٤].

١٢ــ حاشية على تقريب التهذيب لابن حجر: وقد طبعها الشيخ محمد عوامة مع التقريب، وأشاد بها، وذكر أن الشيخ في أثناء تدريسه للكتب الستة من كثرة مراجعته للتقريب، كان يعلق عليه بعض الحواشي المفيدة، والتنبيهات القيمة.

١٣ــ ترجمة الشيخ سالم بن محمد بن سالم المكي البصري: وثبوتُ هذه الرسالة يحتاج إلى بحث، ومعتمدي في إثباتها هنا ما جاء في فهرس مخطوطات جامعة الإمام بالرياض ونصه: «ترجمة الشيخ سالم بن محمد بن

---

(١) لست أعلم عن نسخ هذا الختم شيئاً سوى ذكر عبد الله مرداد له، والعهدة عليه.

(٢) لعلي ــ إن شاء الله ــ أعمل على تحقيقه.

(٣) «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٢٤٧).

(٤) انظر: «فهرس مخطوطات الحديث النبوي وعلومه»، بمكتبة الملك عبد العزيز (ص ٣١١).

سالم المكي البصري، لابنه؟ نسخة كتبها بقلم نسخيٍّ المؤلفُ في ليلة الجمعة ٢٩ محرم ١١٨٣هـ»[1].

والمعروف أن الشيخ سالم بن محمد بن سالم هو والد عبد الله بن سالم البصري صاحبُنا؛ فعلى هذا تكون الرسالة من تأليف ابنه عبد الله البصري؛ لكن يشكل عليه كونُ النسخة بخط المؤلف سنة (١١٨٣هـ).

وعبد الله البصري مات قبل هذا التاريخ بمدة، بل وحتى ابنه سالم توفي قبل ذلك سنة (١١٦٠هـ).

وربما كان هذا التاريخ خطأً وصوابه سنة (١٠٨٣هـ)، وحينئذ لا إشكال، وعلى أيٍّ فالأمر يحتاج إلى مراجعة، والله أعلم.

وفــاتــه:

نقل صاحب «نشر الروض والزهر» عن الشيخ عابد السندي، قال: توفي الشيخ البصري في رجب سنة (١١٣٤هـ) ودفن بالمعلاة بزاوية العرابـي، وقبره هنالك مشهور.

وقد أرخوا وفاته بعدة عبارات على طريقة حساب الجمَّل منها قولهم: «عَلَم الحديث مات» = ١٤١ + ٥٥٣ + ٤٤٢ = ١١٣٤، وقولهم أيضاً: «ابك له مات إمامُ الحديث» ٢٣ + ٣٥ + ٤٤١ + ٨٢ + ٥٥٣ = ١١٣٤.

ورثاه جماعة من العلماء والشعراء، ومن الذين رثوه السيد محمد بن حيدر المكي بقصيدة طويلة ــ كما يقول صاحب نشر النور والزهر ــ ، لكنه ضنَّ علينا بهذه القصيدة، أو ضن الذين اختصروا كتابه، فلم يذكروا للأسف إلاَّ البيت الأخير من هذه المرثية المطولة وهو متضمن سنة وفاة الشيخ البصري:

---

(١) انظر: «فهرس مخطوطات جامعة الإمام بالرياض» (١/ ١٦٣).

حكـــم الحســـاب يحــق تــاريخــه قــلْ: حــل عبــد الله دار قـــرار[1]

ثناء العلماء عليه:

ـ قال فيه الشيخ عابد السندي: «وأما إمام الحديث والمقدم في عصره الشيخ عبد الله بن سالم البصري فهو إمام عصره.. إلى أن قال: جمع في علم الحديث بين الرواية والدراية، وبلغ من التحقيق إلى أكمل غاية، وصنف التصانيف الفائقة، وقرأ في المسجد الحرام عدة كتب من جملتها البخاري ومسلم، والسنن الأربعة... ثم قال: ... وقرأ البخاري أيضاً بتمامه في جوف الكعبة الشريفة مرتين، وقرأ مسند أحمد جميعه في الروضة الشريفة في ستة وخمسين مجلساً سنة (١١٣١هـ)...».

ثم قال: «ومن مناقبه تصحيحُه للكتب الستة حتى صارت نسخه، وهي المرجع إليها في جميع الأقطار، وأعظمها صحيح البخاري، وجمعَ مسند الإمام أحمد بعد أن فرقتْه الأيدي، وصححه ورأيت بمصر في خزانة الشيخ محمد بن محمد الأمير المالكي، نسخة من مسند الإمام أحمد بخطه مصححة... وجمع من تفسير الكتب ما لا يوجد عند غيره مع اجتهاد تام في العبادة، وقيام الليل وتلاوة القرآن»[2].

ـ وقال عنه الحافظ المرتضى الزبيدي: «قد اتفقوا على أنه حافظ البلاد الحجازية».

ـ وقال عنه الشيخ إسماعيل ابن الشيخ سعيد سكر: «أمير المؤمنين في الحديث».

ـ وقال الشيخ أبو العباس بن ناصر الدرعي في رحلته: «زعم طلبة الحرم

(١) «مختصر نشر النور والزهر» (٣/ ٢٤٧).
(٢) «مختصر نشر النور والزهر» (٢/ ٢٤٧).

أنه فاق أهل الحرمين في الحديث وغيره من سائر العلوم».

ـ وقال ابن عقيلة المكي: «المترجم (الشيخ عبد الله البصري) تفرد في مكة بإقراء جميع الكتب الستة فكثرت النسخ بإقرائه وانتشرت بأيدي الناس بكتابتهم واستكتابه لها، وشرح البخاري وذكر فيه عيون ما في فتح الباري والكرماني وغيرهما، فهو أبسط من القسطلاني وفتح الباري، ووصل إلى الثلث ونحوه، وأقرأ الموطأ وغيره، وانتهت الرياسة في ذلك إليه»(١).

ـ وقال عنه الزبيدي في إجازة له وقد عرض لذكره مع رفيقَيْه: العجيمي، والنخلي: «وعلى هؤلاء الثلاثة مدار أسانيد الحرمين الشريفين، بل وما والاهما من الأقطار النائية والبلدان الشاسعة».

ـ وقال عنه تلميذه المحدث المسند شمس الدين محمد بن أحمد الجُوهري المصري: «محدث العصر وإمامه، وجهبذه وهمامه، أمير المؤمنين في الحديث»(٢).

ـ قال الوجيه الأهدل (ت ١٢٥٠هـ): «ومن مناقبه تصحيحه للكتب الستة حتى صارت نسخته يُرجع إليها من جميع الأقطار... ومن أعظمها صحيح البخاري الذي وُجد فيه ما في اليونينية وزيادة، أخذ في تصحيحه وكتابته نحواً من عشرين سنة، وجمع مسند أحمد بعد أن تفرق أيادي سُبا، وصححه، وصارت نسختُه أمة».

ـ وقال الإمام عبد الحي الكتاني ـ في كلامه عن فهرس النِّخلي (بغية الطالبين) ـ: «وهو فهرس جامع، عليه وعلى «إمداد البصري» المدار في الإسناد في القرن الثاني عشر وما بعده، فإن البصري والنخلي انتهت إليهما

(١) «فهرس الفهارس» (١/ ١٩٣).
(٢) «فهرس الفهارس» (١/ ١٩٣ و ١٩٩).

الرياسة في زمانهما في الدنيا في هذا الشأن لما حصلا عليه من العلو والعمر المديد والسمت الحديثي»[1].

رحم الله العلامة البصري، وأجزل مثوبته لما أسداه للسنَّة النبوية من الخِدْمات[2].

❑ ❑ ❑

(١) «فهرس الفهارس» (١/ ٢٥١).

(٢) تركنا بعض النقاط المهمة في ترجمة البصري مثل: الحديث عن أسرته، وتصحيحه للكتب الستة، ومكتبته، ثم عوامل نبوغه ونجاحه؛ لضيق الوقت، ولعل وعسى...!

نبذة عن كتب الختم

بما أن هذا الجزء ينتمي إلى كتب الختم؛ فإنا لا نجد بُدًّا من الإشارة العابرة إلى تعريفها، ونشأتها، ومراحلها التاريخية، ثم الإشارة إلى جهود البصري في هذا الفن، وذكر بعض من كتب في ختم الترمذي.

تعريفها:

الختم في اللغة: جاء في القاموس وغيره: ختم الشيءَ: أتمه وبلغ آخره، وفرغ منه، يقال: ختم القرآن ونحوه[1]. فالختم مصدر ختَم: يدل على إتمام الشيء والفراغ منه. وقد أطلقه المحدثون على هذا النوع من التصنيف، وجمعوه جمع تكسير قياساً فقالوا: خُتوم نحو: ذنب وذنوب، وأختام نحو: طود وأطواد، وكوم وأكوام.

وأما محاولة صياغة تعريفها، وإيجاد مفهوم محدد لها؛ فقد كانت هناك عدة محاولات لوضع تعريف شامل لها، ومن هذه التعاريف قول من قال:

«كتب: يكتبها الشيخ أو يمليها بعد قراءته، أو قراءة الكتب عليه، مشتملةً على التعريف بهذا الكتاب، وشروحه، وما يتعلق به، والتعريف بمؤلفه»[2].

---

(١) «القاموس» (ص ١٠٩٩)، و «المعجم الوسيط» (ص ٢١٨)، مادة (ختم).

(٢) «السخاوي وجهوده في الحديث» لبدر العماش (١/ ٢٣٩) ومن أول الذين حاولوا إيجاد مفهوم اصطلاحي لكتب الختم الأخ عبد اللطيف الجيلاني في تحقيقه للانتهاض في =

نشأتها:

شأنُ الحديث عن نشأة أي علم من العلوم، أو أي فن من الفنون أن يكون المجال مجال أخذ ورد، وتباين في الآراء، وتقديم وتأخير، ذلك لأن كل علم يبدأ متدرجاً شيئاً فشيئاً حتى الكمال.

وبالنسبة لنشأة كتب الختم يذهب بعض مشايخنا إلى أن نشأتها قديمة ترجع إلى بداية التأليف في كتب المداخل ــ يعني القرن الرابع ــ مثل المدخل للإسماعيلي، والمدخل للحاكم، والمدخل للبيهقي، والجامع بينها وبين كتب الختم أنها تعالج قضية واحدة وهي الحديث عن الكتاب المراد قراءته أو الذي قُرِىءَ، وعن منهجه، وشرطه، وعن مؤلفه... إلخ. هذا رأي، وهو ــ كما تراه ــ يجعل كتب المداخل، والافتتاحيات، ومجالس الختم عبارة عن فن واحد، ويصنفها في إطار واحد.

في حين نجد بعض الباحثين يجعل نشأة مجالس الختم تتأخر عن ذلك رِدحاً من الزمن، ومنهم الباحث عبد اللطيف الجيلاني في تحقيقه للانتهاض للسخاوي يقول: «وقد بدأت العناية بهذا اللون من التصنيف تبعاً لظهور التصنيف في افتتاح الكتب ــ وهي كتب يصنفها الشيخ أو يمليها برسم الشروع في إقراء كتاب من الكتب أو تدريسه، ويتناول فيها المصنف ما يتناوله مؤلفو كتب الختم من ترجمة صاحب الكتاب المراد إقراؤه، والكلام على خصائص كتابه ومنهجه فيه، وسوق أسانيده إليه، وعرض ما قيل في الثناء عليه نظماً ونثراً.

وأول من علمتُه صنف في ذلك الحافظ أبو طاهر السِّلفي (ت ٥٧٦هـ)

= «ختم الشفا» لعياض (ص ٨)، وعلي بن محمد العمران في تحقيقه لـ «عمدة القاري والسامع» للسخاوي (ص ٦).

حيث أملى مقدمة على كتاب معالم السنن للخطابي، ومقدمة أخرى على كتاب الاستذكار لابن عبد البر، ولم يشتهر التصنيف في الختم إلاَّ مع مطلع القرن التاسع الهجري»[1].

مراحلها التاريخية:

يمكن أن نقسم المراحل التاريخية للتأليف في كتب الختم إلى أربع مراحل[2]:

مرحلة النشأة: وتشمل الحقبة الممتدة من القرن السادس إلى بداية القرن التاسع الهجري، وأهم ما تتميز به هذه المرحلة هو قلة التدوين[3]، فهي كانت قائمة ولكن لم يكونوا يصنفونها، ويرتبونها ويعدونها تأليفاً مستقلاً، ومن خلال كتب البرامج والفهارس نجد في هذه المرحلة الاعتناء الكبير، والاهتمام الواسع الواسع بحضور مجالس الختم.

وعلى سبيل المثال نجد عند السيوطي في «المِنْجَم في المعجم» في طبقة شيوخ شيوخه ــ وهم في عداد القرن الثامن ــ ظاهرة الاهتمام بمجالس الختم والتنصيص عليها في سياق مسموعات المحدثين، ومن ذلك ما ذكره في ترجمة شمس الدين الملتوتي المولود سنة (٧٧٨هـ) في سياق مسموعاته، قال: «و [سمع] على التنوخي، والعراقي، والهيثمي مجلس الختم من البخاري وأوله

---

(١) «الانتهاض» للسخاوي (ص ٩).

(٢) اعلم أن تقسيم هذه المراحل إنما هو محض اجتهاد منا بحسب القراءة الأولية، والمعطيات العامة، وقد يكون بعض الباحثين لا يوافقنا الرأي وله ذلك، ونحن لا نأمن على أنفسنا أن نعمد مرة ثانية إلى هذا الترتيب فنعيد فيه النظر إذا ما وقفنا على مصادر أخرى، وحقائق جديدة.

(٣) من المدونات التي وصلتنا من هذه المرحلة افتتاحية الاستذكار للسلفي، وافتتاحيته لمعالم السنن للخطابي، وكلاهما طبع.

باب: وكلَّم الله موسى تكليماً، وعلى ابن الشيخة، والبرهان الأبناسي، والغماري، والمراغي، ختم «البخاري» وأوله باب: كلام الرب يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم»[(١)].

وتعتبر هذه المرحلة بالنسبة لما بعدها بمثابة تمهيد، وتوطئة.

مرحلة التصنيف الفعلي: مع فجر القرن التاسع يكون فن الختم دخل عالم التصنيف الفعلي، وأصبح الختم يعد مصنَّفاً في تعداد مصنفات العالِم، ويُدون على شكل كتاب، وله مقوماته، من المقدمة والخاتمة، ويستوفي شرائط التصنيف، وعرفت هذه المرحلة أربعة حفاظ كبار صنفوا في هذا الفن، وهم[(٢)]:

ـ ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) فقد اتَّفق أن أَقْرأ المسند في مكة المكرمة، وحضره جمهرة من الحفاظ، وعند ختمه سنة (٨٢٨هـ) كتب عليه ختماً سمَّاه: «المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد»[(٣)].

ـ ابن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢هـ) فألَّف في ذلك أربعة كتب، هي: افتتاح القاري لصحيح البخاري، وختم البخاري المسمَّى: «التنقيح في حديث صلاة التسبيح»، وختم صحيح مسلم، ومجلس في ختم السيرة لابن هشام.

---

(١) «المنجم» (ص ١٩٧ ـ ١٩٨)، وانظر أيضاً: ترجمة هاجر بنت شرف الدين القدسي ولدت سنة (٧٩٠هـ). فقد ذكر أنها سمعت ختم البخاري على كل من الأبناسي، والغماري، والصلاح الزفتاوي، وعلى الشرف بن الكويك «ختم الشفا» (ص ٢٣٥).

(٢) المقصود التمثيل، وإلاَّ فقد ألف في الختم غيرهم ممن عاصرهم كالعلامة أبي حامد محمد القدسي الشافعي (ت ٨٨٨هـ)، له: «تحفة القاري عند ختم البخاري»، وجلال الدين أحمد بن أحمد الكركي (ت ٩١٢هـ)، وله: «الطراز للقاري يوم ختم صحيح البخاري». راجع: «إتحاف القاري» (ص ٣١١).

(٣) طبع في مكتبة التوبة بالرياض سنة (١٤١٠هـ).

ـ السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، وقد ألَّف في هذا الفن ثلاثة عشر مصنَّفاً، كلها بديعة الشكل، بليغة السبك، مشرقة الديباجة، ولعمري إنها قدَّمته وإن كان تأخر، فقد أبدع وأتى بالعجب العجاب وأكثر، ولم يأل جهداً في ترتيب ختومه وتصنيفها، وتقنينها، وقراءتها، وإقرائها، والتنويه بها في كتبه الأخرى ومجالسه، حتى لقد غدا كأنه المبتكر لهذا الفن، وأصبح بنفسه ظاهرة تستحق الدراسة والبحث.

ـ العلامة قطب الدين القسطلاني (ت ٩٢٦هـ) فقد ألَّف ختماً سمَّاه: «تحفة السامع والقاري في ختم صحيح البخاري»[(١)].

مرحلة الازدهار والكمال: لتكن بداية هذه المرحلة من القرن الحادي عشر فما بعده إلى نهاية القرن الثالث عشر (عصر الطباعة)، وهذه المرحلة مَدِينة للسخاوي ومعترفة له بالفضل والعرفان، فقد حاول الحُفاظ بعد السخاوي تتبع أثره، واقتفاء منهجه، فما إن يختم أحد منهم كتاباً من كتب الحديث وغيره، إلاَّ ويضع عليه ختماً، وبذلك كثرت الختوم وتعددت حتى إنه ليصعب على الدارس حصرها وتعدادها، وأصبح التأليف فيها عُرفاً بين أهل الصناعة سواء في المشرق أو المغرب.

ونذكر من أعلام هذه المرحلة: علي بن أحمد الخزرجي (ت ١٠٣٣هـ)، وابن علان الصديقي (ت ١٠٥٧هـ)، وعبد الله البصري، وأبو الفضل محمد تاج الدين بن عبد المنعم القلعي (ت ١١٤٩هـ)[(٢)]، وأبو العباس أحمد بن

---

(١) انظر: «المعجم الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط»: الحديث وعلومه (١/ ٢٤١).

(٢) قال القاضي عبد الله مرداد: «درَّس الكتب الأمهات الست، وكان إذا ختم كتاباً منها جمع رسالة في ختمه، كعادات محدثي علماء مكة المكرمة، وغيرهم من المتقدمين، ولقد رأيت له رسالة في ختمه لكتاب صحيح مسلم ونقلتها». «مختصر نشر النور والزهر» (١/ ١١١).

القاسم البوني (ت ١١٣٩هـ)، والعلامة أبو الحسن علي الونيسي (ت ١٢٢٢هـ) وله أختام كثيرة، والعلامة محمد بن علي السنوسي (ت ١٢٧٦هـ)، وغيرهم كثير.

وتتميز هذه المرحلة بانتشار فن الختم الواسع جدًّا، ولم يبق فنُّ الختم حَكْراً على أمهات الحديث بل جاوزها إلى مختصرات الفقه، ومنظومات النحو؛ فكتب بعضهم ختماً لألفية ابن مالك، وكتب الشيخ حجي محمد زنيبر السَّلوي ختماً لمقدمة ابن آجروم، وكتب الشيخ محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي ختماً لتلخيص المفتاح في البلاغة[١]، ووضع غيرهم ختوماً لمختصر خليل كالشيخ محمد المهدي بن محمد بن حمدون (ت ١٢٩٠هـ)، والمهدي بن محمد الخضر الوزاني (١٣٤٢هـ)[٢].

مرحلة الدراسة والتحقيق: وتبدأ من بداية القرن الرابع عشر إلى أيامنا هذه التي نعيشها الآن، وقد ركدت ريحُ التأليف في الختم، بَيْدَ أنه بقي مجال واسع أمام الباحثين في التراث في بذل الجهود لإخراج كتب هذا الفن، وطبعها، والتعريف بها، وتحقيقها، ومن جهة ثانية في دراستها وتقويمها، والكشف عن مناهجها وبيان أهميتها، وقيمتها العلمية والأدبية.

ومن أقدم الخُتوم التي خرجت إلى حيز الطباعة ختمُ الشيخ عبد القادر بن محمد العمري الشافعي المسمَّى: «عون الباري في ختم البخاري» سنة (١٣١٦هـ)[٣]، وقد خطا بعض الباحثين خطوات موفَّقة في هذا الصدد منهم:

ـ الشيخ الدكتور عبد العزيز العبد اللطيف رحمه الله، وقد حقق «بغية

---

(١) انظر: «فهرس مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية» (ص ٣٥٢، ٣٥٣).

(٢) انظر: «فهرس الخزانة الصبيحية» (ص ١٤٨).

(٣) انظر: «معجم المطبوعات العربية» (٢/١٣٨٣)، و «إتحاف القاري» (ص ١٦٩).

الراغب المتمني في ختم النسائي رواية ابن السني»[1].

ـ الشيخ محمد بن ناصر العجمي وقد حقق ختم البخاري (التنقيح في حديث التسبيح) لابن ناصر الدين[2].

ـ الأستاذ علي بن محمد العمران وقد حقق: «عمدة القاري والسامع في ختم الصحيح الجامع». للسخاوي[3].

ـ الأستاذ إبراهيم صالح، قد حقَّق مجلس ختم السيرة لابن ناصر الدين[4].

ـ أستاذنا الشيخ عبد اللطيف الجيلاني، وقد حقق عدة كتب في هذا الفن منها:

الانتهاض في ختم الشفا لعياض[5]، وبذل المجهود في ختم سنن أبي داود[6]، كلاهما للسخاوي، ومجلس في ختم الشفا لابن ناصر الدين[7].

وأما كتب الافتتاحيات التي نشرت فمنها:

ـ افتتاحية معالم السنن للخطابي، من إملاء السِّلَفي، طبعها راغب الطباخ مع معالم السنن.

---

(١) نشرته مكتبة العبيكان في الرياض سنة (١٤١٤هـ).

(٢) نشرته دار البشائر بيروت (١٤١٣هـ)، وحقق أيضاً ختم رياض الصالحين للشيخ قاسم بن صالح بن أبي بكر الشهير بالقاسمي الدمشقي (١٢٢١ ـ ١٢٨٤) نشرته دار البشائر (١٤١٩هـ).

(٣) نشرته دار عالم الفوائد بمكة المكرمة سنة (١٤١٩هـ).

(٤) نشرته دار البشائر بيروت (١٤١٩هـ).

(٥) نشرته دار البشائر بيروت ضمن لقاء العشر الأواخر (١٤٢٢هـ).

(٦) سيطبع قريباً إن شاء الله.

(٧) سيطبع قريباً إن شاء الله.

ـ افتتاحية كتاب الاستذكار للسِّلفي، حققها الأستاذ عبد اللطيف الجيلاني[1].

ـ المحقق مشعل بن باني المطيري، وقد حقق «افتتاح القاري لصحيح البخاري» لابن ناصر الدين[2].

وجهود أخرى مشكورة يطول المقام بذكرها، وهي تعكس بلا شك أهمية كتب هذا الفن، وما تتضمنه من الفوائد رغم صغر حجمها، والله أعلم.

جهود البصري في هذا الفن:

العلامة البصري من أبرز الذين جاءوا بعد السخاوي وترسَّموا خطاه، وساروا على منهجه في تأليف كتب الختم، وقد ساعده على ذلك انصرافُه التام لخدمة كتب السنَّة، وانشغاله بها: تدريساً، وقراءة، ونسخاً واستنساخاً، وتصحيحاً، ثم إن استقراره في التدريس بالمسجد الحرام هيَّأ له الفرصة لختم الكتب الستة كلّها، وقد رزقه الله موهبة وملكة عجيبة في التدريس، فقد ختم المسند للإمام أحمد في ستة وخمسين مجلساً، مع ضخامة المسند، وكبر حجمه، غير أنا لا نعلم أنه كتب له ختماً كما هو الشأن في الكتب الستة.

وقد كان البصري بالإضافة إلى جهده في تأليف كتب الختم، له الجهد المماثل في نسخ كتب الختم والعناية بها، فيذكر الكتاني في «فهرس الفهارس» أن في حوزته نسخة من «غنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج» للسخاوي، بخط البصري[3].

---

(١) نشرته دار البشائر بيروت ضمن لقاء العشر الأواخر العام الماضي.

(٢) نشرته دار ابن حزم ضمن مجموع سنة (١٤٢٢هـ).

(٣) «فهرس الفهارس» (٢/ ٩٩٠).

ختوم كتاب الترمذي:

وختْمُ البصري لجامع الترمذي قد سبقه السخاوي بختم سمَّاه: «اللفظ النافع في ختم كتاب الترمذي الجامع»[1].

وجاء بعدهما الإمام محمد عبد الحي الكتاني ـ مؤلف «فهرس الفهارس» ـ فكتب ختمة للترمذي أملاها بالقرويين يوم السبت ٧ ذي الحجة سنة (١٣٢٨هـ)، بحضرة ملأ عظيم من طبقة أشياخه فمن دونهم[2].

هذه حومة سريعة حول كتب الختم اقتضاها المقام، وأسأل الله التوفيق والسداد[3].

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

اعتمدت في خدمة هذا الجزء على نسختين:

١ ـ **النسخة الأولى**: مصورة من مكتبة الحرم المكي ضمن مجموع يحمل رقم (٣٨٠٨) وتقع في (٩) ورقات وعدد الأسطر في كل ورقة ٢٢ سطراً، في كل سطر حوالي ١٣ كلمة، وهي بخط نسخي عادي واضح، وبها بعض التصويبات في الهامش والتصحيحات، وهي مقابلة ومصححة تكاد تكون عديمة الأخطاء التي يقع فيها النساخ، وجاء في نهايتها: «انتهى ما نقلته من خط جامعه مولانا العلامة المحدث. . . البصري».

---

(١) مخطوطة في دار الكتب المصرية. انظر: «الانتهاض في ختم الشفا» لعياض (ص ١٢).

(٢) «فهرس الفهارس» (١/ ٢٨).

(٣) وهناك قضايا مهمة أعرضنا عنها خوف الإطالة منها: كلمة في مضامين كتب الختم وأساليبها، وأخرى في أهميتها، وثالثة في قيمتها العلمية والأدبية، ورابعة في المقارنة بين البصري والسخاوي في أختامهما، ولعل الله ييسر ذلك قريباً.

وليس فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ولا تملك، وهذه النسخة هي التي جعلتها أصلاً، واعتمدت عليها.

والشكر كله مبذول لأخي العزيز عبد اللطيف الجيلاني الذي تفضل فأمدَّني بمصورة ورقية لهذه النسخة من مكتبته الخاصة. جزاه الله خيراً.

٢ ـ **النسخة الثانية**: من مخطوطات مكتبة الملك عبد العزيز في الخزانة المحمودية ضمن مجموع يحمل رقم (٢٦٠٠)، هذا المجموع يضم ختوم البصري على الصحيحين، وأبي داود والترمذي وابن ماجه والموطأ[١]، ويأخذ ختم الترمذي من ورقة ٦٧ إلى ورقة ٨١.

وهذه النسخة تقع في ١٥ ورقة وفي كل ورقة ١٥ سطراً وخطها خط نسخ عادي وليس عليها تاريخ النسخ، وأما ناسخها فهو السيد عبد الله بن محمد حسين النقشبندي الأنصاري، ويقع في القلب أن هذه النسخة منقولة من سابقتها، لأن بعض التصحيحات التي في الحاشية في النسخة الأولى أجد الناسخ هنا يضعها ضمن الأصل، ولكن جاء في آخرها: «انتهى ما نقلته من خط جامعه مولانا العلامة المحدث الشيخ عبد الله ابن المرحوم الشيخ سالم البصري متع الله بحياته وبلغه مراده في الدارين آمين».

وعلى الرغم من الأخطاء الواقعة فيها فقد استفدت منها في بعض المواضع، ورمزت لها بحرف (م)، ولم ألتزم إثبات الفروق بين النسختين إلاَّ فيما له أهمية.

❏ ❏ ❏

---

(١) يبدأ بختم البخاري من ١ ـ ٨، ثم ختم مسلم ٨ ـ ٣٢، ثم ختم أبي داود ٢٣ ـ ٤٥، ثم ختم الموطأ ٤٧ ـ ٦٦، ثم ختم الترمذي، ثم ختم ابن ماجه ٨١ ـ ٩٠، ويضم أيضاً بذل المجهود في ختم أبي داود للسخاوي، وأشياء أخرى.

ختم جامع الامام الحافظ الحجة

ابي عيسى محمد بن عيسى بن

سورة الترمذي جمع

مولانا العلامه النحرير

الفهامه الشيخ

عبد الله بن الشيخ

سالم البصري

صورة عنوان الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا محمد بن بشار نا ابو عامر العقدي ثنا هشام بن سعد عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لينتهين اقوام يفتخرون بابائهم الذين ماتوا انما هم فحم جهنم او ليكونن اهون على الله من الجُعَل الذي يدهدِهُ الخراء بانفه ان الله اذهب عنكم عُبيّة الجاهلية وفخرها بالاباء انما هو مومن تقي وفاجر شقي الناس بنو ادم وادم خلق من تراب وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس هذا حديث حسن حدثنا هرون بن موسى بن ابي علقمة الفَرْوي المديني حدثني ابي عن هشام بن سعد عن سعيد بن ابي سعيد عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد اذهب الله عنكم عُبيَّةَ الجاهلية وفخرها بالاباء مومن تقي وفاجر شقي والناس بنوا ادم وادم من تراب هذا حديث حسن وسعيد المقبري قد سمع من ابي هريرة ويروي عن ابيه اشياء كثيرة عن ابي هريرة وقد روى سفيان الثوري وغير واحد هذا الحديث عن هشام بن سعد عن سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو حديث ابي عامر عن هشام بن سعد هذا الحديث اخرجه ابو داود في الادب من طريق سعيد بن ابي سعيد [عن ابيه فقال حدثنا موسى بن مروان الرقي ثنا المعافي ح وحدثنا احمد بن سعيد] الهمداني انا ابن وهب وهذا حديثه عن هشام بن سعد عن سعيد ابن ابي سعيد والطريق الاولى انفرد بها الترمذي والجُعَل حيوان معروف كالخنفسا والجمع جعلان كصُرَد وصردان ودَهْدَهْتُه دحرجته وفي الحديث ايضا لَما يُدَهْدِهُهُ الجُعَل خير من الذين ماتوا في الجاهلية والمراد الذي يدحرجه من النجس وعبية الجاهلية بضم العين المهملة وكسر الموحدة المشددة وفتح المثناة التحتية المشددة الكِبْر والنخوة قال في النهاية وتضم عينها وتكسر وهي فُعُّولة او فِعِّيلة فان كانت فُعُّولة فهي من التعبية لان المتكبر ذو تكلف وتعبية خلاف من يسترسل على سجيته وان كانت فعيلة فهي من عباب الما وهو اوله وارتفاعه وقيل ان اللام

صورة الصفحة الأولى من الأصل

عشر خلت مضت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ بقرية
يقال لها بوغ من قراها وكان موته بعد موت ابي داود بنحو اربع
سنين لان ابا داود مات يوم الجمعة سادس عشر شوال بالبصرة
سنة خمس وسبعين ومائتين وترمذ مدينة قديمة على طرف نهر
بلخ ويقال له جيحون خرج منها جماعة كثيرة من العلما قال ابن الاثير
واختلف الناس في ضبطها فبعضهم يقول بفتح التا وبعضهم يقول بضمها
وبعضهم يقول بكسرها والمتداول على لسان اهل تلك فتح التا وكسر
الميم قال والذي كنا نعرفه قديما كسر التا والميم جميعا والذي يقوله المتوقون
المتقدمون واهل المعرفة ضم التا والميم وكل واحد يقول معنى لما يدعيه انتهى
ولنختم بما رواه صاحب الجامع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قل ما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلا الدعوات
لاصحابه اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك
ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب
الدنيا ومتعنا باسماعنا وابصارنا ما احييتنا واجعله الوارث منا واجعل
ثارنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا
تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا الى
رحمه الله وهذا حديث حسن وروت عايشة رضي الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من حديث واراد
ان يقوم من مجلسه يقول اللهم اغفر لنا ما اخطانا وما تعمدنا وما
اسررنا وما اعلنا وما انت اعلم به منا انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا
انت انتهى سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين والى هنا انتهى
ما نقلته من خط جامعه مولانا العلامة المحدث الشيخ عبد الله بن المرحوم الشيخ سالم البصري

... نصه الحافة على
... كتبت على خط مؤلفه
العلامة السيد ...
...

صورة الصفحة الأخيرة من الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم حدثنا محمد بن بشار نا

ابو عامر العقدي نا هشام بن سعد عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لينتهين اقوام

يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا انما هم فحم جهنم او ليكونن اهون على الله

من الجعل الذي يدهده الخراء بانفه ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها

بالآباء انما هو مومن تقي وفاجر شقي الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب

وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس هذا حديث حسن حدثنا هرون بن

موسى بن ابي علقمة الفروي المديني حدثني ابي عن هشام بن سعد عن سعيد بن ابي سعيد

عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد اذهب

الله عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مومن تقي وفاجر شقي والناس

بنو آدم وآدم من تراب هذا حديث حسن سعيد المقبري قد سمع من ابي

هريرة ويروي عن ابيه اشياء كثيرة عن ابي هريرة وقد روى سفيان الثوري

وغير واحد هذا الحديث عن هشام بن سعد عن سعيد المقبري عن ابي هريرة عن

النبي صلى الله عليه وسلم نحوه حديث ابي عامر عن هشام بن سعد هو

الحديث اخرجه ابو داود في الادب من طريق سعيد بن ابي سعيد

عن ابيه

صورة الصفحة الأولى من النسخة «م»

٨٠

الذهبي فما اخطات حرفا فقال ما رايت مثلك ولابي عيسى كتاب الزهد مفرد لم
يقع لنا وكتاب الاسماء والكنى وقال يوسف بن احمد البغدادي الحافظ
اضر ابو عيسى في آخر عمره وقال الحاكم ابو احمد سمعت عمر بن علك
يقول مات محمد بن اسمعيل البخاري ولم يخلف بخراسان مثل ابي عيسى
في العلم والحفظ والورع والزهد بكى حتى عمي وبقي ضريرا سنين
قال الحافظ المذي قلت وهذه الحكاية المتقدمة عن الترمذي ترد
على من زعم انه ولد اكمه والله اعلم ولد رضي الله عنه سنة مايتين ومات
رحمه الله ليلة الاثنين لثلاثة عشرة ليلة مضت من رجب سنة سبع وسبعين
ومايتين بترمذ بقرية يقال لها بوغ من قراها وكانت موته بعد موت ابي داود
بنحو اربعين سنين لان ابا داود مات يوم الجمعة سادس عشر شوال
بالبصرة سنة خمسين وسبعين ومايتين وترمذ هي مدينة قديمة على طرف
نهر بلخ ويقال له جيحون خرج منها جماعة كثيرة من العلماء قال ابن الاثير
واختلف الناس في ضبطها فبعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم يقول بكسرها
والمتداول على لسان اهل تلك المدينة فتح التاء وكسر الميم قال والذي
كنا نعرفه قديما كسر التاء والميم والذي يقوله المتقنون واهل المعرفة ضم

صورة الورقة التي قبل الأخيرة من النسخة « م »

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٤٦)



تأليف

المحدث العلامة الشيخ عبد الله بن سالم البصري
(١٠٤٨ ـ ١١٣٤ هـ)

قدم له وحققه وعلق عليه

العربي الدائز الفرياطي



بسم الله الرحمن الرحيم

[شرح الحديث الأخير من الترمذي][1]

/حدثنا محمد بْن بشار، نا أبو عامر العقدي، ثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبـي سعيد، عن أبـي هريرة رضي الله عنه عن النبـي ﷺ قال: «لينتهينَّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحمُ جهنم، أو ليكونُن أهونَ على الله من الجُعَل الذي يُدَهْدِهُ الخِرَاءِ بأَنْفه، إن الله أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرَها بالآباء، إنما هو مؤْمِنٌ تقيٌّ، وفاجر شقي، الناس بنُو آدم، وآدم خُلِق من تراب». وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس هذا حديث حسن[2].

ـ حدثنا هارون بن موسى بن أبـي علقمة الفَرْوِي المديني[3]، حدثني

---

(١) هذه العناوين زيادة منا لإيضاح مراد المصنف.

(٢) أفاد المحقق أن في نسخة « م »: «حسن غريب»، والحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب [بدون ترجمة] (٦/ ٢٢٤) (٣٩٥٥)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٥١٧)، وأبو نعيم في «تاريخ أخبار أصبهان» (٢/ ٦٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٣٢)، وفي «الشعب» رقم (٥١٢٦) و (٥١٢٧).

(٣) هارون بن موسى بن أبـي علقمة واسمه: عبد الله بن محمد الفروي المدني (ت ٢٥٣هـ). قال الحافظ: لا بأس به، وأما أبوه: فقال عنه الحافظ: موسى بن أبـي علقمة الفروي بفتح الفاء والراء مولى آل عثمان: مجهول. «التقريب» لابن حجر رقم (٧٢٤٥) و (٦٩٩٣)، وقول الحافظ في ضبطه (بفتح الراء) مخالف لما صرح به غيره، قال ابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه» (٧/ ٩٠): «الفروي: بفتح أوله، وسكون الراء، وكسر الواو».

أبـي عن هشام بن سعد عن سعيد بن أبـي سعيد، عن أبيه، عن أبـي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قد أذهب الله عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرَها بالآباء، مؤمنٌ تقيٌّ، وفاجر شقيٌّ، والناسُ بنو آدم وآدم من تراب» هذا حديث حسن، وسعيد المقبُري قد سمع من أبـي هريرة، ويروي عن أبيه أشياء كثيرة عن أبـي هريرة، وقد روى سفيان الثوري وغيرُ واحد هذا الحديث عن هشام بن سعد عن سعيد المقبري عن أبـي هريرة عن النبـي ﷺ نحو حديث أبـي عامر عن هشام بن سعد»[1].

* * *

هذا الحديث أخرجه أبو داود في الأدب من طريق سعيد بن أبـي سعيد عن أبيه فقال: حدثنا موسى بن مروان الرَّقّي، ثنا المعافَى ح، وحدثنا أحمد بن سعيد الهمْداني، أنا ابن وهب ــ وهذا حديثُه ــ عن هشام بن سعد عن سعيد بن أبـي سعيد[2]، والطريق الأولى انفرد بها الترمذي[3].

والجُعَل: حيوان معروف كالخُنْفُساء، والجمع: جُعْلان، كصُرَد وصُردان.

---

(١) «جامع الترمذي» (٦/ ٢٢٥) (٣٩٥٦)، ورواه أبو داود ــ كما سيذكر المصنف ــ في كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب (٥١١٦)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٣٤٥٨)، وأبو نعيم (٢/ ٦٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ١٣٥ ــ ١٣٦)، وروايةُ سفيان أخرجها البيهقي في «الشعب» (٤/ ٢٨٥) (٥١٢٦)، والحديث حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣٦) (٢٩٦٥).

(٢) «سنن أبـي داود» (٤/ ٢٣١) (٥١١٦).

(٣) إن كان الشيخ يقصد أن الترمذي انفرد بحذف الواسطة وهي أبو سعيد المقبري بين سعيد وأبـي هريرة فليس كذلك؛ فقد أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٦١) (٨٧٢١) و (٢/ ٥٢٣) (١٠٧٨١) كذلك بحذف الواسطة، وقد فصل اختلاف الرواة عن هشام بن سعد في ذكر الواسطة وعدمها الإمامُ الدارقطني في «العلل» (٨/ ١٥٨).

ودهدهتُه: دحرجته، وفي الحديث أيضاً: [كما][1] يدهده الجُعل خير من الذين ماتوا في الجاهلية، والمراد: الذي يدحرجه من النَّجس.

عُبِّيَّة الجاهلية: بضم العين المهملة وكسر الموحدة المشددة وفتح المثناة التحتية المشددة: الكِبْر والنخوة. قال في النهاية: «وتضم عينها وتكسر، وهي فُعُّولة أو فِعِّيلة فإن كانت فُعُّولة فهي من التَّعْبِية؛ لأن المتكبر ذو تكلف وتعبية خلاف من يسترسل على سجيته، وإن كانت فُعِّيلة فهي من عُباب الماء وهو أوله وارتفاعه، وقيل: إن اللام / قلبت ياء كما فعلوا في تقضي البازي»[2].

وقوله: **إنما هو**، **أي**: الأمر والشأن مؤمن تقي، وفاجر شقي. قال الخطابي: «معناه أن الناس رجلان: مؤمن تقي فهو الخيِّر الفاضل وإن لم يكن حسيباً في قومه، وفاجر شقي فهو الدنيء وإن كان في أهله شريفاً رفيعاً». انتهى[3].

والحديث وإن كان وارداً في الآباء الكفار لكنَّ النهي لا يتقيد بذلك، والأحاديث والآثار متظافرة على النهي عن التفاخر بالأنساب مطلقاً؛ فعن جابر رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: يا أيها الناس، إنَّ ربكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلاَّ بالتقوى، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم. ألا هل بلغتُ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فَلْيُبلغ الشاهد الغائب، ثم ذكر الحديث في تحريم الأموال والدماء والأعراض. رواه البيهقي، وقال: في إسناده بعض من يجهل[4].

(١) في المخطوط: كما، ولعل الصواب: ما.

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (ص ٥٨٧).

(٣) «معالم السنن»، للخطابي (٤/ ١٤٨).

(٤) رواه البيهقي في «الشعب» (٤/ ٢٨٩) (٥١٣٧) من طريق شيبة أبي قلابة عن الجريري، =

وعن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى منادياً ينادي: ألا إني جَعلتُ نسباً وجَعلتُم نَسَباً، فجعلت أكرمكم أتقاكم فأبيتم إلاَّ أن تقولوا: فلانُ بن فلان خيرٌ من فلان بن فلان، فاليوم[1] أرفع نسبـي وأضع نسبكم، أين المتقون؟».

رواه الطبراني في الأوسط والصغير، والبيهقي مرفوعاً وموقوفاً[2].

وفي حديث أبـي هريرة الطويل: «ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه»[3].

وعن أبـي ذر رضي الله عنه أن النبـي ﷺ قال له: «انظر فإنك لست بخير من أحمرَ ولا أسودَ إلاَّ أن تفضله بتقوى»، رواه أحمد[4].

= عن أبـي نضرة، عن جابر به، وعلق الألباني على قول البيهقي بقوله: «يشير إلى شيبة أبـي قلابة، لكن رواه أحمد وغيره من غير طريقه». والحديث أورده المنذري في: «الترغيب والترهيب» (٣/ ٥٧٤) (٤٣٦٨)، والسيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن مردويه، والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣٥) (٢٩٦٤).

(١) في «المعجم الصغير»: «فأنا اليوم».

(٢) رواه الطبراني في الصغير «الروض الداني» (١/ ٣٨٣ ــ ٣٨٤) (٦٤٢)، و «الأوسط» (٤/ ٣٨٨) (٤٥١١)، والبيهقي في «الشعب» ــ مرفوعاً وموقوفاً ــ (٤/ ٢٨٩ ــ ٢٩٠) (٥١٣٩) و (٥١٤٠) ومداره على طلحة بن عمرو المكي عن عطاء بن أبـي رباح عن أبـي هريرة به. قال في «التقريب» (٣٠٣٠): «متروك». والحديث ذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٨٤). وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه طلحة بن عمرو: متروك». وذكره أيضاً المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٧٥). وقال الألباني: ضعيف جدًّا في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٥٩) (١٧٦٣).

(٣) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٦٧٩٣)، وأخرجه أبـو داود فـي كتـاب الأدب، بـاب فـي المعـونـة للمسلـم (٤٩٤٦)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٥).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٣٢١) (٢١٤٠٧) من طريق أبـي هلال الراسبـي عن بكر بن عبد الله المزني، عن أبـي ذر، به. وأبو هلال محمد بن سليم قال الحافظ في =

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحدكم، وإنما أنتم ولد آدم طفُّ الصاع لن تملؤوه، ليس لأحد فضل على أحد إلّا بالدين أو عمل صالح، بحسب الرجل أن يكون بذيًّا بخيلاً»[1].

وفي رواية له: «ليس لأحد على أحد فضل إلّا بدين أو تقوى، وكفى بالرجل أن يكون بذيًّا فاحشاً بخيلاً».

وقوله: طف الصاع، أي: قريب بعضكم من بعض، يقال: هذا طف المكيال وطِفافه وطَفافه، أي: ما قرب من ملئه، والمعنى: كلكم في الانتساب إلى أب / واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام. وشبَّهَهُم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال، ثم أعلمهم أن التفاضل ليس بالنسب، ولكن بالتقوى.

ولابن لال[2] والعسكري[3]: الناس كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعاقبة، أي: كلهم متساوون في الصور، وإنما يتفاوتون في الأعمال، فلا تصحبن أحداً لا يرى لك من الفضل ما ترى له.

= «التقريب» (٥٩٣٣): «صدوق فيه لين». والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (١٥١٧)، وقال محققو المسند: «صحيح لغيره».

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢٩٢) (٥١٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٤/١٣) (٢٩٦٢).

(٢) هو أحمد بن علي بن أحمد بن الفرج بن لال أبو بكر الهمَذاني. قال شيرويه: كان ثقة أوحد زمانه ومفتي البلد ــ يعني همذان ــ يحسن هذا الشأن يعني الحديث وله مصنفات في علوم الحديث غير أنه كان مشهوراً بالفقه، ورأيت له كتاب السنن ومعجم الصحابة ما رأيت شيئاً أحسن منه». وُلد سنة (٣٠٧هـ)، وتوفي سنة (٣٩٨هـ). انظر: «طبقات الشافعية» لابن السبكي (٣/ ١٩ ــ ٢٠)، و «معجم المؤلفين» (١/ ٢٠٦).

(٣) هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري كان حيًّا سنة (٣٩٥هـ). انظر: «معجم الأدباء» (١/ ٥٥)، و «معجم المؤلفين» (١/ ٥٦٠).

ولأبــي يعلـى وغيـره: «كـرم المـؤمـن دينـه، ومـروءتـه عقلـه، وحسبـه خلقه»[1].

وقال عمر رضي الله عنه: «المفتخر بآبائه بقوله: أنا ابن بطحاء مكة كديها وكدائها إن يكن لك دين فلك كرم، وإن يكن عقل فلك مروءة، وإن يكن لك مال فلك شرف، وإلاَّ فأنت والحمار سواء»[2].

وروى الطبـرانـي: «إن أهـل بيتـي يـرون أنهـم أولـى النـاس بــي، وليس كذلك، إن أولى الناس بـي منكم المتقون مَن كانوا وحيث كانوا».

وروى الشيخان البخاري ومسلم: «إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء؛ إنما وليِّـيَ الله وصالح المؤمنين»[3].

قال الإمام النووي: معنى الحديث: إن وليـي من كان صالحاً وإن بَعُدَ نسبه مني[4].

قال الشيخ ابن حجر الهيثمي: وهذا يؤيد ما ورد «آل محمد كل تقي»،

---

(١) رواه أبـو يعلـى فـي مسنـده (١١/ ٣٣٣) (٦٤٥١)، والحـاكـم (٢/ ١٩٤) (٢٧٤٨)، والبيهقـي فـي «الكبـرى» (٧/ ١٣٦)، وهـو فـي «مسنـد الشهـاب» (١/ ١٩٧)، وضعفـه الألباني في «ضعيف الترغيب» (٢/ ١٨٦) (١٥٩٣) وفيه كلام للشيخ، يُراجع.

(٢) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» كما عزاه إليه العجلوني في «كشف الخفا ومزيل الإلباس» (٢/ ١٤٣)، وأشار إليه البيهقي في «الكبرى» (٧/ ١٣٦)، قال: «ومثل ذلك عن عمر من قوله».

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب تبل الرحم ببلالها (٥٩٩٠)؛ ومسلم، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم (٢/ ٨٢) (٥١٨)، وأبو عوانة في مستخرجه (١/ ٢٨٦) (٥٢٨)، وأبـو عـوانـة فـي مسنـده (١/ ٩١) (٢٧٦)، وأحمـد فـي مسنـده (٤/ ٢٠٣)، ومن طريقه ابن منده في «الإيمان» (١/ ٤١٥) (٢٦٢).

(٤) «شرح مسلم»، للنووي (٢/ ٨٢).

ومِن ثم لما قال هاشمي لأبـي العيناء: تغُض مني وأنت تصلي عليَّ في كل صلاة في قولك: اللّـٰهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، قال له: إني أريد الطيبين الطاهرين ولستَ منهم.

ورُئي أنصاري في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قيل: بماذا؟ قال: بالنسبة التي بيني وبين النبـي ﷺ، قيل له: أنت شريف؟ قال: لا، قيل: فمن أين النسبة؟ قيل: كنسبة الكلب إلى الراعي. قال راوي ذلك: فأولتُه بانتسابه إلى الأنصار. وقال غيره: أولته بانتسابه إلى العلم خصوصاً علم الحديث لقوله ﷺ: «أولى الناس بـي أكثرهم عليَّ صلاة»[1]، إذ هم أكثر الناس عليه صلاة ﷺ.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، نزلتْ في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذي لم يتفسح له: ابنَ فلانة، فقال النبـي / ﷺ: «مَن الذاكر فلانة؟ فقال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال: انظر في وجوه القوم فنظر، فقال: ما رأيت يا ثابت؟ قال: رأيتُ أبيض وأحمر، قال: فإنك لا تفضلهم إلاَّ بالدين والتقوى، فنزلت في ثابت هذه الآية[2].

وقال مقاتل: لما كان فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا على ظهر

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٣/ ١٩٢) (٩١١)؛ والترمذي، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبـي ﷺ (٢/ ٣٥٤) (٤٨٤)، وابن أبـي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٢٥) (٣١٧٨٧)، وأبـو يعلـى فـي مسنـده (٨/ ٤٢٨) (٥٠١١)، والبيهقـي فـي «الشعـب» (٢/ ٢١٢) (١٥٦٣)، قـال ابـن حجـر فـي «الفتـح» (١١/ ١٦٧): «وحسنـه التـرمـذي وصححه ابن حبان»، وابن عدي في «الكامل» (٣٣٥)، والخطيب في «الفصل للوصل المدرج في التنقل» (٢/ ٢٧٢ و ٢٧٣).

(٢) الواحدي في «أسباب النزول» (ص ٤١٧)، والقرطبـي (١٦/ ٣٢٤).

الكعبة فأذَّن فقال عتاب بن أسيد بن أبي العِيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم يرَ هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: أما وَجَدَ محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذّناً؟ وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئاً يغيره، وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به ربُّ السماء، فأتى جبريل رسول الله ﷺ بما قالوا؛ فدعاهم وسألهم عما قالوا، فأقروا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء. فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾[1]، يعني: آدم وحواء، أي: أنكم متساوون في النسب ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾: ليعرف بعضكم بعضاً في قرب النسب وبُعده لا ليتفاخروا، ثم أخبر أن أرفعهم منزلة عند الله أتقاهم، فقال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾.

قال قتادة في هذه الآية: أكرم الكرم التقوى، وألأم اللؤم الفجور.

وعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسب المال والكرم التقوى»[2].

---

(١) الواحدي في «أسباب النزول» (ص ٤١٧)، والقرطبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٢٤).

(٢) رواه الترمذي في التفسير، باب من سورة الحجرات (٣٢٧١)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الورع والتقوى (٤٢١٩)، وأحمد في مسنده (٣٣/ ٢٩٤) (٢٠١٠٢)، وفي «الزهد» (١/ ١١٦) (٢٢٩)، والدارقطني في سننه (٣/ ٣٠٢) (٢٠٨)، ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٦١٠) (١٠٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٢١٩) (٦٩١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٩٤) (٢٧٤٧) و (٤/ ٣٦١) (٧٩٢٢)، ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» (٧/ ١٣٥ ـ ١٣٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٤٦) (٢١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٩/ ١٦٦)، وابن أبي نعيم في «الحلية» (٦/ ١٩٠)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٤)، ابن أبي عاصم في «الزهد» (٢٢٩)، والحديث صححه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ٣٣٥) (٣٢٧١)، و «صحيح ابن ماجه» (٣/ ٤٧٤) (٣٤١٨ ـ ٤٢٩٤).

قال ابن عباس: كرم الدنيا الغنى، وكرم الآخرة التقوى».

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه، فلما خرج لم يجد مُناخاً فنزل على أيدي الرجال فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال: «الحمد لله الذي أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وتكبرها بآبائها، الناس رجلان: برٌّ تقي كريم على الله، وفاجر شقي هيِّن على الله، ثم تلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الآية، ثم قال: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم»[1].



(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب من سورة الحجرات (٣٢٧٠)، وعبد بن حميد (٧٩٥)، وابن خزيمة (٢٧٨١)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٠٦)، والبيهقي في «الشعب» (٤/٢٨٦) (٥١٣٠)، وقال الترمذي: «وعبد الله بن جعفر يضعَّف، ضعفه يحيى بن معين وغيره، وهو والد علي بن المديني». والحديث عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٥٧٨) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/٣٣٤) (٣٢٧٠)، وأورده ابن كثير في «التفسير» (٧/٣٦٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الاستعانة،
وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم

الحمد لله الذي خصَّ / أمة محمد ﷺ بصحيح الإسناد، وأسكن أهل الحديث الفردوس الأعلى فبلغوا المراد، ونوَّر قلوب العلماء بمصابيح أبواب جوامع الإيمان، وزين مقالتهم بالأحاديث الصحاح والحسان.

أحمده على اتباع الكتاب والسنَّة، وأشهد أن لا إلـه إلَّا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لقائلها طريقاً إلى الجنة، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله ونبيه وحبيبه وخليله، صاحب الشفاعة والولاية والمنقول شرعه بصحيح السند والرواية، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله الكرام، وأصحابه الأئمة الأعلام، ما نطق ناطق بحرف ورمق رامق بطرف.

وبعد:

فإن جامع الإمام الحجة المتقن الورع الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي من أجلّ المصنفات في السنن، وأجمع ما حوته الكتب من الصحيح والحسن، وقد اعتنى الناس به قديماً وحديثاً، وأكبوا على دراسته والأخذ منه قراءة وتحديثاً.

قال القاضي أبو بكر بن العربي[1] في أول شرح الترمذي: «اعلموا

(١) هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري وُلد سنة (٤٦٨هـ)، وتوفي في مكان قريب من فاس =

ـ أنار الله أفئدتكم ـ أن كتاب الجعفي ـ أي البخاري ـ هو الأصل الثاني في هذا الباب والموطأ هو الأول هو واللباب وعليهما بنى الجميعُ كالقشيري والترمذي فما دونهما ما طفقوا يصنفونه.

وليس في قدر كتاب أبي عيسى مثله حلاوة مقطع، ونفاسه مترع، وعذوبة مشرع، وفيه أربعة عشر علماً فوائد[1]: صنف، وهو أقرب إلى العمل وأسند، وصحح وأسقم، وعدد الطرق، وجرح وعدل، وأسمى وأكنى، ووصل وقطع، وأوضح المعمول به والمتروك، وبين اختلاف العلماء في الرد والقبول لآثاره، وذكر اختلافهم في تأويله، وكل علم من هذه العلوم أصل في بابه، وفرد في نصابه، فالقاري له لا يزال في رياض مُونِقة، وعلوم متفقة متسقة»[2].

قال[3]: ووجدتُ بخط الشيخ أبي الصبر أيوب بن عبد الله[4] أبياتاً في

= اسمه مغيلة، وحمل إلى فاس فدفن فيها سنة (٥٤٣هـ). انظر: كتاب «الصلة» لابن بشكوال (ص ٥٩٩)، و«سلة الأنفاس» للكتاني (٣/ ١٩٨)، وكتاب مع القاضي أبي بكر بن العربي لسعيد أعراب (ص ١١ و ١٢٠).

(١) في كلا النسختين هكذا، وفي «عارضة الأحوذي»: «فرائد»، وهذا أليق.

(٢) «عارضة الأحوذي» لابن العربي (١/ ٥)، ونقله السيوطي في «قوت المغتذي» في شرح الترمذي (مخطوط في عارف حكمت) (ص ٥).

(٣) القائل هنا ليس هو أبو بكر ابن العربي كما هو واضح من خلال السياق؛ ولأن المؤلف نقل كلام ابن العربي بواسطة السيوطي، والسيوطي نقل كلام ابن العربي عن فهرسة أبي الحسن الشاري فيما حكاه الشاري عن شيخه أبي محمد الحجري، فالقائل هنا إما أن يكون الشاري (ت ٦٤٩هـ) أو شيخه الحجري (ت ٥٩١هـ)، وانظر: «البحر الذي زخر» للسيوطي (٣/ ١٠٥٦)، و«قوت المغتذي» ص ٥.

(٤) السبتي، محدث مقرىء زاهد، له رحلة إلى المشرق، توفي سنة (٦٠٩هـ). انظر: «التكملة» (١/ ١٦٧)، و«جذوة الاقتباس» (١/ ١٦٨)، و«غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (١/ ١٧٢).

مدح مصنَّف الترمذي غير منسوبة[1]، وهي: [من الوافر]

كتـاب التـرمـذي ريـاضُ علْـم ... حكـت أزهـارُه زهـرَ النجـوم
بـه الآثـار واضحـة أُبِينـتْ ... بـألقـاب أُقِيمـتْ كـالـرسـوم
فـأعـلاهـا الصحـاحُ وقـد أنـارت ... نجـومـاً للخصـوص وللعمـوم/
ومِـن حسـن يليهـا، ومِـن غـريـب ... وقـد بـانَ الصحيـحُ مـن السقيـم
فعلّلـه أبـو عيسـى مُبِينـا ... مَعـالمَـه لطُـلَّاب العُلـوم
(وطـرَّزه بـآثـار صحـاح ... تخيَّـرهـا أُولـو النظـر السليـم)[2]
مـن العلمـاء، والفقهـاء قِـدْمـا ... وأهـل الفضـل والنهـج القـويـم
فجـاء كتـابُـه عِلْمـا يقينـاً ... يُنـافـسُ فيـه أربـابُ الحلـوم
ويقتبسـون منـه نفيـسَ عِلْـم ... يُفيـدُ نفـوسَهُـم أسنـى الـرسـوم
كتبنـاه رويْنـاه لنَـرْوى ... مِـن التَّسْنيـم فـي دار النعيـم
وغـاص الفكـر فـي بحـر المعـانـي ... فـأدرك كـلَّ معنًـى مستقيـم
فـأخـرج جَـوهـراً يلتـاح نُـوراً ... فقلَّـد عقـدَه أهـلَ الفُهـوم
ليصعَـد بـالمعـانـي للمعـالـي ... بسعـدٍ بعـد تـوديـع الجُسـوم
محـل العلـم[3] لا يـأوي تـرابـاً ... ولا يبلـى علـى الـزَّمَـن القَـديـم
فمَـن قَـرَأَ العُلـوم ومَـن روَاهـا ... لتنْقُلَـه إلـى المغْنـى المقيـم
فـإن الـرُّوح تـأْلَـف كـل رَوْح ... وريحـاً منـه عـاطـرةَ النسيـم

---

(١) بل وجدتها منسوبة للشيخ الإمام أبي العباس أحمد بن معد التجيبي الأقلشي الأندلسي (ت ٥٥٠هـ). أسندها إليه أبو القاسم عبيد بن محمد الإسعردي (ت ٦٩٢هـ) في كتابه: «فضائل الكتاب الجامع» (ص ٥٣).

(٢) البيت ساقط من الأصل وأثبته من نسخة « م »، وهو ثابت في القصيدة فيما نقله السيوطي في «قوت المغتذي» (ص ٦)، وفي «شرح ألفيته» (البحر الذي زخر) (٣/ ١٠٥٩).

(٣) في نسخة « م »: «يعني كتابه».

تحلِّـي مـن عقـائـده عقُـوداً ... منظَّمـةً بِيـاقُـوتٍ وتُـوم[1]
وتُـدْرِك نفسُـه أَسْنـى ضيـاءٍ ... مـن العلـم النفيـس لـذي العلـوم
ويُحْيـي جسمُـه أعْلـى لَـذَاذٍ ... مُحـابـاةً علـى الخيـر الجسيـم
جـزى الـرحمـنُ خيـراً بعـد خيـر ... أبـا عيسـى علـى الفِعْـل الكـريـم
وألحقَـه بصـالـح مَـنْ حَـواه ... مصنَّفُـه مِـنَ الجِيـل العظيـم
وكـان سمِيُّـه فيـه شفيعـاً ... محمـدٌ المسمَّـى بـالـرَّحيـم
صـلاةُ الله تـورثُـه عـلاءً ... فـإنَّ لِـذِكْـرِهِ أَذْكـى نسيـم[2]

وعن أبي علي منصور بن عبد الله الخالدي[3]، قال: قال أبو عيسى: صنفتُ هذا الكتابَ يعني الجامع فعرضتُه على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضُوا به، ومَنْ كان في بيته هذا الكتابُ ـ يعني الجامع ـ فكأنما في بيته نبيٌّ يتكلم»[4].

قال الحافظ السيوطي: وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن رُشَيد: الذي / عندي أن الأقرب إلى التحقيق، والأجرى على واضح الطريق، أن يقال: إن كتاب الترمذي تضمن الحديث مصنّفاً على الأبواب، وهو عِلْم برأسه، والفقهَ

(١) التّوم: اللؤلؤ، ومفرده: تُومة. راجع: «القاموس المحيط» (ص ١٠٨٣)، مادة (توم).
(٢) انظر: «فضائل الكتاب الجامع» للإسعردي (ص ٥٣)، و «قوت المغتذي» (ص ٥)، وعنه «نقع قوت المغتذي على جامع الترمذي» للعلامة الدمناتي (ص ٤)، و «البحر الذي زخر» (٣/ ١٠٥٨ ـ ١٠٦١).
(٣) هو أبو علي منصور بن عبد الله الخالدي الهروي. قال الذهبي: أحد الضعفاء، توفي سنة ٤٠١هـ أو بعدها بسنة. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٤٩)، و «شذرات الذهب» (٢/ ١٦٢).
(٤) «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٣٤)، و «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٧٤).

عِلم ثان، وعللَ الأحاديث عِلْم ثالثٌ، والأسماءَ والكنى عِلْم رابع، والتعديلَ والتجريح خامس، ومَن أدرك النبي ﷺ ممن لم يدركْه ممَن أسند عنه في كتابه سادس، وتعديدَ مَن رَوى ذلك الحديثَ سابع، هذه علومه الجُمْلية، وأما التفصيلية فمتعددةٌ بالجملة، فمنفعته كبيرة، وفوائده جمَّة كثيرة»[1]. انتهى.

وقال الحافظ فتحُ الدين ابن سيد الناس[2]: «ومما لم يذكرْه ما تضمنه من الشذوذ وهو نوع ثامن، ومِن الموقوف وهو تاسع، ومِن المدرج وهو عاشر، وهذه الأنواع مما تكثر فوائدهُ التي تُستجاد منه، وتُستفاد عنه، وأما ما يقِلُّ فيه وجودُه مِنَ الوَفَيَات والتنبيهِ على معرفة الطبقات، أو ما يجري مجرى ذلك فداخلٌ فيما أشار إليه مِن فوائِدِه التفصيلية». انتهى[3].

وقال الحافظ قطب الدين القسطلَّاني[4]:

أحاديثُ الرسول جلاءُ الهُموم | وبرء المؤمن من أَلَم الكُلوم
فلا تَبْغِي بها أبداً بَديلاً | وعرِّفْ بالصحيح مِنَ السقيم
وإنَّ الترمذيَّ لمَن تصدَّى | لعِلْم الشَّرْع مُغْن عن علوم
غدَا خضِراً نضيراً في المعاني | فأصبح روضُه عطرَ الشمِيم

(١) نقله عنه ابن سيد الناس في «النفح الشذي» لابن سيد الناس (١/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، والسيوطي في «قوت المغتذي» (ص ١٣).
(٢) في نسخة «م»: «بدر الدين ابن سيد الناس»، وهو خطأ.
(٣) «النفح الشذي» (١/ ١٩٣).
(٤) وهو محمد بن أحمد بن علي أبو بكر القسطلاني، محدِّث أديب زاهد، كان ذائع الصيت في عصره، توفي سنة (٦٨٦هـ). انظر: «ملء العيبة» لابن رُشيد (٣/ ٤١٥)، و «الأجوبة» لابن سيد الناس (٢/ ١٦٦)، و «ذيل التقييد» للفاسي (١/ ٩٩).

فمِنْ جرحٍ وتعديل حَواه ... ومِنْ عِلَل، ومن فِقْه قويم
ومِنْ أَثَرٍ، وَمِنْ أَسْمَاءِ قَوْم ... وَمِن ذِكْر الكُنى لصَدْرٍ فَهيم
ومِن نسخ، ومُشْتَبه الأَسَامي ... ومِن فَرْقٍ، ومِن جَمْعٍ بهيم
ومِن قولِ الصِّحابِ وتابعيهم ... بحلٍّ أو بتَحْرَيمِ عميم
ومِن نَقْلٍ إلى الفُقَهاءِ يُعْزى ... ومِن مَعْنى بَدِيع مستقيم
ومن طبقاتِ أعْصَار تقضَّت ... ومن حَل لمنعقد عقيم
وقسَّم مَا روى حسَناً صحيحاً ... غريباً فارتضاه ذوُو الفُهوم
ففاق مصنَّفات الناسِ قِدماً ... وراق فكان كالعِقْد النَّظيم
وجاء كأنه بدْرٌ تلالا ... يُنِيرُ غياهِبَ الجهل العظيم
فنافسْ في اقتباس مِن نفيس ... بأنفاس، ودعْ قول الخَصيم
فإنَّ الحقَّ أبلجُ ليس يخفى ... طلاوتُه على الذِّهن السليم
وفضلُ العلم يظهر حين يَنْأَى ... عَن الأرواح مألوفُ الجسوم
فمأوى العلم مرقى الثُّريَّا ... ويَبْقى في الثرى أثرُ الرسوم
وليس العِلْم ينفع مَن حَواه ... بلا عملٍ يُعين على القُدوم
كتابُ الترمذيِّ غدا كتاباً ... / يعطّر نشرُه مَرَّ النسيم
وإسنادي له في العصر يعلو ... أُساوِي فيه ذَا سنّ قديم
فربِّي اللّهَ أحمدُ كلّ حينٍ ... على إيلاءِ إِفْضال عَميم
وصَلِّ مدَّ الزمان على رسولٍ ... يفُوح لذكره أرجُ النَّسيم(1)

قال ابن الصلاح في «علوم الحديث»: «كتاب أبي عيسى الترمذي أصلٌ

---

(1) انظر: «فضائل الكتاب الجامع» للإسعردي (ص ٥٣ ــ ٥٥) وعنده زيادة عشرة أبيات قبل البيت الأخير، و «قوت المغتذي» (ص ١٤)، وعنه «نقع قوت المغتذي على جامع الترمذي» للعلامة الدمناتي (ص ٨ ــ ٩)، وبينهما اختلاف في بعض العبارات وتغاير في بعض الكلمات.

في معرفة الحديث الحسن، وهو الذي تفرد باسمه، وأكثر من ذكره في جامعه ويوجَد في متفرِّقات مِن كلام بَعض مشايخه، والطبقة التي قبله، كأحمد بن حنبل والبخاري وغيرهما، وتختلف النسخ من كتاب الترمذي في قوله: هذا حديث حسن، وهذا حديث حسن صحيح، ونحو ذلك، فينبغي لك أن تصحح أصلَك بجماعة أصول وتعتمد على ما اتفقت عليه»[1].

وقال الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح: «قد أكثر عليُّ بن المديني من وصْف الأحاديث بالصحة وبالحسن في مسنده، وفي علله، فكأنه الإمامُ السابق لهذا الاصطلاح، وعنه أخذ البخاري، ويعقوب بن أبـي شيبة وغير واحد، وعن البخاري أخذ الترمذيُّ؛ فاستمداد الترمذي لذلك إنما هو من البخاري، ولكن الترمذيَّ أكثر منه، وأشاد بذكره، وأظهر الاصطلاح فيه؛ فصار أشهر به من غيره»[2].

[شرط الترمذي وموازنته بشرط غيره]:

واعلم أن الحافظ أبا الفضل بن طاهر قال في كتاب «شروط الأئمة»: «لم يُنقل عن واحد من الأئمة الخمسة أنه قال: شرطت في كتابـي هذا أن أخرِّج على كذا، لكن لما سُبرت كتبهم علم بذلك شرط كل واحد منهم؛ فشرط البخاري ومسلم أن يخرِّجا الحديث المجمع على ثقة نَقَلَته إلى الصحابـي المشهور، وأما أبو داود والنسائي فإن كتابيهما ينقسم على ثلاثة أقسام:

الأول: الصحيح المخرج في الصحيح.

والقسم الثاني: صحيح على شرطيهما، وقد حكى أبو عبد الله بن منده: أن شرطهما إخراج أحاديث أقوام لم يجمع على تركها، إذا صح الحديث

---

(١) «علوم الحديث»، لابن الصلاح (ص ٣٢).

(٢) «النكت» لابن حجر (١/ ٤٤٦).

باتصال الإسناد من غير قطع ولا إرسال فيكون هذا القسم من الصحيح إلاَّ أنه طريق لا يكون طريقَ ما أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بل طريقُ ما تركاه من الصحيح؛ لما بينا أنهما تركا كثيراً من الصحيح الذي حفظاه.

والقسم الثالث: أحاديث أخرجاها من غير قطع عنهما بصحتها، وقد أبانا علتها بما يفهمه أهل المعرفة، وإنما أودعا هذا القسم / في كتابيهما لرواية قوم لها واحتجاجهم بها، فأورداها وبيّنا سقمها لتزول الشبهة وذلك إذا لم يجدا له ـ أي لما في الباب مثله ـ طريقاً غيرَه لأنه أقوى عندهما من رأي الرجال.

وأما أبو عيسى الترمذي فكتابه على أربعة أقسام: قسم صحيح مقطوع به، وهو ما وافق البخاري ومسلماً، وقسم على شرط أبـي داود والنسائي كما بينا في القسم الثاني لهما، وقسم آخر كالقسم الثالث لهما أخرجه وأبان عن علته، وقسم رابع أبان هو عنه، وقال: ما أخرجت في كتابـي إلاَّ حديثاً قد عمل به بعض الفقهاء، فعلى هذا الأصل كل حديث احتج به محتج أو عمل بموجبه عامل أخرجه سواء صح طريقه أم لم يصح، وقد أزاح عن نفسه فإنه تكلم على كل حديث بما فيه، وكان من طريقه أن يترجم الباب الذي فيه حديث مشهور عن صحابـي قد صح الطريق إليه.

وأخرج حديثه في الكتب الصحاح، فيورد في الباب ذلك الحكم من حديث صحابـي آخر لم يخرجوه من حديثه، ولا يكون الطريق إليه كالطريق إلى الأول، إلاَّ أن الحكم صحيح ثم يتبعه بأن يقول: وفي الباب عن فلان وفلان ويَعدُّ جماعة منهم الصحابـي الذي أخرج ذلك الحكم من حديثه، وقلَّ ما يسلك هذا الطريق إلاَّ في أبواب معدودة». انتهى[1].

(١) انظر: «شروط الأئمة الستة» للمقدسي (ص ١٧ ـ ٢١)، بتصرف واختصار في بعض الفقرات، و «قوت المغتذي» للسيوطي (ص ٢).

وقال الحازمي في شروط الأئمة: «مذهب من يخرج الصحيح أن يعتبر حال الراوي العدل في مشايخه، وفيمن روى عنهم وهم ثقات أيضاً، وحديثه عن بعضهم صحيح ثابت يلزمه إخراجه، وعن بعضهم مدخول لا يصح إخراجه إلاّ في الشواهد والمتابعات.

قال: وهذا باب فيه غموض وطريق إيضاحه معرفة طبقات الرواة عن راوي الأصل ومراتب مداركهم، فلنوضح ذلك بمثال وهو أن يعلم أنَّ أصحاب الزهري مثلاً على خمس طبقات ولكل طبقة منها مزية على التي تليها؛ فالأولى في غاية الصحة نحو مالك، وابن عيينة، وعبيد الله بن عمرو، ويونس، وعقيل ونحوهم وهي جل مقصد البخاري، والثانية شاركت الأولى في التثبت غير أن الأولى جمعت بين الحفظ والإتقان وبين طول الملازمة للزهري حتى كان فيهم من يلازمه في السفر والحضر، والثانية لم تلازم الزهري إلاّ مدة يسيرة / فلم تمارس حديثه فكانوا في الإتقان دون الطبقة الأولى، وهذا شرط مسلم نحو: الأوزاعي، والليث بن سعد، والنعمان بن راشد، وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر، وابن أبي ذئب، والثالثة: جماعة لزموا الزهري كالطبقة الأولى غير أنهم لم يسلموا من غوائل الجرح فهم بين الرد والقبول وهم شرط أبي داود والنسائي نحو سفيان بن حسين، وجعفر بن برقان، وإسحاق بن يحيى الكلبي، والرابعة: قوم شاركوا أهل الثالثة في الجرح والتعديل وتفردوا بقلة ممارستهم لحديث الزهري؛ لأنهم لم يصاحبوا الزهري كثيراً وهم شرط الترمذي.

قال: وفي الحقيقة شرط الترمذي أبلغ من شرط أبي داود؛ لأن الحديث إذا كان ضعيفاً أو من أهل الطبقة الرابعة فإنه يبين ضعفه وينبه عليه فيصير الحديث عنده من باب الشواهد والمتابعات، ويكون اعتماده على ما صح عند الجماعة، ومن هذه الطبقة: زمعة بن صالح، ومعاوية بن يحيى الصدفي، والمثنى بن الصباح.

والخامسة: قوم من الضعفاء والمجهولين لا يجوز لمن يخرج الحديث على الأبواب أن يخرج لهم إلاَّ على سبيل الاعتبار والاستشهاد عند أبـي داود فمَن دونه، فأما عند الشيخين فلا، كبحر بن كُنَيز السقَّا، والحكم بن عبد الله الأيلي، وعبد القدوس بن حبيب، ومحمد بن سعيد المصلوب، وقد يخرج البخاري أحياناً عن أعيان الطبقة الثانية كالأوزاعي، والليث، وابن أبـي ذئب، ومسلم عن أعلام الثالثة كجعفر بن برقان، وسفيان بن حسين؛ قال في «التقريب»: «سفيان بن حسين ثقة في غير الزهري باتفاقهم[1]، وأبو داود عن مشاهير الرابعة وذلك لأسباب تقتضيه»[2].

وقال الذهبـي في «الميزان»: «انحطت رتبة جامع الترمذي عن سنن أبـي داود والنسائي لإخراجه حديث المصلوب والكلبـي وأمثالهما»[3].

وقال أبو جعفر بن الزبير[4]: «أولى ما أرشد إليه ما اتفق المسلمون على اعتماده وذلك الكتب الخمسة والموطأ الذي تقدمها وضعاً، ولم يتأخر عنها رتبة، وقد اختلفت مقاصدهم فيها، وللصحيحين فيها شفوف، فللبخاري لمن أراد التفقه مقاصد جليلة، ولأبـي داود في حصر أحاديث الأحكام واستيعابها ما ليس لغيره، وللترمذي في فنون الصناعة الحديثية ما لم يشاركه غيره، وقد سلك النسائي أغمض / تلك المسالك وأجلها»[5]. انتهى.

---

(١) «التقريب» لابن حجر رقم (٢٤٣٧).

(٢) راجع: «شروط الأئمة الخمسة» للحازمي (ص ٥٦ ــ ٦٠) بتصرف.

(٣) نقله السيوطي في «التدريب» (١/ ١٨٧).

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (٦٢٨ ــ ٧٠٨هـ). انظر: «تذكرة الحفاظ» (٤/ ٢٧٥)، و«الدرر الكامنة» (١/ ٨٩)، و«فهرس الفهارس» (١/ ٤٥٤).

(٥) نقله السيوطي في «قوت المغتذي» (ص ١٣)، و«تدريب الراوي» (١/ ١٨٦ ــ ١٨٧).

[جمع الترمذي بين وصفَيْ الحُسن والصحة للحديث الواحد]:

وقد استُشكِل قولُ الترمذي في جامعه كأئمة حفاظ سبقوه لذلك: هذا حديث حسن صحيح، حيث جمع بين هذين الوصفين المتنافيين، فإن الحَسَن قاصر عن الصحيح، ففي الجمع بين الوصفين إثبات لذلك القصور ونفيه.

وقد أُجيب عنه بنحو ستة أجوبة: أحسنها ما أجاب به شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في شرح النخبة، وهو أن المجتهد تارة يقول ذلك؛ للتردد الحاصل عنده في الناقل هل اجتمعت فيه شروط الصحة أو قصر عنها إذا حصل التفرد بتلك الرواية؟

ومحصله: أن تردد الأئمة في حال ناقله اقتضى لذلك المجتهد أن لا يصفه بأحد الوصفين فقط فيقول فيه حسَن باعتبار وصفِه عند قوم، صحيح باعتبار وصفِه عند آخرين، وغاية ما فيه أنه حذف ما فيه حرف التردد؛ لأن حقه أن يقول: حسن أو صحيح، وهذا كما حذَف حرف العطف من الذي بعده.

وعلى هذا فما قيل فيه: حسن صحيح، دون ما قيل فيه: صحيح؛ لأن الجزم أقوى من التردد، وتارة يقول ذلك إذا لم يحصل التفرد، فإطلاق الوصفين حينئذ يكون باعتبار إسنادين: أحدهما صحيح والآخر حسن، وعلى هذا فما قيل فيه: حسنٌ صحيح، فوق ما قيل فيه: صحيحٌ فقط إذا كان فرداً؛ لأن كثرة الطرق تُقوِّي.

قال شيخ الإسلام: فإن قيل قد صرح الترمذي بأن شرط الحسَن أن يُروى من غير وجه، فكيف يقول في بعض الأحاديث: حسن غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه؟

فالجواب: أن الترمذي لم يعرِّف الحسَن مطلقاً، وإنما عرَّف بنوع خاص منه وقع في كتابه، وهو ما يقول فيه: حسن من غير نسبة أخرى؛ وذلك أنه

يقول في بعض الأحاديث: حسن، وفي بعضها: صحيح، وفي بعضها: غريب، وفي بعضها: حسن صحيح، وفي بعضها: حسن غريب، وفي بعضها: صحيح غريب، وفي بعضها: حسن صحيح غريب، وتعريفه إنما وقع على الأول فقط وعبارته ترشد إلى ذلك حيث قال في أواخر كتابه: «وما قلنا في كتابنا: حديث حسن فإنما أردنا به حسن إسناده عندنا؛ كل حديث يروى لا يكون راويه متهماً / بكذب، ويُروَى من غير وجه نحوَ ذلك، ولا يكون شاذًّا، فهو عندنا حديث حسن»[1].

فعُرف بهذا أنه إنما عرَّف الذي يقول فيه حسن فقط. أما ما يقول فيه: حسن صحيح، أو حسن غريب، أو حسن صحيح غريب، فلم يعرج على تعريفه كما لم يعرج على ما يقول فيه صحيح فقط أو غريب فقط، وكأنه ترك ذلك استغناء بشهرته عند أهل الفن، واقتصر على ما يقول فيه في كتابه: حسن فقط؛ إما لغموضه، وإما لأنه اصطلاح جديد؛ ولذلك قيده بقوله: عندنا، ولم ينسبه إلى أهل الحديث كما فعل الخطابي[2].

وبهذا التقرير يندفع كثير من الإيرادات التي طال البحث فيها، ولم يسفر وجه توجيهه، فللّه الحمد على ما ألهم وعلَّم[3]. انتهى.

قال الحافظ السيوطي: «وظهر لي توجيهان آخران: أحدهما أن المراد حسن ذاته صحيح لغيره، والآخر: أن المراد حسنٌ باعتبار إسناده صحيح، أي:

---

(1) انظر: «شرح العلل»، لابن رجب (٢/ ٥٧٣).

(2) انظر قول الخطابي في: «معالم السنن» (١/ ١١)، و «تدريب الراوي» (١/ ٦١).

(3) «نزهة النظر شرح نخبة الفكر» (ص ٦٣ ــ ٦٥)، ونقله السيوطي في «قوت المغتذي» (ص ١١) ومن الذين عُنوا بهذه المسألة الدكتور نور الدين عتر في كتابه «الإمام الترمذي والموازنة بينه وبين الصحيحين» (ص ١٧١ ــ ١٨١)، والدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه: «بحوث في تاريخ السنَّة المشرفة» (ص ٣٣٥ ــ ٣٤٠).

أنه أصح شيء ورد في الباب؛ فإنه يقال: أصح ما ورد في الباب كذا، وإن كان حسناً أو ضعيفاً، والمراد رجحه أو أقله ضعفاً»[1].

قال: وقال بعضهم: قول أبي عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، وهذا حديث حسن غريب إنما يريد به ضيق المخرج، أي: أنه لم يُخرَّج إلاَّ من جهة واحدة، ولم يتعدد خروجه من طُرُق إلاَّ أن الراوي ثقة، فلا يضر ذلك فيستغربه هو لقلة المتابعة، وهؤلاء الأئمة شروطهم عجيبة، وقد يخرِّج الشيخان أحاديث يقول أبو عيسى فيها: هذا حديث حسن وتارة حسن غريب كما في حديث أبي بكر: «قلت: يا رسول الله، علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي. . .» الحديث[2].

قال: «هذا حديث حسن مع أنه متفق عليه». انتهى.

[رواة جامع الترمذي عن مؤلفه]:

قال الإمام السيوطي: «فائدة: قال الحافظ أبو جعفر بن الزبير في «برنامجه»: روى هذا الكتاب عن الترمذي ستة رجال فيما علمته:

---

(١) «قوت المغتذي» للسيوطي (ص ١٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٤٢٠٥)، وعدة أرقام (٦٣٨٤) و (٦٤٠٩) و (٦٦١٠) و (٧٣٨٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٦٨٠٢)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ٥٣) (١٣٠٢)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار (١٥٢٦) و(١٥٢٧) و (١٥٢٨)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد (٣٥٣١)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب ما جاء في لا حول ولا قوة إلاَّ بالله (٣٨٢٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٣، ٧)، وأبو يعلى (١/ ٣٧) (٣١)، وعبد بن حميد (١/ ٣٠) (٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٢٤٦) (٧٠٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٧٩)، وابن خزيمة (٢/ ٢٩) (٨٤٥)، وابن حبان (٥/ ٣١٤) (١٩٧٦)، والبيهقي في «الصغرى» (١/ ٢٨٨) (٤٨١)، وفي «الكبرى» (٢/ ١٥٤) (٢٧٠٤) و (١/ ٣٨٧) و (٤/ ٤٠٧) و (٦/ ٥٣).

١ ــ أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب. ٢ ــ وأبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي. ٣ ــ وأبو ذر محمد بن إبراهيم. ٤ ــ وأبو محمد الحسن بن إبراهيم القطان. ٥ ــ وأبو حامد أحمد بن عبد الله التاجر. ٧ ــ وأبو الحسن الوَذَاري»[١].

قال: «واعلم أن الكتب الأربعة: الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي / وقعتْ لنا من عدة روايات عن مؤلفها ولم يقع لنا الترمذي إلاَّ من رواية أبي العباس محمد بن محبوب عن الترمذي، ولا نعلم أنه شرحه أحد كاملاً إلاَّ القاضي أبو بكر ابن العربي في كتابه «عارضة الأحوذي»[٢]، وكتب عليه الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس قطعة[٣]، وكمَّل عليها الحافظ زين الدين أبو الفضل العراقي بقطعة أخرى

---

(١) راجع: «قوت المغتذي» (ص ١٣)، وكتاب الإمام الترمذي الحافظ الناقد للطباع (ص ١٢٤ ــ ١٢٩).

(٢) كأن السيوطي رحمه الله لم يطلع على شرح ابن رجب، أو يرى أنه لم يتمه، والحق أن ابن رجب الحنبلي أتم شرح الترمذي عن آخره، ولذا تراه يحيل في شرح العلل في غير ما موطن إلى ما تقدم من شرح الكتاب.
وهذا ما رجحه الدكتور همام عبد الرحيم في تحقيقه لشرح العلل حيث عقَد مطْلباً للكلام على شرح الترمذي لابن رجب، ومما جاء فيه قوله: «ذكرت المراجع التي ترجمت لابن رجب أنه صنَّف شرحاً للترمذي أتمه في عشرين مجلدة، وفي ذلك يقول ابن حجر في إنبائه عنه: صنف وشرح الترمذي فأجاد فيه في نحو عشرين مجلدة».
وعن وجود الكتاب وفقدانه يقول: «ولقد حاولت جاهداً الوقوف على شرح الترمذي لابن رجب فلم أجد منه إلاَّ قطعة من كتاب اللباس لا تزيد على عشر ورقات. . . وبعد بحث طويل رجعت إلى قول صاحب كشف الظنون الذي يقول: شرَح الترمذي في عشرين مجلداً إلاّ إنه احترق في الفتنة». راجع: «شرح العلل» لابن رجب (١/ ٢٧٨ ــ ٢٧٩).

(٣) حقق بعض هذه القطعة الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، وخرج في مجلدين، نشرته دار العاصمة بالرياض سنة (١٤٠٩هـ). =

ولم يتمه[1]، وكتب عليه شيخ الإسلام سراج الدين البُلقيني قطعة[2]، والحافظ أبو الفضل بن حجر مجلداً لم نقف عليه[3]، وله كتاب: «اللباب فيما يقول فيه الترمذي وفي الباب»، ولم نقف عليه أيضاً[4]، والله أعلم[5].

= وقد أسرف محققه في التعليق، وترجمة الأعلام المشهورين، حتى إن تعليقاً واحداً قد بلغ عنده ٩٢ صفحة!

(١) توجد منه عدة نسخ خطية، وقد ناولني أستاذنا الشيخ عبد الباري الأنصاري مستلة من بحث له بعنوان: (الموجود من تكملة «شرح الترمذي» للحافظ العراقي)، وقد استقصى جميع نسخ الكتاب وأجزائه، وبداية كل نسخة ونهايتها، وهو في ثماني مجلدات ــ على ما ذكر ــ منها المجلد الأول من المحمودية بخط الحافظ ابن حجر يبدأ بباب ما جاء في الأكل قبل الخروج رقم الحديث (٥٤٢)، والمجلد الثامن منه في المكتبة السليمانية ينتهي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشفقة على المسلم رقم الحديث (١٩٢٩)، وهو يحقق في رسائل جامعية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) البلقيني: هو أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن عبد الخالق القاهري الشافعي العسقلاني (٧٢٤ ــ ٨٠٥هـ)، واسم شرحه: «العَرف الشذي على جامع الترمذي». راجع: «الضوء اللامع» (٦/ ٨٥ ــ ٨٩)، و «معجم المؤلفين» (٢/ ٥٥٨).

(٣) يقول الدكتور شاكر عبد المنعم: «وكان قد شرع فيه سنة (٨٠٨هـ)، في أثناء تدريسه الحديث بالشيخونية فكتب منه قدر مجلدة مسودة ثم فتر عزمه عنه، وقال عنه: لو كمل لجاء في خمسة عشر سفراً، أو تسعة أسفار من الحجم الكبير». راجع: كتاب ابن حجر ودراسة مصنفاته (ص ٣٢٧).

(٤) وبعضهم يذكره باسم: «العجاب في تخريج ما يقول فيه الترمذي وفي الباب»، وهو من المصنفات التي لم يكملها، وكتب منه عدة كراريس. وأفاد الدكتور شاكر عبد المنعم بأنه توجد منه قطعة بعنوان «أحاديث عن الترمذي» كتبها الحافظ ابن حجر في مكتبة شهيد علي بتركيا [١٦/٥٦ (١١١ ــ ١١٢ق)]، ومنها صورة مصورة في معهد المخطوطات كما في فهرسه (١/ ٥٣). راجع: كتاب ابن حجر العسقلاني، ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتاب «الإصابة» (ص ٣٩٥).

(٥) «قوت المغتذي» (ص ١٢).

[قول الترمذي وفي الباب، ومراده من ذلك]:

فائدة: قال الإمام السيوطي في «شرح التقريب» في مبحث المتابعات والشواهد في أثناء كلام ما نصه: «وهكذا يفعل الترمذي في الجامع حيث يقول: وفي الباب عن فلان وفلان؛ فإنه لا يريد ذلك الحديث المعيَّن، بل يريد أحاديث أُخر يصح أن تُكتب في الباب»[١].

قال العراقي: «وهو عمل صحيح إلاَّ أن كثيراً من الناس يفهمون من ذلك أنَّ مَن سمَّى من الصحابة يروُون ذلك الحديث بعينه، وليس كذلك، بل قد يكون كذلك، وقد يكون حديثاً آخر يصح إيراده في ذلك الباب»[٢]. انتهى.

[سند المؤلف المتصل إلى الترمذي]:

أخذتُ هذا الكتاب عن مشايخ جلة من مشايخ الإسلام سماعاً وإجازة؛ فمِمَّن أخذته جميعَه بالسماع شيخُنا شيخ الإسلام، علمُ الأعلام، العلَم المفرد، والفذُّ الأوحد، مولانا الشيخ عيسى بن محمد الجعفري المغربي المكي المالِكي، ومنهم شيخنا العلامة الفهامة خاتمة المحدثين الشيخ محمد بن سليمان المالكي، ومنهم شيخُ الإسلام وجمالُ العلماء الأعلام بقية المسندين الحفاظ، ومالك زمامَ[٣] المعاني والألفاظ، علامة الزمان، والغني بشهرته عن وصف لسان القلم، وقلم اللسان، مولانا شمسُ الدين وشهابُ الدين أبو عبد الله محمد بن علاء الدين البابلي القاهري الشافعي[٤]، وذلك بالمسجد الحرام ـ أدام الله شرفه لأهل الإسلام ـ سنة سبعين وألف، بقراءة شيخِنا علم الأعلام

---

(١) «تدريب الراوي» للسيوطي (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥)، ولم يذكره في مبحث المتابعات والشواهد بل ذكره في مبحث الشاذ.

(٢) «التقييد والإيضاح»، للعراقي (/ ١٠٢).

(٣) في الأصل: «زمان»، والتصويب من « م ».

(٤) تقدم التعريف به في شيوخه، فلينظر هناك.

الشيخ عيسى المذكور، قرأه جميعَه مع ما بآخره من العلل عن النور علي بن يحيى الزيَّادي[1]، عن الشهاب أحمد بن محمد الرملي، عن الزين القاضي زكريا بن محمد[2]، عن العز عبد الرحيم / بن محمد بن الفرات[3] مشافهة بإجازته من أبي حفص عمر بن حسن المراغي[4]، عن الفخر ابن البخاري[5]، عن عمر بن طبرزد البغدادي[6]، قال: أنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي سهل

(١) هو علي بن يحيى الزيادي المصري الشافعي نور الدين المتوفى سنة (١٠٢٤هـ). قال المحبي في «خلاصة الأثر» (٣/ ١٩٥ ــ ١٩٧): «الإمام الحجة العلي الشأن رئيس العلماء بمصر». راجع: «خلاصة الأثر» (٣/ ١٩٥ ــ ١٩٧)، و «هدية العارفين» (١/ ٧٥٤)، و «معجم المؤلفين» (٢/ ٥٤٣).

(٢) هو القاضي العلامة زين الدين زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الصاري الأزهري الشافعي، صاحب المصنفات المتقنة، والعلوم المتعددة (٨٢٦ ــ ٩٢٦هـ). راجع: «البدر الطالع» للشوكاني (ص ٢٦٤)، و «معجم المؤلفين» (١/ ٧٣٣).

(٣) هو عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن علي ابن الحسن بن محمد بن عبد العزيز الحنفي المصري (٧٥٩ ــ ٨٥١هـ). انظر: «الضوء اللامع» (٤/ ١٨٧ ــ ١٨٨)، و «فهرس الفهارس» (٢/ ٩١٣ ــ ٩١٤)، و «معجم المؤلفين» (٢/ ١٣٦).

(٤) هو أبو حفص عمر بن حسن بن مزيد بن أُمَيلة المراغي الدمشقي، وُلد سنة (٦٨٢هـ)، وتوفي سنة (٧٨٧هـ). انظر: «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» (٣/ ٢٣٥)، و «فهرس الفهارس» (٢/ ٥٥٤).

(٥) هو علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور الأنصاري السعدي المفدي، فخر الدين أبو الحسن صاحب المشيخة المشهورة، وُلد سنة (٥٩٥هـ)، وتوفي سنة (٦٩٠هـ). انظر: «المعجم المختص» للذهبي (ص ١٥٩)، و «ذيل التقييد» للفاسي (٣/ ١٧٨)، و «غاية النهاية في طبقات القراء» (١/ ٥٢٠)، و «الشذرات» (٥/ ١١٤).

(٦) هو الشيخ المسند الكبير الرُحلة أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن يحيى بن أحمد بن حسان المعروف بابن طبرزد البغدادي الدارقَزِّي المؤدِّب. وطبرزد معناه: السُّكر. توفي سنة (٦٠٧هـ). انظر: «السير» للذهبي (٢١/ ٥٠٧ ــ ٥١٢)، و «مشيخة =

الكروخي ـ بفتح الكاف وضم الراء المخففة[1] ـ قال: أخبرنا بجميعه القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي[2]، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن الجراح الجراحي المروزي، قال: أخبرنا [أبو العباس][3] محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي المروزي[4]، قال: أخبرنا الحافظ الحجة أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي فذكره.

[الحديث الثلاثي الفرد في الترمذي]:

وبالسند قال: قال الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ابن بنت السدي، قال: نا عمر بن شاكر عن

= ابن البخاري» (١/ ٥٥٩).

(١) قال فيه الذهبي: «الشيخ الإمام الثقة أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم: عبد الله بن أبي سهل بن القاسم بن أبي منصور الكروخي الهروي، حدث بجامع أبي عيسى عن القاضي أبي عامر الأزدي». وُلد سنة (٤٦٢هـ)، وتوفي سنة (٥٤٨هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٢٧٣)، و «الأنساب» للسمعاني (٥/ ٦٠).

(٢) هو أبو عامر محمد بن القاسم ابن القاضي الكبير أبي منصور محمد بن محمد بن عبد الله بن علي، ينتهي نسبه إلى المهلب بن أبي صُفرة، المهَلَّبي الهروي الشافعي. قال عنه الذهبي: «الإمام المسند القاضي»... حدث بجامع الترمذي عن عبد الجبار الجراحي، مات سنة (٤٨٧هـ)، وقال أبو جعفر الهمذاني: ولما سمعت منه «الجامع» هنأني شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي». راجع: «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٢ ـ ٣٤)، و «طبقات السبكي» (٥/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨)، و «شذرات الذهب» (٣/ ٣٨٢).

(٣) في الأصل: «العباس»، والتصويب من « م ».

(٤) قال عنه الذهبي في «السير» (١٥/ ٥٣٧): «الإمام مفيد مرْو أبو العباس محمد بن أحمد بن محمد بن فضيل المحبوبي المروزي راوي جامع أبي عيسى عنه، وكانت رحلته إلى ترمذ للُقِي أبي عيسى سنة (٢٩٥هـ)، وهو ابن ست عشرة سنة، وتوفي سنة (٣٤٦هـ) ».

أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمانٌ الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر»[1].

هذا حديث غريب من هذا الوجه، وعمر بن شاكر روى عنه غير واحد من أهل العلم وهو شيخ بصري»[2]. وهو حديث ثلاثي ليس له غيره ذكره في الفتن.

[ترجمة الترمذي]:

وهو الإمام محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي أبو عيسى الترمذي[3] الضرير الحافظ، صاحب الجامع، والعلل، وغيرهما من المصنفات، أحدُ الأئمة الحفاظ المبرزين ومن نفع الله بهم من أئمة المسلمين، قيل: إنه كان أكمهَ، طاف البلاد وسمع خلقاً كثيراً من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين وغيرهم منهم: قُتيبة بن سعيد، وعبد الله بن معاوية الجُمحي،

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الفتن، باب ـ بدون ترجمة ـ (٤/ ١١٠) (٢٢٦٠)، وأخرجه في «العلل الكبير له» (ص ٦١١)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١١٣)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢١/ ٣٨٤)، وقال (٢١/ ٣٨٦): «وليس في كتاب الترمذي حديث ثلاثي، بينه وبين النبي ﷺ ثلاثة أنفس غيرَ هذا الحديث، وقد وقع لنا تُساعياً». والحديث صححه العلامة الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/ ٥٠٥) (٢٢٦٠)، و «الصحيحة» (٢/ ٦٤٥ ـ ٦٤٧) (٩٥٧) بشواهده.

(٢) نص كلام الترمذي: «وعمر بن شاكر شيخ بصري قد روى عنه غير واحد من أهل العلم». وقال فيه ابن عدي (٦/ ١١٢): «يحدث عن أنس بنسخة قريباً من عشرين حديثاً غير محفوظة».

(٣) ترجمة الترمذي: «الثقات» لابن حبان (٩/ ١٥٣)، و «الأنساب» (٢/ ٣٦٢)، و «الإرشاد» للخليلي (٣/ ٩٠٤)، و «تهذيب الكمال» (٢٠/ ٢٥٠ ـ ٢٥٣)، و «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧٧)، و «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٣٣)، و «تهذيب التهذيب» (٩/ ٣٨٨)، و «تقريب التهذيب» (٦٢٠٦).

وأبو مصعب الزبيري، ومحمد بن بشار، وابن المثنى، ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشَّوارب، وأبو كريب، وهنَّاد، وعلي بن حُجر، وسُويد بن نصر، ورَوَى عن أبي داود السِّجْزي صاحبِ السنن، وأخذ عنه خلقٌ لا يُحْصَون.

قال رحمه الله[1] في حديث علي بن المنذر عن ابن فُضيل عن سالم بن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال لعلي: «يا علي، لا يحلُّ لأحد يجْنُب في هذا المسجد غيري وغيرُك»، سمع مني محمد بن إسماعيل، أي: البخاري هذا الحديث / وقال فيه: حديث حسن غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه[2].

وقال أبو الفضل السلماني: سمعتُ نصر بن محمد الشِيرَكُوني يقول: سمعت محمد بن عيسى الترمذي، يقول: قال لي محمد بن إسماعيل: لقد انتفعتُ بك أكثر مما انتفعتَ بي.

وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال: كان ممن جمع وصنَّف وضبط

---

(١) في الأصل بين السطور وفي هامش « م » (أي الترمذي).

(٢) رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب (٧٦) (٥/ ٦٣٩) (٣٧٢٧)، ونص الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، وقد سمع مني محمد بن إسماعيل هذا الحديث واستغربه». وأخرجه البيهقي في «الكبرى» (٧/ ٦٦)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١١٥)، والحديث فيه: سالم بن أبي حفصة العجلي، قال في «التقريب» (٢١٧١): «صدوق في الحديث إلَّا أنه شيعي غال». وعلي بن المنذر قال في «التقريب» (٤٨٠٣) أيضاً: «صدوق يتشيع»، ومحمد بن فضيل بن غزوان قال في «التقريب» (٦٢٢٧): «صدوق عارف رمي بالتشيع». وفيه أيضاً عطية العوفي قال في «التقريب» (٤٦١٦): «صدوق يخطىء كثيراً، وكان شيعيًّا مدلساً». ولذلك ضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الترمذي» (٧٧٨ ــ ٣٩٩٣)، و «السلسلة الضعيفة» (١٠/ ٧٢٣) (٤٩٧٣).

فأكثر وحفظ وذاكر(١).

وقال العجلي(٢): ثقة متفق عليه.

وقال الإدريسي(٣): كان الترمذي أحدَ الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث، صنف الجامع والتواريخ والعلل تصنيفَ رجل عالم متقن، كان يُضرب به المثل في الحفظ(٤).

قال: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن محمد الحارث المروزي الفقيه يقول: سمعت أحمد بن عبد الله بن داود يقول: إن أبا عيسى الترمذي [يقول](٥): كنت في طريق مكة، وكنتُ قد كتبتُ جزئين من أحاديث شيخ، فمرَّ بنا ذلك الشيخ فسألتُ عنه فقالوا: فلان، فذهبت إليه وأنا أظن أنَّ الجزئين معي، وإنما حملتُ معي في محملي جزئين غيرهما اشتبها بهما، فلما ظفرتُ به سألته السماعَ فأجاب إلى ذلك، فأخذتُ الجزئين فإذا هما بياض فتحيرتُ فجعل الشيخ يقرأ عليَّ من حفظه، ثم لمح فرأى البياضَ في يدي، فقال: أما تستحي مني؟ فقصصتُ عليه القصةَ وقلتُ له: إني أحفظه كله، فقال: اقرأ، فقرأتُ عليه على الوِلاء، فقال: هل استظهرتَ قبل أن تجيىءَ إليَّ؟ قلتُ: لا، وقلتُ له:

---

(١) «الثقات» لابن حبان (٩/ ١٥٣).

(٢) هكذا في كلا النسختين، وقد فتشت كتاب الثقات للعجلي مرات عديدة فلم أجده، ثم بمراجعة الأصول تبين لي أنه مصحف عن (الخليلي)، كما هو عند الخليلي في «الإرشاد» (٣/ ٩٠٤ ــ ٩٠٥): «ثقة متفق عليه، له كتاب في السنن، وكلام في الجرح والتعديل». ونقله ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٩/ ٣٨٧).

(٣) هو الحافظ أبو سعد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد الاسترابادي، المتوفى سنة (٤٠٥هـ). انظر: «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٦٢ ــ ١٠٦٣).

(٤) «شروط الأئمة الستة» لابن طاهر (ص ١٠٣)، و«فضائل الكتاب الجامع» للإسعردي (ص ٣١).

(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل، وأثبته من « م ».

حدَّثْني بغيره فقرأ عليَّ أربعين حديثاً مِنْ غرائب حديثه ثم قال: هات فقرأتُ عليه من أوله إلى آخره ــ زاد الذهبي: فما أخطأتُ حَرْفاً ــ فقال: ما رأيتُ مثلَكَ[1].

ولأبي عيسى ــ كتاب الزُّهد مفرد لم يقع لنا[2] ــ وكتاب الأسماء والكنى[3].

وقال يوسف بن أحمد البغدادي الحافظ: أَضَرَّ أبو عيسى في آخر عمره. وقال الحاكم أبو أحمد: سمعت عُمر بن علَّك[4]، يقول: مات ابن إسماعيل البخاري ولم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد، بكى حتى عمي وبقي ضريراً سنين. قال الحافظ المزي: قلتُ وهذا مع الحكاية المتقدمة عن الترمذي يرد على مَن زَعَمَ أنه وُلِدَ أكمه، والله أعلم.

---

(١) «شروط الأئمة الستة» لابن طاهر (ص ١٠٣ ــ ١٠٤)، و «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٣٦٢)، و «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٧٣)، و «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٦٣٤)، و «النفح الشذي» (١/ ١٦٦)، و «تهذيب التهذيب» (٩/ ٣٨٨).

(٢) «فضائل الكتاب الجامع» للإسعردي (ص ٣١)، و «تهذيب التهذيب» لابن حجر (٩/ ٣٨٩).

(٣) ومن مؤلفات الترمذي ــ الشمائل النبوية ــ والعلل الكبير ــ وتسمية أصحاب رسول الله ﷺ، وهي مطبوعة، وله أيضاً: ــ التاريخ ــ والتفسير ــ وكتاب فيه الموقوف. انظر: «تراث الترمذي العلمي» (ص ١٤)، نقلاً عن: «فهرسة ابن النديم» (ص ٣٢٥).

(٤) هو الشيخ الإمام الحافظ الثقة ــ كما يقول الذهبي ــ أبو حفص عمر بن أحمد بن علي بن علك المروزي الجوهري، توفي سنة (٣٢٥هـ). راجع: «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٢٤٢)، و «تاريخ بغداد» (١٣/ ٧٨ ــ ٧٩)، و «المنتظم» لابن الجوزي (٦/ ٢٩٠).

وُلد رضي الله عنه سنة مائتين ومات رحمه الله ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة مضتْ من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين (٢٧٩) بترمذ بقرية يقال لها: بُوغ من قُراها[١]، وكان موتُه بعد موت أبـي داود بنحو أربع سنين؛ لأن أبا داود مات يوم الجمعة سادس عشر شوال بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين.

وترمذ: مدينة قديمة على طرف نهر بلْخ ويقال له: جَيْحُون، خرج منها جماعة كثيرة من العلماء.

قال ابن الأثير: واختلف في ضبطها؛ فبعضهم يقول: بفتح التاء، وبعضهم يقول: بضمها، وبعضهم يقول: بكسرها، والمتداول على لسان أهلِ تلك المدينة: فتحُ التاء وكسرُ الميم، قال: والذي كنا نعرفُه قديماً: كسرُ التاء والميم جميعاً، والذي يقوله المتقنون وأهل المعرفة: ضمُّ التاء والميم، وكل يقول معنى لما يدعيه». انتهى[٢].

---

(١) قال ياقوت في معجمه (١/ ٥١٠): «بوغ: الغين معجمة من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها، ينسب إليها الإمام الترمذي. . .».

(٢) لم أقف على كلام ابن الأثير! ونحوه قال ابن سيد الناس في «النفح الشذي» (١/ ١٦٧): «الترمذي بفتح التاء وكسر الميم ثالثة الحروف، ويقال: بضمهما، ويقال: بكسرهما، والذي كنا نعرفه قديماً كسرُ التاء والميم جميعاً، والذي يقوله المتونِّقون وأهل المعرفة: بضم التاء والميم، وكل واحد يقول لها معنى يدعيه وهي مدينة قديمة على طرف نهر بلخ». وأصل الكلام لأبـي سعد السمعاني في «الأنساب» (٢/ ٤٥٩): «والناس مختلفون في كيفية هذه النسبة، بعضهم يقولون: بفتح التاء المنقوطة بنقطتين من فوق، وبعضهم يقولون: بضمها، وبعضهم يقولون: بكسرها، والمتداول على لسان أهل تلك البلدة ـ وكنتُ أقمت بها اثني عشر يوماً بفتح التاء وكسر الميم جميعاً ـ والذي يقوله المتونقون وأهل المعرفة: بفتح التاء والميم، وكل واحد يقول معنى لما يدعيه». ونقله ياقوت من كلام أبـي سعد «معجم البلدان» (٢/ ٢٦). وانظر: «الروض المعطار» للحميري (ص ١٣٢)، والله أعلم.

[خاتمة الختم]:

لِنَخْتِمْ بما رواه صاحب الجامع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللّٰهم اقسمْ لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومِنْ طاعتك ما تبلغنا به جَنَّتك، ومن اليقين ما تهوِّنُ به علينا مصايبِ الدنيا، ومتعْنا بأسماعِنا وأبصارِنا ما أحييتنا، واجعلْه الوارثَ منَّا، واجعلْ ثأْرنا على من ظلمنا، وانصرْنا على مَن عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمِنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمُنا».

قال رحمه الله: وهذا حديث حسن[1].

وروتْ عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من حديث وأراد أن يقومَ مِن مَجْلِسِه يقول: «اللّٰهم اغفرْ لنا ما أخطأْنا وما تعمَّدْنا، وما أسرَرْنا وما أعلنَّا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إلـٰه إلاَّ أنت». انتهى.

سبحان ربك رب العزَّة عمَّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

وإلى هنا انتهى ما نقلته من خط جامعه مولانا العلامة المحدث الشيخ عبد الله ابن المرحوم الشيخ سالم البصري متع الله بحياته وبلغه مراده في

---

(١) رواه الترمذي في جامعه في كتاب الدعوات، باب (٣٥٠٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٦١) و (١٠٦٢)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٤٠٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٦)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠٦/٦)، والبغوي في «شرح السنَّة» (١٣٧٤)، والحديث صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٧٨٣).

الدارين، وغفر لنا وله والمسلمين، آمين[١].

في الهامش: «مقابلة حسب الطاقة على النسخة التي كتبت على خط مؤلفه بخط العلامة السيد أمين مرغيني[٢]، رحمهم الله أجمعين».



(١) في آخر النسخة « م » ما نصّه: «وإلى هنا انتهى ما نقلته من خط جامعه مولانا العلامة المحدث الشيخ عبد الله ابن المرحوم الشيخ سالم البصري نفع الله بحياته وبلغه مراده في الدارين، وغفر لنا وله والمسلمين، آمين»، وفي الهامش بخط مغاير: «فهذا نصه انتهى بقلم المرحوم: عبد الله ابن مولانا الشيخ محمد حسين الواعظ الأنصاري النقشبندي رحمه الله تعالى رحمة الأبرار وأسكنه في دار القرار مع الأبرار، آمين».

(٢) تقدم التعريف به في تلاميذ البصري، يراجع هناك.

* * *

● تم بحمد الله وحسن توفيقه قراءة هذا الجزء المبارك على شيخنا العلامة المحقق نظام محمد صالح يعقوبي في المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة بدءاً بعصر يوم الثلاثاء السادس والعشرين من رمضان المعظم لسنة (١٤٢٢هـ) وانتهاء قبيل المغرب.
وكنت أقرأ من الفرع والشيخ ممسك بالأصل وهو يتابع معي، وكانت القراءة بحضرة جماعة من الأفاضل منهم: شيخنا الشيخ العلامة المحقق أبو ناصر محمد بن ناصر العجمي، والشيخ مجد مكي، والأستاذ الشيخ رمزي سعد الدين دمشقية، والأستاذ الشيخ عبد اللطيف بن محمد الجيلاني في جماعة آخرين أثابهم الله، وشكر لهم.
كتبه: العربي الدايز بن علي ابن الحاج الجيلاني ابن الشيخ العربي بن علي ابن الشيخ العربي بن علي الأكبر، الفرياطي المغربي نزيل المدينة النبوية. غفر الله له ذنوبه وستر عيوبه، لواحد وعشرين ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ألف وأربعمائة وثلاث وعشرين للهجرة على صاحبها أفضل وأزكى السلام.

فهرس الأحاديث والآثار

❑ ❑ ❑

أهم المصادر والمراجع

* إتحاف القاري بأعمال وجهود العلماء على صحيح البخاري، محمد عصام عرار الحسيني، دار اليمامة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٧هـ.
* الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، لابن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
* الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي، ت: محمد سعيد بن عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض.
* استدراكات على فؤاد سزكين في علم الحديث، نجم عبد الرحمن الخلف، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
* الأعلام: قاموس لأشهر العلماء والمستشرقين والمستعربين، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٦، ١٩٨٤هـ.
* الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين، نور الدين عتر، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ.
* الإمام الترمذي، الحافظ الناقد، لإياد خالد الطباع، دار القلم، دمشق، ١٤٢٢هـ.
* الإمداد بمعرفة أصول الإسناد، الشيخ عبد الله بن سالم البصري، نسخة من مصورات مكتبة الأخ عبد اللطيف الجيلاني.
* الأنساب، للسمعاني، ت: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت.
* إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لعبد القادر البغدادي.
* تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، للسيوطي (٩١١)، ت: أبي قتيبة محمد نظر الفريابي، دار طيبة، الرياض، ط ٥، ١٤٢٢هـ.
* تذكرة الحفاظ، للذهبي، ت: عبد الرحمن المعلمي، دار التراث العربي، بيروت، [بدون تاريخ].
* تراث الترمذي العلمي، للدكتور أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

* تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه، لمحمد بن عبد الله التليدي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
* تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر، ت: إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
* تقريب التهذيب، لابن حجر، ت: محمد عوامة، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٠هـ.
* تهذيب التهذيب، لابن حجر، ت: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
* تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، يوسف بن الزكي (٧٥٢)، ت: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤، ١٤١٧هـ.
* الجامع الكبير، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٧٩)، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
* الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للسخاوي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢)، ت: إبراهيم باجس، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
* ختم الموطأ وابن ماجه نسخة مصورة من مكتبة الملك عبد العزيز (الخزانة المحمودية)، ضمن مجموع رقم (٢٦٠٠).
* دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة والحديثة، محيي الدين عطية وغيره، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
* سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠) مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ.
* سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيِّىء على الأمة، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٥، ١٤٠٣هـ (ج ١ ــ ٩).
* سلسلة الأحاديث الضعيفة المجلد العاشر والحادي عشر، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ.
* سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لمحمد بن خليل المرداوي (ت ١٢٠٦هـ)، طبع بمصر، ١٣٠١هـ.
* السنن، لابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥)، ت: بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.

* السنن، للدارقطني، أبي الحسن علي بن عمر البغدادي (٣٨٥)، ت: عادل بن عبد الموجود وصاحبه، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
* السنن، للدارمي، أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن (٢٥٥)، ت: فواز أحمد زمرلي وغيره، كراتشي، باكستان.
* السنن الصغرى، للنسائي، أحمد بن شعيب (٣٠٣)، ت: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
* السنن الكبرى، للبيهقي وبذيله (الجوهر النقي في الرد على البيهقي)، لابن التركماني (٧٤٥)، دار المعرفة، بيروت.
* السنن الكبرى، للنسائي، ت: حسين بن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.
* سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط وبشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ، ١٤٠٥هـ.
* شرح السنَّة، للبغوي، محيي الدين أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء (٥١٠)، ت: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاوش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
* شرح صحيح مسلم، للنووي محيي الدين يحيى بن شرف (٦٧٦)، ت: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ.
* شرح علل الترمذي، لابن رجب، أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد (٧٩٥)، ت: همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة الرشد، الرياض.
* شروط الأئمة الستة، لمحمد بن طاهر المقدسي، طبع ضمن ثلاث رسائل في علم مصطلح الحديث، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط ١، ١٤١٧هـ.
* صحيح الجامع الصغير، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤١٠هـ.
* صحيح ابن خزيمة، أبي بكر محمد بن إسحاق (٣١١)، ت: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م.
* طبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٧١)، ت: محمود الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١، ١٣٨٣هـ.

* عارضة الأحوذي في شرح الترمذي، لابن العربـي، دار العلم سوريا.
* علوم الحديث، لأبـي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (٦٤٣)، ت: نور الدين عتر، نشر دار الفكر المعاصر، ط ١، ١٤٠٦هـ.
* غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، نشر برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت.
* فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام، الرياض، دار الفيحاء، دمشق، ط ١، ١٤٢٠هـ.
* فضائل الكتاب الجامع، لتقي الدين عبيد بن محمد الإسعردي، ت: صبحي السامرائي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط ١، ١٤٠٩هـ.
* فهرس الفهارس والأثبات، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٢هـ.
* الفهرس الشامل للتراث العربـي الإسلامي المخطوط (الحديث النبوي وعلومه)، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الأردن.
* القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٦، ١٤١٩هـ.
* قوت المغتذي في شرح الترمذي، للسيوطي، مخطوط في مكتبة عارف حكمت.
* الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، أبـي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
* كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، للهيثمي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ.
* المجروحين من المحدثين والضعفاء والكذابين، لأبـي حاتم محمد بن حبان البستي، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ.
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، دار الكتاب العربـي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ.
* المسند، للإمام أحمد بن حنبل، ت: جماعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط ١، ١٤١٩هـ.
* مسند أبـي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (٣٠٧)، ت: حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، ط ١، ١٤١٢هـ.

* مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، محمد بن عبد الله (بعد ٧٣٧)، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٣٨٠هـ.
* المصنف، لابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم (٢٣٥)، ت: عامر العمري الأعظمي، المطبعة السلفية، الهند، ط ١، ١٤٠١هـ.
* المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١)، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ.
* المعجم الأوسط، للطبراني، ت: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد وغيره، دار الحرمين، القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ.
* المعجم الشامل للتراث العربي المخطوط، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.
* المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، لمحمد عيسى صوالحية، القاهرة، ١٩٩٣م.
* المعجم الكبير، للطبراني، ت: حمدي السلفي، نشر: وزارة الأوقاف العراقية، ومكتبة ابن تيمية [بدون تاريخ].
* معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف سركيس، دار صادر، بيروت.
* معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.
* المنتخب، عبد بن حميد الكشي (٢٤٩)، ت: مصطفى بن العدوي، دار الأرقم، الكويت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
* الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، لابن الجوزي، ت: نور الدين بن شكري بن علي بويا، أضواء السلف، ط ١، ١٤١٨هـ.
* نقع قوت المغتذي على جامع الترمذي، للعلامة السيد علي بن سليمان الدمناتي المغربي، المطبعة الوهبية بالقاهرة.
* النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦)، ت: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
* هدية العارفين بأسماء المؤلفين، للبغدادي.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

● ● ●